
العرف الطيب
في شرح
ديوان أبي الطيب

شرح ديوان المتنبي لليازجي

١

العَرفُ الطيّبُ

في شرح

ديوانُ أبي الطيّبُ

للعالم العلاّمة اللُّغَويّ الشاعر المشهور

الشيخ ناصِيف اليازجي

المجلّد الأول

دار صادر

بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

وُلِد أبو الطيّب أحمد بن الحُسَين المتنبي بالكوفة سنة ثلاث وثلاث مئة في محلّة يُقال لها كِندة وقدم الشام في صباه وبها نشأ وتأدّب . ولقي كثيرين من أكابر علماء الأدب منهم الزجّاج وابن السرّاج وأبو الحسن الأخفش وأبو بكر محمد بن دريد وأبو عليّ الفارسيّ وغيرهم وتخرّج عليهم فخرج نادرة الزمان في صناعة الشعر ولم يكن في وقته من الشعراء من يدانيه في علمه ولا يجاريه في أدبه .

وإنّما لُقّب بالمتنبي لأنّه ادّعى النبوّة في بادية السماوة وهي أرضٌ بجبال الكوفة ممّا يلي الشام . ولما فشا أمرُه خرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد فاعتقله زماناً ثمّ استتابه وأطلقه .

ولبث المتنبي بعد ذلك يتردّد في أقطار الشام يمدح أمراءها وأشرافها حتى اتصل بالأمير سيف الدولة عليّ بن حمدان العَدَوي صاحب حلب سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة فحسن موقعه عنده وأحبّه وقرّبه وأجازه الجوائز السنيّة وكان يُجري عليه كل سنة ثلاثة آلاف دينار خلا الإقطاعات والخلع والهدايا المتفرقة . ثمّ وقعت وحشةٌ بينه وبين سيف الدولة ففارقه سنة ست وأربعين وثلاث مئة وقدم مصر ومدح كافوراً الإخشيدي فأجزل صلته وخلع عليه

ووعده أن يبلّغه كلّ ما في نفسه .

وكان أبو الطيب قد سمت نفسه إلى تولي عمل من أعمال مصر فلمّا لم يُرضه هجاهُ وفارقه في أواخر سنة خمسين وثلاث مئة وسار إلى بغداد وفيها كانت له مع الحاتميّ القصة المشهورة . ثمّ فارق بغداد متوجهاً إلى بلاد فارس فمرّ بأرّجان وبها ابن العميد فمدحه وله معه مساجلات لطيفة يشار إليها في موضعها من هذا الديوان . ثمّ ودّع ابن العميد وسار قاصداً عضد الدولة بن بُوَيه الدّيلمي بشيراز فمدحه وحظي عنده . ثمّ استأذنه وانصرف عنه عائداً إلى بغداد فالكوفة في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه ومع المتنبي جماعةٌ من أصحابه أيضاً فقاتلوهم فقُتل المتنبي وابنه محسَّد وغلامه مفلح بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد . وكان مقتله في أواخر رمضان من السنة المذكورة .

وعلماء الأدب مختلفون في شعره ،فمنهم من يرجحه على أبي تمام والبحتري ومنهم من يرجحهما عليه،وقد انتدب العلماء للكلام على ديوانه فشرحه نحو الخمسين من أكابر أهل العلم وجِلّتهم وكفى بذلك دليلاً على علوّ طبقته في البلاغة وسعة تصرّفه في المعاني .

مقدمة الشارح

يقول راوي هذا الشرح ومتمّمه الفقير إليه ، عزّ وجلّ ، إبراهيم بن ناصيف اليازجي اللبناني : هذا آخر ما أثبت الرواة من شعر أبي الطيّب المتنبي ، رحمه الله تعالى . وقد اخترتُ له أشهر الروايات وأمثلها بعد أن وقفتُ فيه على غير نسخةٍ من النسخ الموثوق بها وبالغتُ في ضبطه وتحريره ما أعان عليه الإمكان ، والله ملهم السّداد .

وكان أبي ، رحمه الله ، قد شرَع في تعليق هذا الشرح على هامش نسخةٍ من الديوان بخطّه كان يثبتُ فيها ما يعنّ له من تفسيرٍ أو إعرابٍ أو شرح بيت تذكرةً لنفسه مع ذكر كثير من وقائع النظم وتراجم بعض الممدوحين وغيرهم ممّا يسنح له في أثناء مطالعاته ، إلاّ أنّه لم يتقصّ في شيء من ذلك ، ولا تتبّع أبيات الديوان على التوالي ، وخصوصاً المواضع المستغلقة التي تدعو إلى إطالة الرويّة والاستنباط ممّا لم يُرضه كلام الشرّاح فيه ، فإنّه كان يتجاوزها في الأغلب ويترك موضع الكلام فيها مخرَّجاً على الهامش ، كأنّه كان ينوي معاودة هذا الشرح والتوفر على إتمامه ، ثمّ لم يُفسَح له في الأجل ، فبقي الشرح على علاّته .

ومعلومٌ ما لهذا الديوان من الشهرة الطائرة بين خاصّة النّاس وعامّتهم لكثرة ما فيه من موارد الحكمة ومضارب الأمثال الشائعة على الأقلام والألسنة ، مع ما هو مشهور في شعر المتنبي من عوَص التراكيب ، وبُعد متناوَل المعاني ، ومع قلّة ما في أيدي الناس من شروحه على كثرتها ، وعزّة الظفر بالمحكم منها ، كشرح الواحديّ ومن في طبقته ، ولذلك اشتدّت حاجة المتأدّبين والدّارسين في هذا العصر إلى شرحٍ يُعتَمَد عليه في استخراج مكنونه ، والكشف عن غامضه ، وكَثُرَ تقاضي الناس لهذا الشرح الذي ذكرتُه عندي، وأنا أدافع في الإجابة ، لعلمي بأن نشره على الحدّ المشار إليه غير جدير بأن يتلقّى هذه الحاجة بقضائها، لوقوفه في كثير من المواضع من دون مبلغ الطلب ، وتفاوت الحال فيه بين موضع وآخر ، بحيث لا يحمل ظهوره على صورته تلك ، إلى أن لجّ الداعي ولم يبقَ في قوس الاعتذار منزع ، فاستخرتُ الله سبحانه

في تولّي إتمامه وسدّ ما بقي من خلله على نحو ما تسعهُ الطاقة ويبلغ إليه العلم القاصر ، وتابعت الكلام على بيتٍ بيت بما تقتضيه الحال من تفسير غريبه وإعراب المشكل من تراكيبه ، وقد تتبّعتُ الغريبَ في الأبيات كلّها من غير استثناء ، وربّما تكرّرت اللفظة الواحدة مراراً في الديوان ففسرتها في كلّ موضع وردت فيه ليكون كلّ بيت مستقلاً في تفسيره لا يُحتاج معه إلى مراجعة أو كدّ ذاكرة ، واستقصيت في الإعراب بحيث لم أدع مشكلاً يتوقّف عنده البصير إلاّ تلقّيتُه ببيانه ، خصوصاً إعراب الظروف ، فإنّها من أصعب العقبات التي تعترض في وجوه المعربين لخفاء وجه الإعراب فيها ، ولكثرة ما يتعاورها من التقديم والتأخير ، على ما هو معلومٌ ، من توسعهم في الظروف ، وذكرتُ معنى كلّ بيت على عقب الفراغ من مفرداته ، ملتزماً في الأكثر أن أشرحه بحلّ ألفاظه عينها بحيث أصوّر للطالب المعنى الشعريّ في ضمن المعنى التركيبي ؛ وفي جميع ذلك من النّصَب وإعمال الروية ما لا يخفى على الخبير .

وإنّما أبقيت عنوان الشرح باسمه ، رحمه الله تعالى ، رعايةً لكونه هو الواضع الأصيل ، فلم أوثر أن أتطفّل عليه في نسبة الكتاب ، وإن تطفّلتُ عليه في التأليف .

وإنّي لأرجو الله أن يكون قد وهبني السلامة في ذلك كلّه وأنزلني من هذا الشرح منزلةً توجب استدرار الرحمة على واضعه ، ولا تكون مدرجةً لنقض برّي به بأن أجرّ عليه تَبِعةً تلزمني دونه ، أو يُنسَبُ إليّ فضلٌ هو أحقّ به مني ، ومعاذ الله أن أدّعي لنفسي في جنبه فضلاً أو علماً ، فإنّي إنّما اهتديتُ بمناره ، واقتديتُ بآثاره ، وإنّه لا علمَ لي إلاّ ما علّمني .

ذكر السائغ من القصيدتين المهملتين من الديوان :

ثمّ إنّه لما كان لكلّ مقامٍ مقال ، وكان الشعر من أوسع الكلام مذهباً ، وأجوله مركباً ، يطأُ بصاحبه من المسالك الشعابَ والفجاج ، ويَرِدُ به من المناهل العذبَ والأُجاج ، لم يكد شعرُ شاعر يخلو عمّا لا يحلو مذاقهُ ، ولا يحسن في كلّ حال مساقهُ .

ولا جرم أنّ أبا الطيّب ، رحمه الله ، لم يكن يتوقّع أن قصائده ستصير كتاب علمٍ يُفسح لهُ موضعٌ في مجالس الطلب ، ويُتخرّج عليه في النحو واللغة وسائر فنون الأدب ، فأطلق عنان قريحته وراء كلّ غرض بما يوصله إليه ، ويقع به عليه ، ولذلك فقد ورد في بعض أبيات هذا الديوان من اللفظ البارز عن ظلّ النزاهة ما لا يبيحه أدب المجالس ، ولا يحمل إقراؤه في حلقات

المدارس ، فلم يكن لي بدٌّ من اطّراح ما جاء كذلك فيه ، ليكون مورده سائغاً لكلِّ مُريد ، ولا يكون قليلُه ممّا لا فائدة فيه عَقَبَةً في سبيل ما فيه من الكثير المفيد .

وكان في جملة ما اطّرحتُه قصيدتان : إحداهما القصيدة الميميّة المشهورة في هجاء ابن كيغلغ ، وقد أشرت إليها في موضعها ؛ والثانية القصيدة التي هجا بها ضبّة بن يزيد العتبيّ ، وسيأتي ذكرها . وإنّما أهملت هاتين القصيدتين من أصلهما لأنّني التزمتُ عند حذف بعض الأبيات مراعاة اللُّحمة بين طرفي الباقي بحيث لا أقطع بين الأبيات ولا أترك موضعاً يُشعر منه بأنّ هناك حذفاً ، حرصاً على القصائد المحذوف منها أن تتشوّه ، ولذا كنتُ إذا اضطررت إلى إسقاط بيت ، ووجدتُ الذي بعده أو الذي قبله لا يلتئم مع الباقي أسقطت معه بيتاً آخر ، ولم يقع لي ذلك إلاّ في ندور . فلمّا أفضيت إلى القصيدتين المشار إليهما وجدتُ أن ما يلزمني حذفُه كثير ولا يتّفق عند كلّ محذوف بقاء اللُّحمة وإلاّ تعيّن عليّ أن أترك كثيراً من جيد الأبيات ومشهورها ، فأغفلتهما من متن الديوان على أن أذكر السائغ منهما في هذا الموضع متحامياً التقطيع بين الأبيات ما أمكن ولو بإحالة بعضها عن مواضعها تفادياً بأيسر الخطبين .

والقصيدة الأولى منهما هي قوله :

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُ ... عَرَضاً نَظَرْتُ، وَخِلتُ أنّي أسْلَمُ [١]

يا أُختَ مُعْتَنِقِ الفَوَارِسِ في الوَغى، ... لَأخوكِ ، ثَمّ ، أرَقُّ منكِ وَأرْحَمُ [٢]

---

١ ويروى لهوى القلوب . والسريرة السر . وعرضاً أي فجاءة واعتراضاً عن غير قصد وهو منصوب على الحال . وخلت حسبت . يقول: سر الهوى مجهول لا يدرى كيف يدخل قلب العاشق، ثم قال : إني نظرت عن غير قصد يعني إلى المحبوبة فعشقتها من حيث لم يجر حبها بخاطري وكنت أظن أني أسلم من هواها .

٢ الوغى الحرب . واللام من قوله لأخوك للابتداء . وثم هنالك . وللشراح في هذا البيت أقوال أقربها ما ذكره ابن فورجّة ومحصله أنه يمدح أخا المحبوبة بالشجاعة وأنها من قوم أشداء أهل حرب وجلاد. يقول : أنت قاسية القلب وأخوك على بسالته إذا لقي عدواً في الحرب كان أرق على عدوه وأرحم منك على العاشق .

راعتْكِ رائعةُ البَياضِ بمَفرِقي ، وَلَوَ انّها الأولى لَراعَ الأسْحَمُ[1]

لَوْ كانَ يُمكِنُني سفَرْتُ عن الصّبى فالشّيبُ مِنْ قَبْلِ الأوَانِ تَلَثُّمُ[2]

وَلَقَدْ رَأيتُ الحادِثاتِ ، فَلا أرَى يَقَقاً يُميتُ ، ولا سَواداً يَعْصِمُ[3]

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسيمَ نَحافَةً ، وَيُشيبُ ناصِيَةَ الصّبيّ وَيُهرِمُ[4]

٥ ذو العَقْلِ يَشقَى في النّعيمِ بعَقْلِهِ وَأخو الجَهالَةِ ، في الشّقاوَةِ ، يَنعَمُ[5]

والنّاسُ قد نَبَذوا الحِفاظَ ، فمُطلَقٌ يَنْسَى الذي يُولَى ، وَعافٍ يَندَمُ[6]

---

١ راعتك خوفتك . ورائعة البياض الشعرة البيضاء تروع الناظر . وروى ابن جني راعية البياض وهي أول ما يشيب من الشعر . والمفرق وسط الرأس حيث يفترق الشعر . ويروى بعارضي وهو صفحة الوجه . والأسحم الأسود . يقول : راعتك الشعرة البيضاء التي ظهرت في رأسي لأن بياض الشعر يدل على الكبر ولو كانت هذه الشعرة هي الأولى أي لو أن الشعر يكون أولا أبيض ثم يسود عند الكبر لراعك الشعر الأسود . يريد أن الشيب لا يكون دائماً دليل الكبر فبياض الشعر وسواده سواء .

٢ اسم كان محذوف دل عليه ما بعده أي لو كان السفور عن الصبى يمكنني وهذا الحذف يكثر بعد أفعال القدرة والإرادة وما إليها وهو في مقام الشرط أكثر . وسفرت من سفور المرأة إذا كشفت عن وجهها. يريد أنه مع شيبه حدث السن ولكن الشيب ألقى عليه منظر الكبر فكأنه قد ستر شبابه. يقول : لو أمكنني لكشفت عن شبابي بإزالة الشيب الذي يستره لأن الشيب قبل أوانه كاللثام الذي يتنكر به منظر المتلثم .

٣ اليقق الأبيض . ويعصم يقي . يعني أن حوادث الدهر تنال الكبير والصغير فلا يكون بياض الشعر سبباً للموت ولا سواده واقياً منه لأن الأمر كثيراً ما يقع على الخلاف .

٤ يخترم يهلك . ونحافة مفعول له . والناصية شعر مقدم الرأس . يشير إلى علة مشيبه يقول : إنما غيرني الهم فإنه إذا استولى على الجسيم هزله حتى يهلك من النحافة وقد يشيب به الصبي ويصير كالهرم من الضعف والعجز .

٥ في النعيم وفي الشقاوة حالان من الضمير في الفعلين . وبعقله صلة يشقى . يقول : العاقل يشقى بعقله وإن كان في نعيم من الدنيا لتفكره في العواقب وعلمه بتحول الأحوال والجاهل ينعم وهو في الشقاوة لضعف حسه وقلة تفريقه بين حال وحال .

٦ النبذ الطرح . والحفاظ أي المحافظة على الحقوق . ومطلق مبتدأ محذوف الخبر أي فمنهم مطلق .

لا يَخدَعنّكَ ، مِن عَدُوٍّ ، دمعُه، وَارْحَمْ شبابَكَ مِن عدوٍّ ، تَرْحَمُ[1]

لا يَسْلَمُ الشّرَفُ الرّفيعُ منَ الأذَى حتى يُراقَ ، على جَوانِبِهِ ، الدّمُ[2]

يُؤْذي القَليلُ منَ اللّئامِ ، بطَبعِهِ ، مَنْ لا يَقِلّ ، كَما يَقِلّ ويَلْؤمُ[3]

والظّلْمُ مِنْ شِيَمِ النّفُوسِ ،فإن تجد ذا عِفّةٍ ، فَلِعِلّةٍ لا يَظْلِمُ[4]

وَمِنَ البَلِيّةِ عَذْلُ مَن لا يَرْعَوي عَنْ جَهْلِه،وخطابُ مَنْ لا يَفْهَمُ[5]

ومنها في ذكر المهجو :

يَقْلَى مُفارَقَةَ الأكُفّ قَذالُهُ ، حتى يَكادَ على يَدٍ يَتَعَمّمُ[6]

وجُفُونُهُ ما تَسْتَقِرّ كأنّهَا مَطْرُوفَةٌ أوْ فُتّ فيها حِصْرِمُ[7]

وأولاه كذا أنعم به عليه . والعافي من العفو عن الذنوب . يقول : الناس قد تركوا رعاية الحقوق وعرفان النعم فينسى المطلق من الأسر إحسان مطلقه ويندم الذي يعفو عن المسيء لما يرى من كفران صنيعته .

١ يقول : لا يخدعك بكاء العدو في الاستعطاف أي لا ترحمه ولكن ارحم نفسك منه لأنك إن رحمته وأبقيت عليه لم تأمن غدره .

٢ يراق يسفك . أي لا يسلم للشريف شرفه من أذى الأعداء والحساد حتى يسفك دماءهم فيأمن بقتلهم ويتحاماه غيرهم .

٣ القليل هنا بمعنى الخسيس . وبطبعه صلة يؤذي . وضمير الفعلين الآخرين للقليل . يقول : الخسيس مطبوع على أذى الكريم الذي لا يشاكله في الخسة واللؤم للتنافي بينهما .

٤ الشيم الطباع . ويروى في خلق النفوس . يقول : نفوس الناس مطبوعة على الظلم لاستيلاء الهوى عليها فإن وجدت فيهم من يعف عن الظلم فلسبب كالعجز والخوف ونحوهما .

٥ العذل اللوم . ويرعوي يكف ويقلع . ويروى عن غيه وهو خلاف الرشد .

٦ يقلى ، بفتح اللام وكسرها ، يبغض . والقذال مؤخر الرأس وهو فاعل يقلى ويجوز أن يكون مفعول المفارقة وفاعل يقلى ضمير المهجو . أي أن قفاه يكره مفارقة الأكف لأنه قد ألف صحبتها في الصفع فيكاد يتعمم على إحدى يديه لئلا يخلو قفاه من كف .

٧ طرف عينه إذا أصابها بشيء فدمعت . يقول : أجفانه أبداً تتحرك فلا تستقر . قيل كان ذلك عادة

وإذا أشارَ مُحَدِّثاً ، فكأنَّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ ، أوْ عَجوزٌ تَلْطِمُ[1]

. وتَراهُ ، أصغرَ ما تَراهُ ، ناطِقاً ويكونُ ، أكذبَ ما يكونُ ، ويُقسِمُ[2]

. والذّلُّ يُظْهِرُ في الذّليلِ مَوَدّةً ، وأوَدُّ مِنْهُ ، لِمَنْ يَوَدّ ، الأرْقَمُ[3]

ومِنَ العَداوَةِ ما يَنالُكَ نَفْعُهُ ، ومِنَ الصّداقَةِ ما يَضُرّ ويُؤلِمُ[4]

غلبت عليه فيعيره بها وقيل كان داء به لأن عينيه كانتا تدمعان أبداً فلا يفتر من تحريك أجفانه وعلى هذا حمل بعضهم قوله فيه : وإسحق مأمون على من أهانه ولكن تسلى بالبكاء قليلا .

١ يريد أنه ألكن اللسان فإذا حدث شنج وجهه وأشار بيده لأنه لا يقدر على البيان فشبه حديثه بضحك القرد وجعل إشارته في حديثه كلطم العجوز إذا ولولت .

٢ ما الداخلة على الفعلين مصدرية . وناطقاً ويقسم حالان وأراد وهو يقسم فحذف كما في قولهم قمت وأصك عينه أي وأنا أصك . وأصغر وأكذب يرويان بالنصب على أنهما معمولان للفعلين قبلهما وزعم بعضهم أنهما هنا في موضع المفعول المطلق على أن ترى من رؤية العين فهي متعدية إلى واحد ويكون تامة فلا خبر لها والتقدير تراه ناطقاً رؤية أحقر رؤيتك إياه ويوجد وهو مقسم وجوداً أكذب وجوده . انتهى محصلا وفيه من التعسف ما لا يخفى وأقل ما يقال فيه انه لو سقط العامل اللفظي بأن قيل هو أصغر ما تراه ناطقاً لتقوض هذا البناء من أصله . والأظهر أن أفعل في الموضعين مرفوع على الابتداء وسدت الحال بعده مسد الخبر والجملة في محل نصب بالناسخ لأنها في الأصل خبر ابتداء كما في قولك هند أحسن ما تراها أو أحسن ما تكون سافرة فلما دخل الناسخ عمل في المبتدإ الأول لفظاً وفي جملة الخبر محلا كما تقول رأيت هند أو كانت هند أحسن ما تكون سافرة . فتأمل . والمعنى تراه أحقر ما يكون إذا نطق لأنه ألكن أو لأنه ينطق بغير معقول وهو أكذب ما يكون إذا حلف أي حين يكون الصدق عليه أوجب .

٣ أود خبر مقدم عن الأرقم وهو ضرب من الحيات فيه سواد وبياض . وفاعل يود ضمير الذليل والعائد محذوف أي يوده . أي أن الذل يحمل صاحبه على إظهار المودة لمن يبغضه لأنه يعجز عن مجاهرته بالعداوة على أن الحية مع ما هو معروف فيها من الخبث والتعرض لعداوة من لا يؤذيها أدنى إلى مودة من يظهر الذليل مودته .

٤ أراد بالنفع هنا ما هو أعم منه يعني انتفاء الضرر والبيت مبني على الذي قبله أي أن عداوة الذليل الذي يطوي كشحه على البغض تظهر ما أضمر من الخبث فتنفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته ويحذر جانبه ويعكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل به إلى أذاه لأنه يساتره العداوة ويتربص به نهزة الغدر .

ومنها يتخلّص إلى مدح أبي العشائر :

فَلَشَدّ ما جاوَزْتَ قَدْرَكَ صاعِداً ... وَلَشَدّ ما قَرُبَتْ عَلَيْكَ الأنْجُمُ[1]

وَأرَغْتَ ما لأبي العَشائِرِ خالِصاً ... إنّ الثّناءَ لِمَنْ يُزارُ فيُنْعِمُ[2]

وَلِمَنْ أقَمْتَ على الهَوانِ بِبابِهِ ... تَدْنُو فَيُوجَأُ أخْدَعاكَ وَتُنْهَمُ[3]

وَلِمَنْ يُهِينُ المَالَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ ... وَلِمَنْ يَجُرّ الجَيْشَ وَهْوَ عَرَمْرَمُ[4]

وَلِمَنْ إذا التَقَتِ الكُماةُ بمَأزِقٍ ... فَنَصِيبُهُ مِنْها الكَميُّ المُعْلِمُ[5]

وَلَرُبّما أطَرَ القَناةَ بِفارِسٍ ... وَثَنَى فَقَوّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ[6]

وَالوَجْهُ أزْهَرُ وَالفُؤادُ مُشَيَّعٌ ... وَالرّمْحُ أسْمَرُ والحُسامُ مُصَمِّمُ[7]

---

١ شد بمعنى ما أشد واللام قبلها للتوكيد وما مصدرية . يقول : ما أشد ما تجاوزت قدرك في طلبك المديح مني وما أشد ما قربت الأنجم عندك فطمعت في نيلها وأراد بالأنجم أبيات شعره .

٢ أراغ الشيء طلبه . وأبو العشائر الحسن بن حمدان وقد مر ذكره في الديوان وكان أبو الطيب مسافراً في قصده فعرض له هذا الرجل في طريقه إليه وقد ذكرنا خبره في محله . يقول : طلبت المدح الذي هو حق أبي العشائر خالصاً له أي من غير منازع فيه لأن الثناء يحق لمن يزار فينعم على زواره .

٣ تدنو تقرب . ويوجأ يلطم . والأخدعان عرقان في العنق . والنهم الزجر الشديد . أي وإن الثناء لمن تزلفت إليه فأقمت ببابه ذليلا يضرب أخدعاك أي تصفع هزؤاً واستخفافاً ثم تزجر مطروداً من الحضرة .

٤ العرمرم الكثير . أي ولمن يهين المال ببذله على القصاد حالة كون المال مكرماً أي نفيساً وهو ملك يجر الجيش الكثير .

٥ الكماة جمع كمي وهو البطل عليه السلاح . والمأزق المضيق . والمعلم الذي جعل لنفسه علامة في الحرب.

٦ أطر لوى . والقناة عود الرمح . وثنى أي عطف على استعمال الفعل لازماً كما مر من قوله ثنت فاستدبرته بطيب . أي ربما طعن فارساً فاعوج الرمح فيه ثم طعن آخر فقومه . يشير إلى شدة طعنه وتواتره .

٧ ال هنا نائبة عن ضمير الممدوح أي ووجهه وفؤاده وهلم جراً والواو في أول البيت للحال . والأزهر الأبيض المشرق . والمشيع الجريء . والحسام السيف القاطع . والمصمم الذي يطبق المفاصل.

أفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الكِرامُ كَرِيمَةٌ   وَفَعَالُ مَن تَلِدُ الأعاجِمُ أعجَمُ[1]

ومطلع الثانية قوله :

مَا أنْصَفَ القَوْمُ ضبّهْ   وَأُمّهُ الطُّرْطُبّهْ[2]

ومنها :

وإنّمَا قُلْتُ مَا قُلْ   تُ رَحْمَةً لا مَحَبّهْ[3]

وحِيلَةً لَكَ حَتّى   عُذِرْتَ لَوْ كنتَ تَأبَهْ[4]

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ القَتْ   لِ إنّمَا هيَ ضَرْبَهْ

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الغَدْ   رِ إنّمَا هيَ سُبّهْ[5]

---

١ الفعال هنا مصدر . والأعاجم كل من ليس عربياً من أي جيل كان . يقول : فعل المرء يشبه أصله فمن كرمت أنسابه كرمت أفعاله ومن كان لئيم النسب ففعله أيضاً لئيم . والعرب تصف الأعاجم باللؤم ولذلك جعل الأعاجم في مقابلة الكرام وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان رومياً .

٢ ضبة هو ابن يزيد العتبي ويروى العيني بالياء المثناة بعدها نون وكان فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب وهو المشار إليه في القصيدة التي مدح بها دلير بن لشكروز بالكوفة . وكان من قصة هذا الرجل أن قوماً من أهل العراق قتلوا أباه يزيد وسبوا امرأته أم ضبة وكان ضبة غداراً بكل من نزل به واجتاز به أبو الطيب في جماعة من أشراف الكوفة فامتنع منهم وأقبل يجاهر بشتمهم فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه. يشير في هذا البيت إلى قصته المذكورة،والطرطبة المسترخية الثديين .

٣ أي إنما قلت ما أنصفوك رحمة بك لما أصابك من الذل والعار لا محبة لك وغيرة عليك، يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالشماتة .

٤ لو هنا حرف تمن . وتأبه تفطن . ويروى تيبه ، بكسر التاء، مضارع ويه بمعنى أبه على لغة من يكسر حرف المضارعة . وروى الخوارزمي تنبه وهو بمعناه أيضاً . أي وقلت ذلك حيلة لك حتى يعذرك الناس فيما أصابك إذا سمعوا مقالي وعلموا أنك مظلوم .

٥ ما في البيتين استفهام إنكار . وهي ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد وقد مرت له نظائر . والسبة العار

يا قاتِلاً كُلَّ ضَيْفٍ غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلْبَه[1]
وَخَوْفَ كُلِّ رَفيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنْبَه[2]
كَذا خُلِقْتَ وَمَن ذا الّـ ـذي يُغالِبُ رَبَّه[3]
وَمَنْ يُبَالي بِذَمٍّ إذا تَعَوَّدَ كَسْبَه
فَسَلْ فُؤادَكَ يا ضَـ ـبَّ أينَ خَلَّفَ عُجْبَه[4]
وَإنْ يَخُنْكَ فَعَمْري لَطالَما خانَ صَحْبَه[5]
وَكَيْفَ تَرْغَبُ فيهِ وَقَدْ تَبَيَّنْتَ رُعْبَه[6]

يسب به . يقول : ماذا عليك من قتلهم لأبيك وغدرهم به فإنما القتل ضربة تقع بالمقتول فيموت منها والغدر سبة يتناقلها الناس وما على المسبوب شيء . أي أنت تقتل وتغدر وليس في القتل والغدر عندك إلا ما ذكر فلا يشتد موقعهما عليك .

١ غناه ، بالفتح ، أي كفايته ، وأصله المد فقصره . والضيح اللبن الممزوج بالماء . والعلبة قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يريد أنه لبخله إذا نزل به ضيف يقتله ليتخلص من القرى ولو كان ضيفه فقيراً يكتفي بقليل من هذا اللبن في علبة . كذا قال ابن فورجة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من نزل به ولو كان صعلوكاً لا مال معه يطمع فيه .

٢ خوف معطوف على قاتلا والبيت في معنى الذي سبقه أي إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام .

٣ كذا حال . ومن ذا استفهام إنكار وذا هنا ملغاة مركبة مع من تركيب ماذا . يريد أن الله خلقه كذلك أي مطبوعاً على الغدر والدناءة فهو لا يزال على ما خلقه الله لا يقدر الناس على تغييره لأن الله لا يغالب .

٤ ضب ترخيم ضبة.و خلف الشيء تركه خلفه . والعجب الكبر . يقول له : سل فؤادك أين ترك ما كان فيه من الكبر والتيه أي حين اختبأ منهم وامتنع بالحصن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .

٥ عمري قسم وهو مبتدأ محذوف الخبر سد مسده جواب القسم . والصحب جماعة الأصحاب . يقول : إن خانك فؤادك أي خذلك ولم يطاوعك على الإقدام علينا خوفاً ورهباً فلست بأول صاحب خانه لأنه تعود خيانة الأصحاب .

٦ يقول : كيف ترغب في فؤادك بعد هذا وقد تبينت ما هو عليه من الخوف عند الشدة أي هو لا ينفعك فلا خير لك في صحبته .

مَا كُنْتَ إلاّ ذُبابـاً نَفَتْكَ عَنّا مِذَبّه[1]
وَإنْ بَعُدْنَا قَلِيلاً حَمَلْتَ رُمْحاً وَحَرْبَه[2]
وَقُلْتَ لَيْتَ بِكَفّي عِنَانَ جَرْداءَ شَطْبَه[3]
إنْ أوْحَشَتْكَ المَعَالي فإنّهَا دارُ غُرْبَه
أوْ آنَسَتْكَ المَخَازي فإنّهَا لَكَ نِسْبَه[4]
وَإنْ عَرَفْتَ مُرادي تكَشّفَتْ عَنكَ كُرْبَه
وَإنْ جَهِلْتَ مُرادي فإنّهُ بِكَ أشْبَه[5]

ومما حذفتُه أيضاً قطعةٌ هجا بها وردان الطائي ، أولها : « لحى الله وردانا وأمّـاً أتت به » . وهي خمسة أبيات لا غير لم يسلم منها ما هو جدير بالإثبات . فكان مجمل ما أسقطته من الديوان كلّه لا يكاد يبلغ سبعين بيتاً ، منها نحو النصف من القصيدتين المتقدمتين ، وليس هذا القدر اليسير بالقدر الذي يُعبأ به في جنب الديوان ، ولا سيّما أنّه بذلك قد سلمت محاسنه ممّا يُشان

---

١ المذبة ما يطرد به الذباب . ويروى عنه والضمير للقلب أو للعجب ولعل الرواية الصحيحة ما ذكرناه. يريد أنه انهزم منهم بمجرد الخوف فشبهه لجبنه بالذباب وشبه ما غشيه من خوفهم بالمذبة التي يهول بها على الذباب فيهرب .

٢ أي إذا بعدنا عنك فأمنت عدت إلى عجبك فحملت السلاح وهذا مثل قوله :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الحرب وحده والنزالا

٣ العنان سير اللجام . والجرداء من الخيل القصيرة الشعر . والشطبة الطويلة .

٤ المخازي جمع مخزية وهي الفعلة القبيحة يذل صاحبها . أي إذا استوحشت من المعالي فلا عجب لأنك غريب عنها وكذلك شأن الغريب وعلى عكسها المخازي فإنك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب . وأراد ذات نسبة فحذف كما يقال هو قرابتي وكلاهما من استعمال المولدين .

٥ الضمير من إنه يعود على المصدر المفهوم من الفعل المتقدم يعني الجهل . ويروى لك أشبه . يقول : إن عرفت مرادي زال عنك ما تجده من الكرب بجهلك ما أقول وإن جهلت مرادي فالجهل أشبه بك وأليق بحالك لأنك لست ممن يفهمون .

وأتلفت جملته على الإحسان . والحمد لله أنّي قد وُفّقتُ في كلّ ما اطّرحتُه من الأبيات إلى بقاء الكلام متتابعاً بعد الحذف ، ولم أُضطرّ إلى تبديل شيء من الألفاظ إلاّ في أربعة أبيات لم يقع لي حذفها لتوقف المعنى على بعضها ، وضنّي بالبعض الآخر لحسنه ؛ أحدها قوله :

أوطأتُ صُمّ حصاها خفّ يعملةٍ تغشمرت بي إليك السهلَ والجبلا

والثاني قوله يذكر ناقته :

وتَعذُرُ الأحرار صيّرَ ظهرَها إلاّ إليكَ عليّ ظهرَ حرامِ

والثالث قولُه :

ولا عفّةٌ في سَيفِهِ وسِنانِه ولكنّها في الكفّ والطّرفِ والفمِ

والرابع قولُه :

وكانَ أطيبَ من سَيفي معانقةً أشباه رونقهِ الغيد الأماليدُ

وقد أتيتُ فيما عدا البيت الثالث بما هو من مرادف اللفظ المبدل منه ، ولا يخرج عن ذلك ما في البيت الثاني ، فإن الترادف يأتي من طريق الكناية ، وهو اصطلاح قديمٌ معروف .

على أنّي ، ويشهد الله ، لم آتِ شيئاً من ذلك إلاّ متكرهاً ، إذ ليس للراوي أو الشارح أن يتولّى مقام الناظم في الاختيار والتبديل ، وإنّما نحن المؤتَمَنون على ما استخلفنا عليه المتقدمون نؤدّيه كما بلغ إلينا ، وننصفهم من أنفسنا كما نود أن ينصفنا من يجيء بعدنا ، ولكن كذا اقتضت المصلحة ، ومن اعتبر طَرَفَيْ صنيعي وغايته اغتفر ما أقدمتُ عليه من هذا التصرّف اليسير فيما توخّيته بعده من النّفع الكبير .

وبعدُ فلستُ أنا أول من تحرّج من ذكر ما تأباه النفوس النزيهة ، بل قد نُقل عن المتنبي نفسه أنّه كان إذا قُرئت عليه قصيدته في هجاء ضبّة يتكرّه إنشادها ، وقد ذكر الواحدي ذلك عنه عندما انتهى في شرحه إلى هذه القصيدة ، ثمّ قال : وأنا أيضاً والله أكره كتابتها وتفسيرها ، ولست أرويها إنّما أحكيها على ما هي عليه، وأستغفر الله تعالى من خطّ ما لا يُزلِف لديه .ا هـ.

قلت : وإذا لم يكن من الاستغفار بدّ فهو من ترك ما لا يُزلِف أولى، والعجب من الواحديّ، رحمهُ الله ، أنّه مع ما رأيتُ من تحرّجه هنا وانقباضه عن رواية هذه القصيدة وشرحها ، لم

يجد من نفسه مثل ذلك عند شرحه للقصيدة التي هجا بها ابن كيغلغ ، فإنّه رواها هناك بغير نكير ، وأطلق عنان القلم في الشرح بما لم يبلغ إليه المتنبي في هجاء ضبّة ، فسبحان الواحد الكامل الذي لا تأخذه غفلةٌ ولا يشغله شانٌ عن شان .

ذكر قصائد ومقطعات تروى للمتنبي :

وقد بقي للمتنبي غيرَ ما ذُكر قصائد ومُقطّعات تُروَى له عثرتُ على بعضها في بعض نُسَخ الديوان وعلى البعض الآخر في تضاعيف كتب الأدب ، وقد مرّ ذكر بعض منها في الشرح ، وأنا أذكرها هنا برمتها تيسيراً لمطلبها ، وأذيلها بشرح يكشف عن غامضها وإن لم يتولّها شارحٌ قبلي ، والله وليّ التوفيق .

فمن ذلك ما قاله عندما اعتقله ابن عليّ الهاشميّ أمير حمص ، وكان قد قبض عليه في قرية يقال لها كوتكين ، وجعل في رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف :

زَعَمَ المُقيمُ بِكَوْتَكِينَ بأنّهُ مِنْ آلِ هاشِمِ ابنِ عَبْدِ مَنَافِ[1]

فأجَبْتُهُ مُذْ صِرْتَ مِنْ أبنائِهِمْ صارَتْ قُيُودُهُمُ مِنَ الصَّفْصَافِ[2]

ومنها ما كتب به إلى الوالي ، وقد طال اعتقاله :

بِيَدي أيّهَا الأميرُ الأرِيبُ لا لِشَيْءٍ إلاّ لأنّي غَرِيبُ[3]

....

١ زعم كذا أي قاله وأكثر ما يستعمل فيما لا يعتقد صدقه . والباء من قوله بأنه زائدة للضرورة مثلها في قول عنترة :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن في الحرب دائرة على ابني ضمضم

وهاشم بن عبد مناف لقب عبد المطلب واسمه عمرو لقب بذلك لأنه أول من هشم الثريد لأهل الحرم ونون هاشم ضرورة .

٢ الضمير من أبنائهم لآل هاشم . يريد تكذيب دعواه أنه هاشمي وأخرج الكلام مخرج التهكم يعني أنه لا يصدق كونه هاشمياً حتى يصدق أن يكون خشب الصفصاف من القيود .

٣ بيدي أي خذ بيدي فحذف المتعلق . والأريب ذو الدهاء . وقوله لا لشيء من صلة المتعلق المحذوف .

أوْ لِأُمٍّ لها إذا ذَكَرَتْني	دَمُ قَلْبٍ في دَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ[1]
إنْ أكُنْ قَبْلَ أنْ رَأَيْتُكَ أخطَأْ	تُ فإنّي عَلَى يَدَيْكَ أتُوبُ
عَائِبٌ عَابَنِي لَدَيْكَ ومنهُ	خُلِقَتْ في ذَوي العُيوبِ عُيُوبُ[2]

وقوله يخاطب سيف الدولة حين رضي عنه بعد إنشاده: واحرَّ قلباهُ ، وأمر له بألف دينار ثمّ أردفها بألف أخرى :

جاءَتْ دَنانيرُكَ مَخْتُومَةً	عاجِلَةً ألْفاً عَلَى ألْفِ
أشْبَهَها فِعْلُكَ في فَيْلَقٍ	قَلَبْتَهُ صَفّاً على صَفّ[3]

وروى له الواحديّ هذا البيت في صباه :

إذا لم تَجِدْ ما يَبْتُرُ الفَقْرَ قاعِداً	فقُمْ واطلُبِ الشيءَ الذي يَبْتُرُ العُمرا[4]

وشفعه العكبريّ ببيتٍ آخر وهو قوله :

هُما خلّتانِ ثَرْوَةٌ أوْ مَنيّةٌ	لَعَلّكَ أن تُبْقي بواحدةٍ ذِكْرا[5]

---

١ ويروى دمع قلب بدمع عين سكوب .

٢ عائب مبتدأ خبره ما بعده وأجاز الابتداء به لأنه خلف من موصوف . وقوله ومنه إلى آخره حال . يقول : لا عيب فيّ أحبس لأجله ولكن العائب الذي عابني عندك هو خلق فيّ ما ذكره لك من العيوب افتراء . ويمكن أن يكون المعنى أنه مصدر كل عيب حتى إن عيوب أصحاب العيوب مستمدة منه .

٣ الفيلق الجيش . وصفاً حال كما في قولك بايعته يداً بيد . وقوله أشبهها من عكس التشبيه لأنه أراد تشبيه الدنانير بالجيش فقلب الكلام .

٤ يبتر يقطع . وقاعداً حال من المخاطب . أراد بما يبتر الفقر الثروة والغنى . يخاطب نفسه يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعي فقم واطلب ما يقطع العمر أي الحرب يعني محاربة الملوك لاحتياز ما في أيديهم عنوة .

٥ هما ضمير الخلتين فسره بهما . والخلة الخصلة . والثروة المال الكثير وهي بدل تفصيل من خلتان . والمنية الموت . وأن هنا زائدة بعد لعل لتأكيد الاستقبال كما تزاد في خبر عسى . يقول: إذا فعلت ذلك فأنت بين أمرين إما الغنى والملك أو القتل بعد البلاء فلعل أحد هذين ينفعك في إحياء الذكر .

ويُروَى له في بعض نُسخ الديوان ، وقد كثر المطر بآمد :

أآمِدُ هَلْ ألَمَّ بِكِ النَّهَارُ قَديماً أوْ أُثِيرَ بِكِ الغُبَارُ[1]

إذا ما الأرْضُ كانَتْ فيكِ ماءً فأينَ بهَا لغَرْقاكِ القَرَارُ[2]

تَغَضّبَتِ الشُّمُوسُ بهَا عَلَيْنَا وَمَاجَتْ فَوْقَ أرْؤسِنَا البِحَارُ[3]

حَنِينَ البُخْتِ وَدّعَهَا حَجِيجٌ كأنّ خِيامَنَا لَهُمُ جِمارُ[4]

فَلا حَيّا الإلَهُ دِيَارَ بَكْرٍ وَلا رَوّتْ مَزَارِعَهَا القِطَارُ[5]

بِلادٌ لا سَمِينٌ مَنْ رَعَاهَا وَلا حَسَنٌ بِأهْلِيهَا اليَسَارُ[6]

---

١ آمد اسم بلد بالثغور من ديار بكر والهمزة قبلها للنداء . والإلمام الزيارة القليلة . يريد أنه طال بها مكث الغيوم واحتجاب الشمس حتى تنوسي النهار ، والاستفهام تجاهل. يقول: هل كان بك نهار قبل أيامنا وهل جفت أرضك مرة فأثارت الريح بها غباراً فإنا لا نعهد سماءك إلا ظلاماً ولا أرضك إلا سيولا ووحولا .

٢ يريد أنه لكثرة مياه السيول وغمرها الأرض صارت الأرض كأنها بأسرها ماء . يقول: إذا كانت أرضك كلها ماء فمن غرق في هذا الماء أين يكون قراره ولا حضيض يليه .

٣ يريد بتغضب الشموس طول احتجابها بالغيم حتى لا تظهر لهم فكأنها تفعل ذلك غضباً وإعراضاً وجمعها إشارة إلى توالي الأيام على ذلك فكأن لكل يوم شمساً .

٤ الحنين صوت الناقة إذا نزعت إلى ولدها ونصبه مفعولا مطلقاً لقوله ماجت على المعنى . والبخت النياق الخراسانية وقد مر . والحجيج جماعة الحجاج والجملة حال من البخت . والجمار الحجارة التي ترميها الحجاج بمنى واحدتها جمرة . يشبه صوت السيول في تحدرها وزخرها بحنين النياق إذا فارقها الحاج فنزع بعضها إلى بعض وجعل الخيام التي قوضها السيل ونثرها كالجمار التي يرميها الحجيج .

٥ جمع القطرة من المطر .

٦ بلاد خبر عن محذوف ضمير ديار بكر . وسمين وحسن خبران مقدمان عن المرفوع بعدهما ولا لا عمل لها . وبأهليها صلة حسن . واليسار الغنى وحسن الحال . يقول : هذه البلاد لا يسمن من رعى ماشيته نبتها لأن مرعاها وبيل لا يدر اللبن عليه واليسار لا يجمل بأهلها لأنهم همج لا يعرفون كيف يقضون الغنى حقه .

إذا لُبِسَ الدّروعُ لِيَوْمِ بُؤسٍ فأحسَنُ ما لَبِسْتَ لهَا الفِرارُ[1]

وروى له الثعالبيّ في يتيمة الدهر لما افتتح سيف الدولة الشأم وهزم عساكر الإخشيد محمد ابن طغج عن صفين :

يا سَيفَ دَوْلَةِ ذي الجَلالِ ومن له خَيرُ الخَلائِفِ والأنَامِ سَمِيّ[2]

أوَمَا تَرَى صِفّينَ كَيفَ أتَيْتَهَا فانجابَ عَنْهَا العَسكَرُ الغَرْبِيّ[3]

فكأنّهُ جَيْشُ ابنِ حَرْبٍ رُعْتَهُ حتى كأنّكَ يا عَلِيّ عَلِيّ[4]

ويُروى له في سيف الدولة ، وقد أمر بخيمة فصُنعت له ، وكان على أهبة الرحيل إلى العدوّ ، ولما نصبها لينظر إليها هبّت ريحٌ شديدةٌ فسقطت ، فتشاءَم بذلك ودخل الدار واحتجب عن الناس ، فدخل عليه المتنبي بعد ثلاثة أيّام وأنشده :

يا سَيْفَ دَوْلَةِ دينِ اللهِ دُمْ أبَدَا وَعِشْ برَغْمِ الأعادي عيشَةً رَغَدَا[5]

---

١ البؤس الشدة . والفرار الهرب وهو خبر أحسن . يقول : نازل هذه البلاد كنازل الحرب لأنه يكون عرضة للهلكة إلا أن الحرب تتقى بالدروع وأما هذه البلاد فلا يتقى شرها إلا بمفارقتها والهرب عنها .

٢ من عطف على سيف . وله حال عن سمي في آخر البيت مقدمة من وصف . والخلائف جمع خليفة . وخير الخلائف مبتدأ خبره سمي والجملة صلة من . والأنام ما على وجه الأرض ويراد به الناس بخصوصهم . أراد بخير الخلائف علي بن أبي طالب لأن سيف الدولة اسمه علي .

٣ صفين موضع قرب الرقة بشاطىء الفرات كانت به الوقعة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . وكيف حال من فاعل أتيتها والجملة في موضع المفعول الثاني لترى . وانجاب انكشف . ويروى انظر إلى صفين حين دخلتها فانحاز عنك العسكر الغربي . يريد بالعسكر الغربي عسكر الاخشيد لأنه كان من جهة الغرب .

٤ ابن حرب معاوية بن أبي سفيان واسمه صخر ومعاوية لقب غلب عليه . يشير إلى وقعة صفين المذكورة وكانت وقعة هائلة استطال فيها علي بن أبي طالب على معاوية وضايقه أشد المضايقة بعد أن دامت الحرب بينهما ما يزيد على مئة يوم وقتل من الفريقين خلق كثير في خبر ليس هنا موضعه .

٥ الرغم ، بالفتح والضم ، الكره والذل . وقوله عيشة رغداً من الوصف بالمصدر ولذلك لم يؤنثه .

هلْ أذهلَ النّاسَ إلاّ خيمةٌ سقطَتْ مِنَ المَهابَةِ حتى ألْقَتِ العَمَدَا[1]
خرّتْ لوَجْهِكَ نحوَ الأرْضِ ساجدَةً كمَا يَخِرّ لِوَجْهِ اللهِ مَنْ سَجَدَا

وعُوتِب على تركه مديح آل البيت ، فقال :

وَتَرَكْتُ مَدْحي للوَصِيّ تَعَمّداً إذْ كانَ نُوراً مُسْتَطيلاً شَامِلا[2]
وإذا استَطالَ الشيءُ قَامَ بنَفْسِهِ وَصِفاتُ ضَوْءِ الشّمسِ تذهبُ باطِلا[3]

وحكى الصفديّ في شرح لاميّة العجم أن ابن المستكفي اجتمع بالمتنبي في مصر وروى عنهُ قوله :

لاعَبْتُ بالخاتَمِ إنْسانَةً كمِثْلِ بَدْرٍ في الدّجى النّاجمِ[4]
وكلّما حاوَلْتُ أخذي لَهُ مِنَ البَنَانِ المُتْرَفِ النّاعِمِ[5]
ألْقَتْهُ في فيها فقُلْتُ انظُرُوا قد أخْفَتِ الخاتِمَ في الخاتِمِ[6]

---

١ هل استفهام إنكار أي ما أذهلهم إلا هذا . والعمد ، بفتحتين وبضمتين ، جمع عمود وقيل الأول اسم للجمع . أي إنما أذهلهم سقوط الخيمة لأنهم توهموه شؤماً وهي إنما سقطت إعظاماً لك لما رأت من مهابتك فسقوطها أولى أن يكون دليلا على إقبال جدك وارتفاع سعدك . وله في سقوط هذه الخيمة قصيدة طويلة ذكرت في موضعها .

٢ المراد بالوصي وصي الخلافة وهو علي بن أبي طالب عند فرقة . وتعمداً حال أي متعمداً . يقول : إنما تركت مدحه لأن معنى المدح التنويه بفضائل الممدوح وهو غني عن ذلك لأن فضائله ظاهرة لا تحتاج إلى من ينوه بذكرها .

٣ ويروى وكذا صفات الشمس .

٤ إنسانة أي امرأة وكأن الهاء للنص على التأنيث لأن الإنسان يتناول الذكر والأنثى وذكر أنها وردت في شعر قديم وقد استعملها بعض المولدين فقال إنسانة فتانة بدر الدجى منها خجل . والدجى ظلمة الليل ذكرها ذهاباً إلى الإفراد كما يقال في الضحى والسرى . ويقال نجمت الكواكب أي طلعت فأسند الناجم إلى الدجى مجازاً . يشبهها بالقمر في ليلة جهواء أي لا غيم بها .

٥ حاول الشيء طلبه بالحيلة . والبنان أطراف الأصابع . والمترف المنعم المدلل .

٦ في الخاتم لغتان فتح التاء وكسرها والأولى أفصح لكن تتعين الثانية هنا لئلا يقع في البيت سناد الإشباع وهو اختلاف حركة الدخيل .

قال في الصبح المنبي : ورأيتُ له قصيدة ليست في ديوانه يرثي بها أبا بكر بن طغج الإخشيدي يقول في أوّلها :

هُوَ الزّمَانُ مُشِتٌّ بالّذي جَمَعَا ... في كلّ يَوْمٍ ترَى مِنْ صَرْفِهِ بِدَعَا[1]

إنْ شِئْتَ مُتْ أسَفاً أوْ فابْقَ مضْطَرِباً ... قَدْ حلّ ما كُنْتَ تَخشاهُ وَقد وَقَعَا

لَوْ كانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنيهِ مِنْعَتُهُ ... لم يَصْنَعِ الدّهرُ بالإخْشيدِ ما صَنَعَا[2]

قال : وهي طويلة لم يحضرني منها إلاّ هذه الأبيات .

وقال أبو بكر الشيباني : حضرتُ عند أبي الطيب وقد أنشده بعض من حضر :

فلَوْ أنّ ذا شَوْقٍ يَطيرُ صَبَابَةً ... إلى حيثُ يَهواهُ لكُنْتُ أنا ذاكَا

وسأله إجازته ، فقال :

منَ الشّوْقِ والوَجْدِ المُبرِّحِ أنّني ... يُمَثَّلُ لي مِنْ بَعدِ لُقياكَ لُقياكَا[3]

سَأسْلُو لَذيذَ العَيْشِ بَعدَكَ دائماً ... وَأنسَى حَيَاةَ النّفسِ مِن قَبلِ أنساكَا[4]

ورأيتُ له في بعض المجاميع قوله في عبد العزيز الخزاعيّ قبل رحيله من مصر :

لَئِنْ مَرّ بالفُسطاطِ عَيشِي فقَدْ حلا ... بعَبْدِ العَزيزِ الماجِدِ الطّرَفَيْنِ[5]

---

١ هو ضمير الشأن خبره الجملة بعده . والإشتات التفريق . وصرف الزمان حدثانه . والبدع جمع بدعة وهي الأمر لم يسبق إليه .

٢ تغنيه أي تنفعه . والمنعة، بالكسر ، الاسم من الامتناع كالحسبة من الاحتساب . والإخشيد لقب أبي بكر محمد بن طغج لقبه به الخليفة الراضي، قال ابن خلكان وإنما لقبه بذلك لأنه لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم وتفسيره بالعربي ملك الملوك .

٣ من الشوق خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . والمبرح الشديد الإيلام . أي لأجل ما عندي من الشوق إليك أتمثلك حاضراً وأنت غائب .

٤ أي من قبل أن أنساك فحذف وقد مرت له نظائر .

٥ الفسطاط اسم مدينة مصر وقد ذكر . والماجد الطرفين أي جانبي الأب والأم .

فتًى زانَ قَيساً بَلْ مَعَدّاً فَعالُهُ	وما كلُّ ساداتِ الشّعوبِ بِزَيْنِ[1]
تَنَاوَلَ وُدّي مِنْ بَعيدٍ فَنَالَهُ	جَرَى سابِقاً في المَجدِ لَيسَ بِرَيْنِ[2]

وقوله يهجو الضبّ الشاعر :

أيُّ شِعْرٍ نَظَرْتُ فيهِ لِضَبٍّ	أوْحَدٍ مَا لَهُ على الدّهْرِ عَوْنُ[3]
كُلُّ بَيْتٍ يَجيءُ يَبرُزُ فيهِ	لَكَ مِنْ جَوْهَرِ الفَصاحَةِ لَوْنُ[4]
يا لَكَ الوَيْلُ لَيسَ يُعْجِزُ موسَى	رَجُلٌ حَشْوُ جِلْدِهِ فِرْعَوْنُ[5]
أنا في عَيْنِكَ الظّلامُ كَمَا أ	نّ بَيَاضَ النّهارِ عِندَكَ جَوْنُ[6]

....

١ قيس قبيلة الممدوح . ومعد بن عدنان أبو العرب . وفعاله مصدر وهو فاعل زان . والسادات جمع سادة جمع سيد . يريد أنه زان قبيلته بل زان العرب كلها . وفي معنى هذا البيت ولفظه قوله فيه أيضاً وقد ذكر في موضعه في الديوان :

فتى زان في عينيّ أقصى قبيله وكم سيد في حلة لا يزينها

وما أرى أبا الطيب إلا نظم هذه الأبيات أولا ثم أهملها واستبدل منها الأبيات الأخرى المشار إليها في الديوان لأن هذه كما تراها لا يرضى بها مثل المتنبي ولا سيما البيت الأخير منها فإنه أشبه أن يكون شطري بيتين قد ذهب عجز أحدهما وصدر الآخر لا شطري بيت واحد .

٢ الرين مصدر قولهم رين بالمسافر أي انقطع به وذلك إذا عطبت دابته فانقطع عن سفره وأراد ليس بذي رين فحذف المضاف .

٣ أي شعر استفهام تعجب وهو مبتدأ خبره الجملة بعده . ولضب في موضع الحال من الهاء قبله . وقوله أوحد نعت ضباً بالنكرة أي لرجل مسمى بهذا الاسم ويحتمل أن يكون أراد الإيماء إلى معنى الجنس فرده إلى التنكير . والعون بمعنى المعين .

٤ يجيء نعت بيت . ويبرز فيه خبر كل . والجوهر هنا مستعار من جوهر السيف . يريد تفاوت شعره فلا تستوي أبياته على طريقة واحدة كما لا يستوي فرند السيف بلون واحد،وعبر بالفصاحة تهكماً .

٥ يقال فلان حشو جلده أسد أي هو أسد وهو نوع من التجريد . جعل هذا الشاعر في مناصبته له مثل فرعون وجعل نفسه مثل موسى الذي قهر فرعون .

٦ أسود . أي إذا كنت ترى بياض النهار سواداً لضلالك وفساد بصيرتك فلا عجب إذا خفي عليك

وقوله في جعفر بن الحسن :

أَتَظْعَنُ يا قَلْبُ مَعْ مَنْ ظَعَنْ حَبِيبَيْنِ أَنْدُبُ نَفسِي إذَنْ[١]

وَلِمْ لا تُصَابُ وَحَرْبُ البَسو سِ بَيْنَ جُفُونِي وَبَيْنَ الوَسَنْ[٢]

وَهَلْ أنَا بَعدَكُمَا عَائِشٌ وَقَد بِنْتَ عَنّي وبانَ السَّكَنْ[٣]

فِدى ذَلِكَ الوَجْهِ بَدْرُ الدّجى وَذاكَ التّثَنّي تَثَنّي الفَنَنْ[٤]

فَمَا للفراقِ وما للجَمِيعِ وما للرّياحِ وما للدِّمَنْ[٥]

كأنْ لم يَكُنْ بَعْدُ ما كانَ لي كَمَا كانَ لي بَعدَ أنْ لم يَكُنْ[٦]

بياض فضائلي فكنت في عينك كالظلام .

١ الظعن الارتحال . وقوله حبيبين منصوب بمحذوف أي فقدت حبيبين يريد قلبه وحبيبه وهذا كقوله ويا قلب حتى أنت ممن أفارق . وقوله أندب نفسي إلى آخره استئناف .

٢ لم أي لماذا وإسكان الميم خاص بالضرورة في الأشهر . والبسوس امرأة من تميم نزلت ببني بكر فحدثت بسببها الحرب المشهورة والجملة إلى آخر البيت حال . والوسن النعاس . كأنه يقول لقلبه ظعنت عني مخافة أن تصاب في هذه الحرب فانهزمت ثم قال ولم لا تصاب أي لا عجب أن تخاف على نفسك الإصابة فإن الحرب إذا اشتدت عم شرها فلحق البريء .

٣ الاستفهام للإنكار . وقوله بعدكما الذي في الرواية بعدكم ولعل الصواب ما أثبتناه خطاباً للقلب والمحبوب . وبنت ابتعدت . والسكن الحبيب تسكن إليه . يفسر قوله اندب نفسي إذن أي أنا بعد رحيلكما ميت لا محالة .

٤ الدجى جمع دجية وهي الظلمة . والفنن الغصن .

٥ ما استفهام . والجميع القوم المجتمعون . والدمن ما تلبد من آثار الديار . يتظلم من تصاريف الزمان وإخنائه على ذويه وكل من الشطرين تركيب مستقل.يقول : ما للفراق وللقوم المجتمعين أي ما باله مغرى بتفريقهم وما للرياح ولدمن المنازل تعفيها بعد رحيل أهلها . يعني أن الزمان لا يترك قوماً مجتمعين حتى يفرقهم ثم يتتبع ديارهم من بعدهم فيمحو آثارهم منها حتى لا يبقى لذلك الاجتماع رسم.

٦ اسم كأن المخففة ضمير الشأن محذوف . وبعد في صدر البيت بالضم على الغاية . وما كان لي فاعل يكن والكون في المواضع الأربعة تام بمعنى الحصول . يقول : قد تقضى ما كان لي من السعادة بالحبيب فكأنه لم يكن . وقوله كما كان لي تنظير أي مثلما أنه كان لي بعد أن لم يكن . والمعنى

وَلَمْ يَسْقِنِي الرَّاحَ مَمْزُوجَةً   بِمَاءِ اللِّثَى لا بِمَاءِ المُزَنِ[١]

لَهَا لَوْنُ خَدَّيْهِ في كَفِّهِ   وَرِيحُكَ يا جَعْفَرَ بنَ الحَسَنِ[٢]

كأَنَّ المَحاسِنَ غارَتْ عَلَيْكَ   فَسَلَّتْ عَلَيْنَا سُيُوفَ الفِتَنِ[٣]

فَلَمْ يَرَكَ النَّاسُ إلاَّ غَنُوا   بِمَرْآكَ عَنْ قَوْلِ هذا ابنُ مَنْ[٤]

وَلَوْ قُصِدَ الطِّفْلُ في طَيِّءٍ   لَشَارَكَ قاصِدَهُ في اللَّبَنِ[٥]

فَمَا البَحْرُ في البَرِّ إلاَّ يَدَاكَ   وَمَا النَّاسُ في النَّاسِ إلاَّ اليَمَنْ[٦]

أنه عدم تلك السعادة بعد حصولها كما حصل عليها قبل ذلك بعد عدمها، يريد تحول الأحوال وتطور الأطوار .

١ فاعل يسقني ضمير المحبوب . والراح الخمر . واللثى جمع لثة ، بالتخفيف ، وهي اللحم المطيف بالأسنان . والمزن جمع مزنة وهي السحابة البيضاء .

٢ في كفه حال من الهاء في لها . وريحك عطف على لون . وجعفر ، بفتح الراء ، اتباعاً لفتحة نون ابن وبضمها على الأصل . يقول : هذه الخمر حمراء طيبة الريح فلونها كلون خدي المحبوب ورائحتها كرائحتك أيها الممدوح وعنى برائحته طيب ثنائه .

٣ المحاسن جمع حسن على غير لفظه . وقوله علينا الذي في الرواية عليك ولعل الصحيح ما رويناه . والفتن جمع فتنة وهي اسم من الافتتان . يقول : كأن محاسنك غارت عليك منا حين رأت حبنا لك فجعلت ما ألقته في قلوبنا من الافتتان بها بمنزلة سيوف منها تقاتلنا بها . والبيت على حسنه لا يخاطب به المحبوب من الرجال فهو على حد قوله أغار من الزجاجة حين تجري على شفة الأمير أبي الحسين. وقد عيب هذا البيت على أبي الطيب .

٤ غنوا أي استغنوا . وهذا ابن من حكاية القول مجرورة به . أي إذا رأوك استدلوا بمرآك على كرم شمائلك وطيب أصلك فلم يحتاجوا إلى السؤال عن نسبك . والبيت قريب من قوله :

لو تنكرت في المكرّ لقوم   حلفوا أنك ابنه بالطلاق

٥ يريد أنهم مطبوعون على الجود والسخاء فهم يجودون بطبعهم لا قصد الأحدوثة وجعل الطفل مثلا لذلك لأن الطفل لا يعرف معنى الجود .

٦ أي لسعة يديك بالبذل كأنهما بحر في البر ولشرف أهل اليمن فإنهم يعدلون الناس كلهم فكأنهم

وله في بستان المُنية بمصر قبل رحيله ، وقد وقعت حيطانه من السيل :

ذي الأرضُ عمّا أتاها الأمسَ غانيةٌ ... وغيرُها كانَ مُحتاجاً إلى المَطَرِ[1]

شقَّ النباتَ عنِ البُستانِ رَيِّقُهُ ... مُحَيّياً جارَهُ المَيدانَ بالشجَرِ[2]

كأنّما مُطِرَتْ فيهِ صَوالِجَةٌ ... تُطَرِّحُ السِّدْرَ فيهِ مَوْضِعَ الأُكَرِ[3]

ولهُ في مُعاذٍ الصيدانيّ :

مُعاذٌ مَلاذٌ لِزُوّارِهِ ... ولا جارَ أكرَمُ من جارِهِ[4]

كأنّ الحَطيمَ على بابِهِ ... وزَمْزَمَ والبيتَ في دارِهِ[5]

وكم من حَريقٍ أرَى مَرّةً ... فلَمْ يَعْمَلِ الماءُ في نارِهِ[6]

خلق آخر في الخلق . وأراد باليمن أهلها كما في قوله عند الهام أبي المسك الذي غرقت في جوده مضر الحمراء واليمن .

١ الأمس هنا معرب لدخول أل عليه . وقوله وغيرها إلى آخره من التراكيب التي ظاهرها إثبات أمر للغير والقصد فيها إلى نفي ذلك الأمر عمن لم يثبت له سواء ثبت لغيره أم لا وذلك كما تقول غيري يفعل هذا أي أنا لا أفعله وهو كثير في الاستعمال ومن أظهر الأمثلة عليه قول الهمذاني يخاطب ابن أخته : وإن قصرت ولا إخالك فغيري خالك ، وهذا مما لم يتعرض له أصحاب البديع .

٢ ريق المطر أول شؤبوبه وهو فاعل شق وأراد شق البستان عن النبات كما قال وشققت خيس الملك عن رئباله فقلب الكلام . أي أن المطر لما هدم أسوار البستان وشقها عن النبات الذي تحيط به أطلت الأشجار على الميدان كأنها تحييه والتحية بالخضرة والرياحين أمر مألوف . والبستان والميدان موضعان بالقاهرة وهما المعروفان بالبستان الكافوري وميدان الإخشيد .

٣ الصوالجة جمع صولجان وهو عصا يعطف طرفها . وتطرح أي تطرح شدده للمبالغة أو التكثير . والسدر شجر النبق وهو شجر يشبه العناب أصفر الثمر . والأكر جمع أكرة لغة في الكرة التي يلعب بها . يشبه أغصان الشجر بالصوالجة وما انتثر من ثمر السدر بالأكر التي تضرب بالصوالجة .

٤ الملاذ الملجأ .

٥ الحطيم حجر الكعبة . وزمزم البئر المشهورة بمكة . والمراد بالبيت البيت العتيق وهو الكعبة . يعني أنه عزيز الجوار فمن لاذ بمنزله وتذمم بجواره فكأنه قد لاذ بالحرم فلا يناله طالب .

٦ الحريق الاسم من الاحتراق . وأرى تعدية رأى . يريد أنه مهيب الجانب إذا أوقع بعدوه لم يستطع

وله فيه يُعاتبه :

أفاعِلٌ بي فِعالَ المُوكِسِ الزاري ... وَنَحْنُ نُسألُ فيما كانَ مِنْ عارِ[1]

قُلْ لي بحُرْمَةِ مَنْ ضَيّعْتَ حُرْمَتَهُ ... أكانَ قَدْرَكَ ذا أمْ كانَ مِقداري[2]

لا عِشْتُ إنْ رَضِيَتْ نَفْسِي وَلا ركبتْ ... رِجْلٌ سَعَيْتُ بها في مِثْلِ دِينارِ[3]

وَليُّكَ اللهُ لِمْ صَيّرْتَني مَثَلاً ... كالمُسْتَجيرِ مِنَ الرَّمْضاءِ بالنّارِ[4]

أحد أن يجيره عليه . والحريق والماء مثل جعل نقمته كالحريق والاجارة منها كالماء الذي يطفىء الحريق .

١ قوله أفاعل استفهام توبيخ وأراد أفاعل أنت فحذف اعتماداً على دلالة المقام . والموكس كأنه من قولهم وكسه إذا نقصه حقه فكان حقه أن يقول الواكس . والزاري المستخف بغيره لا يعده شيئاً . وهذه القطعة غفل من ذكر الواقعة التي نظمت لأجلها وفيها أغراض لا يشف عنها لفظ الأبيات لكني أفسرها على قدر ما يتناول من ظاهرها . يقول : أتفعل بي فعل من أنكر حقي فنقصه واستخف بي فلم يحفل بمسيري إليه وتكلفي مديحه . وقوله ونحن نسأل حال أي وأكون بعد ذلك أنا المسؤول فيها جنى صنيعك من العار باحتمال شماتة الحساد وتقريع النصاح .

٢ يريد بمن ضيع حرمته نفسه يستحلفه بتلك الحرمة إذكاراً له بها وتوبيخاً على تضييعها.يقول : هذا الذي أتيته في حقي على قدر نفسك فعلته أم على قدري أي إن كنت قد فعلته على قدر نفسك فقد بخست نفسك حقها لأني كنت أقدر فيك ما هو فوق هذا وإن كنت قد فعلته على قدري فقد بخستني حقي لأني فوق ما عاملتني به .

٣ لا عشت دعاء . وقوله في مثل دينار أقرب ما يؤخذ منه أنه حين قصده وامتدحه بالقطعة السابقة أجازه بدينار واحد فمعنى مثل هنا ما يساوي الشيء أي في قدر دينار . يقول : إن رضيت بهذه الجائزة الدنيئة التي إنما يسعى لمثلها من يطلب الكفاف من العيش فلا عشت ولا ركبت رجلي للسعي في تحصيل عطية مقدارها دينار .

٤ الولي النصير كأنه يقول كان الله نصيراً لك في مقابل خذلانك إياي وهو كلام من يقابل الإساءة بالإحسان. ولم أي لماذا وتقدم الكلام فيها قريباً . وقوله كالمستجير إلى آخره بدل من مثلا . والرمضاء الأرض الحارة والعبارة مثل يضرب فيمن يلتجىء من الضار إلى ما هو أضر منه . يريد أنه بما صادف عنده من الخذلان وخيبة الأمل قد صار مضرب مثل للناس كما يضربون المثل بالمستجير من الرمضاء بالنار .

ويُروى له هذان البيتان* ، وأحسبهما فيه أيضاً :

أبِعَيْنِ مُفْتَقَرٍ إليكَ نَظَرْتَني فأهَنْتَني وقَذَفْتَني مِن حالِقِ[1]
لَسْتَ الملُومَ أنَا الملُومُ لأنّني أنزَلْتُ آمالي بغَيرِ الخالِقِ

ووُجد له في بعض نُسخ الديوان وقد سار من مصر يريد الكوفة :

إذا ما كُنْتَ مُغْتَرِباً فجاوِرْ بَني هَرِمِ بنِ قُطْبَةَ أوْ دِثارَا[2]
إذا جاوَرْتَ أدْنَى مازِنِيٍّ فقد ألزَمْتَ أفضَلَها الجِوارَا[3]

قال في الصبح المنبي : وقد وجدتُ له قصيدتين في هجاء كافور ومدح سيف الدولة نقلتهما من خطّ أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبيّ النّيسابوريّ ، ذكر أنّهما وُجدتا في رحله لما قُتل ، وكان قد نظمهما بواسط ، إحداهما :

أفيقَا خُمارُ الهَمّ بَغّضَني الخَمرَا وسُكري من الأيّام جنّبَني السُّكرَا[4]
تَسُرُّ خَلِيلَيَّ المُدامَةُ والّذي بقَلْبيَ يأبَى أن أُسَرَّ كمَا سُرّا[5]

....

* روى ابن شاكر في فوات الوفيات هذين البيتين لأبي الفرج الأصفهاني في الوزير المهلبي ثم حكى عن الكندي أنهما للمتنبي وهو ما رواه غير واحد والله أعلم .

١ قوله مفتقر إليك كذا يروى ولعل الرواية الصحيحة مفتقر إليه بضمير الغائب أي بعين رجل مفتقر إليه والهاء نائب مفتقر . والحالق كل مكان شاهق . يريد شدة ما جبهه من خيبة آماله فيه على ما أومأ إليه في البيت الثاني حتى كأنه قد قذفه من موضع عال .

٢ هرم بن قطبة ويقال قطنة بالنون أحد حكماء العرب من بني مازن بن فزارة بن ذبيان . ودثار هكذا يروى وكأنه أبو قوم منهم . أي إذا أحوجتك الغربة إلى جوار تمتنع به فجاور هؤلاء القوم .

٣ أي إذا جاورت أحقرهم وأضعفهم فقد ثبت لك حق الجوار على أفضلهم لأنهم يدفعون عنك أنفة من أن يضيع جوار أحدهم .

٤ الخمار بقية السكر . وبغضني أي بغض إلي فحذف الحرف ضرورة . يخاطب صاحبيه على عادة العرب يقول : أفيقا من سكركما فإن ما بي من سكر الهم بغض الخمر إلي لأنه لم يترك في قلبي موضعاً للسرور بها وسكري من الأيام جنبني السكر بالخمر لأني لا أحتمل سكرين .

٥ المدامة الخمر . وقوله كما سرا الألف ضمير الخليلين .

لَبِستُ صرُوفَ الدَّهرِ أخشنَ ملبسٍ فعَرّقَني ناباً ومَزّقَني ظُفْرَا[1]
وَفي كلّ لحظٍ لي ومَسمَعٍ نَغمَةٍ يُلاحِظُني شَزْراً ويُسمِعُني هُجرَا[2]
سَدِكْتُ بصَرْفِ الدّهرِ طفلاً ويافعاً فأفنَيتُهُ عَزْماً ولم يُفنِني صَبرَا[3]
أُريدُ مِنَ الأيّامِ ما لا يُرِيدُهُ سِوايَ ولا يُجري بخاطِرِهِ فِكرَا[4]
وَأسألُها ما أستَحِقّ قَضاءَهُ وما أنا مِمّنْ رامَ حاجَتَهُ قَسْرَا[5]
وَلي هِمّةٌ مِن رَأيِ هِمّتِها النّوَى فتُركِبُني من عزْمِها المَرْكبَ الوَعرَا[6]

---

١ يقال لبس فلاناً أي أطال صحبته وهو مستعار من لبس الثوب . وأخشن ملبس بدل ويحتمل الحالية . ويقال عرق العظم إذا أكل ما عليه من اللحم والتشديد للمبالغة . ونابا وظفراً منصوبان على نزع الخافض . يقول : صحبت حوادث الدهر على خشونتها وإيذائها فأذاقني أشد التبريح والعذاب حتى كأنه قد نهش لحمي ومزق جلدي . واستعار للدهر نابا وظفراً على تشبيهه بالضواري .

٢ اللحظ والمسمع مصدران . والنغمة الصوت وهي بفتح الغين وسكنها ضرورة . والشزر النظر بمؤخر العين غضباً . والهجر ، بالضم ، الكلام القبيح . يريد أن الدهر قد أولع بإيذائه حتى لا يرى فيه ولا يسمع إلا ما يكرهه وينفر منه .

٣ سدك به لزمه . وطفلا حال . واليافع الشاب . ونصب عزماً وصبراً على التمييز أي فأفناه عزمي ولم يفن صبري . ويروى فأفنيته حزماً .

٤ يجوز في يجري ضم الياء وفتحها وفاعله على الوجهين ضمير ما وفكراً على الأول مفعول به وعلى الثاني حال . يعني ما يريده من الأيام الملك والسيادة وهو على ما قال فإنه قلما خطر ببال غيره أن يحاول مثل هذا الأمر الخطير على الخلو من عدته وما زال هذا وكد أبي الطيب مذ نشأ وما أحسن ما قال في الرد على نفسه :

والأمر لله رب مجتهد ما خاب إلا لأنه جاهد

٥ قسره على الأمر قهره وأكرهه وهو منصوب على الحال. يقول: أسأل الأيام أمراً استحق أن تقضيه لي يعني ما أشار إليه في البيت السابق أي من كان في مثل فضلي وحزمي وعلو همتي وإقدامي فإنه أهل للملك إذا ناله ناله باستحقاق ولست ممن يطلب حاجته قهراً حتى يكون بمنزلة الغاصب لما لا حق له فيه.

٦ أراد بالهمة الأولى النفس لأنها موطن الهمم وبالثانية العزم على الشيء . ويروى ولي كبد والعرب كثيراً ما تضع الكبد موضع القلب . والنوى البعد . يريد أن نفسه أبداً تنزع إلى الأسفار في طلب

تَرُوقُ بَنِي الدّنْيَا عَجَائِبُهَا وَلِي فُؤَادٌ بِبِيضِ الهِنْدِ لا بِيضِهَا مُغْرَى[1]

أخُو هِمَمٍ رَحّالَةٍ لا تَزَالُ فِي نَوًى تَقْطَعُ البَيْدَاءَ أوْ أقْطَعَ العُمْرَا[2]

وَمَنْ كانَ عَزْمِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ حَثّهُ وَخَيّلَ طولَ الأرْضِ في عَيْنِهِ شِبْرَا[3]

صَحِبْتُ مُلُوكَ الأرْضِ مُغْتَبِطاً بِهِمْ وفارَقْتُهُمْ مَلآنَ مِنْ حَنَقٍ صَدْرَا[4]

وَلَمّا رَأيْتُ العَبْدَ لِلحُرّ مالِكاً أبَيْتُ إبَاءَ الحُرّ مُسْتَرْزِقاً حُرّا[5]

ومِصْرُ لَعَمْرِي أهْلُ كُلّ عَجيبَةٍ وَلا مِثْلَ ذا المَخْصِيّ أُعْجوبَةً بِكْرَا[6]

المعالي وتحمله على ركوب المسالك الوعرة التي يشق ركوبها وقطعها .

١ راقه الشيء أعجبه . ومغرى مولع . يقول : غيري من أبناء الدنيا يستحسنون ما فيها من الأمور المعجبة من مال أو جمال وأنا مولع ببيض السيوف لا ببيض النساء .

٢ أخو همم أي صاحب همم وهو خبر عن محذوف ضمير المتكلم . والبيداء الفلاة . وضمير تقطع للهمم والجملة بدل من الظرف قبلها . وأقطع منصوب بأن مضمرة بعد أو أي إلى أن أقطع العمر .

٣ بين جنبيه أي في قلبه . وحثه حرضه واستعجله . وخيل له الشيء مثله وصوره . ويروى وصير . وشبراً مفعول ثان . يقول : من كان له عزمي في الأسفار وركوب المشاق حثه على السير في الأرض طلباً للمعالي والذكر غير مبال بطول الطريق حتى إن الأرض بأسرها تصير في عينه بمنزلة شبر من المسافة أي تصير مسافتها كلا مسافة لسهولة قطعها وهو مثل قوله :

نفحت بذكراكم حرارة قلبها فسارت وطول الأرض في عينها شبر

٤ الغبطة السعادة . وملآن حال . وصدراً تمييز . يقول : صحبتهم وأنا مغتبط باتصالي بهم فوجدت منهم ما ساءني حتى انقلبت عنهم وأنا موغر الصدر حنقاً . ويروى من شنف وهو البغضة والتنكر وقد شنفت له ، بالكسر .

٥ أبيت امتنعت . ومسترزقاً حال من ضمير المتكلم . يريد بالعبد كافوراً أي لما رأيته يستعبد الأحرار امتنعت من الانقياد له كما يمتنع الحر أي لم أتعبد له كغيري ممن ملكهم وعدت أسترزق حراً من الناس يعني سيف الدولة .

٦ مثل اسم لا وخبرها محذوف أي ولا مثله موجود ومثل هنا نكرة وإن كان مضافاً لأنه من الأسماء التي لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف . وأعجوبة حال . وبكراً أي لم يسبق مثلها .

يُعَدّ إذا عُدّ العَجائِبُ أوّلاً كمَا يُبتَدا في العَدّ بالإصْبَعِ الصّغرَى[1]

ومنها يذكر أمّ كافور :

نُوَيْبيّةٌ لم تَدْرِ أنّ بُنَيّهَا النُّوَيْبيّ دونَ اللهِ يُعْبَدُ في مِصرَا[2]

وَيستخدمُ البِيضَ الكواعبَ كالدُّمى وَرُومَ العبِيدَى والغَطارِفَةَ الغُرّا[3]

قَضاءٌ مِنَ اللهِ العَليّ أرادَهُ ألا رُبّما كانَتْ إرادتُهُ شَرّا[4]

وَللهِ آيَاتٌ ولَيسَ كَهَــــذِهِ فإنّكَ يا كافُورُ آيَتُهُ الكُبرَى[5]

لَعَمْرُكَ ما دَهرٌ بهِ أنتَ طَيّبٌ أيَحسَبُني ذا الدّهرُ أحسَبُهُ دَهرَا[6]

وأكْفَرُ يا كافُورُ حين تَلُوحُ لي ففارَقتُ مُذ فارَقتُكَ الشِّرْكَ وَالكفرَا[7]

---

١ نائب يعد ضمير كافور . وأولا ظرف أو مفعول ثان ليعد . أي هو أعجب عجائب الدنيا فإذا عدت ابتدىء به فجعل أولها ذكراً وإن كان آخرها قدراً كما أن من عادة الناس إذا عدوا على أصابعهم أن يبتدئوا بالخنصر مع أنها أصغر الأصابع،وهذا البيت من بديع اختراعات المتنبي .

٢ نويبية مصغر نوبية نسبة إلى النوب وهم جيل من السودان . يقول : لم تدر أمه حين ولدته أنه سيملك مصر ويطاع فيها طاعة المعبود . ويروى بعد الله .

٣ الكواعب جمع كاعب وهي الجارية بدا ثديها للنهود . والدمى الصور الملونة . والعبدى جمع عبد . والغطارفة السادات الواحد غطريف . والغر جمع أغر وهو الشريف . أي ولم تدر أنه على كونه عبداً أسود يستخدم الجواري والغلمان البيض والسادة الأشراف يعني من حوله من رجال دولته .

٤ قضاء خبر عن محذوف أي هذا الذي ذكرته قضاء . يقول : تمليكه قضاء من الله أراده في خلقه وقد تكون إرادة الله شراً إذا أراد معاقبة الناس وإرغامهم فيسلط عليهم مثل هذا . ويروى سرا بالسين المهملة أي أمراً خفياً لا تطلع عليه مدارك البشر .

٥ اسم ليس محذوف أي وليس آية كهذه . ويروى أظنك يا كافور .

٦ دهر مبتدأ خبره طيب . وبه أنت مبتدأ وخبر نعت دهر . وقوله ذا الدهر إشارة إلى ذلك الدهر بعينه يعني أنه دون سائر الدهور لتملك الأسود فيه .

٧ أراد أنه حين يرى الأسود يتولى أمور الملك تعرض له التهمة في حكمة الله جل جلاله حين اختار لتدبير خلقه هذا العبد أو يزين له القول بوجود إله للشر خاصة كما تقوله فرقة فأشار إلى الأول بالكفر وإلى الثاني بالشرك .

عَثَرْتُ بسَيْري نَحوَ مِصرَ فَلا لَعاً	بها ولَعاً بالسَّيرِ عَنْها ولا عَثْرا[1]
وفارَقْتُ خيرَ النّاسِ قاصِدَ شرِّهمْ	وأكرَمَهُمْ طُرّاً لألأمِهِمْ طُرّا[2]
فعاقَبَني المَخصيُّ بالغَدْرِ جازِياً	لأنّ رَحيلي كانَ عَن حَلَبٍ غَدْرا
وما كنتُ إلاّ فائِلَ الرّأيِ لم أُعَنْ	بحَزْمٍ ولا استصْحبتُ في وجهَتي حِجرا[3]
وقد أُرِيَ الخنزيرُ أنّي مَدَحْتُهُ	ولَوْ علِموا قد كان يُهجى بما يُطرَى[4]
جَسَرْتُ على دَهياءِ مِصرَ فَفُتُّها	ولم يكُنِ الدَّهياءَ إلاّ مَنِ استَجرا[5]
سأجلُبُها أشباهَ ما حَمَلَتْهُ مِنْ	أسِنّتِها جُرْداً مُقَسْطِلَةً غُبْرا[6]

---

١ لعاً كلمة تقال للعاثر أي نعشك الله يقال لعاً لك ولا لعاً لفلان وهو اسم فعل يعرب إعراب المصدر المحذوف العامل وجوباً على حد قوله ولا عثرا في آخر البيت ولا هنا هي الناهية حذف الفعل فأدخلت على المصدر . وبها وبالسير حالان من محذوف ضمير المتكلم أي لا لعاً لي بها ولعاً لي بالسير عنها . يقول : عثرت بمسيري إليها لحبوط آمالي وإمساكي على الخسف فلا نعشت من عثرتي هذه لأني أتيتها بسوء رأيي ثم فارقتها فلا عثرت بالسير عنها لأني آتي بخروجي منها رشداً .

٢ يريد فراقه لسيف الدولة وقصده لكافور . ويروى لأنذلهم . واللام متعلقة بفارقت .

٣ فال رأيه يفيل ضعف . وأعن مجهول من الإعانة أي لم أؤيد بحزم . والوجهة المكان الذي تستقبله وتتجه إليه . والحجر العقل .

٤ أري مجهول أرى . وأني مدحته سدت أن وجملتها مسد المفعول الثاني والثالث لأري . ويروى رؤي مجهول رأى فتكون اني مكسورة الهمزة والجملة في موضع المفعول الثاني لرؤي كما تقول علمت زيداً إنه فاضل . ويطرى يمدح . يقول : كان الناس يُرونه أني أمدحه يريد أنه لجهله لا يفرق بين المدح والذم ولكن الناس أروه ذلك وأنا إنما كنت أهجوه بهذا المدح لأنه ليس في شيء منه فهو تهكم وسخرية .

٥ يقال داهية دهياء أي شديدة وهو مبالغة كما يقال ليلة ليلاء فحذف الداهية ونزل الدهياء منزلتها . وفتها جاوزتها . واستجرا من الجرأة وهي الشجاعة والإقدام . يقول : جسرت على اقتحام الداهية بمصر ، يعني ما حاق به من خطر الهلكة.ثم نجوت منها وجاوزتها فكنت أنا الداهية لا هي .

٦ جلبه ساقه من موضع إلى آخر والضمير للخيل استغنى عن تقدم ذكرها بالقرائن . وأشباه حال من الهاء في أجلبها . والأسنة نصول الرماح وأراد أسنة فرسانها فحذف . والجرد من الخيل القصار

وأُطْلِعُ بِيضاً كالشّموسِ مُطِلّةً إذا طَلَعَتْ بيضاً وإنْ غَرَبَتْ حُمراً[1]

فإنْ بَلَغَتْ نَفْسِي المُنى فبِعزْمِها وَإلاّ فقد أبلغتُ في حِرْصِها عُذْرا[2]

والأخرى قوله :

قَطَعْتُ بسَيري كلَّ يَهماءَ مُفْزِعٍ وجُبْتُ بخَيْلي كلَّ صَرْماءَ بَلقَعِ[3]

وَثَلّمْتُ سَيفي في رُؤُوسٍ وأذْرُعٍ وحَطّمْتُ رُمْحي في نحورٍ وأضلُعِ

وصَيّرْتُ رأيي بَعدَ عَزْميَ رائدي وخالَفْتُ آراءً تَوالَتْ بِمِسمَعي[4]

ولَم أترِكْ أمْراً أخافُ اغْتِيالَهُ ولا طَمَحَتْ نَفسي إلى غيرِ مَطمَعِ[5]

الشعر . ويروى خزراً أي ضيقة الجفون أو كأنها تنظر في أحد الشقين غضباً . ومقسطلة أي مغبرة بناه من القسطل وهو غبار الحرب . وغبراً أي بلون الغبار . يقول : سأجلب الخيل على مصر كأنها أسنة الفرسان التي عليها في الحدة ومضاء العزم يعلوها الغبار حتى يكسوها لونه .

١ بيضاً أي سيوفاً وهو خلف من موصوف. ومطلة مشرفة وهو نعت بيضاً. وقوله إذا طلعت بيضاً إلى آخره أقرب ما يقال في إعراب هذا الشطر ان بيضاً وحمراً حالان منصوبان بعامل محذوف هو جواب إذا وإن والتقدير إذا طلعت طلعت بيضاً وإن غربت غربت حمراً فحذف الجواب لدلالة الشرط عليه . والمعنى أطلع عليها سيوفاً كأنها الشموس إذا طلعت أي إذا استلت من غمودها كانت بيضاً وإن غربت في النحور والجماجم صارت حمراً من الدم .

٢ المنى جمع منية وهي ما يتمنى . وبعزمها صلة محذوف أي فبعزمها بلغتها . أي إن بلغت ما أتمنى من أخذ مصر وقتل كافور فقد بلغت ذلك بعزم نفسي لا اتفاقاً وإن لم أبلغه فقد حرصت على أسباب الفوز به ومن حرم بعد الحرص فهو معذور .

٣ اليهماء المفازة التي لا يهتدى فيها . ومفزع أي مخيفة وأراد مفزعة فحذف الهاء كما يقال لحية ناصل . وجبت قطعت . والصرماء المفازة لا ماء بها . والبلقع الخالي يوصف به المذكر والمؤنث .

٤ الرائد رسول القوم في طلب النجعة . وتوالت تتابعت . والمسمع ، بكسر أوله ، الأذن . يريد أنه اتبع رأي نفسه في الإقدام على عظائم الأمور ولم يلتفت إلى ما يشير به عليه الناصحون من ترك المخاطرة والتعرض للمهالك . وقوله بعد عزمي يريد أنه قدم عزمه بين يدي رأيه لأن الرأي إذا لم ينفذه العزم لم يكن إلى الانتفاع به سبيل .

٥ أترك أفتعل من الترك . والاغتيال أخذ المرء من حيث لا يدري . وطمحت أي سمت وأصله من

وفارَقْتُ مِصراً والأُسَيودُ عَيْنُهُ حِذارَ مَسيري تَستَهِلُّ بأدْمُعِ[1]

ألَمْ يَفْهَمِ الخُنْثَى مَقَالي وأنّني أُفارِقُ مَنْ أقْلَى بقَلْبٍ مُشَيَّعِ[2]

ولا أرْعَوِي إلاّ إلى مَن يَوَدّني ولا يَطّبيني مَنزِلٌ غَيرُ مُمرِعِ[3]

أبا النَّتْنِ قَد قَيّدْتَني بمَواعِدٍ مَخافَةَ نَظْمٍ للفُؤادِ مُرَوِّعِ[4]

وَقَدّرْتَ مِنْ فَرْطِ الجَهالَةِ أنّني أُقيمُ على كِذْبٍ رَصيفٍ مُصَنَّعِ[5]

أُقيمُ عَلى عَبْدٍ خَصِيٍّ مُنافِقٍ لَئيمٍ رَديءِ الفِعْلِ للجُودِ مُدّعِ[6]

وأترُكُ سَيفَ الدّوْلَةِ المَلِكَ الرِّضَى كَريمَ المُحَيّا أرْوَعاً وَابنَ أرْوَعِ[7]

فَتًى بَحرُهُ عَذْبٌ وَمَقْصَدُهُ غِنًى وَمَرْتَعُ مَرْعَى جُودِهِ خَيرُ مَرْتَعِ[8]

طموح العين إلى الشيء إذا ارتفعت إليه . يقول : لم أرهب الأمور المخيفة فلم أعدل عن مطلب أخاف أن تكون هلكتي فيه ولا سمت نفسي إلى أمر فارتدت أطماعي عن نيله لثقتي بأنه لا يفوتني .

١ الأسيود تصغير الأسود يريد كافوراً وهو مبتدأ والواو قبله للحال . وعينه مبتدأ آخر خبره تستهل والجملة خبر الأسيود . وحذار مصدر حاذر وهو مفعول له . وتستهل تجري .

٢ أنني عطف على مقالي . وأقلى ، بفتح اللام وكسرها ، أبغض . والمشيع الجريء .

٣ ارعوى عن الشيء كف وارتدع . ويطبيني يدعوني . وممرع خصيب . أي لا أنثني عن عزمي ولا أنقاد إلا إلى من يودني فأطيعه حباً لا مذلة ولا أقيم بمنزل لا خصب فيه يدعوني إلى الإقامة . يشير إلى إبائه وعزة نفسه وأنه إنما يمسك بالمجاملة والإحسان ولا يؤخذ بالمراغمة والقهر .

٤ قوله أبا النتن ذكره في مكان أبي المسك وهي كنية كافور . ومروع مخيف. يريد أنه كان يعلله بالمواعيد فيقيده بها مخافة أن يفارقه فيهجوه .

٥ قدرت أي حسبت . والفرط اسم من الافراط بمعنى مجاوزة الحد . وعلى هنا بمعنى مع والظرف حال من الضمير في أقيم . ورصيف أي مركب قد رصف بعضه إلى بعض .

٦ أقيم بدل من أقيم الأولى . وقوله على عبد أي على صحبة عبد ونحوه فحذف المضاف .

٧ الرضى أي المرضي وهو من الوصف بالمصدر . وكريم المحيا بدل أي رجلا هذه صفته . والمحيا الوجه . والأروع الذي يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو الشهم الذكي الفؤاد .

٨ بمقصده ، بفتح الصاد ، مصدر ميمي . والمرتع موضع رتوع الدابة وهو أن ترعى كيف شاءت .

تَظَلّ إذا ما جِئْتَهُ الدّهْرَ آمِناً   بخَيرِ مَكانٍ بَلْ بأشرَفِ مَوْضِعِ [1]

وقد وقفتُ له على مرويّات أخَر، منها ما لا يحمل إثباته في هذه النسخة، ومنها ما لم أجد فيه روايةً خليقةً بالذكر فلم أتكلّف تحريره وشرحه *؛ على أن الكثير من ذلك ليس من جيّد

---

١ الدهر صلة تظل . وما زائدة . وآمناً خبر تظل . وقوله بخير مكان صلة آمناً. وفي هذه القصيدة من الضعف ما لا يخفى حتى لا تكاد تشبه شعر المتنبي ولولا أن رواها غير واحد وأثبتها له لادعيت أنها منحولة .

* قرأت في بعض المجاميع أنه وجد له في إحدى نسخ الديوان هذه الأبيات بعد فراره من مصر يتشوق ابنه محمداً وشيخاً له يقال له الحسين :

ما لي كأن اشتياقاً كان يعنف بي   بمصر لا بسواها كان مرتبطا

وما أفدت الغنى فيها ولا ملكت   كفي بها ملكاً بالجود مغتبطا

أإن هربت ولم أغلط تجدد لي   وجد يحسن عندي الجور والغلطا

لولا محمد بل لولا الحسين لما   رأيت رأيي بوهن العزم مختلطا

هذا هواي وذا ابني خط مسكن ذا   بمصر والشأم ألقى دائماً خططا

ولي من الأرض ما أنضى رواحله   عزمي فقد حكمت فينا النوى شططا

يا قاتل الله قلبي كيف ينزع بي   أما أرى من عقال الهم منتشطا

كذا وجدت هذه الأبيات وهي أشبه أن تكون له لما فيها من الإلماع إلى قصته وما يظهر عليها من ديباجة لفظه إلا أني لم أجد فيما وقفت عليه من تراجم المتنبي أن له ابناً يسمى محمداً فلعله إن صح الشعر له محرف عن محسد . ثم إن الذي يفهم من الأبيات أن ابنه هذا بقي متخلفاً في مصر بعد فرار أبيه منها وهو مستبعد في بادي الرأي على أن البيت الذي هو محل جلاء الواقع وهو قوله هذا هواي وذا ابني إلى آخره لا يكاد يستخرج له معنى فالظاهر أن في ألفاظ البيت تحريفاً أو في رواية الأبيات نقصاً ولكني نقلتها كما وجدتها لعلها إذا اشتهرت كان ذلك سبيلا إلى استثبات صحتها من خفايا المكاتب . ورأيت له بيتين في ذيل نسخة الواحدي المطبوعة في برلين وليسا من أصل النسخة وكأنهما مما رواه الشيخ تاج الدين الكندي وهما :

وحبيب أجفوه مني نهاراً   فتخفى وزارني في اكتتام

زارني في الظلام يطلب ستراً   فافتضحنا بنوره في الظلام

شعره ولا فيه ما هو حقيقٌ بأن يُضَنّ به ، ولكنّ الحيّ مولَعٌ بآثار من ذهب ، حريصٌ على التنقيب عنها وتخليدها على تراخي الحِقَب ، ويعجبني هنا قول القائل :

ترَى الفتَى ينكرُ فضلَ الفتَى   في عصرِهِ حتَى إذا ما ذَهَبْ
جَدّ بهِ الحِرْصُ على نكتةٍ   يكتبها عنهُ بماءِ الذّهَبْ

* * *

....

ثم رأيت في الصبح المنبي ما يعارض هذه الرواية وينقضها جملة قال : قال ياقوت كان المتنبي جالساً بواسط فدخل عليه رجل وقال نريد أن تجيز لنا قول الشاعر :

زارني في الظلام يطلب ستراً   فافتضحنا بنوره في الظـلام

قال فرفع رأسه وكان ابنه المحسد واقفاً بين يديه وقال : يا محسد قد جاءك بالشمال فأته باليمين. فقال المحسد ارتجالا :

فالتجأنا إلى حنادس شعر   سترتنا عن أعين اللوام

وروى له الثعالبي في يتيمة الدهر بيتين فذين أوردها فيها تكرر من معانيه أحدهما قوله :

ألا إن الندى أضحى أميراً   على مال الأمير أبي الحسين

والآخر قوله ورواه له مرة أخرى فيها امتثل فيه ألفاظ المتصوفة :

أفيكم فتى حي يخبرني عني   بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وهما بموضع من الغرابة ولا سيما البيت الثاني منهما لبعده عن مشابهة شعر المتنبي وقد أخطأتني في استثباتهما مظان الطلب حتى رأيتهما بعد ذلك لأبي تمام والأول من قصيدة له مطلعها :

خشنت عليه أخت بني الخشين   وأنجح فيك قـول العاذلين

والثاني مطلع قصيدة كتب بها إلى الحسن بن وهب والقصيدتان مثبتتان في ديوانه وهذا من مثل الثعالبي في حد العجب . وحكى بعض أهل الأدب أن المتنبي التقى في بعض منازل سفره بعبد أسود قبيح المنظر فقال له : ما اسمك يا رجل ؟ فقال : زيتون . فقال المتنبي يداعبه :

سموك زيتوناً وما أنصفوا   لو أنصفوا سموك زعرورا
لأن في الزيتون زيتاً يضي   وأنت لا زيتاً ولا نورا

شعر المتنبي ومنزلته :

بقي أن أذكر في هذا الموضع فصلاً في الكلام على شعر المتنبي وبيان منزلته في أندية الشعر ومحاكم النقد والتنبيه على ما له في ذلك وما عليه، وهو ولا شك منزعٌ بعيد الشقّة ، متشعّب الأطراف ، وقد أفاض في ذلك شرّاح الديوان والمتكلّمون عليه بما يملأ مجلدات كثيرة ، إلاّ أنّ جلّ هؤلاء تكلّم عليه من حيث هو شعر ذو قوانين معروفة ومذاهب مألوفة ، فذكر ما له من المعاني المخترعة أو المسبوقة ، وما له من الحسنات أو السيئات في أساليب النظم ومذاهب الاستعارات والكنايات وسائر فنون المجاز ، وما خرج فيه عن مألوف الشعراء إلى ما قصّروا فيه عن مداهُ ، أو ما شذّ به عن مذهبهم إلى ما شاكل هذه الأطراف ممّا ترجع جملته إلى أدب الشاعر وصناعة البديعيّ ، ولستُ أتعرّض له في هذا الموضع إلاّ فيما يجيء في عُرض الكلام وما يؤدي إليه مساق البحث ، وإنّما الغرض من هذا الفصل الكلام على شعره من حيث هو كلامٌ تُراد منه المطابقة بين المسموع والمفهوم ، فأذكر ما له من إجادة أو تقصير في استخدام الألفاظ من حيث هي قوالب للمعاني مع بيان الحدّ الذي جرى إليه في ذلك ومنزلة شعره من هذا الوجه ممّا يرجع في الأكثر إلى أدب الكاتب وصناعة اللغوي ويكون مرمًى لنظر علماء المعاني وأصحاب الترسل في صياغة اللفظ وتقديره على المعنى . وهذا ممّا ألمّ به بعض المتكلّمين على ديوانه ، إلاّ أنّهم على الغالب يشيرون إليه من جانب البحث ، ولم أجد من تفرّغ لإشباع الكلام فيه مع أنّه لم يشرح هذا الديوان شارحٌ إلاّ خبَط في دياجير لفظه وهام في تيه تعبيره فأخذ بين تقدير وتأويل وتخريجٍ وتعليل ممّا يقضي بالعناء الثقيل إلى أن يفرغ منه وفي نفسه منه أشياء . والعجب أن كثيراً من خاصّة الناس فضلاً عن عامّتهم ممّن يذهبون إلى تفضيل المتنبي على سائر الشعراء يرون أنّه إنّما نال هذه المنزلة وانفرد بالمزية على غيره لخفاء معانيه وبُعد مأتاها وكثرة ما يحتمل كلامه من وجوه التفسير وضروب التأويل ، وأنّه بهذا فضل الشعراء وأشير إليه من بينهم بالتبريز والسبق ، حتّى إن الواحدي ، رحمه الله ، مع وفرة فضله وطول باعه في صناعة الأدب وسعة علمه بمذاهب الشعر يقول في خطبة شرحه في الكلام على المتنبي ما نصه :

على أنّه كان صاحب معانٍ مخترعة بديعة ولطائف أبكار منها لم يُسبَق إليها أنيقة ، ولهذا خفيت معانيه على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء والأئمة والعلماء حتّى الفحول

منهم والنجباء، كالقاضي أبي الحسن الجرجاني، وأبي الفتح عثمان بن جنّيّ وأبي العلاء المعري، وأبي عليّ بن فُوزَّجة البَرُوجِرُدي ، رحمهم الله تعالى ، وهؤلاء كانوا من فحول العلماء، وتكلّموا في معاني شعره ممّا اخترعه وانفرد بالإعراب فيه وأبدعه ، وأصابوا في كثير من ذلك ، وخفي عليهم بعضه ، فلم يبن لهم غرضه المقصود لبعد مرماه وامتداد مداه ، إلى آخر ما ذكره في هذا المعنى وأشبع القول فيه .

وما أرى هذا الكلام منه إلاّ صدًى للمشهور وحكاية للمتداوَل ، وإنّما سبق السماع فيه الاختبار ، وغلب التقليد على صادق الاعتبار ، وإلاّ فليس ما ذكره من دقّة معانيه واختراعها هو العلّة في خفاء تلك المعاني ، بدليل أنّك متى شرحت معنى البيت بما هو أبين من لفظه ، وبعبارة أخرى : متى صوّرته باللفظ الذي حقه أن يُصَوّر به ذهب خَفاؤه مهما كان دقيقاً وأُشربه الفهم على غير كلفة ولا عناء . والمعاني الشعرية ليست من قبيل الأسرار الصوفية أو القضايا التعليميّة الّتي تقتضي دقة نظر وجهد ذهن في تفهمها ، وإنّما هي معانٍ طبيعيّة تدركها البداهة بأدنى رمز ، والاختراع من حيث هو لا يقتضي الخفاء ، وإلاّ لخفي أكثر شعر المتقدمين ممّن سبقوا إلى ابتكار المعاني ، مع أنّك لا تكاد ترى في كلامهم ما غاص في الإبهام ، وحسرت من دونه الأفهام ، إلى الحد الذي تراه في بعض شعر المتنبي ، بل متى كان الكلام مُفرَغاً في قوالب من الوضع لا يخرج عنها ، جارياً على سُنّةٍ من التعبير لا يتعدّاها ، وكانت تلك القوالب وهذه السنّة معروفة عند السامع ، فقلّما يتخلّف المعنى عن اللفظ إلاّ بمقدار ما تحيط به الرويّة ويتناوله الذهن .

سبب خفاء معاني المتنبي :

ولكن ما ذُكر للمتنبي من خفاء المعاني وغموضها واردٌ على الغالب من قبيل الإبهام في اللفظ والتعميَة في صور التراكيب وإلباس المعنى غير ثوبه الذي تظهر به تقاطيعه وإنزاله في غير منزله الذي يُقرَع عليه بابُه ، وهي طريقة له اختطّها لنفسه وأكثر من التعمّل لها والنزوع إليها ، وإذا اعتبرتَ جملةَ شعره وجدتَ ذلك لا يختص منه بمواضع الدقة والاختراع بل كثيراً ما ترى الأمر بعد التحقيق ناطقاً بالخلاف ، واقعاً على العكس ، فإنّك إذا تفقدتَ أبياته من هذا الضرب ، وعانيتَ استخراج ما فيها إلى أن يستقيم لك وجهٌ من الأوجه الّتي يحتملها لا تكاد ترى وراء ذلك كبير أمر ، بل قلّ أن ترى له بيتاً قد خفيَ سرُّه وبَعُدَ مغزاه إلاّ وهو على الأكثر

من ساقط شعره ومُبتَذل معانيه ، وكأنّه يحاول أن يخرجه إلى الإغراب ، وشتان بين الإغراب اللفظيّ والإغراب المعنوي ، وربّما كان المعنى من مثل ذلك مسبوقاً فيحاول أن يبعد به عن أصله ويغير ديباجته بغير لونها فيفسد عليه . وكثيراً ما يقع له ذلك من استعمال اللفظ في غير موضع استعماله أو حذف شيء في غير مواطن الحذف أو تشويش التركيب بالتقديم والتأخير فيما حقه العكس أو زيادة حشوٍ يفرّق بين أجزاء المعنى ، ولذلك فإنّك ترى أكثر هذه النظائر في شعره قد ظهر عليها أثر الصنعة وتجاذبها التكلّف والتعقد حتّى تخرج عن سَنَن الفصاحة وطريق البداهة إلى ما يُدخلُها في الركاكة ويميل بها إلى اللغو والخطأ .

امثلة من مستغلق شعره واختلاف مذاهب التأويل فيه :

وهذه الوجوه وأشباهها هي مورد أكثر ما يرى في شعره من تلوّن الاحتمالات واختلاف مذاهب التأويل . وأنا أورد لك ههنا بعضاً من الأمثلة على ذلك ليُعتَبر بها غيرها ممّا يُرَى في سائر الديوان ، ثمّ أورد بعضاً ممّا جرى به على الضد من ذلك ليتبيّن موقع كلّ من الطرفين بصاحبه ، كما قال : وبضدّها تتبيّن الأشياء . فمن تلك الأمثلة قوله :

فتًى ألفُ جزءٍ رأيُه في زمانِهِ أقلّ جُزَيْءٍ بعضُه الرأيُ أجمعُ

وقد ركب في هذا البيت من التقديم والتأخير والحذف والإبهام ما لا يُباح مثلُه في أساليب الكلام، حتّى إنّك إذا حلّلت تركيبه النحوي وجدتّه باقياً على غموضه ، ولا يظهر لك الغرض منه إلاّ بعد إطالة النظر وإعنات الرويّة . وصورته بعد الحل : هو فتى رأيُه في زمانه الف جزءٍ أقلّ جزءٍ منها بعضه الرأي أجمع ، فتأمله. وإنّما ورد عليه ذلك من قِبَل ما فيه من تداخل المعنى وطول سلسلة الأجزاء بسرد أربعة ابتداءات فيه قد أخذ بعضها برقاب بعض وصارت كالشيء الواحد ، وهذا ممّا لم ينبّه عليه علماء المعاني ، وحينئذ فلا بدّ للشارح مع تأويل ما فيه من المجاز والكشف عن المبهم من تفصيل المعنى وتقطيع أجزائه بأن يقال : هو فتى لو اعتُبر رأيه في أحوال زمانه ألف جزء لكان أقلّ جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كلّ ما عند الناس من الرأي . وحاصل ما فيه أن الممدوح أعلم الناس بأحوال الدهر ، وأين هذا المعنى من هذه الألفاظ وما ركبه فيها من المعاظلة والتكلف والتعسف وكدّ ذهن السامع بتتبّع قواعد النحو

والمجاز والارتباك في حساب طويل لا طائل تحته حتى يستخرج منه هذا المعنى المبتذل . ومن قبيل هذا البيت بل أدخل منه في تيه الإبهام وظلمات الخفاء قوله :

أُحادٌ أم سُداسٌ في أُحـادِ لُيَيْلَتُنا المَنوطَةُ بالتّنادي

قال الصاحب ابن عبّاد : وهذا من عنوان قصائده التي تحيّر الأفهام وتفوتُ الأوهامَ وتجمع من الحساب ما لا يُدرك بالارتماطيقي والأعداد الموضوعة للموسيقى ، وقد خطّأه في اللفظ والمعنى كثيرٌ من أهل اللغة وأصحاب المعاني حتى احتجّ في الاعتذار له والنضح عنه إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ولا يتّسع له هذا الباب . انتهى ببعض تصرّف .

قال الواحدي : وأكثروا في معنى هذا البيت ثمّ لم يأتوا ببيان مفيد موافق اللفظ ، وإن حكيت ما قالوا فيه طال الكلام ، ولكني أذكر ما وافق اللفظ من المعنى ، ثمّ أتى ببيان طويل استخلصت منه ما تراه في محلّه ، ولست أدري أهو أوّل من جاء بهذا التفسير أم نقل عن غيره ، ومهما يكن فإن صحّ أن هذا هو مراد المتنبي ، وما أراه أراد غيره ، فهو ما لا يكاد يفطن له إلاّ نبيّ ، ولعمري ليس مثل هذا ممّا يدخل في فضيلة شاعر ولا ناثر يصحّ التكلّم به إلاّ في مقام الإلغاز والتعمية لا في مقام المدح والتشبيب ، ثمّ هو على ما فيه من غموض المغزى وبُعد التأويل لا يخرج بعد تجشم عرق القربة في استنباط الغرض منه عن معنى قوله :

من بَعد ما كانَ لَيلي لا صباحَ لَهُ كأنّ أوّلَ يَوْمِ الحشرِ آخرُهُ

والفرق بين التعبيرين ظاهر . ومن أمثلة تلك الأوابد قوله :

وكلّ شريكٍ في السرور بمصبحي أرَى بعدَهُ مَن لا يرى مثله بعدي

قاله في وداع ابن العميد ، وهو في حدّ الإبهام والإيهام ، وقد وقفتُ على ما ذكر الشراح في تفسيره فلم أجدهم يأتون في بيان معناه بما يزيد على مفاد ظاهره . وحاصل ما يؤخذ من كلامه وكلامهم أنّه يقول : إذا أصبحت عند أهلي فكلّ إنسان منهم يشاركني في السرور بحصولي عندهم أرى بعد فراقه منك يا ابن العميد إنساناً لا يرى هو مثله بعد فراقي . اه . وهذا إنّما هو تأويل لفظ البيت والمتحصل من أجزاء المعنى دون جملته ، وظاهرٌ أن المشاركة التي يذكرها زمانها الاستقبال لأنّها إنّما تكون بعد مصيره إلى أهله . وقوله : أرى بعده إلى آخره ، هو خبر

كل ، فالمتبادر منه إن الرؤية تحصل بعد المشاركة أيضاً لأن الخبر هنا مترتب على المبتدإ ترتب الجزاء على الشرط ، على حدّ قولك : كلّ زائر لي غداً أكرمه ، وهذا لا يصحّ في البيت وإلاّ لزم أنّه يرى ابن العميد حين لا يراه ، وهو محال ، أو أنّه سيعود إليه بعد رحيله إلى أهله ، وهو غير المقصود . وإنّما أراد بقوله : أرى زمان الحال ، أي كلّ إنسان يشاركني في السرور حينئذ أرى منك اليوم إنساناً لا يرى هو مثله ، ومعنى الجزاء مضمر ، أي فلا يشاركني في الأسف على فراقك أو فلا يتمّ سروري به كما تمّ سروره بي ، وهذا لا يتحصّل من البيت إلاّ بعد الإمعان في التأمّل وتقليب النظر في أوجه المراد فضلاً عمّا في قوله بمصبحي من الإبهام والإشكال في ردّ الضمائر بعده ممّا لا يُهتَدى إليه إلاّ بعد العنت والعناء . ويقرب من هذا البيت قوله :

حتى وَصَلتُ بنَفسٍ ماتَ أكثرُها ولَيتَني عشتُ منها بالذي فضَلا

يريد ما قاساه من مشقّة الطريق وأهوالها حتى مات أكثر نفسه ثمّ تمنى لو عاش بما بقي منها ، ولا يظهر لهذا التمني معنى يصحّ موقعه ، بل إذا أخذ على ظاهره كان معناه أنّه يتمنى لو استَوفى بقيّة حياته ، فهو على هذا يتمنى حضور أجله ، وهو بعيد عن المقصود في هذا المقام ، ولكنه يتمنى أن يعيش في المستقبل بما بقي من نفسه فلا يموت باقيها كما مات ماضيها ، وحينئذ فقوله عشت في تأويل أعيش ، وهو ما يُستفاد من صنيع الشرّاح في تفسير هذا البيت ، إلاّ أن للتعبير بالماضي عن المضارع مواضع ليس هذا منها ، والعدول عن الظاهر لا بدّ له من قرينة واضحة تردّ السامع إليه بأدنى رويّة وإلاّ كان الكلام ضرباً من المعاياة ، وهو في مثل ما ذُكر إلى الخطاء أقرب . ومن أبياته المغلقة قوله :

وقلنَ دَفراً والدُّهَيم فَما تُرى أمّ الدُّهَيمِ وأمّ دَفرٍ ثاكِلُ

الضمير لمكارم ممدوحه . ودفر والدّهيم من أسماء الداهية ، وكذلك أم دفر وأم الدهيم . وفي هذا البيت من التعقيد والحشو والإبهام في استعمال ألفاظ اللغة مع ما فيه من غرابة المعنى ما لا يُهتَدى معه إلى المراد إلاّ بعد أن يُتكلّف فيه من إنضاء الرويّة في مناحي الحدس ووجوه التخرّص ما يسهل معه حلّ الطلاسم وقراءة أشكال الحروف . وقد وقفت فيه على كلام الشرّاح فوجدتهم قد أخذوا في شعاب التجوّز وأمعنوا في مهامه التأويل إلى ما يخرج بالكلام عن جادّة المقول ، ويعتسف به عن سَنَن المعقول . وحاصل ما ذكروا فيه أن قوله فما ترى أراد فما تُرَيان

فاكتفى بضمير الواحدة ، وقوله ثاكل خبر عن أمّ الدهيم ، وأراد أمّ الدّهيم ودفر ، أي بعطف دفر على الدهيم ، فزاد أمّاً للتوكيد . اهـ .

وفيما ذُكر من الخروج عن قواعد العربيّة والمجيء من وراء المألوف في التعبير ما لا يبقي معه إلى الفهم سبيل ولا سيّما مع تكرّر التجوّز في الشطرين جميعاً على أن للإخبار بالمفرد عن المثنى واستعمال التوكيد بالعطف صوراً ليس منها ما في البيت .

وقيل أمّ الدهيم نائب ترى أو مفعوله على جعله فعلاً للمخاطب ، أي فأم الدهيم لا تُرَى ، يعني أنّها فقدت ، وأمّ دفر ثاكل مبتدأ وخبر ، وعليه فتحرير المعنى : إن مكارم الممدوح قتلت دفراً والدّهيم فأم دفر ثاكل وأمّ الدهيم مفقودة . فتأمله . وإنّما ورد هذا الاضطراب من جهة قوله فما ترى ،وهو حشوٌ زاده بين شطري المعنى فالتبس الحشو بالأصل واختلط وجه القصد من البيت برمته . وزاد في طينة الإشكال بِلّةً ما يحتمله هنا لفظ ما من النفي أو الاستفهام ولفظ تُرى من كونه فعلاً للمخاطب أو الغائبة فعاد البيت ضرباً من الرُّقى ، وإذا قدّرت سقوط هذا الحشو منه وجعلت ما بعده مرتباً على ما قبله حتّى تكون صورة الكلام : وقتلنَ دفراً والدهيم فأمّ الدّهيم وأمّ دفر ثاكل ، آذَنَ المعنى بالظهور وذهب ما فيه من الإشكال . وحينئذ فالأظهر أن قوله فما ترى استفهامٌ التفت به إلى المخاطب ولا مفعول له . وقوله أمّ الدّهيم إلى آخر البيت استئناف . وتمام الكلام على هذا البيت في محلّه . وحاصل ما فيه : إن مكارم الممدوح أثكلت الداهية ، أي قهرت شدائد الدهر ، فتكلّف في أدائه هذا العنت الشديد وجمع عليه من الاستعارة والكناية والالتفات والاستفهام والتفسير والتوكيد ما لا يستحقّه هذا المعنى . ومن تلك الأمثلة قوله :

وَهَبِ المَلامةَ في اللّذاذةِ كالكرَى مطرودةً بسهادِهِ وبكائِهِ

وهو من مشكل الأبيات التي تتحير في تأويلها أوهام المفسرين وتضلّ في تركيبها بصائر المُعربين ، وقد أوغل شرّاح الديوان في الغوص على معناه فلم يصدروا عنه بغناء ، وركبوا فيه متن التصحيح فنزل بهم على أكتاف الخطاء . قال الواحدي ، رحمهُ الله : قال ابن جنّيّ : يقول اجعل ملامتك إيّاه في التذاذها كالنوم في لذاذته فاطردها عنه بما عنده من السهاد والبكاء ، أي لا تجمع عليه اللّوم والسهاد والبكاء ، أي فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا كراهُ فلتزُل ملامتك إيّاه . قال : وهذا كلام من لم يفهم المعنى وظنّ زوال الكرى من العاشق ، وليس على ما ظن ، ولكنه يقول للعاذل : هب أنّك تستلذّ الملامة كما تستلذّ النوم وهو مطرودٌ عنك بسهاد

العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فإنّه ليس بألذّ من النوم ، أي فإن جاز أن لا تنام جاز أن لا تعذل . اه .

وفي كلّ من التفسيرين تمحّلٌ ظاهر على ما في تصوير المعنى من الاضطراب وبُعد التأويل عن مُقتضى اللفظ ، وذلك أن تفسير ابن جنّيّ قوله مطرودةً بقوله فاطردها لا يستقيم ، وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يُقال انّه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة ، لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوليه من صدر البيت فلم يبقَ له دخلٌ فيما يليه ، وبقي قوله مطرودةً حالاً عن الملامة ، وإن شئت جعلته خبراً عن ضميرها محذوفاً ، أي وهي مطرودةٌ ، وعلى كليهما يكون في معنى شبه جملةٍ أو جزء جملة خبرية لا في معنى جملةٍ طلبية . وقول الواحدي : وهو مطرودٌ ، أي النوم ، مقتضاه جعل مطرودة حالاً عن الكرى والكرى مذكرٌ لأنّه مصدر كريَ ولفظ مطرودة مؤنث فلا يصحّ كونها حالاً عنه . على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جنيّ أو نومه في قول الواحديّ مطروداً بسهاد العاشق وبكائه ممّا يشكل وجهه وما أرى المتنبي إلاّ غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤنث على حدّ الهُدَى مثلاً ، أو أراد أن يقول مطروداً فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن لأن المقام يقتضي أن يكون قوله مطرودةً جارياً على الكرى كما هو تفسير الواحدي ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنيّ ، أي احسب ملامتك لذيذةً عند العاشق كمنامه ، والمنام مطرودٌ عنه بالسهاد والبكاء ، أي فلتكن ملامتك كذلك.وفي هذا البيت مزيد بيانٍ ذكرناه في محلّه.والله أعلم بالصواب.ومن ذلك قوله:

أعطى الزمانُ فما قبلتُ عَطاءَهُ وأرادَ لي فأرَدتُ أنْ أتَخَيّرَا

وهو من مخبّآت معانيه التي لا تبرز من وراء الحجاب بل من مُخدَّج بنات أفكاره التي لم يتمّ تصويرها بما يمثّل لها صورةً في الألباب وذلك لبعد الإشارة فيه إلى المقصود وكثرة ما ركب في أدائه من الإيجاز والحذف حتى بقي جزء من المعنى لا يحيط به اللفظ ، ومثل هذا البيت لا يستغني عن توطئة قبله تدلّ على ما أضمر فيه أو بيانٍ بعده يحلّ ما عقد ، وليس قبلهُ إلاّ قوله :

فبلَحظِها نَكِرَتْ قناتي راحتي ضعفاً وأنكرَ خاتمايَ الخنصرَا

وقال بعده :

أرجانَ أيتُها الجياد فإنّـهُ عزْمي الذي يذَرُ الوَشيجَ مكسَّرَا

فبقي البيت مقتضباً بنفسه ولم يبقَ لتفهّم معناه إلاّ الضرب في أودية الحدس والتكهّن والنظر فيما يحتملُه المقام ويقتضيه السياق ، ثمّ لا يخرج الكلام فيه بعد ذلك عن حدّ التحكّم والتمحُّل ولا يقع من المتأمّل موقع الإقناع .

قال الواحديّ في تفسيره : يقول لم أقبل عطاء الزمان ترفُّعاً وبُعدَ همّة أي أردت عطاءك دون عطاء الزمان ، وأراد لي الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك ، إلى آخر ما ذكره ، وليس في لفظ البيت ما يُتناوَل منه هذا المعنى ، وإنّما هو قول الواحدي لا قول المتنبي .

وأكتفي من هذا الضرب بهذا القدر ، وهو ليس في شعره بالشيء النادر بل لا تكاد تتصفّح له قصيدةً إلاّ ترى له فيها مثل ذلك ممّا يقف عنده الفهم ويستوقف لذّة النفس بما مضى من حسناته ويكدّر عليها مشربها من حلاوة ألفاظه ومعانيه . وعندي أن ما كان كذلك حتى يُحتاج في استخراج معناه إلى استنباط القريحة وقدح زند الخاطر وحتّى يكون المعنى من عند الشارح لا من عند الشاعر لا يستحق أن يسمّى شعراً ، وما أرى ابن خلدون ومن على رأيه نفى الشاعرية عن المتنبي إلاّ لهذه الأبيات وأمثالها .

ذكر بعض معانيه المبتكرة :

وإذا جاوزت هذه النظائر من شعره إلى ما له من المعاني المبتكرة والقلائد المعدودة ممّا أجمع أهل العلم بالشعر على تبريزه فيه واعترف أنداده وحُسّاده من الشعراء باختراعه له لم تكد تجد فيه خفاءً ولا إشكالاً بل هو في غالب حاله غاية الغايات في استحكام التأليف وبداهة التعبير وجودة السبك ووضوح المراد ، قد كسته الفصاحةُ زخرفَها ، وألقى عليه البيان نورَه ، فتسابقت معانيه إلى الأفهام ، وعلقتْ ألفاظُه بالخواطر والأوهام ، واستوى في إنشاده الخاصيّ والعاميّ ، والتقى على استحسانه العالم والأمّيّ ، وأمثلتُه أشهر من أن تُذكر ، وأكثر من أن تُحصَر ، ولكني أورد منها شيئاً من حاضر المحفوظ تنويهاً بحسناته وتيسيراً للمقابلة بينها وبين ما ذُكر ، وذلك من نحو قوله :

سفرَتْ وبرقعها الفراقُ بصفرةٍ ... سترَتْ محاجرَها ولم تَكُ برقُعَا
فكأنّها والدّمْعُ يَقطرُ فَوْقَها ... ذَهَبٌ بسمْطَيْ لُؤْلُؤٍ قد رُصّعَا

نشرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ من شَعرِها   في لَيلةٍ فأرَتْ ليالِيَ أرْبَعَا
واستَقبلَتْ قمرَ السّماءِ بوَجهِها   فأرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ في وَقْتٍ مَعَا

وهي ممّا تناهى فيه في الرقة والرشاقة وأبدع في التشبيه والتمثيل إلى ما لا نهايةَ له في الحسن. ومن نحو قوله :

كأنّ العِيسَ كانتْ فوْقَ جَفني   مُناخاتٍ فلَمّا ثُرْنَ سالا
لَبِسنَ الوَشْيَ لا مُتَجَمِّلاتٍ   ولكِنْ كَيْ يَصُنَّ بهِ الجَمالا
وضَفّرْنَ الغَدائِرَ لا لحُسنٍ   ولكنْ خِفنَ في الشَّعرِ الضّلالا

قال الثعالبي : وهذا من إحسانه المشهور الذي لا يُشَقّ غباره فيه . وقوله :

كُتِبَتْ في صَحائِفِ المجدِ بسمٌ   ثمّ قَيْسٌ وبعدَ قيس السّلامُ
قائدو كلّ شَطبَةٍ وحِصانٍ   قد بَراها الإسراجُ والإلجامُ
يَتَعَثّرْنَ بالرّؤوسِ كمَا مرّ   بتَاءاتِ نُطْقِهِ التّمْتامُ

ومن قلائده في هذه القصيدة قوله :

خَيرُ أعضائِنا الرّؤوسُ ولكِنْ   فَضَلَتها بقَصْدِكَ الأقدامُ
قد لعمري أقصرْتُ عَنكَ وللوَفْـ   ـدِ ازْدِحامٌ وللعَطايَا ازْدِحامُ
خفتُ إن صرْتُ في يَمينِكَ أن تأ   خُذَني في هِباتِكَ الأقوامُ

ومن غُرَرِه المشهورة قوله :

بَعَثوا الرّعبَ في قُلوبِ الأعا   دي فكانَ القِتالُ قَبلَ التّلاقي
وتكادُ الظُّبَى لِمَا عَوّدوها   تَنتَضِي نَفسَها إلى الأعناقِ

ومطلع هذه القصيدة من أبدع المطالع وأرقّها ، وله فيه اختراعٌ لم يسبقه إليه أحد ، وهو قوله:

أتُراها لكَثْرَةِ العُشّاقِ   تحسَبُ الدّمعَ خِلقةً في المآقي

ومنها يقول :

حلتِ دونَ المزارِ فاليَوْمَ لوْ زُرْ ت لحالَ النّحولُ دونَ العِناقِ

قلت : وقد ذكرت بهذا البيت روايةً رأيتها في الصبح المنبي قال : كان لابن جنّيٍّ هوًى في أبي الطيب وكان كثير الإعجاب بشعره وكان يسوءه إطناب أبي عليٍّ الفارسيّ في الطعن عليه، واتّفق أن قال أبو عليٍّ يوماً : اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحث فيه ، فابتدر ابن جني وأنشد :

حلتِ دونَ المزارِ فاليَوْمَ لو زرْ تِ لحالَ النّحولُ دونَ العناقِ

فاستحسنَه أبو عليٍّ واستعاده وقال: لمن هذا البيت فإنّه غريب المعنى ؟ فقال ابن جنّيّ: هو للذي يقول :

أزورُهم وسوادُ اللّيلِ يَشفَعُ لي وأنثني وبَياضُ الصّبحِ يُغري بي

فقال : والله وهذا أحسن فلمن هو ؟ قال : للذي يقول :

أمضَى إرادتَهُ فسَوْفَ لَهُ قدٌ واستَقرَبَ الأقصى فثَمّ لهُ هنا

فكثر إعجاب أبي عليّ واستغرب معناه وقال : لمن هذا ؟ فقال : للذي يقول :

ووضعُ النّدى في موْضع السّيفِ بالعُلى مُضِرٌّ كوَضعِ السّيفِ في موْضعِ النّدى

فقال : وهذا والله أحسن ! ولقد أطلت يا أبا الفتح ، فمن هذا القائل ؟ قال : هو الذي لا يزال الشيخ يستثقله ويستقبح زيَّهُ وفعلَه ، وما علينا من القشور إذا استقام اللُّباب ! قال أبو عليّ : أظنّك تعني المتنبي ؟ قال : نعم ، فقال : والله لقد حبّبتَهُ إليّ . ونهض ودخل على عضد الدولة فأطال في الثناء على أبي الطيّب ، ولما اجتاز به استنزله إليه واستنشده وكتب عنه أبياتاً من شعره . انتهى .

ومن فرائده قوله :

حسان التثنّي ينقشُ الوَشيُ مثلَهُ إذا مِسنَ في أجسامهِنّ النّواعمِ
ويَبسِمنَ عن دُرٍّ تقلّدنَ مثلَهُ كأنّ التّراقي وُشّحَتْ بالمباسِمِ

ومن هذه القصيدة في صفة الجيش :

نمرّ عليهِ الشّمسُ وهيَ ضَعيفَةٌ تُطالعُهُ من بينِ ريشِ القَشاعِمِ

إذا ضَوْءُها لاقَى منَ الطّيرِ فرْجةً تدوَّرَ فوْقَ البَيضِ مثلَ الدّراهمِ

ويخفى عليكَ الرّعدُ والبرْقُ فوْقهُ منَ اللّمعِ في حافاتِهِ والهَماهِمِ

ومنها يذكر قوم الممدوح :

حَيِيّونَ إلاّ أنّهُمْ في نِزالهمْ أقلُّ حَيَاءً مِنْ شِفارِ الصّوارِمِ

ولَوْلا احتِقارُ الأُسدِ شبّهتهمْ بها ولكنّها معدودَةٌ في البَهائِمِ

ومنها أيضاً :

كريمٌ لَفَظتُ النّاسَ لمّا بلغتهُ كأنّهمُ ما جفّ من زادِ قادمِ

وكادَ سروري لا يَفي بنَدامَتي على تركِهِ في عمريَ المُتَقادِمِ

وهذه الأبيات كلّها من بديع اختراعاته التي لم يُسبَق إليها ولا يُجارَى فيها . وقوله ، وهو من غريب تصرّفه في المعاني :

لجيادٍ يَدخلْنَ في الحرْبِ أعرا ءً ويخرجنَ من دمٍ في جلالِ

واستَعارَ الحديدَ لَوْناً وألْقَى لونَهُ في ذوائبِ الأطْفالِ

قال ابن الأثير الجزَري : إن الشعراء كلّهم قد كرّروا هذا المعنى إلاّ أنّهم لم يخرجوا عن قولهم إن الخوف يشيِّب ، وإذا بالغوا قالوا إنّه يشيب الطفل ، والمتنبي لم يقل كما قالوا ولكنّه تلطّف في هذا المعنى فأبرزه في صورة بديعة كما ترى . ومن بدائعه السائرة قوله :

رَماني الدّهرُ بالأرْزاءِ حتّى فؤادي في غشاءٍ مِنْ نِبالِ

فصرْتُ إذا أصابَتْني سِهامٌ تكسّرَتِ النّصالُ على النّصالِ

وقوله من هذه القصيدة :

ولوْ كانَ النّساءُ كمَنْ فقدنا لفُضّلَتِ النّساءُ على الرّجالِ

وما التأنيثُ لاسْمِ الشّمسِ عيبٌ ولا التّذكيرُ فَخرٌ للهِلالِ

وقوله في الختام :

رأيتُكَ في الذينَ أرَى مُلُوكاً كأنّكَ مُستَقِيمٌ في مُحالِ

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ منهُمْ فإنّ المِسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

قلت : وعلى ذكر هذين البيتين روى بعض أهل الأدب قصة أُوردها على سبيل النكتة ولا يخلو إيرادها من فائدة . قال أبو الحسن محمد بن أحمد ، المعروف بالشاعر المغربي : كان سيف الدولة يُسَرّ بمن يحفظ شعر المتنبي فأنشدتُه يوماً : رأيتُكَ في الذين أرى ملوكاً ، وكان أبو الطيب حاضراً ، فقلت : هذا البيت والذي يليه لم يُسبَق إليهما . فقال سيف الدولة : كذا حدّثني ثقة أنّ أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت . فأُعجب المتنبي واهتزّ فأردت أن أحرّكه فقلت : إلاّ أن في أحدهما عيباً في الصنعة . فالتفت المتنبي التفات حنق وقال : وما هو ؟ قلت : قولك مستقيم في محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة بل ضدّها الاعوجاج . فقال سيف الدولة : هب القصيدة جيميّة فكيف تعمل في تغيير قافية البيت الثاني ؟ فقلت على الفور : كنت أقول : فان البيض بعض دم الدّجاج . فضحك وقال: حسنٌ مع هذه السرعة . إلاّ أنّه يصلح أن يباع في سوق الطير لا أن يُمدَح به أمثالُنا يا أبا الحسن . انتهى بلفظه .

قلت : وما أدري أهذه الرواية أعجب أم سكوت المتنبي على تغليطه فيما لا غلط فيه وهو يسمع ، ومن الغريب أنّي لم أجد في شرّاح الديوان من تعرّض للفظة المحال في هذا الموضع ولا بيّن اشتقاقها ومأخذها سوى أنّهم يشرحون البيت بما تفيد جملته أن المراد بها الأعوج وهو ما تدلّ عليه القرينة من مراد المتنبي وبقيت اللفظة على ما يتبادر من معناها المشهور وهو الذي ذهب إليه هذا القائل . وقد قلّبت في صحف اللغة فلم أجد ما يستفاد لها منه المعنى المراد بالنص الصريح خلا أنّي رأيت في الأساس إشارةً إلى ذلك من طرفٍ خفيّ، قال: وحال الشيءُ واستحال تغيّر ، وحالت القوس : انقلبت عن حالها التي غُمزت عليها . وأحاله غيرُه . وشيءٌ مستقيم ومحال. اه. تحصيلاً . وعبارة الصحاح في تفسير حالت القوس مثل عبارة الأساس إلاّ أنّه زاد عليها قوله : وحصل فيها اعوجاج ، فصرّح بالاعوجاج هنا . وفي القاموس: والمستحالة والمستحيلة من القسيّ المعوجّة ، وقد حالت ، ففسره بالاعوجاج رأساً ثمّ قال : وكلّ ما تحوّل أو تغيّر

من الاستواء إلى العوج فقد حال واستحال . اه .

وعلى هذا فالمحال اسم مفعول من أحاله وهو تعدية حال على ما صرّح به في الأساس، ولا غبار على بيت المتنبي ، وحسبك فيه مقابلة الزمخشريّ المستقيم بالمحال ، وهو الشاهد الصريح على صحة هذا الاستعمال . وبعيدٌ أن يكون المتنبي جاهلاً لمعنى هذه اللفظة ، وهو قد أنزلها هذا المنزل فضلاً عن أنّه كان ممّن يُشار إليه في معرفة اللغة والاستظهار لغريبها ، حتى ذكروا أن أبا عليّ الفارسي سأله يوماً : كم لنا من الجموع على فِعْلَى ؟ فقال لفوره : حجلى وظربَى ، ونُقل عن أبي عليّ أنّه قال : فطالعتُ كتب اللغة ثلاث ليالٍ على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد . وناهيك بها شهادة من مثله .

ومن تصفّح شعر المتنبي واطّلع على ما له من طول الباع في استخدام ألفاظ اللغة والتصرّف في منقولها واشتقاقها وإيراد كثير من اللفظ الذي لا يُظفَر به إلاّ في متفرّق كتب اللغة ومنثور صحف الأدب ممّا لا يصدر مثله إلاّ عن علم باهر واطّلاعٍ واسع لم يشكّ في أن القصة مصنوعة لمآرب في نفس القائل لا تعدو ما قيل في رواية الحاتميّ المشهورة من أنّه كتبها لغرض لا يخلو من أن يكون تعظيماً لنفسه بأنّه طال على المتنبي على حين آنس في نفوس كبراء الدولة في بغداد من الموجدة على المتنبي وحبّ التشفّي منه ما مهّد له السبيل عليه وزيّن له حسن وقعها بين أيديهم . ومن تدبر الرواية المذكورة بالنظر الصادق وتولاّها بنقد البصيرة شفّت له ألفاظها عن الغرض منها ، ورأى الصنعة تتمثّل له من خلال فقَرها ، وإلاّ فإن المتنبي لم يكن ممّن يُؤخذ مثل المأخذ الذي وصفهُ فيها ، ولا يسقط بين يديه هذا السقوط الذي يرتفع عنه من هو دون المتنبي بداهةً وعلماً . ومن حسناته المشار إليها قوله :

وقفتَ وما في الموْتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأنّك في جفن الرّدى وهوَ نائمُ
تَمرّ بكَ الأبطالُ كلمى هزيمَةً ... ووَجهُكَ وَضّاحٌ وثغرُكَ باسِمُ
تجاوَزْتَ مقدارَ الشّجاعةِ والنُّهى ... إلى قولِ قومٍ أنتَ بالغيبِ عالِمُ

وهذه القصيدة من أعلى شعره ، ومنها :

حقرْتَ الرُّدينيّاتِ حتى طرَحتَها ... وحتى كأنّ السّيفَ للرّمح شاتمُ
ومَن طلبَ الفتحَ الجليلَ فإنّما ... مَفاتيحُهُ البيضُ الخفافُ الصّوارِمُ

ومنها :

تدوسُ بكَ الخيلُ الوكورَ على الذُّرى ... وقد كثُرَتْ حَوْلَ الوُكورِ المَطاعِمُ

تظنّ فراخُ الفُتخِ أنّكَ زُرْتَها ... بأمّاتِها وهيَ العِتاقُ الصّلادِمُ

إذا زَلقتْ مشّيتَها ببطونِها ... كمَا تَتَمَشّى في الصّعيدِ الأراقِمُ

ومن نفائسه المعدودة قوله :

تعوّدَ أن لا تَقضِمَ الحبَّ خَيلُهُ ... إذا الهامُ لم ترْفعْ جنوبَ العلائقِ

ولا تَرِدَ الغدرانَ إلاّ وماؤها ... من الدّمِ كالرّيحانِ فوْقَ الشقائقِ

وقوله :

قادَ الجيادَ إلى الطّعانِ ولم يقُدْ ... إلاّ إلى العاداتِ والأوْطانِ

كلَّ ابنِ سابقةٍ يغيرُ بحُسْنِهِ ... في قلبِ صاحبِهِ على الأحزانِ

إنْ خُلّيَتْ رُبطَتْ بآدابِ الوَغى ... فدُعاؤها يغني عنِ الأرسانِ

في جَحْفَلٍ ستَرَ العُيونَ غبارُهُ ... فكأنّما يُبصِرْنَ بالآذانِ

وقوله :

أينَ البَطاريقُ والحلف الذي حلفوا ... بمفرِقِ المَلْكِ والزّعم الذي زَعَموا

ولّى صَوارِمَهُ إكذابَ قولهمِ ... فهنّ ألسِنَةٌ أفواهُها القِمَمُ

نَواطِقٌ مُخْبِراتٌ في جَماجمهم ... عنهُ بما جهلوا منهُ وما علموا

ومن هذه القصيدة :

صَدَمتهم بخَميسٍ أنتَ غُرّتُهُ ... وسمهريتهُ في وَجهِهِ غَمَمُ

فكانَ أثبَتَ ما فيهِمْ جسومهُمُ ... يَسقطنَ حوْلكَ والأرْواحُ تنهزِمُ

إذا تَوافَقَتِ الضّرْباتُ صاعدةً ... توَافَقَتْ قللٌ في الجوّ تَصطدمُ

وما أصدق قوله في ختام هذه القصيدة يذكر سيف الدولة ونفسه :

لا تَطلبَنّ كَرِيماً بَعدَ رؤيتهِ إنّ الكِرامَ بأسخاهم يداً خُتِموا

ولا تُبالِ بشِعرٍ بعدَ شاعِرِهِ قد أُفسِدَ القَوْلُ حتى أُحمِدَ الصُّمُّ

وهذا القدر من قلائده كافٍ في مقام الاستشهاد ، ولو أردتُ استيفاء ما له من الحسنات والمعجزات لم يكفني ما هو دون المجلدات ، ومن أراد الاستقصاء في ذلك رددته إلى الديوان من غير أن أشير له إلى موضع مخصوص ولا قصيدة بعينها لأن غالب شعره من هذا النسج الأنيق والوشي البديع ، وبما ذُكر ومثله اشتهر المتنبي وارتفع قدرُه وأشير إلى موضعه في كلّ طبقة من الناس ، وهذا هو المحفوظ من شعره الذي سارت به الركبانُ وتناقلته الرواة وعمرتْ به أنديةُ الأدب ورنّ صداه في محافل الخطب ، والذي به صار المتنبي ما تمثّله الأذهان وتسمع به الآذان دون ما سبقت الإشارة إليه من غامض كلامه ومُبهمه وساقطه ومُعجمه . وأنت ترى هذه الأمثلة كلّها على ما فيها من شرف المعاني ودقتها ظاهرة الأغراض ماثلة المراد إلى ما لا يحتمل شبهةً ولا خلافاً ولا يتطرّق إليه استنباط ولا تأويل ، ولو كان شعر المتنبي بأسره من هذا النمط ما احتاج الديوان إلى الزيادة على الشرح الواحد شأن غيره من دواوين أكابر الشعراء .

نقد شعر المتنبي ومعارضته بشعر أبي تمام :

قلت : وهذا في المتنبي من أعجب العجب وما أدري كيف يقع ممّن يأتي بأمثال هذه البدائع الباهرة والروائع الساحرة التي انفرد بها عن مواقف الأشباه وعجزت قرائح المتحدين فيها عن بلوغ مداه أن ينشط بعدها لمثل تلك السفاسف التي لا يُتصوّر في أضعف الشعراء أن تصدر منه ويأنس بتلك الطمطمانية التي لا يرضى مُحدَثٌ ولا جاهليّ أن تُروَى عنه . وكأنّي بالمتنبي مع طول باعه في صناعة الأدب وفضل علمه بمواقع الإساءة والإحسان كان قليل النقد لشعره حريصاً على كلّ ما يبدر من خاطره لا يسمح بشيء منه مع طول قصائده واستقلالها بعد حذف كثير من أبياتها لو اقتصر منها على الجيّد وحده وما كان أجدره ومنزلتُه من الأدب ما هي ولا صنعة له غير الشعر أن يتوفّر على تنقيح ديوانه وينفي منه كلّ بيت لا يطّرد على مكانته ، ولو فعل لساد أمراء الشعر بلا مدافع ، ولم تجد في نقدة الكلام وجهابذة الأدب من يقدّم شاعراً عليه .

على أنّك إذا تفقدت تلك المعجمات من أبياته فأكثر ما تجدها في أوائل شعره حين لم تستحكم

فيه ملكة النظم ولم تطّرد له وجوه التعبير ، وهذا ممّا يدلّك على صحة ما ذكرتُه في صدر هذا الفصل من أن استغلاق معانيه وارد في الأكثر من جهة ضعف التأليف واضطراب العبارة ، لا من جهة غرابة المعاني ودقّتها ، وإلاّ وجب أن يكون في حدثان أمره أدقّ ذهناً وأقدر منه على الاختراع بعد استحكام قريحته وتبحّره في المعاني . بل ربما ركب مثل ذلك عمداً لحينه ذاك إذ المرءُ في أوّل قرعه لباب الشعر والإنشاء ، وتسليمه على محضر الأدب قد يدفع نفسه إلى ما هو وراء موقفها ويكلّف سجيّته ما ليسَ في مطبوعها تأنّقاً في الخطاب وتوخياً لمواقع الإحسان والإعجاب ، وربّما نزع إلى تقيل بعض الكبراء من أهل خطته ومن وقع في نفسه منهم موقعاً جليلاً فيخطو على آثاره ويطبع على غراره تدرجاً إلى مماثلته وتبوّؤ مثل مقامه في الصدور ، وهذا إنّما ينجح حيث يوافق شبهاً من الذوق وميلاً من الطبع فيتلبس بمنتحله حتى يصير مع التكرار ملكة راسخة . وما أحسب المتنبي إلاّ كان في صدر أمره يتوخّى طريقة أبي تمام إعجاباً به واستعظاماً لأمره ، وشهرة أبي تمام يومئذ ملءُ المسامع ، ومنزلته في اللغة والأدب مطمح عيون المطامع ، إلاّ أن المتنبي لم يكن في طبعه من أهل هذا المذهب ، ولا في سجيته قبول هذا المسلك ، لما كان عنده من بداهة الخاطر وحدّة البادرة والبعد عن التكلّف والتعمّل ، ولذلك كان هذا في أوائل شعره وقبل أن تستوثق ملكته وتستقلّ طريقته أكثر وأظهر ، فكان ينحو نحو أبي تمام في الحوم حول موارد الإغراب ، والتنقيب عن الوحشيّ من كَلِم الجاهليّة ، والتورّك على الصّيَغ الشاذّة والتراكيب الجافية ، والتحذلق في أسلوب الخطاب ، حتى كأنّه يدفع في صدر السامع خصوصاً في مطالع القصائد كقوله :

هذهْ برزتِ لنا فهجتِ رَسيسَا ثمّ انثنَيْتِ وما شَفَيْتِ نَسيسَا

وهو بمطالع أبي تمام أشبه منه بمطالع المتنبي . ومن هذه القصيدة قوله :

كشّفتُ جمهرةَ العباد فلم أجدْ إلاّ مَسُوداً جَنْبَهُ مَرْؤُوسَا

وبهِ يُضَنّ عَلى البريّةِ لا بها وعليهِ منها لا عليها يُوسَى

وهذه طريقة أبي تمام بعينها . ومنها :

صدقَ المخبرُ عنك دونكَ وصفُه مَن في العراقِ يراكَ في طرَسُوسَا

بلَدٌ أقَمْتَ بهِ وذكرُكَ سائرٌ يَشنا المَقيلَ ويكرَهُ التّعريسَا

واستعارة المقيل والتعريس هنا فيها نظرٌ إلى قول أبي تمام من قصيدة على هذا الوزن والرويّ :

تلكَ القوافي قد أتيْنَكَ نُزّعاً ... تتَجَشّمُ التّهجيرَ والتّغليسَا

إلاّ أنّ كلاً تناول المعنى من طرف . وما أرى أبا الطيّب إلاّ أراد معارضة أبي تمام في قصيدته هذه ، وأنا موردٌ لك شيئاً من أبياتها لتعتبر بعض القصيدتين ببعض ، ومطلع قصيدة أبي تمام :

أقشيبَ ربعهمِ أراكَ دريسَا ... وقِرَى ضيوفِكَ لوعةً ورَسيسَا

ومنها يقول :

أترَى الفراقَ يظنّ أنّي غافِلٌ ... عنهُ وقد لمستْ يداهُ لميسَا

لميس : اسم امرأة ، وعبّر عن ملابسة الفراق لها بلمس يديه إيّاها طلباً للجناس ، والبيت كلّه مجال نظرٍ لذوي الذوق السليم :

رُؤَدٌ أصابتها النّوَى في خُرّدٍ ... كانتْ بدورَ دُجُنّةٍ وشُموسَا

فكأنّما أهْدَى شقَائِقَهُ إلى ... وجناتهنّ ضُحَّى أبُو قابُوسَا

يريد بأبي قابوس النعمان بن المنذر ، وكان قد حمى أرضاً تنبت فيها الشقائق فنسبت إليه . ومنها :

الآنَ أمْسَتْ للنّفاقِ وأصْبَحَتْ ... عُوراً عيونٌ كنّ قبلكَ شُوسَا

وتركتَ تلكَ الأرْض فصلاً سَجْسجاً ... مِن بعدِ ما كادتْ تكونُ وطيسَا

كذا في النسخة التي عندي ، والظاهر أنّه أراد بالفصل أحد فصول العام . والسجسج : الذي لا حرّ فيه ولا برد . والوطيس : التنّور .

حرْبٌ يكونُ الجيش بعض صَبُوحها ... ويكونُ فضل غَبُوقها الكردوسَا

الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل ، استعار للحرب صبوحاً وغبوقاً ، وجعل الجيش كلّه بعضاً لصبوحها ، يعني أنّها لا تكتفي بالجيش صبوحاً لها ، وجعلها عند الغبوق تكتفي

ببعض الجيش حتى يفضل عنها قطعة عظيمة من الخيل .

غُرْمُ امرِىءٍ من روحه فيها إذا ذو السّلم أغرمَ مطعماً ولَبُوسَا

كم بَيْنَ قوْمٍ إنّما نَفقاتهمْ مالٌ وقوْمٍ ينفقُونَ نُفُوسَا

من بعدِ ما صارتْ هُنَيدةُ صِرْمةً والبدرَةُ النّجلاءُ صارتْ كيسَا

هُنيدة : اسم للمئة من الإبل هنا . والصرمة : نحو الثلاثين منها .

اسقِ الرّعيّةَ من بشاشتكَ التي لوْ أنّها ماءٌ لكانَ مَسُوسَا

إنّ الطّلاقَةَ والنّدَى خيرٌ لهمْ من عِفّةٍ جمسَتْ عليكَ جُموسَا

المسوس من الماء : الذي بين العذب والملح . وجمست : بمعنى جمدت . وأكثر أبيات القصيدة من هذا الأسلوب ، وهي طريقة أبي تمام في سائر شعره لا يكاد يتخلّف عنها إلاّ إذا دفعته حدّةٌ أو أعجلَهُ داعٍ عن تخير القوالب اللفظيّة ، وربّما جاء شعره في مثل هذه الحال أسلس وأطبع .

ومن أمثلة شعر أبي الطيب المشار إليها قوله :

جَلَلاً كَما بي فليَكُ التّبريحُ أغِذاءُ ذا الرّشإِ الأغَنّ الشيحُ

وانظر أي مناسبة بين هذين المصراعين وأين موضعهما من بداهة الشاعر . ومن هذه القصيدة قوله :

وفَشتْ سرائرُنا إلَيكَ وشفّنا تَعريضُنا فبدا لكَ التّصريحُ

لما تَقَطّعتِ الحُمولُ تَقطّعتْ نَفسي أسًى وكأنّهنّ طلوحُ

وقوله يذكر نياقه :

ومتى وَنَتْ وَأبُو المُظَفّرِ أمُّها فأتاحَ لي ولهَا الحِمامَ متيحُ

شِمنا وما حُجبَ السماءُ بروقَهُ وحرًى يجودُ وما مرته الرّيحُ

ومن ذلك قوله :

ملثّ القطر أعطشَها ربوعا   وإلاّ فاسقِها السمّ النّقيعا

وهو من قول أبي تمام :

دارٌ سقَاها بعد سكّانِهـا   صرْفُ النّوى من سمّهِ النّاقعِ

وهذا السمّ شفاءٌ عند قوله من هذه القصيدة :

قبولك منّةٌ منٌّ علَيـهِ   وإنْ لا يَبتَدِىء يرَهُ فَظيعا
فحِدْ في مُلتَقَى الخيلَينِ عنه   وإن كنتَ الخبعثنةَ الشّجيعا
إنِ استجرَأتَ ترْمقُهُ بَعيداً   فأنتَ اسطعتَ شَيئاً ما استُطيعا
وإنْ مارَيتَني فاركبْ حصاناً   ومثّلهُ تَخرّ لهُ صَريعا

ومن تلك الأمثلة قوله :

لجنّيّةٍ أمْ غادةٍ رُفعَ السّجفُ   لوحشيّةٍ لا ما لوحشيّةٍ شنفُ

وهذا البيت لو سمعته الوحشية لنفرت منه . ومن هذه القصيدة قوله :

وقوفين في وقفين شكرٍ ونائِلٍ   فنائلُهُ وقفٌ وشكرُهمُ وقفُ
ولما فقدنا مثلَهُ دامَ كشفُنا   عليهِ فدامَ الفقدُ وانكشفَ الكشفُ

وقوله :

ولا الفِضّةُ البَيضاءُ والتّبرُ واحداً   نفوعانِ للمكدي وبينَهما صرفُ
ولستَ بدونٍ يُرْتجَى الغيثُ دونَه   ولا مُنتهى الجُود الذي خلفه خلفُ

على أنّ ما صحّ أنّه منتهى شيء لم يكن خلفه خلفٌ ، وهذا من التحذلق الذي ما بعده بعد ، وجعلُهُ من يرتجَى الغيثُ دونَه دوناً من المعاني التي غفل عنها غيرُه ، وإنّما أوقعَهُ في هذا وذاك طلبُه للصنعة اللفظيّة على ما درج عليه في كثيرٍ من أبيات هذه القصيدة اقتداءً بأبي تمام أيضاً ، وهي إحدى الخصال التي تتبعها في أوائل أمره ، ولكنّه لم تطل صحبته لها حتى هجرها . وقال بعده :

ولا واحداً في ذا الورى من جماعةٍ ولا البعضَ من كلٍّ ولكنّكَ الضِّعفُ

ثمّ ما رضي بهذا حتى قال ، وهو الطامّة الكبرى :

ولا الضِّعفَ حتى يتبع الضِّعفَ ضِعفُـهُ ولا ضِعفَ ضِعفِ الضِّعفِ بل مثلَهُ ألفُ

وما أدري ألفظ هذا البيت أعجبه أم معناه . ثمّ قال ، وفيه عودٌ على ذلك البدء :

أقاضيَنا هذا الذي أنتَ أهلُـهُ غلطتُ ولا الثلثانِ هذا ولا النِّصْفُ

وما أحسن قوله في الختام ، وهو بيت القصيد :

وذنبيَ تقصيري وما جئتُ مادِحاً بذنبي ولكن جئتُ أسألُ أن تعفُو

على أن كلّ واحدةٍ من هذه القصائد لا تخلو عن أبيات قد نكّب بها عن هذا المذهب فجاءت غايةً في السهولة والانسجام ، وهي من مطبوع شعره الذي لا يلمّ به تعمّلٌ ولا تقيّل وبها يُستدلّ على سجيّة المتنبي إذ ذاك وفصاحة لهجته وما رُكّب في طبعه من السلاسة وقوّة البادرة والنزاهة عن التكلّف ، بل ربّما رأيت له في خلال هذا الموضع قصائد قد خلت برمّتها عن مثل تلك الشوائب ، كالقصيدة التي أوّلها : ضيفٌ ألمّ برأسي غير محتشم ، فإنّها من جودة السبك وحسن اختيار الألفاظ والتراكيب بموضع لا ينحط بها عن طبقة الجيّد من شعره وما أحسبها جاءت كذلك إلاّ لأنّه قصرها على أغراض نفسه ولم يخاطب بها أحداً من الممدوحين ، فلم يدخل ثـمّة بين قلبه ولسانه ما يدعو إلى التصنّع وإبراز المعاني في غير قوالبها التي تصوغها القريحةُ وتسوق إليها البديهةُ . وكالمرثية التي أوّلها : إنّي لأعلمُ واللّبيبُ خبير ، فإنّها أشبه بالقصيدة المقدّم ذكرها ، لأنّ مقام الرثاء أبعد عن مواطن التصنّع والتأنّق لما أنّه مقامٌ تخشعُ فيه حركاتُ النّفس ولا يبقى في الخاطر فضلةٌ عن الإصغاء لمناجاة القلب فيأتي الكلام سَلِساً منقاداً لصدوره عن وحي القريحة وتلقين الطبع بعيداً عن الارتباك والتعقيد الناشئين عن شدّة التبحر وإعنات الذهن ، كما قال :

أبلغُ ما يُطْلَبُ النّجاحُ بهِ الـ طّبْعُ وعندَ التّعَمّقِ الزّلَلُ

ومن تفقّد أوائل ديوانه رآها كذلك ألواناً تبعاً لمقامات الكلام ومراتب المخاطبين ، وكلّما

أمعن فيما وراء ذلك وجد هذا التلوّن فيه أخفى آثاراً وأقلّ عروضاً إلى أن استقلّت طريقه وأقلع عن موقف التقليد ، إلاّ أنّه لم يزل في ملكته شيء من ذلك القديم أشبه بعداد السليم يعاوده حيث يحتفل ويقصد الإغراب والمبالغة في الإحسان فيأتي كلامه معقداً بادي التكلف . ولهذا ترى شعره في أبي العشائر مثلاً أسهل أسلوباً وأظهر أغراضاً من بعض شعره في سيف الدولة ، مع أنّه ، ولا شكّ ، كان أيّام اتصاله بسيف الدولة أغزر مادة وأقدر على التصرّف بأزمّة الكلام ، وانظر إلى قصيدته في أبي العشائر التي أوّلها : أتراها لكثرة العشاق ، وقابلها مع شعره في سيف الدولة بالقصيدة التي أوّلها : رويدك أيّها الملك الجليلُ ، مع تداني العهد بين القصيدتين ، ثمّ انظر إلى قوله فيه : أيدري ما أرابك من يريبُ . وقوله : القلب أعلم يا عذول بدائه . وقوله في رثاء تغلب ابن حمدان : ما سدكت علّةٌ بمورودِ . وقابل هذه كلّها بقوله : أنا لائمي إن كنت وقت اللوائم ، وهي قبل شعره في أبي العشائر ، وإن شئت فتجاوزها إلى ما قبل ذلك وقابلها بقوله : لقد حازني وجدٌ بمن حازه بعدُ ، وأختها وقوله : أطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ ، وقوله : قد علّم البين منّا البين أجفانا ؛ إلى ما في طبقة هذه القصائد ممّا نظمه قبل ذلك بزمنٍ طويل فإنّك ولا جرَم ترى هذه أفصح نظماً وأحسن ديباجةً وأبدى اغراضاً على دقّةٍ في المعاني وابتكارٍ قد لا تجدهما في تلك . وذلك أنّه عند اتّصاله بسيف الدولة وقف منه بباب حافلٍ بالشعراء والعلماء ، على ما هو مشهور من حال سيف الدولة ورغبته في الأدب ، حتى يقال : إنّه اجتمع ببابه منهم ما لم يجتمع بباب أحدٍ من الملوك بعد الخلفاء ، وكان سيف الدولة نفسه من الشعراء المجيدين ، وكان يتصدّى للاقتراح على المتنبي والنقد عليه أحياناً بما ذكرنا بعضاً منه في هذا الشرح ، وكذلك كان أكثر بني حمدان ، وقد ذكر منهم الثعالبي عدّة وافرة أورد لهم شعراً فائقاً ، وفي جملتهم أبو فراس ، وهو في بعض شعره أشعر من المتنبي ، وكان المتنبي يتحاماه ويتحرّز من نقده ، وقد نقلنا في الشرح عند رواية قصيدته التي أوّلها : واحرّ قلباه ، ما كان من مناقشة أبي فراس له ، ولذلك لم يكن للمتنبي بدّ من حشد القريحة في مدائح سيف الدولة والإكثار من التحرّي والتنطّس في ألفاظه ومعانيه والإمعان في الاحتفال إلى ما وراء طبعه حتى تنقلب قريحتُه صنعةً ، وبادرته تكلّفاً .

ثمّ إذا انتقلت إلى شعره في كافور وجدته قد عاد إلى السهولة والرشاقة فأشبه شعره في أبي العشائر ومن قبله . وشعره في ابن العميد متأخرٌ عن شعره في كافور لكنّه أشبه بشعره في سيف

الدولة لأن ابنَ العميد كان من مشاهير علماء الأدب وأمراء النقد ، وله على المتنبي مآخذ ذكرنا ما تيسّر منها في محلّه .

أمّا شعره في عضد الدولة فأنزل رتبةً من ذلك كلّه لأنّه كان يرسل الكلام فيه من فضل القريحة لقلّة المزاحمين والنقّاد ، فلم يكن يتوخّى الاحتفال ولا الاختراع إلاّ ما ساقته القريحة عفواً ، لكنه لما نظم فيه أرجوزته التي أوّلها : ما أجدر الأيّام والليالي ، عاد إلى دأبه الأوّل من الإغراب والتكلّف ، لأنّه كان في أراجيزه يقصد محاكاة البدَويات ، ولذلك ترى كلّ ما له من هذا النوع معقّداً جافي اللفظ والتركيب لا يشبه سائر شعره ولا عليه شيء من طلاوته وانسجامه .

على أنّي لا أقول إنّ كلّ ما استعجم من شعر المتنبي وخفي سرّهُ يكون سبيله ما ذُكر ، بل إذا تصفّحتَ شعر كلّ شاعر لم تستغنِ في بعضه عن قدح زِناد الرّويّة وإعمال النظر في استبانة المقصود منه ، لاستعارةٍ غامضة في البيت ، أو كناية بعيدة ، أو إيجازٍ لا يصرّح معه بتمام القالب اللفظيّ ، أو إشارةٍ إلى المراد من طرفٍ خفيّ . على أن أغراض الشعر في الغالب تكون أخفى من أغراض النثر وأبعد تناولاً لانتزاع الكثير منها من الصّوَر الخيالية والتماثيل الوهميّة ، ولكثرة ما يعرض فيه من المجاز على تفاوت مسافته من الحقيقة ، فضلاً عمّا للشعر من المقامات الحَرِجة التي تضطرّ الشاعر تارةً إلى إحالة الكلام عن وجهه لنزوله به على حكم الوزن والقافية . ومعلومٌ ما كان للمتنبي من سَعَة التصرّف في المعاني والاقتدار على الإبداع والتبسط في جميع أساليب الشعر وفنونه ، والإحاطة بأغراض الحديث وشجونه ، بحيث إنّه قلّما وقعت واقعةٌ إلاّ ذكرتَ للمتنبي بيتاً تتمثّل به فيها ، حتى كأنّه كان ينطق بألسنة الحِدثان ، ويتكلّم بخاطر كلّ إنسان ، ويخطب في كلّ شان ، فلم يكن من العجيب مع كثرة معانيه وازدحامها في خاطره ، ومع تبحّره في اللغة وطول باعه في أساليب المجاز ، أن يقع في بعض كلامه إبهامٌ لا يظهر معه المقصود ، إلاّ أنّه ربّما أغرب في ذلك بأن يوغل في طرق المجاز حتى يفوتَ السامعَ غرضُهُ أو يتّفقَ له المعنى الكبير يحاول إدماجه في اللفظ اليسير ، فيبالغ في الإيجاز ويضيّق اللفظ على المعنى حتى لا يبقى للنظر إليه مجاز ، ولا للفكر فيه مجال .

اضطراب الشراح في تفسير بعض أبيات المتنبي :

فإذا انتهى الشارح إلى مثل ذلك لم يتأتّ له فهم المعنى وتمثيله إلاّ بالتأويل والتبديل والزيادة على لفظ البيت ، وربّما اضطرّ إلى الزيادة على المعنى أيضاً بما يتمّم صورته ويسدّ خصاصه ، وناهيك ما هناك من سعة وجوه الاحتمال وضيق مسافة الإشكال ممّا تحار عنده بصائر النقّاد ، ولا يُقطع في جنبه بمراد ، ولعلّ هذا هو المقصود في قول من ينسب خفاء معانيه إلى الدقة والابتكار ، لكنّك إذا تحقّقت وجدتَ ذلك كلّه غير خارج عمّا سبق الكلام عليه من الإبهام في صُوَر التعبير ووقوع اللفظ من دون مرمى المعنى ، وأنا أورد لك من أمثلته ما يكون مصداقاً على هذا القول مع الإيماء إلى مواضع الإشكال منه ، وذكر أشهر ما قيل فيه ، وذلك كقوله :

لا الحُلمُ جادَ بهِ ولا بمِثالِهِ   لوْلا ادّكارُ وداعه وزيالِهِ

فإن صدر هذا البيت بعيد التأويل إلى ما يقيم سدّاً بينه وبين المعقول ولا يستقيم له على ظاهره معنى صحيح ، حتى إنّ من الشرّاح من صرّح بتغليطه فيه فقال : جود الحلم بالحبيب جوده بمثاله ، وجعل أبو الطيّب ذلك شيئين ظنّاً منه أنّه يرى الحبيب في النوم ويرى خياله ، إلى آخر ما ذكره ، وما أحسب المتنبي أراد شيئاً من هذا ، ولا يصدق على مثله أن يتوهم أنّه إذا رأى أحداً في النوم رأى شخصه بعينه ، مع أن الطفل والعجوز يعلمان أن كلّ ما يُرَى في الحلم خيال . وبقي الإشكال في تفريقه بين الحبيب ومثاله في الرؤيا وجعله لكلٍّ منهما رؤيةً بحالها ، وهذا مما ينفي ما تقدّم ذكره ، وحينئذٍ فلا بدّ من العدول إلى ما وراء ظاهر اللفظ وتقدير ما يصحّ به المعنى ، وما أرى أبا الطيّب إلاّ نوى أمام كلٍّ من ضمير الحبيب ومثاله مضافاً محذوفاً أي لا الحلم جاد بخياله ولا بخيال مثاله ، وأراد بالمثال الذي يُرَى في الوهم لا الذي يُرَى في الحلم ، كما يتبيّن من البيت الذي بعده ، وهو قولُه :

إنّ المُعيدَ لنا المَنامُ خيالَهُ   كانت إعادتُهُ خيالَ خيالِهِ

وعليه فأحسن ما يفسّر به هذا البيت : إن الحلم لم يَجُد بخيال الحبيب ، أي بخيال شخصه الذي رأته العيون عند الوداع ، ولا بخيال مثاله الذي بقي متوهَّماً بعد الزيال ، لولا استدامة ذكر هذين ، وكأنّ هذا نوعٌ من اللّفّ والنشر . وكقوله من هذه القصيدة :

فلمِثلِهِ جمعَ العرَمرَمُ نفسَهُ   وبمثلِهِ انفصَمَتْ عُرَى أقتالِهِ

ومعنى الشطر الأوّل من هذا البيت غامض لا يظهر إلاّ بتأمّلٍ مليّ وقد اختلف الشرّاح فيه ، ولم أجد من كشف عن كنه الغرض منه . قال بعضهم : اللام هنا بمعنى من ، والمراد بالعرمرم جيش الممدوح ، أي انّه هو يجمع الجيش فيكون اجتماعه منه ، وهو على ما تراه . وقال غيرُه : اللام على معناها ، والمراد بالعرمرم جيش العدو ، أي أنّه إنّما يجتمع له لأنّهُ يسبيه ويغنمه ، فكأنّه جمع نفسه له . وهو على قربه من مفاد اللفظ لا يحسن في جملة البيت لتوارد الشطرين حينئذٍ على معنى واحد من غير زيادة ولا نكتةٍ سوى اختلاف اللفظ وفي ذلك من الضعف ما لا يركبه مثل المتنبي ولا تكاد تجدُهُ في شيء من شعره . وإنّما يستقيم الخروج من هذا والإظهار عن المعنى الفحلي بأن يُجعل الكلام على تقدير مضاف محذوف ، أي فلقتال مثله مثلاً ، وحينئذ يتعيّن كون الجيش جيش العدوّ ، ويكون المعنى أن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفعِ بأسه ولكن مثلهُ من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغني أمامه شيئاً . وكقوله :

فوَدّعَ قتلاهم وشيّعَ فلَّهم   بضربٍ حزونُ البَيض فيهِ سهولُ

استعار للبَيض ، أي الخُوَذ التي تُلبَس على الرأس ، حزوناً وسهولاً ، وهي استعارةٌ غريبةٌ خفيّة الجامع ، وقد رأيت في تفسير هذا الموضع ما لفظه أن ذلك الضرب لا تدفعه البَيض عن الرأس ، وكأنّ الحَزن منها سهلٌ لذلك الضرب . اهـ. ولم أجد من زاد على هذا ، وغاية ما يستفاد منه أن البيض التي يصعب قطعها بالسيوف عادة حتى تكون بالنسبة إليها كالحزن بالنسبة إلى السالك يسهل قطعها بذلك الضرب لشدّته فتصير له بمنزلة السهل الذي لا يشقّ سلوكه ، وإنّما هو صنيع من أخذ بالأقرب وذهب إلى المتبادر من لازم اللفظ ، وما أُراه إلاّ بعيداً عن مراد المتنبي على ما فيه من التكلف . وأظهر من هذا ما ذكرناه في محلّه ، وهو انّه أراد تشبيه البَيض أنفسها بالحَزْن ، وهو المرتفع من الأرض ، من باب إضافة المشبّه به إلى المشبّه ، ووجه الشبه الهيئة الظاهرة ، وان ذلك الضرب يبريها فيعود موضعها مستوياً كالسهل . وكقوله من هذه القصيدة :

إذا كانَ بعضُ النّاسِ سيفاً لدولةٍ   ففي النّاسِ بوقاتٌ لها وطبُولُ

واستعارة البوقات والطبول هنا ، ولا أدفع قول من يستهجنها في هذا المقام ، من أغرب

الاستعارات وأبعدها وجهاً ، ولم أرَ في شرّاح الديوان من تكلّم في الكشف عنها بما يرفع هذا البيت عن طبقة السفساف ويلحقه بسائر معاني المتنبي . قال الواحدي : أي إذا كنت سيفاً للدولة فغيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل ، أي لا يغنون غناءك . قال : هذا هو الظاهر من معنى البيت ، وقال أبو الفضل العروضي : أراد بالبوق والطبل الشعراء الذين يشيعون ذكره ، إلى آخر ما قاله ، وفيه من الاستكراه ما لا يخفى ، والظاهر أن القول ما قال الواحدي ، لكنّه لا يزال في حاجةٍ إلى بيان وجه الشبه في تشبيه غيره من الملوك بالبوق والطبل ، وما أحقّ هذا الوجه أن يكون ما ذكرناه في موضعه ، وهو أنّه لما جعله سيفاً للدولة يتولى الذود عنها بنفسه جعل غيره من الملوك بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلاّ جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تُجمَع بصوت البوق والطبل . وقريبٌ من هذا البيت قوله يذكر الدنيا :

مَن رآها بعَيْنِها شاقَهُ القُطّا ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ نُ فيها كَما تَشوقُ الحمولُ

فإن المتبادر من لفظ البيت أنّه جعل للدنيا عيناً ترى بها ، وهو غريب في بادي الرأي ، ولذلك عدل الشرّاح عنه إلى التأويل وتمحّلوا في سائر ألفاظ البيت تمحُّلاً بعيداً حتى جاوزوا حدود الاستنباط وصار التفسير في حدّ الاختراع . وغاية ما رأيت فيه أن من نظر إلى الدنيا بالعين التي ينبغي أن يُنظَر إليها بها رقّ للباقين رقّته للماضين الفانين وكنى عن الرقة بالشوق لأن الشوق ترقيق القلب،والحمول المرتحلون، وكأنّه أراد ذوو الحمول فحذف المضاف . انتهى.

وفي كلّ ذلك تكلّف لا يخفى وقد صار أكثر ألفاظ البيت مجازاً ، وجاء المعنى كلّه مصنوعاً حتى لا يُمكن أن يُفهَم من البيت إلاّ بعد درس وحفظ . والذي أراه أن المتنبي ما أراد من لفظ عينِها إلاّ الظاهر على تنزيل الدنيا منزلة المُبصِر ، فجعل لها عيناً كما جعل لليل رؤيةً في قوله :

ألم يرَ هذا اللّيل عينيكِ رُؤيتي ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ فتَظهرَ فيـهِ رقّةٌ ونحولُ

وحينئذٍ تتحلّل مشاكل هذا البيت كلّها ولا يُحتاج فيه بعد هذا المجاز إلى غيره ، ويكون المعنى : أن من نزّل نفسه منزلة الدنيا ورأى أهلها كما تراهم هي يرحلون قرنٌ بعد قرن شاقهُ النظر إلى القاطنين فيها من الأحياء كما يشوق الخليط النظر إلى حمول الراحلين لعلمه بأن كلّ قاطنٍ على أُهبة الارتحال . ومن ذلك قوله :

يُشتاقُ من يَدهِ إلى سَبَلٍ   شوقاً إليهِ ينبتُ الأسَلُ

وهو من مغلقات أبيات المتنبي التي وكّل بفتحها مقاليدَ القَدَر لما ركب فيه من الإبهام في استعمال اللفظ والإبعاد في مرمى المجاز إلى ما تضلّ معه أدلّة الأفهام ، وتنبو من دونه أشعة الأوهام ، حتى إنّ الواحدي ، رحمه الله ، غلّطه فيه فذكر في الكلام عليه ما نصّه ُ السبل المطر ويريد به العطاء ههنا ، يقول : الناس يشتاقون إلى عطاء يده والرماح تنبت شوقاً إلى أن تباشر يده ، أي ليطعن بها ويستعملها في الحرب ، وتقدير اللفظ ، ينبت الأسل شوقاً إليه ، أي إلى الممدوح ، ولكنّه قَدَّمَ وأخّرَ ، والبيت مختلّ النظم . اه . فاحتاج إلى ما ترى من التأويل والزيادة . وجاء المعنى بعد هذا كلّه ضعيفاً متكلّفاً منقطع اللحمة بين الشطرين حتى كأنّ كلاًّ منهما من واد . وإنّما أدّى إلى هذا الاضطراب سبق وهم الشارح إلى تخصيص السبل بالعطاء فرد الضمير من قوله إليه على الممدوح وأوّله بما رأيت لأنّه لم يتّجه له اشتياق الأسل إلى العطاء ، وبذلك ضاعت صورة المعنى وذهب ما فيه من التناسب . على أن ما ذكره من التقديم والتأخير لا يترتب عليه اختلالٌ في النظم لأنّه غير خارج عن الجائز في القواعد المستفيض في الاستعمال ، وإنّما الاختلال على هذا التفسير وارد من جهة مجيء كلٍّ من الشطرين مقتضباً عن صاحبه ، وهو من الاختلال المعنويّ لا التركيبيّ . ومهما يكن من هذا فليس المعنى على ما ذكر ، وإنّما أراد المتنبي بالسبل مطر العطاء ومطر الدماء على حدّ قوله وقد فصد الطبيب ممدوحه ، يذكر يد الممدوح ويخاطب الطبيب :

إرثِ لها إنّها بما مَلَكَتْ   وبالذي قد أسلتَ تَنهَمِلُ

وقريبٌ من هذا قوله أيضاً :

ملكٌ سنانُ قناتِه وبَنانه   يَتباريَانِ دَماً وعُرْفاً ساكبا

والضمير من قوله إليه عائدٌ على السبل نفسه ، وأراد بلفظه المعنى الأوّل ، وهو مطر العطاء ، وبضميره المعنى الثاني وهو مطر الدماء على طريق الاستخدام ، والمعنى أن الناس يشتاقون إلى عطاء يده ، والأسل ينبت شوقاً إلى ما تسقيه يده من الدماء .

على أن المتنبي كان كثيراً ما يشير إلى مراده بإشارة لطيفة ويدلّ عليه بقرينةٍ خفيّةٍ إذا لم يتنبه لها السامع ذهب المعنى عليه وجهد نفسه في تحصيله على غير جدوى . وأريد بخفاء القرينة هنا

أن تكون غير مصرّح بها في البيت بأن يكون المعنى مترتباً على شيء قبله أو مُوطّناً به لشيء بعده فلا يُتناوَل المُراد منه إلاّ بعد النظر فيما يتصل به من ذلك لأن منزلة الأبيات من القصيدة كمنزلة الكلمات من البيت ، فكما أنّه لا يُفهَم معنى البيت إلاّ بعد النظر في مفرداته وعلاقة بعضها ببعض لا تفهم القصيدة إلاّ بعد النظر في نسبة الأبيات وما بينها من الصلة المعنويّة . وهذا من المواضع التي سقط فيها كثيرون من الشرّاح حتى الحذّاق منهم ، فإنّهم كثيراً ما يعرض لهم البيت من مثل ذلك فيدخلون على المعنى من غير بابه ويأتون من غير وجهه فربّما أحالوه عن قصد الشاعر وربّما أفسدوا المعنى عليه جملة ، وذلك نحو قوله :

وما قَرُبَتْ أشباهُ قَوْمٍ أباعِدٍ ولا بَعُدَتْ أشباهُ قَوْمٍ أقارِبِ

قال الواحدي : لم أجد في هذا البيت بياناً شافياً وتفسيراً مقنعاً ، وكلّ تفسير لا يوافقه لفظ البيت لم يكن تفسيراً للبيت ، والذي يصحّ في تفسيره أنّه يقول : الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصّل القرب في النسب ، والأشباه من الأقارب لا يبعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضاً ، فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم : بينهما شبهٌ ، فمعنى البيت لا يقرب شبه قوم أباعد ، أي لا يتقاربون في الشبه ، ولا يبعد شبه قوم أقارب ، أي أنّهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه . انتهى كلامه . وهذا أيضاً ليس من البيان الشافي ، وقد ذهب وهمه في التفسيرين إلى أن المراد بالشبه في كلّ من الأباعد والأقارب أن يشبه بعضهم بعضاً ، وليس هذا من غرضه في شيء كما سأبينه ، إنّما أراد شبه غيرهم بهم ، والأشباه هنا جمع الشبه بمعنى الشبيه ، وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب ، والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد ، وهذا مبنيّ على ما ذكره في البيت السابق ، وهو قوله :

إذا لم تكن نَفْسُ النّسيبِ كأصلِهِ فماذا الذي تُغْني كِرامُ المناصِبِ

يقول : إنّ فضيلة النسب إنّما تتمّ بمشابهة الفرع للأصل الذي انتسب إليه ، فإن لم يكن النسيب مشاكلاً لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصول كريمة ، يعني أن مجرّد الانتساب لا يكفي في صحة دعوى النسب حتى تشهد له المشابهة في الأخلاق والصفات . ثمّ قرّر ذلك في البيت التالي فذكر أن من أشبه قوماً أباعد عن الأصل الذي ينتسب إليه فليس بقريب من ذلك

الأصل ، وكذلك من أشبه قوماً أقارب من ذلك الأصل فليس ببعيد عنه ، وفي مراجعة هذا الموضع في الديوان زيادة بيان لهذا المراد . وكقوله :

تهبّ في ظهرها كتائبه هبوبَ أرواحِها المَراويدِ

وذُكر في تفسيره أنّه يصف كتائب سيف الدولة بسرعة المضيّ فشبّهها بالرياح ، يريد ان جيوشه غير وانية ولا مسترخية . اهـ . وهو غير المراد لأنّه يقول قبل هذا البيت :

لا ينقصُ الهالكونَ من عددٍ منهُ عليٌّ مضيّقُ البيدِ

ثمّ فسّر قوله مضيّق البيد يريد كثرة جيشه وكثافته ، والجيش العظيم يوصف بالثقل والدرجان ، لا بالخفة والسرعة ، ولا سيما أن المقام مقام مبالغة في كثرة جيوش سيف الدولة حتى لا ينقصها من يهلك منها ، وإنّما شبههم بالرياح في الانتشار حتى عموا البيد كما تعمها الرياح عند هبوبها ، والبيت على حدّ قوله :

إذا سارَ في مَهمَهٍ عمَّهُ وإنْ سارَ في جَبَلٍ طالَهُ

وكقوله :

وما كلّ وجهٍ أبيضٍ بمُباركٍ ولا كلّ جفنٍ ضَيّقٍ بنَجيبِ

والبيت من مرثية ليماك عبد سيف الدولة ، وقد رأيت في تفسيره ما لفظه يشير إلى أنّه كان جامعاً بين اليُمن والنجابة ، والغلام قد ينجب ولا يكون مباركاً . اهـ. وهو غير ما تفيدُه صورة البيت وإن كان في جملة المتحصل منه جمع هاتين الصفتين في المرثي . وقوله : والغلام قد ينجب ولا يكون مباركاً ، لا إشارة إليه في البيت ولا يُتناول من فحواه ، ولكن هذا مفرّعٌ على ما ذكره قبل ذلك بقوله :

لأبقى يماكٌ في حَشايَ صبابةً إلى كلّ تركيّ النِّجارِ جَليبِ

يذكر أنّه أحبّ لأجله الترك لأنّه كان منهم ، والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون ، وهذا ما أشار إليه في البيت التالي ، يعني أنّه ليس كلّ تركيٍّ مباركاً ولا كلّ تركيٍّ نجيباً كالمرثي ، وهذا كالاستدراك على البيت السابق ، يريد أنّه يحبّهم لأنّهم يشبهونه في الصورة

وإن لم يُشبهوه في اليُمن والنجابة . وكقوله :

وإنّ رحيلاً واحداً حالَ بَينَنا ‍ ‍ ‍ ‍ وفي الموْتِ من بعدِ الرّحيلِ رَحيلُ

قال الواحدي : يقول ارتحالكم عنّا أو ارتحالنا عنكم حال بيننا لأنّنا افترقنا وفي الموت الذي يحصل بالفراق رحيلٌ آخر ، يريد أنّه لا يعيش بعدهم . اه . وهو تفسيرٌ للبيت بظاهر لفظه ، إلاّ أنّه غير المراد بل هو مناقضٌ له لأنّه يقول قبل هذا البيت :

وما عشتُ من بعدِ الأحبةِ سلوَةً ‍ ‍ ‍ ‍ ولكنّني للنائباتِ حَمُولُ

فأثبت هنا أنّه عاش بعدهم ، وهو نفس المعنى الذي بنى عليه البيت الثاني ، كأنّه يعتذر إليهم من بقائه بعدهم ، يقول : إن ارتحالهم عنه ارتحالٌ واحد ، فإذا مات من وجده بهم حدث له عنهم ارتحالٌ آخر . وقول الواحديّ : ارتحالكم عنّا أو ارتحالنا عنكم ،قد عيّن الشاعر أحد الارتحالين بقوله : ليالِيّ بعد الظاعنين شكولُ ، فلا موضع لهذا الشكّ . ومن هذا القبيل قوله :

يدقّ على الأفكار ما أنت فاعلٌ ‍ ‍ ‍ ‍ فيُترَكُ ما يخفى ويُؤخَذُ ما بَدا

وفي هذا البيت سرّ يدقّ على الأفكار لم أرَ في الشرّاح من أومأ إليه أو تنبّه له،فذكر بعضهم في معناه أن المقتدين بسيف الدولة في المكارم يأخذون ما ظهر منه ويتركون ما خفي. وقال غيره: إن ما يبتدعه من المكارم يخفى على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها ، إلى آخر ما قال ، وكلاهما غير المراد ولا ذكر في هذا البيت للمكارم ولا فيما قبله ولا بدّ لاستخراج الغرض في هذا البيت من مراجعة ما سبقه من الأبيات إلى قوله : فيا عجبا من دائلٍ أنت سيفه ، وفي هذه الفاء ما يربط هذا البيت بالبيت الذي قبله أيضاً ، وفي جميع ذلك تعريضٌ لا يخفى على المتأمل ، ولا أحبّ أن أزيد في البيان على هذا فأترك باقي ما في هذا الموضع للبصير ، وقد أشرتُ إليه بعض الإشارة في محلّه . ومن ذلك قوله :

ولا ليلٌ أجَنّ ولا نهارٌ ‍ ‍ ‍ ‍ ولا خيلٌ حملنَ ولا رِكابُ

وهو من قصيدة يذكر فيها إيقاع سيف الدولة ببني كلاب ، وقبله يقول :

ولو غير الأميرِ غزَا كلاباً ‍ ‍ ‍ ‍ ثناهُ عن شموسهمِ ضبابُ

ولكن ربّهم أسرَى إليهم فما نفعَ الوقوفُ ولا الذهابُ

وقد وهم الشرّاح في هذا البيت ففسّروه بما معناه أنّه لم يستّرهم عنه ليلٌ ولا نهار ولا حملتهم خيلٌ ولا إبل على جعل اجنّ وحملن خبرين عن المرفوعين قبلهما ، وفيه بعدٌ لا يخفى لأن النهار لا يستر ، ولا سيما أنّه يقول قبله : ولا ليلٌ أجنّ ، فإذا كان اللّيل لم يسترهم فكيف يسترهم النهار ! وتفسير الشطر الثاني بما ذُكر لا يظهر له وجه لأن الخيل والإبل تحمل أبداً ، وقد تكلّف بعضهم تصحيحه بأن جعله من قبيل قوله : تخاذلت الجماجم والرقاب ، والفرق بين الموضعين ظاهر . ويغني عن هذا التعسّف كلّه جعل المرفوعات في البيت معطوفة على الوقوف في البيت السابق ، أي ولم ينفعهم ليلٌ يسترهم ولا نهار يقاتلون فيه ولا خيلٌ وإبل تحملهم للهرب ، وحينئذٍ فالفعلان وصفٌ لما قبلهما ومضمونهما مُثبَتٌ لا منفيّ . وقوله :

خِطْبَةٌ للحِمامِ ليسَ لها رَدٌّ وإن كانَتِ المُسمّاةُ ثُكلا

وهو من مرثية في أخت سيف الدولة ، ولم أجد من كشف عن هذا المعنى ولا تنبّه لمراد المتنبي من تسمية الموت بالخطبة في هذا البيت . قال الواحدي : يريد أن الموت يجري مجرى الخطبة من الحمام للميت وإن كانت تلك الخطبة تسمّى ثكلاً . اه . فجعله خطبةً لكلّ ميت ، مع أن المتنبي يقول بعد هذا البيت :

وإذا لم تَجد من النّاس كُفْؤاً ذاتُ خِدْرٍ أرادتِ الموتَ بعلا

فذكر البيت السابق كالتوطئة لهذا ، وأراد أنّها لما لم تجد كفؤاً لها من الرجال اختارت الموت على التزوّج بغير الأكفاء أنفةً ورفعةَ نفس ، ولما جعل الموت لها بمنزلة البعل جعل اقتضاءه لها بمنزلة الخطبة التي تكون من البعل . وقد علّل الواحدي معنى البيت الثاني بقوله : أرادت أن يكون الموت لها كالبعل لأنّها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت الموت على الحياة . اه . وانظر ما أراد بهذا الكلام وكيف تحوّل مغزى البيت وذهب ما فيه من المعنى الشريف الدالّ على الإباء وعزّة النفس فانصرف إلى لذّة الشباب . ثمّ قال المتنبي :

ولذيذ الحياة أنفس في النّفـ ـسِ وأشهَى مِن أن يُمَلّ وأحلَى

فلم يزد على أن قال : يريد أن الحياة لا تُمَلّ وأنّها أعزّ وأحلى من أن يملّها صاحبها. اه .

فكرّر ألفاظ البيت في تفسيره مرّتين ، وجاء المعنى ناقضاً للذي قبله لأنّه علّل هناك اختيارها الموت بكونها لا تنتفع بالدنيا وبشبابها ثمّ تلقّاه من هنا بأن الحياة لا يملّها صاحبها ، فتدافع القولان ، وإنّما جاء هذا التدافع من تحويل معنى البيت السابق عن وجهته ، ولو علّل اختيارها الموت بعزّة نفسها لتوافق البيتان ولم يرد عليه هذا . ومن ذلك قوله يذكر ملك الروم عندما بنى سيف الدولة قلعة الحدث :

أقلقتهُ بنيّةٌ بينَ أذنيـ ـهِ وبانٍ بَغى السّماءَ فنالا

الضمير من أقلقته لملك الروم ، والمراد بالباني سيف الدولة ، وقد ذكروا في تفسير قوله : بغى السماء فنالا ، أن سيف الدولة بلغ السماء علوّاً وعزّة ، ولا يخفى أن هذا المعنى أجنبيّ أُدخِلَ في هذا الموضع وليس من مراد المتنبي في شيء كما يدل عليه قوله بعد هذا البيت :

كلّما رامَ حطّها اتّسعَ البنْـ ـيُ فغطّى جَبينَهُ والقذالا

فهو لم يخرج عن وصف البناء ، وأراد أنّه بغى السماء بهذه القلعة فنالها ، أي رفعها حتّى بلغت السماء . وقوله :

هيهات عاقَ عن العِوادِ قواضِبٌ كَثُرَ القَتيلُ بها وقَلّ الغاني

العواد مصدر عاود بمعنى عاد ، وقد فسروه بالعود إلى القتال ، وهو غير المقصود لأنّه يقول قبل هذا البيت ببيت واحد :

حُرِمُوا الذي أمّلوا وأدركَ منهمُ آمالَهُ مَنْ عادَ بالحرمانِ

أي من عاد منهم إلى أهله بالحرمان فقد أدرك آماله ، يعني النجاة برأسه ، ثمّ استدرك على هذا بالبيت المذكور فقال: إن العود عليهم بعيد لأنّه قتلهم بسيوفه . وإنّما أضاع هذه القرينة على الشراح الفصل بين البيتين ببيتٍ أجنبيّ وهو قوله :

وإذا الرّماحُ شغلنَ مهجةَ ثائرٍ شغلَتهُ مُهجتُهُ عنِ الإخوانِ

وهذا من جملة المواضع التي ينبغي التنبّه لها في شعر المتنبي . ومن ذلك قوله يذكر موالي سيف الدولة :

كلّما صَبّحوا ديارَ عـدوّ   قال: تلك الغيوثُ هذي السيولُ

قال ابن جنيّ : هذا مثلٌ عنى بالغيوث سيف الدولة وبالسيول مواليه ، وذلك أن السيل يكون من الغيث وكذلك مواليه به قدروا وعزّوا . اه . فجعل سيف الدولة غيوثاً ، وحاصله أنّهم كلّما غزوا عدوّاً قال سيف الدولة : هؤلاء مواليّ . فتأمّلهُ . وقال الواحديّ : كلّما أتت مواليه صباحاً للغارة دار عدوّ قال العدوّ تلك التي رأيناها قبل كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيوثاً عند الإضافة إلى السيول يريد كثرة مواليه . اه . وانظر ما عنى بقوله : تلك التي رأيناها قبل ، وإنّما ذلك كلّه تخرّصٌ ليس البيت في شيء منه ، والصحيح في تفسيره أنّه أراد بالغيوث النّعَم المذكورة قبل هذا البيت في قوله :

وموالٍ تحييهم من يدَيْهِ   نِعَمٌ غيرهم بها مَقتولُ
فرَسٌ سابحٌ ورُمحٌ طَوِيلٌ   ودِلاصٌ زغفٌ وسيفٌ صَقيلُ

فشبّه هذه الأشياء التي هي من إنعام سيف الدولة بالغيوث ، وشبّه الغارة التي تصبّها مواليه على العدوّ بالسيول الحادثة عن الغيوث ، والمعنى كما ذكرناه في محلّه : كلّما صبّحت مواليه ديار عدوّ فصبّت عليه الغارة قالت غيوث مواهبه المذكورة هذه سيولنا . وقوله :

أبا المسك هل في الكأسِ فضلٌ أناله   فإنّي أغنّي منذُ حينٍ وتشرَبُ

ولم أرَ من زادَ في تفسير الشطر الأوّل من هذا البيت على قوله : هل في كأسك فضلٌ أشربه أي هل تعطيني شيئاً ، كأنّه يسأله جائزة شعره ، وإنّما أراد المتنبي غير ذلك وهو ما صرّح به بعد هذا البيت بقوله :

إذا لم تَنُط بي ضيعةً أوْ ولايَةً   فجودُكَ يكسوني وشُغلك يسلبُ

ومن هذا القبيل قوله :

أرى لي بقربي منكَ عيناً قريرةً   وإن كان قرباً بالبعادِ يشابُ

وقد فُسّرَ البعاد بالبعد عن الوطن والأحبّة ، وهو غير المقصود ، إنّما المعنى الصحيح ما فسره به في البيت التالي بقوله :

وهل نافعي أن تُرفَعَ الحجبُ بينَنا ودونَ الذي أمّلتُ منك حجابُ

يريد بما أمّلَ منه تفويض ولاية إليه ، وهو تعريضٌ بما صرّح به هناك ، كما يستفاد من سائر كلامه في هذا الموضع ، فكأنّه يقول : إنّك قرّبتني من مجلسك وأبعدتني من حسن رأيك فكان هذا القرب مشوباً بذلك البعد ، ولا محلّ لذكر الوطن والأحبّة هنا . وربّما كانت قرينة المعنى واقعة الحال إذا اشتبه مؤدّى اللفظ دلّت عليه وأرشدت إلى مفصل المراد منه ، وهذا كثيراً ما رأيتُ الشرّاح يغفلون عنه فيأخذون في شعاب الاحتمال ويلتمسون المعنى من طريق التفسير ، فربّما قاربوا القصد وربّما وقعوا عنه بمراحل ، وذلك في مثل قوله :

أبا عبد الإلَه مُعاذُ إنّي خفيٌّ عنكَ في الهَيجا مقامي

يخاطب معاذ بن إسمعيل اللاذقيّ ، وكان قد عذله على ما شاهده من تهوّره أيّام ادّعى النبوءة على ما ذكرنا من قصته في محلّها ، ولم أجد في تفسير هذا البيت ما يخرج عن قول القائل : أي يخفى عليك مقامي في الحرب لأنّي مختلطٌ بالأبطال ملتبسٌ بالأقران بحيث لا تراني أنت . اه . ولا يخفى بُعد هذا التفسير عن مقتضى الواقعة وإن احتمله اللفظ في نفسه إذ ليس من غرضه هنا أن يصف له موقفه في الحرب ولا محلّ لهذا الوصف في هذا المقام ، إنّما أراد بمقامه في الحرب أمراً معنويّاً وهو منزلتُه من الشدّة فيها والإقدام على أهوالها حتّى لا يُبالي بما ذكره له من المخاوف . ومثله البيت الذي بعده وهو قوله :

ذكرتُ جَسيمَ ما طلبي وإنّا نخاطِرُ فيه بالمُهَجِ الجسامِ

وقد فُسّر بما لفظه يقول : عاتبتني على طلب الأمور العظيمة ومخاطرتنا فيها بالأرواح. اه . فهو على هذا بفتح التاء من ذكرت والهمزة من إنّا ، والقصة تدلّ على غير ذلك لأن الذي ذكر هذا الطلب هو المتنبي لا معاذ ، فالفعل للمتكلم ، وقوله : وإنّا إلى آخره ، كلامٌ مستأنف كأنّه يقول له : ذكرت لك ما أحاوله من المطلب العظيم وأزيد على ذلك انّا سنخاطر فيه بأرواحنا ، يعني أنّه لا يجهل عظمته ولكنّه قد وطّن نفسه على مزاولته ولو كلفه بذل روحه . ومن ذلك قوله :

أنَشرُ الكِباءِ ووَجهُ الأميرِ وحسنُ الغناءِ وصافي الخمورِ

فداوِ خُماري بشُرْبِي لها   فإنّي سكرْتُ بشربِ السّرورِ

ولم أرَ من فسّر هذا الموضع تفسيراً يوافق الحال ولا ذكر فيه معنى صحيحاً ، ومجمل ما وقفتُ عليه في ذلك لا يزيد في الكشف على قول القائل: أي أنا سكران بالسرور حين اجتمع لي ما ذكرته فداوِ خُماري بشرب الخمر ، أي إنّما أريد شرب الخمر لأنفي الخمار لا للسكر لأنّي سكران من السرور . اهـ . فليُنظَر إلى هذا الكلام وكيف يستقيم أن يطلب إزالة الخمار بشرب الخمر وإنّما هذا صنيع من همّهُ تفسير اللفظ من غير مبالاةٍ بالمعنى . على أن جميع رواة الديوان يقولون في عنوان هذين البيتين إنّه كره شرب الخمر فما أدري بعد ذلك كيف يقال في الشرح : أي إنّما أريد شرب الخمر وهو كارهٌ لها ، وإنّما قال البيتين في الاعتذار من آبائها ، ثمّ لا يُكتفى بذلك حتى يُعلّل طلبه لها بما ذُكر من مداواة سكر السرور . على أن الخمر نفسها مذكورة في البيت الأوّل وقد فُسّر بقولهم : أتجتمع هذه الأشياء لأحدٍ كما اجتمعت لي ، فدخلت الخمر على هذا التفسير في جملة الأشياء المذكورة في البيت وصارت ممّا يطلب التداوي بالخمر منه ، فجاء المعنى مصحّحاً لقول الآخر :

تداوَيتُ من ليلى بليلى صبابةً   كما يتَداوَى شارب الخمر بالخمرِ

وإنّما أذهب المعنى على الشرّاح أنّهم جعلوا عامل المرفوعات الأربعة في البيت الابتداء وقدّروا الخبر محذوفاً فصارت كلّها في حكمٍ واحدٍ وحينئذٍ اختلط المعنى من أصله وتعذّر الانتهاء به إلى وجه صحيح ، ومن ثَمّ ردّوا الضمير من قوله لها في صدر البيت الثاني إلى خمرٍ غير مذكورة ، وجعلوا قوله بشربي من صلة داوِ حتى تحصّل لهم ما ذكر . والذي يَصحّ في ذلك كلّه أن قوله وصافي الخمور في البيت الأوّل الواو للمصاحبة سدّ العطف بها مسدّ الخبر ، كما ذكرناه في موضعه ، أي أتجتمع لي هذه المذكورات مع صافي الخمور ، والضمير من قوله لها عائدٌ على الخمور نفسها ، وقوله بشربي متعلّق بالخمار ، أي فداوِ خماري الحاصل بشربي للخمور المذكورة . وجملة المعنى كأنّه يقول له : لا تزدني من الخمر ولكن التمس لي دواء من سكري بها فإنّي سكرت من سروري بهذه الأشياء فلا أحتمل سكراً آخر ، وفي المعنى نظرٌ إلى قول الخليع الشامي :

خذ يا غلام عنانَ طَرْفكَ فاثنِهِ   عنّي فقد ملَكتْ الشَّمولُ عناني

سُكران ِ سكرُ هوًى وسكرُ مدامة ٍ   أنّى يفيقُ فتًى به ِ سُكْران ِ

ومن هذا القبيل قوله :

أحسَنُ ما يُخضَبُ الحَديدُ به ِ   وخاضبيه ِ النّجيعُ والغضَبُ

وقد اضطرب الشرّاح في هذا البيت بما يطول بيانه ، فمنهم من قارب المعنى ومنهم من شطّ وأبعد المرمى ، ولم أرَ منهم من كشف عنه الكشف الشافي . قال ابن جنيّ : أراد أحسن ما يُخضَب الحديد به النجيع وأحسن خاضبيه الغضب ، وخاضبيه عطف على ما ، وجمع الخاضبين جمع التصحيح لأنـّه أراد من يعقل ومن لا يعقل (كذا) . وقال ابن فُورَجّة : وخاضبيه قَسَمٌ أراد ، وحقّ خاضبيه ، وجعل الغضب خضاباً للحديد لأنـّه يخضبه بالدم على سبيل التوسع . قال : وهذا كقولك أحسن ما يخضب الخدود الحمرة والخجل ، وذلك أن الخجل يصبغ الخد أحمر ، فلمّا كانت الحمرة تابعة للخجل جمعهما تأكيداً ، كذلك لما كان النجيع تابعاً للغضب جمعهما وهو يريد الدم وحده ويكون الغضب تأكيداً للنجيع أتى به للقافية . اهـ . قال الواحدي : وقد صحت الرواية عن المتنبي وخاضبَيه على التثنية كأنّ النجيع خاضب والذهب خاضب . اهـ . قلت : ذُكر في عنوان هذين البيتين أنـّه عُرِضت على سيف الدولة سيوفٌ فيها واحدٌ غيرُ مذهَب فأمر بإذهابه فقال أبو الطيب ذلك ، ولو تبصر الشرّاح في الموافقة بين هذا العنوان وكلام المتنبي لتبيـّن لهم من أوّل وهلة ٍ هذا الذي ذكره الواحديّ من التجيع والذهب ، إلاّ أن ما قاله أيضاً لا يُوصِل إلى الكشف عن معنى البيت لأنـّه جعل كلاًّ من النجيع والذهب خاضباً ، فهو بيانٌ للخاضبين فقط ، وبقي قوله ما يُخضَبُ الحديدُ به لغواً ولم يبقَ لذكر الغضب وجهٌ إلاّ ما ذُكر في قول ابن فُورَجّة ، وفيه من التكلّف ما رأيت ، والصحيح في مقصود المتنبي أنـّه أراد أن يذكر خضابين وخاضبين فذكر أحد الخضابين في البيت وهو النجيع والخضاب الثاني معلومٌ من الواقعة وهو الذهب جعله خضاباً على التشبيه وذكر أحد الخاضبين وهو الغضب وجعله خاضباً لأنـّه يكون سبباً في خضب السيوف بالدم ، والخاضب الثاني مفهوم بالقرينة وهو الصيقل الذي يُذهِبُ السيوف . وتحرير البيت : أحسن الخضابين اللذين يُخضّب الحديد بهما التجيع ، وأحسن الخاضبين اللذين يخضبانه الغضب ، على طريق الطيّ والنشر . فليُتأمّل . ومن ذلك قوله :

ويجعل ما خُوّلتهُ من نواله ِ   جزاءً لما خُوّلتهُ منْ كلامه ِ

وقد ذُكر في تفسيره ما لفظه : أي يجازيني بنواله إذا مدحتُه بما استفدتُه من الأدب من كلامه . اه . وهذا لا يزيد على تكرار ألفاظ المتن ، وكأنّ من قال هذا ذهب إلى أن البيت من قبيل قوله :

وبألفاظِكَ اهتدى فإذا عزا   كَ قال الذي لهُ قلتَ قبلا

وليس البيت في شيء من هذا وإن جاز أن يفسّر به لفظه ، ولكنّه يشير إلى معنى وراء ذلك يستفاد من الواقعة ، وذلك أنّه بعد أن أنشده القصيدة الرائية التي قبل هذه القطعة وهي التي يقول في مطلعها : طوال قناً تطاعنها قصارُ ، أقطعهُ إقطاعاً بناحية معرّة النعمان، وكان سيف الدولة قد اقترح عليه القصيدة المذكورة وقصّ عليه الواقعة التي جرت بينه وبين البادية فوصفها له أبو الطيب في قصيدته ، فذلك قوله في الشطر الثاني من هذا البيت ، يعني أنّه نظم في هذه القصيدة الكلام الذي قصّه عليه سيف الدولة ثمّ أخذ نواله جائزة على هذا النظم فكان الكلام والجائزة جميعاً من عنده . ومن قبيل ما نحن فيه قوله :

رأيتكم لا يصون العِرْضَ جارَكمُ   ولا يدرّ على مرعاكمُ اللّبنُ

وهو من قصيدة قالها في مصر يعرّض بسيف الدولة ، ولها واقعة ذُكرت في موضعها ، وقد رأيت الشرّاح يقولون في هذا البيت : أي أنتم تذلّون الجار وتشتمون عرضه . اه . وليس هذا بالواقع لأن سيف الدولة لم يشتم المتنبي وليس من المحتمل أن المتنبي يتقوّل عليه مثل هذه التهمة وفيها ما لا يجمل بحقّ الفريقين جميعاً ولكنّه يلمّح إلى ما وقع له في مجلسه حين شُتم ولم ينتصر له سيف الدولة . وقوله : ولا يدرّ على مرعاكم اللبن ، أراد معنى مجازيّاً وراء ما ذكر الشرّاح من ظاهره ، وهو مثلٌ بيّنٌ مغزاه في محلّه . ومن ذلك قوله من هذه القصيدة :

فغادرَ الهجرُ ما بَيني وبَينكمُ   يهماء تكذبُ فيها العين والأُذُنُ

فإنّهم حملوه على معنى الدعاء ولا دعاء هنا لأن البعد متحقّقٌ إذ ذاك بين المتنبي وسيف الدولة . وممّا ينتظم في هذه الجملة قوله من قصيدة يصف بها مسيره من مصر :

وقلنا لها أينَ أرْضُ العراقِ   فقالتْ ونحنُ بتربانَ ها

الضمير للإبل . وقد ذكروا أن تربان من أرض العراق ، وهو قول ابن

جنّي ، وتبعه فيه غيره ، وإن صحّ كونها كذلك لم يكن للبيت معنى ولا تظهر نكتةٌ في السؤال عن أرض العراق وهم فيها ، فالأظهر أن المراد بتربان هنا موضعٌ آخر بقرب المدينة ، كما ذكرناه عن لسان العرب ، وكانت طريق المتنبي من هناك كما يُستدَلّ عليه ممّا ذُكر في البيت السابق ، والمعنى على هذا أنّا سألناها عن العراق ونحن بهذا الموضع فقالت: ها هي ذه ، أي هي بالقرب منكم ، كنايةً عن سرعة رواحلهم وقوّتها على السير ، حتى إن هذه المسافة البعيدة ليست عندها بشيء . ويتصل بهذا البيت في الأخذ بالقرائن القريبة والجري على ما يوهمه ظاهر اللفظ قوله:

فلو سرنا وفي تشرينَ خمسٌ رأوني قبلَ أن يرَوُا السّماكا

وقد ذكروا في تفسير هذا البيت أن السماك يطلع لخمس خلونَ من تشرين الأوّل ، وفسروا مراد المتنبي بأنّه لو ركب من شيراز في الليلة التي يطلع هذا النجم في صباحها لبلغ الكوفة قبل طلوعه ، يعني أنّه يبلغها في ليلة واحدة . اهـ . وهذا من فاحش المبالغة لأن بين شيراز والكوفة نحواً من خمس مئة وخمسين ميلاً انكليزيّاً تقدّر بما يزيد على عشرين مرحلة ، وليس في المقام ما يحتمل هذا الغلوّ ، لأن البيت مرتّبٌ على ما ذكره قبل ذلك بقوله :

فزِلْ يا بُعدُ عن أيدي ركابٍ لها وقْعُ الأسنّةِ في حشَاكا

وأنّى شِئْتِ يا طُرُقي فكوني أذاةً أوْ نجاةً أوْ هلاكا

وقد أشار في البيت الأوّل إلى سرعة رواحلهم ومضاء قوائمها في السير ، ثمّ التفت إلى طريقه فقال : كوني كيف شئتِ فإنّي لا أبالي بك ، يعني أنّه يسرع في قطعها فلا يدركه ما فيها من المخاوف ، وهو المعنى الصحيح لهذا البيت ، ثمّ أكّد هذا بقوله : فلو سرنا وفي تشرين خمسٌ ، يريد أن يحقّق قلّة لبثه في الطريق ببيان قصر المدّة التي يقطعها فيها ، وغرضه بهذا أن يهوّن على نفسه المسافة وينفي عنها مخاوف الطريق ، وحينئذٍ فلا محلّ لأن يبالغ مثل المبالغة التي ذكروها ، وإلاّ كان ذلك جهلاً منه وتمويهاً على نفسه بالمحال . ومعلومٌ أن هذا الموضع ليس كسائر المعاني الشعريّة التي يجوز تفسيرها بما يجوّزه ظاهر اللفظ ويصحّ القول فيها بما شاء الشارح لتقيّد المعنى بأحوال خارجيّة لا مُتّسع عنها ولا مساغ فيها للتخرّص والاحتمال ، فلا بدّ قبل الدخول في الشرح من تحقيق أطراف المعنى وتصحيح أجزائه قبل جملته ، وإلاّ لم يُؤمَن الزّلل بما يبعد عن القصد بمراحل شاسعة . وذلك أن قولهم : إن السّماك يطلع لخمس خلونَ من

تشرين الأوّل ، لا يجوز على إطلاقه لأن مطالع النجوم تتغيّر بتغيّر الزمن ، ولا يصحّ أنّه كان كذلك لعهد المتنبي كما يتوصل إليه اليوم من حساب ما يُعرَف بمبادرة الاعتدالين ، على ما أشرنا إليه في محلّه . وبيانُه أن المقدار السنوي لهذه المبادرة نحو ٥٠ ثانية من دائرة البروج يتأخر بها طلوع النجم كلّ سنة نحو ٢٠ دقيقة من الزمان يجتمع عنها في كلّ اثنتين وسبعين سنة يومٌ كامل . والسماك يطلع ليومنا هذا في آخر تشرين الأوّل ، وبين يومنا والعهد الذي قيل فيه هذا البيت نحوٌ من ٩٠٠ سنة من السنين الشمسيّة ، فيكون طلوعه يومئذٍ متقدماً على طلوعه اليوم نحواً من ١٣ يوماً . ثمّ إنّ الحساب الشمسي لذلك العهد كان على السنة القيصرية لأن التصحيح لم يكن إلاّ مذ عهد قريب ، وكان خطاؤها يومئذٍ خمسة أيّام فقط في حساب ليس هنا موضعه ، فإذا جمعت هذا الفرق إلى الأيّام المذكورة كانت جملتها ١٨ يوماً ، فيكون طلوع السماك يومئذٍ في الثالث عشر من تشرين الأوّل كما قرّرناه هناك ، ويكون مراد المتنبي أنّه لو سار من شيراز لخمس ليالٍ خلونَ من تشرين الأوّل لبلغ الكوفة قبل الثالث عشر منه ، يعني أنّه يبلغها في مدّة أسبوع . وهذا يمكن أن يُحمَل على سرعة سيره وإدمانه النهار والليل مع خبرة المتنبي بالطرقات ومخاصيرها ، وهو مع هذا لا يخلو عن مبالغة إلاّ أنّها من المبالغات المغتفرة ، والله أعلم .

وقد يلتبس المعنى لغير ذلك كالإشكال في مرجع الضمير إذا تعدّدت مظانّه ، فربّما رُدّ على غير صاحبه فاضطرب المعنى واستحال عن وجهه ، وربّما فسد جملةً ، وذلك نحو قوله :

مَن لي بفهم أُهَيل عصرٍ يدّعي أن يحسب الهنديّ فيهم باقلُ

فقد جعل الشرّاح يدّعي من فعل أهل العصر ، على أن فيه ضميراً عائداً على أُهَيل ، فكان المعنى أن أهل ذلك العصر يدّعون لباقل أنّه كان يعرف علم حساب الهند ، ولا معنى لهذه الدعوى منهم ، وإنّما الفعل لباقل نفسه ، أي لو كان فيهم باقل لادّعى معرفة الحساب ولم يعدم فيهم من يصدّق دعواه ، يرميهم بالجهل وضعف التمييز . وقوله :

فأقبلْنَ ينحزْنَ قدّامَهُ نوافرَ كالنّحلِ والعاسلِ

يصف واقعةً كانت بين سيف الدولة والخارجي ، وقد جعل الشرّاح الضمير من أقبلنَ وما بعده لخيل العدوّ ومن قدّامه لجيش سيف الدولة ، وهو عكس المقصود كما يُعلَم من تتبّع هذا الموضع ، وفيه إفساد لتصوير الواقعة ، لأنّه يقول في أوّل هذا السياق حكايةً عن تغلب

ابن حمدان وكان في أسر الخارجيّ :

ومَنّاهمُ الخيل مجنوبَةً فجئنَ بكلّ فتًى باسلِ

يعني خيل سيف الدولة حين سار بها لاستنقاذه ، ثمّ أقبل يصف هذه الخيل إلى أن ذكر إقبالها على جيش العدوّ بقوله :

فلُقّينَ كُلّ رُدَيْنيةٍ ومصبوحةً لبَنَ الشّائلِ

وجيشَ إمامٍ على ناقةٍ صَحيح الإمامةِ في الباطلِ

ثم ذكر البيت وضمير الإناث فيه للخيل المذكورة قبل ، وأراد ما هالها من جيش الخارجيّ حتى طلبت الهزيمة من وجهه ، ولذلك يقول بعده خطاباً لسيف الدولة :

فلمّا بدَوْتَ لأصحابهِ رَأتْ أسدُها آكل الآكلِ

أي فلمّا برزتَ لهم رأت آسادهم المفترسة من يفترسها ، وهذا يدلّ على أن خيل سيف الدولة لم تغن قبل ذلك شيئاً ، وفي تسميته أصحاب الخارجيّ بالأُسد ما يؤكد هذا المعنى لأنّهم لو كانوا هم المنهزمين لم يصفهم بذلك ، ويشهد لصحة ما ذكرناه تصديره هذا البيت بالفاء ، ولو كان المعنى على ما قالوه لعطف بالواو لأن المقام يكون حينئذٍ من مواطن الوصل دون الفصل ، كما يظهر بالتأمّل . ومن ذلك قوله :

إنّي لأُبغِضُ طيفَ مَن أحبَبْتُهُ إذْ كانَ يهجرُنا زَمانَ وصالِهِ

وقد ذكروا في تفسير هذا البيت ما لفظه : أي أبغض طيف الحبيب لأن رؤيتي الطيف عنوان الهجر إذ لا أراه إلاّ في حال فراق الحبيب . قالوا : وكان من حقّه أن يقول : إذ كان يواصلني زمان الهجران لأن هجران الطيف في زمان الوصال لا يوجب بغضاً له إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصال ، ولكنّه قلب الكلام إلى آخر ما ذكروه ، وهو من عجيب التأويل ، ولو أنّهم عكسوا مرجع الضميرين فجعلوا ضمير يهجرنا للحبيب وضمير وصاله للطيف لصحّ المعنى واستغنوا عن كلّ هذا التكلّف . وأعجب من هذا اضطرابهم في تفسير البيت وهو قوله :

مثل الصّبابةِ والكآبةِ والأسَى فارقتُهُ فحدثْنَ من ترحالِهِ

قالوا : أي يهجرنا الطيف زمان الوصال هجر هذه الأشياء ، أو أبغضه مثل بغض هذه الأشياء التي حدثت من ترحال الحبيب . اهـ . فتأمّل ما يُعنى بهذا التفسير وكيف يُجعَل البيت السابق على معنى يواصلني الطيف زمان الهجران ، ثمّ يقال هنا أي يهجرنا الطيف زمان الوصال ، وهو عكس ما ذُكر ، ثمّ يقال بعده إنّ هذه الأشياء حدثت من ترحال الحبيب ، وهو عكسٌ لما تقدّمهُ ورجوعٌ إلى ما رجعوا عنه . وإنّما أوقع في هذا الاختلاط اضطراب مرجع الضميرين في البيت السابق ، لأن هذا مترتّب عليه ، على أن المعنى هنا لا يخلو من إبهام ، ولعلّ أقرب ما يفسر به أنّه أراد تشبيه الطيف بهذه المذكورات في كون كلٍّ من الطرفين لا يعرض إلاّ في حال الهجر . وتمام الكلام على هذا البيت في محلّه . ومن ذلك قوله :

على وجهك الميمون في كلّ غارةٍ   صلاةٌ تَوَالى منهُمُ وسَلامُ

يخاطب سيف الدولة من قصيدة ذكر فيها ورود فرسان الثغور عليه يتوسطون لملك الروم في طلب الهدنة . وقد ذكر الشرّاح في تفسير هذا البيت ما نصّه : أي أنّهم يصلّون عليك ويسلمون وإن كنت تغير عليهم تعجّباً من حسن وجهك . اهـ. ومقتضاه أن الضمير من قوله منهم في عجز البيت للروم لأنّهم قيّدوا الغارة بكونها عليهم وكأنّم ذهبوا إلى أن هذا البيت من قبيل قوله :

ومن شرف الإقدامِ أنّك فيهِمِ   على القتل مومومقٌ كأنّكَ شاكدُ

وهو غير المقصود في هذا الموضع لأنّه يقول قبل هذا البيت :

وعزّت قديماً في ذراكَ خيولُهُمْ   وعزّوا وعامتْ في نداكَ وعامُوا

وبعيدٌ أن يكون هذا الكلام في حقّ الروم لأنّهم أعداء سيف الدولة ، ولكنّه أراد فرسان الثغور الذين ذكرهم قُبَيل هذا ، يشير إلى أنّهم من أحلافه ، وقد عزّوا قديماً في كنفه ودفعوا العدوّ ببأسه ، ثمّ ذكر أنّهم يصلّون ويسلمون عليه إذا سار في الغارات لما يعهدون من شجاعته وإقدامه . وقولهم : تعجّباً من حسن وجهك، ليس بشيء في هذا الموضع ولا محلّ لذكر الحسن هنا ، ولكنه ذكر الوجه صلةً وخصّهُ بالسلام لأنّه أشرف ما في الإنسان ، وهذا كما تقول العرب : حيّا الله المعارف ، أي الوجوه ، وحيّا الله طلعة فلان ، وهو مبارك الوجه وميمون النقيبة ، وغير ذلك ، ومنه قوله في هذا البيت : على وجهك الميمون ، يخصّون في ذلك كلّه وهم

يريدون العموم ، ذهاباً إلى أن الأخسّ يتبع الأشرف . وقوله :

بأبي الوَحيدِ وجيشُهُ متكاثرٌ يبكي ومنْ شرّ السّلاحِ الأدمعُ

ومقتضى كلامهم في هذا البيت أن الضمير من قوله يبكي عائدٌ على الوحيد ، أي المرثيّ ، وأنّه كان يبكي على نفسه عند انقضاء بقيّة عمره . كذا في قول بعضهم بحرفه ، وليس بالأشبه بمراد المتنبي ولا هو من المعاني التي تصلح في هذا الموضع لما فيه من وصف المرثيّ بالجزع ، والوجه جعل الضمير للجيش ، يعني أن جيشه مع كثرته لم يستطع دفع المنية عنه ولم يكن عنده غناء إلاّ البكاء . وقوله :

ويَبينُ فيما مسّ منهُ بنانُهُ تيهُ المُدِلّ فلوْ مشى لتَبَخْتَرَا

قالوا : أي كلّ شيءٍ مسّهُ بنانه ظهر فيه الكبرُ حتى لو مشى ذلك الشيء لتبختر . اه . ومقتضاه أنّ الضمير من قوله منه عائدٌ على الممدوح ، وهو غير المقصود، فضلاً عن أن قوله منه يبقى حينئذٍ لغواً لأن بنانه لا يكون إلاّ منه ، إنّما الضمير عائدٌ على القصب المذكور قبل ذلك في قوله :

يتكَسّبُ القصَبُ الضّعيفُ بكفّهِ شرَفاً على صُمّ الرّماحِ ومفخرَا

وقد قيل في تفسير هذا البيت ما ملخصه : إن قلمه أشرف من الرماح لأن كفّه تباشره عند الخط فيفتخر على الرماح التي لم تباشرها كفّه . اه . قلت : ولو عكسنا المسألة بأن نقول الرمح الذي يمسّه أشرف من القلم الذي لا يمسّه لصحّ أيضاً فلم يبقَ لاختصاص القلم بهذا الشرف معنى وعاد التفسير جعلياً لا حقيقياً ، وليس هذا مراد المتنبي على إطلاقه إنّما عنى حال الكتابة بالقلم ، وإلاّ فقد نفى عن الممدوح استعمال الرماح . ومن ذلك قوله :

فإنّ القيامَ التي حولَهُ لتَحسدُ أقدامَها الأرْؤسُ

قالوا : الضمير في أقدامها عائدٌ على الأرؤس ، كأنّه قال : لتحسد أرؤسهم أقدامها . اه . وهذا من أغرب ما رأيت في هذا الباب ، وفيه فضلاً عن التعسّف الظاهر خلوّ خبر إنّ من شيء يربطه بالاسم ، والوجه أن الضمير للقيام كما لا يخفى . وقوله :

وكانَ ابنا عدوّ كاثَراهُ لهُ ياءَيْ حروفِ أُنَيسيانِ

وعبارتهم في تفسير هذا البيت أي عدوّك الذي له ابنان فيكاثرك بهما كانا زائدين في عدده ناقصين من حسبه ، إلى آخر المعنى ، ومقتضاه أن الألف من كاثراه لابني العدوّ والهاء لعضد الدولة ، مع أن عضد الدولة مخاطب قبل هذا البيت وبعده، فالأظهر أن الألف لابني عضد الدولة المذكورين قبل والهاء للعدو ، أي العدوّ الذي يكاثره ابناك يكون ابناه بمنزلة الياءين من أنيسيان ، إلى آخره .

سبب وهم الشراح في فهم معاني هذا الديوان :

ومن موارد الوهم التي تعرض للشرّاح في فهم معاني هذا الديوان أنّهم كثيراً ما يتسامحون في التحقيق على معاني الغريب فيفسرونه بما يبدو لهم من قرائن الحال وما تسوق إليه أدلّة الظنّ دون الرجوع في ذلك إلى كتب اللغة واستثباته من نصوصها . ولا يخفى أن معنى البيت كثيراً ما يكون متوقّفاً على فهم لفظة منه إذا أخطأ الشارح معناها اختلط عليه القصد من البيت كلّه وعاد كلامُه فيه مجازفةً وتحكّماً فضلاً عمّا يقع في مثل هذا الشطط في تحمل اللغة وروايتها ممّا يكون مدرجةً للزلل في مقام الأخذ والاستشهاد ، لأن صدور الخطاء من مواضع الثقة ، ومظانّ الإصابة، من أعظم المورّطات فيه. ومثل ما ذُكر كثيرٌ في كلامهم ، أذكر من أمثلته في هذا الموضع ما ترتب عليه خللٌ في المعنى ممّا يتصل بما نحن فيه واترك غيره ممّا لا يكون في ذكره فائدةٌ إلاّ التنبيه على الوهم إذ ليس هذا من غرضي في هذا المقام . فمن ذلك قوله :

شراكها كورُها ومشفرُها   زمامُها والشسوعُ مِقوَدُها

وقد ذكروا أنّه أراد بالمشفر ما يقع على ظهر الرِّجل في مقدّم الشراك فجعل ذلك بمنزلة الزمام للناقة . اه . ولم يرد المشفر في شيء من نصوص اللغة بهذا المعنى ، لكنه لما شبه نعله بالناقة فجعل شراكها بمنزلة الكور ، أي الرحل ، وشسوعها بمنزلة المقود سبق وهمهم إلى أن المراد بالزمام زمام الناقة على ما هو المتبادر من هذه اللفظة وأن المشفر ينبغي أن يكون شيئاً من النعل يصحّ تشبيهه بالزمام ، وليس بشيء إنّما الزمام هنا زمام النعل وهو ما تشدّ إليه الشسوع ، جعله بمنزلة مشفر الناقة وهو لها كالشفة للإنسان . ومن ذلك قوله :

لَيلُها صبحُها من النّارِ والإصْبا   حُ لَيلٌ منَ الدّخانِ تمامُ

قالوا : قوله تمام أتى به لإتمام القافية ومعناه تامٌ في الطول. اهـ . قلت : تفسير التمام بما ذُكر لا يخلو من تقصير وإن كان غير بعيد في الحاصل ، ولذلك خفي عليهم مراد المتنبي به في هذا الموضع . قال في القاموس : وليل التمام ككتاب وليلٌ تماميٌ أطول ليالي الشتاء ، أو هي ثلاثٌ لا يستبان نقصانها . اهـ . وإنّما خصّه المتنبي لاشتداد ظلمته مبالغةً في سواد الدخان وكثافته ، وهو مسموعٌ عنهم بالإضافة كما رأيت ، وعليه قول امرىء القيس :

فَبِتُّ أكابِـدُ لَيْلَ التّما ... مِ والقلب من خشيةٍ مُقشَعِرّ

لكنّه أتبعهُ ضرورةً وكأنّه تبع فيه أبا تمام في قوله :

البيد والعيس والليل التمام معاً ... ثلاثةٌ أبَداً يُقْرَنَّ في قَرَنِ

ومن ذلك قوله من هذه القصيدة :

وقلوبٌ موَطَّناتٌ على الرَّوْ ... عِ كأنّ اقتحامها استِسلامُ

فسروا الاستسلام بطلب السلم ، وهو غير منقول بهذا المعنى وإن سهّله القياس ، وإنّما الاستسلام بمعنى الانقياد . وقوله :

كذا أنا يا دُنيا إذا شِئتِ فاذْهَبي ... ويا نفسِ زيدي في كرائهها قُدماً

وقد رأيت في تفسير الشطر الثاني ما ملخصه : ويا نفس زيدي تقدّماً فيما تكرهه الدنيا من التعزّز والتعظّم عليها أو في كرائه أهلها ، يعني في الحروب ، وهي مكروهة عند أهل الدنيا . اهـ . وليس هذا مراد المتنبي وإن استفيد بعضه من منقول اللغة ، إنّما الكرائه هنا بمعنى نوازل الدنيا وكوارثها . وقوله :

سُهادٌ أتانا منكِ في العينِ عندنا ... رُقادٌ وقُلاّمٌ رَعَى سربكم وردُ

ولم أجد من فسّر القُلاّم بكنهه ، ولكن جاء في عُرض شرح البيت ما لفظه : والقُلاّم على خبث ريحه إذا رعتهُ إبلكم وردٌ . اهـ . وإنّما هو من التفسير بالقرينة لأنّ القُلاّم ليس بخبيث الريح ولكن لما جعله المتنبي ورداً والورد يوصف بطيب الريح توهّموا فيه الخبث لمكان الطباق في هذا البيت ، وليس هذا من مراده ، إنّما عنى أن هذا النبت على كونه من المرعى

لا من الريحان إذا رعته إبلكم صار عندنا طيباً كالورد . قال ابن البيطار في مفرداته عن أبي حنيفة : القلاّم تسميه الأنباط قاقُلّى ، وهو من الحمض ، والنّاس يأكلونه مع اللبن . وعن إسحق بن عمران : القاقُلّى يُشبه الكَشُوث في الفعل وخاصّتُه تطييب الحشاء. اهـ. محصلاً . وقوله :

بعيدَةُ ما بَيْنَ الجُفُونِ كأنّما عقدتم أعالي كلّ هدبٍ بحاجبِ

وذُكر في الكلام على هذا البيت ما نصّه : ان حملنا قوله كلّ هدبٍ على العموم فالحاجب ههنا بمعنى المانع لأنّا لو حملنا الحاجب على المعهود كان مغمضاً لأن هدب الجفن الأسفل إذا عُقد بالحاجب حصل التغميض ، فإذا جعلنا الحاجب بمعنى المانع صحّ الكلام ، وإن جعلناهُ الحاجب المعهود حملنا قوله كلّ هدبٍ على التخصيص وإن كان اللفظ عامّاً ، فتقول : أراد هدب الجفن الأعلى . اهـ . ومقتضاه تخصيص الهدب بالشعر النابت على الجفن الواحد فيكون لكل عين هدبان أعلى وأسفل ، وهو مع جوازه غير لازم في أصل اللغة لأن الهدب اسم للشعر النابت حول العين فيتناول ما على الجفنين جميعاً . قال في المصباح : هدب العين ما نبت من الشعر على أشفارها . اهـ. وهو مراد المتنبي هنا ، وأشار بقوله : أعالي كلّ هدب ، إلى ما نبت منه على الجفن الأعلى كما يظهر بأقلّ تأمّل . وقوله :

يا ماءُ هَل حَسَدتنا مَعينَهُ أم اشتَهيتَ أن تُرَى قَرينَهُ

وهو من رجز ذكر به طغيان النهر حول دار سيف الدولة ، وقد فسّروا المعين هنا بالرؤية ولا يظهر له وجهٌ في اللغة إنّما هو معين الماء ، استعاره لكرم الممدوح ، وهو المعنى المتبادر من هذه اللفظة ، وإليه تشير القرينة في الشطرين . وقوله :

أبو شجاعٍ أبو الشجعانِ قاطبةً هولٌ نمتهُ منَ الهَيجاءِ أهوالُ

فسروا نمته بغذتهُ وربّتهُ ، ولم يُنقل الفعل بهذا المعنى متعدياً إنّما يعدّى بالألف، يقال : نمى وأنميتُه ، ومثله قوله :

فارتبطها فإنّ قلباً نَماها مربطٌ تسبقُ الجيادَ جيادُهْ

قالوا : أي أن قلباً أنشأ هذه الأبيات وصنعها ، إلى آخره . ومرجع التفسيرين واحد . والأظهر أن نمى في الموضعين من النماء بمعنى النسب ، تقول : نميته إلى فلان ، ونماه جدّ كريم ، الثاني

عن الأساس ، وهو المراد هنا . ومنه قوله أيضاً :

أغلبُ الحَيِّزَيْنِ ما كنتَ فيهِ ووَليُّ النَّماءِ مَنْ تنميهِ

وقد فسّروا هذا بقولهم : ومن ترفعه أنت فهو كلّ يوم في زيادة ورفعة . اهـ . وليس هو المراد في هذا الموضع لأنّه قال هذين البيتين وقد ذكر سيف الدولة لأبي العشائر أباه وجدّه ، يعني أن النسيب من انتسب إليك ، كما فسّر مراده بالبيت التالي ، وهو قوله :

ذا الذي أنتَ جَدُّهُ وأبوهُ دِنيةً دونَ جَدِّهِ وأبيهِ

ومن ذلك قوله :

ألا كلُّ ماشيةِ الخَيْزَلَى فِدى كلّ ماشيةِ الهَيْذَبَى

وذكروا أن الهَيْذبَى مِشيةٌ فيها سرعة من مشي الإبل . اهـ. والذي في كتب اللغة أن الهيذبَى من مشي الخيل ، وهو مقتضى سياق المتنبي ، وإلاّ كان قوله بعد ذلك : وكلّ نجاةٍ بجاويةٍ ، لغواً لأن النجاة هي الناقة السريعة ، فإذا جُعلت الهيذبَى من مشي النياق أيضاً كان كأنّه قال : فدى كلّ ناقةٍ سريعة وكلّ ناقة سريعة . فتأمله . وقوله :

أو عرَضَتْ عانةٌ مقزَّعَةٌ صدنا بأخرَى الجيادِ أولاها

فسّروا المقزّعة بالمفرّقة التي كالقَزَع وهي قطع السحاب . اهـ . وهو لا يوافق نقل اللغة ، إنّما المقزّع بمعنى السريع الخفيف ، وهو أليق بمراده في البيت كما لا يخفى . وقد يكون للّفظة معنيان أو أكثر فيفسرونها بغير المقصود منها أخذاً بتبادر الذهن أو تغاضياً عن مقتضى المقام ، كقوله :

وشادنٍ روحُ مَنْ يَهواهُ في يدهِ سيفُ الصّدود على أعلى مقلّدهِ

فسّروا المقلّد بالعنق ، قالوا : لأنّه موضع القلادة . اهـ . ولا محلّ للقلادة هنا إنّما أراد موضع تقليد السيف ، كما صرّح به في البيت . وقوله :

قلوبهم في مضاءِ ما امتَشَقوا قاماتهم في تمامِ ما اعتقَلوا

وفسّروا الامتشاق بسرعة الطعن والضرب ، وليس بالمقصود هنا لأنّه يريد بما امتشقوا

السيوف كما يريد بما اعتقلوا الرماح ، وهو مفاد شرحهم لهذا البيت ، وسرعة الطعن والضرب لا يستفاد منها الكناية عن السيف بخصوصه كما لا يخفى ، وإنّما الامتشاق هنا بمعنى استلال السيف ، كما هي عبارة الأساس . وقوله :

يحتقرُ البيض واللّدان إذا سَنّ عليه الدّلاص أو نَثَلَهْ

قالوا : يقال سنّ عليه درعهُ إذا صبّ الدرع على نفسه بأن لبسها ، ومثله نثل أيضاً ، ولو قال نَشَله ، وهو بمعنى نزّعه ، كان أمدح ، ويكون المعنى أنّه يحتقر السيوف والرماح دارعاً كان أو حاسراً . اهـ . قلت : الذي في كتب اللغة أن نثل الدرع يكون بمعنى لبسها وبمعنى نزعها ، وعلى الثاني اقتصر جماعةٌ من المصنفين كالجوهري وأبي عبيدة في كتاب الدرع وغيرهما ، ممّا يدلّ على أن المعنى الثاني هو الأشهر في هذا الحرف فضلاً عن وروده بالمعنيين جميعاً . وقوله :

ولاحَ برْقكَ لي من عارِضَيْ ملكٍ ما يَسقُطُ الغيثُ إلاّ حينَ يبتَسِمُ

قالوا : العارض الناب ، ويريد بالبرق ظهور ثغره عند التبسّم ، يعني تبسمتَ ولاحَ لي برقٌ من عارضيك . اهـ . وفي هذا التفسير ما لا يخفى من الكراهة لأن ذكر ظهور الناب في المدح غير مستحسن ، وهذا من المواضع التي نبّه عليها علماء النقد في باب أدب الشاعر ، فذكروا أن من الألفاظ ما لا يحسن استعماله في المدح كالقذال والقفا والشدق والناب وأشباهها ، فلا يقال قذالك أحسن من وجه غيرك مثلاً ، كما أن منها ما لا يحسن استعماله في الذم كالمفرق والثغر والعطف وما ماثلها . على أن الناب لا يُعَدّ من الثغر في المشهور ولا هو من الأسنان التي تظهر عند التبسّم وإنّما العارضان هنا بمعنى صفحتي الوجه ، وكنى ببرقه عن تهللهما عند الابتسام ، كما يقال برقت أساريره . وقوله :

أينَ خلّفتَها غداةَ لَقيتَ الـ رّومَ والهامُ بالصّوارِمِ تُفلَى

فسّروا قولَه تُفلى بأنّه كان يطلب الرؤوس بالسيوف من جميع الجهات كالفالي يتبع كلّ موضع من الرأس . وزاده بعضهم تصريحاً فقال : تُفلى من فليت رأسه إذا فصلت القمل عنه . اهـ . وهو في منتهى الغرابة . قال في الصحاح : فلوتهُ بالسيف وفليتهُ إذا ضربتَ به رأسَه ، ومثله في سائر أمّهات اللغة ، فما كان أجدرهم أن يفسّروا هذه اللّفظة هنا بما ذُكر ويستغنوا

عن كراهة فلي الرأس وقباحة ذكر القمل على ما في ذلك من التكلف والشطط . وقوله :

كأنّ الأسودَ اللابيّ فيهم غرابٌ حولَهُ رَخَمٌ وبُومُ

قالوا : اللابيّ منسوب إلى اللابة ، وهي أرض ذات حجارة سود ، والسودان يُنسبون إليها لأن أرضهم فيها حجارة ، ولهذا يقولون أسود لابيّ . اه . والصحيح أن اللابيّ نسبةٌ إلى اللاب ، وهي بلدٌ بالنوبة ، فليس كلّ أسود يوصف باللابيّ، وأمّا كون أرضهم فيها حجارة فليس ذلك بالشيء الخاص بها وإنّما هي حال جميع بلاد الدنيا إلاّ ما تجمعت تربتها من سيل بعيد كبعض أرض مصر ممّا لا محلّ للإفاضة فيه هنا .

وقد يقع لهم مثل ذلك لدخل في رواية البيت أو وهم في ضبط بعض ألفاظه ممّا تتنكر به صورة المعنى ، وربّما أدّى إلى خطاء في اللغة أو الإعراب ، وذلك كقوله :

وكم وكم نِعمَةٍ مُجَلِّلَةٍ رَبَّيتَها كانَ منكَ مولِدُها

فسّروا المجلّلة بالمعظمة على أنّها اسم مفعول من جلّله ، ولم يُنقَل جلّل بهذا المعنى ، إنّما يقال جلّل الشيءُ تجليلاً إذا عَمّ ، وجلّلَ المطرُ الأرض طبّقها ، فهي بأن تكون اسم فاعل من هذا المعنى أشبه وأصحّ . وقوله :

أشِرْتُ أبا الحسينِ بمدحِ قومٍ نزلتُ بهم فسرتُ بغيرِ زادِ

فإنّهم يروون قوله أشرت بفتح الشين والتاء حتى يكون المعنى أن الممدوح أشار عليه بمدح أولئك القوم ، وهو مستبعدٌ كما لا يخفى ، والأظهر أنّه بكسر الشين وضمّ التاء على أنّه من الأشَر بمعنى الفرح والغرور ، والفعل للمتكلّم كأنّه يقول : اغتررتُ بمدحهم فعدت عنهم بغير طائل ، وقد مرّ الكلام على هذا البيت في موضعه . ومن ذلك قوله :

أصبحَ مالٌ كمالِهِ لذوي الـ حاجةِ لا يُبْتَدا ولا يُسَلُ

وكلّهم يروون هذا البيت بنصب مال ، وقد تكلّفوا في تفسيره وجهاً بعيداً ، قالوا : أي هو يغني الناس بنفسه وماله وهو لهم مالٌ وكما أن ماله يؤخذ بلا إذن كذلك لا يستأذن في الدخول عليه ، إلى آخر ما ذكروا ، والمعنى كما تراه فضلاً عمّا فيه من إخراج الممدوح إلى حدّ الابتذال ، وهذا ليس ممّا تمدح به الرؤساء . والوجه رفع المال كما رويناه على أنّه اسم أصبح . وتمام الكلام

على هذا البيت في محلّه . وقوله :

فقرّحتِ المقاودُ ذِفرَيَيْها وصَعّرَ خدَّها هذا العذارُ

وروايتهم في هذا البيت أفرَحت بالألف أوّله وبالفاء والقاف . قال الواحدي : الصحيح رواية من روى بالفاء ، يقال : أفرحه الدَّين أي أثقلَه ، يقول : لما وضعتَ على العرب المقاود لتقودهم إلى طاعتك أثقلت مقاودُك رؤوسهم ، إلى آخر المعنى ، والمقاود لا ثقلَ لها ولذلك احتاج في تخريجه إلى أن قال : فصاروا كالدابّة التي تقاد بحَكَمَة شديدة وشكيمة ثقيلة ، والمقوَد لا يفسر بالحكَمة ولا الشكيمة ، ولكنّه دُفع إلى هذا التأويل ليتأتّى له الثقل . ثمّ قال : ومن روى بالقاف فمعناه جعلتهم قرّحاً ، أي بالغت في رياضتهم حتى جعلتهم كالقرّح في الذلّ والانقياد . اه : وكلّ هذا تمحّلٌ لا يكشف عن المعنى ولا يصحّ على النقد لأنّه لا يقال : أقرَح ذفراه بمعنى صيّره قارحاً ، ولا يستعمل أقرح متعدياً بهذا المعنى ، فضلاً عن تباعد الشطرين حينئذٍ حتى لا تبقى بينهما صلةٌ ولا مناسبة . والرواية الصحيحة : فقرّحَت ، بالتثقيل ، من القرح ، وهو كلّ ما جرح الجلد من عضّ سلاح ونحوه ، والتشديد للمبالغة ، وتمام معنى البيت في موضعه . وقوله من هذه القصيدة :

فأقبلَها المروجَ مسوَّماتٍ ضوامرَ لا هزالَ ولا شيارُ

وجاء في شرح هذا البيت ما نصّه : وهزال جمع هزيل ، وشيار حسنة المناظر سمان ، جمع شيّر . وقولُه : لا هزالَ ولا شيارُ ، في الإعراب ، كقوله : لا أمٌّ لي إن كان ذاك ولا أبُ . اه بلفظه . قلت : في هذا القول سهوٌ من الوجه اللّغوي والنحويّ جميعاً ، أمّا من الوجه اللغويّ فلأنّ هزيل بمعنى مهزول ، وفعيل إذا كان بمعنى مفعول لا يجمع على فعال ، فلا يقال في جمع جريح وقتيل جراح وقتال ، وإنّما قياسه على فَعْلَى ، وهو نصّ كتب اللغة في هذا الحرف . وأمّا من الوجه النحويّ فلأن لا في هذه الصورة داخلة على الوصف مثلها في قولك جاءني رجلٌ لا طويلٌ ولا قصير ، وحينئذٍ فهي لمطلق النفي ولا عمل لها لأن لا النافية للجنس لا تدخل على الصفات . والصحيح في ذلك وهو الظاهر القريب أن الهزال مصدر هزُل ، وهو حينئذٍ بضمّ أوّله على القياس ، والشيار هنا اسمٌ بمعنى الحسن والسمن ، وبذلك يتأتى تصحيح المسألة كلّها كما ترى .

ويتصل بذلك ما يقع لهم تارةً من الوهم في بيان المعاني التركيبيّة وتوجيه الألفاظ النحويّة ، وذلك نحو قوله :

أَمِطْ عَنكَ تَشبيهي بما وكأنّهُ   فما أحَدٌ فوقي ولا أحَدٌ مثلي

وقد خاض الشرّاح في تأويل قوله بما خوضاً عجيباً ونقّبوا في الكشف عن المقصود منه كلّ منقّب فذكروا في ذلك أقوالاً شتّى لا يخلو نقلها من تبصرة .

قال الواحدي : حكى ابن جنّي عن أبي الطيّب أنّه كان يقول في تفسير بما وكأنّه إن ما سببٌ للتشبيه لأن القائل إذا قال لآخر : بمَ تشبه هذا ؟ قال له المجيب : كأنّه الأسد أو كأنّه الأرقم ، إلى آخر ما ذكر عنه . قال : وسمعت أبا الفضل العروضي يقول : ما وإن لم يكن للتشبيه فإنّه يقال : ما هو إلاّ الأسد ، فيكون أبلغ من قولهم : كأنّه الأسد ، وهذا قول القاضي أبي الحسن عليّ بن عبد العزيز ، حكاه عن أبي الطيب ، وليس يُنكَر أن يُنسب التشبيه إلى ما إذا كان له هذا الأثر . وقال ابن فورّجة : هذه ما التي تصحب كأنّما ، إذا قلت : كأنّما زيدٌ الأسد . وكان الأستاذ أبو بكر يقول : ما ههنا اسمٌ بمعنى الذي ، ومعناه أن يقال لمن يشبّه بالبحر كأنّه ما هو نصف الدنيا ، يعنون البحر لأن الدنيا برّ وبحر . انتهى ملخصاً . وهذا القول الأخير أعجب هذه الأقوال ، وأعجب منه اختلاف النقل عن أبي الطيب وفيه ما فيه . ولعلّ أقرب ما يقال في هذا الموضع أن ما هذه هي التي تستعمل في باب التعجب أراد بها قول القائل : ما أشبهه بفلان أو بالأسد مثلاً ، وهو من التعبير المشهور في مقام التشبيه لإفادته المبالغة في قرب الشبه ، وما أحسب المتنبي أراد غيره ، وإن لم ينتهِ إلينا بالنقل عنه ، فليُتأمّل . وقوله :

للهِ حالٌ أُرَجّيها وتُخلِفني   وأقتضي كونها دهري ويمطلني

وقد ذكروا في تفسير هذا البيت ما لفظه : أي أن القادر على تمكيني من هذه الحال التي أرجو بلوغها وهي تخلفني ، أي لا تصل إليّ ولا تنجز عِدَتي ، وأسأل دهري كونها وهو يمطلني ، هو الله تعالى . اه . وليس هذا ما يفسّر به هذا التركيب ولا يصحّ توجيهه إلاّ على بعد ، وإنّما أراد التعجّب من الحال التي يذكرها ، كما تقول : لله أنت ! ولله درّهُ ! وهو كثيرٌ مشهور . وتفسيرهم تخلفني بقولهم لا تنجز عدتي ليس من صائب التفسير إذ لا عدّة هناك ، ولو جعلوه من اخلاف الرجاء المذكور قبل لكان أسدّ وأولى . ومن ذلك قوله :

أنت الذي سبكَ الأموالَ مكرمةً   ثمّ اتخذتَ لها السؤّالَ خزّانَا

قالوا : سبك الأموال أي جمعها وصفّاها واستخلصها، ثمّ اتخذ السؤّال خزّاناً لها مكرمةً أي سلّمها إليهم كما يسلّم المال إلى الخازن . اه . ومقتضاه أنّهم جعلوا مكرمةً من صلة الشطر الثاني ، فهي حينئذٍ معمولةٌ لما بعد العاطف ، وهو غير جائز في الصناعة . والظاهر أن الذي ألجأهم إلى ذلك تفسيرهم سبك بما ذكروا ، فبقي قوله مكرمةً كاللغو واضطرب تركيب البيت من أصله . والذي في كتب اللغة أن السبك بمعنى إذابة المعدن وإفراغه في قالب ، وهو مقصود المتنبي هنا ، استعاره للأموال على معنى أنّه يصيرها مكارم ، أي عطايا تفرّق على السؤّال ، وحينئذٍ يكون قوله مكرمةً مفعولاً ثانياً لسبك على تضمينه معنى التحويل ، وبذلك يصح المعنى والإعراب جميعاً كما ترى . وقوله :

بضربِ هامِ الكماةِ تمّ لهُ   كسبُ الذي يكسبونَ بالملَقِ

وذكروا أن الذي هنا جمعٌ إمّا على حذف النون وإمّا على لغة من جعل الذي جمع لذ (كذا) ، وهو تكلّف لا حاجة إليه مع اتّساع المندوحة عنه ، فإن المتبادر من لفظ البيت أن الذي مفرد أضيف إليه كسب من باب إضافة المصدر إلى مفعوله ، فهو من صفة الشيء المكسوب ، والضمير في يكسبون للناس وإن لم يجرِ لهم ذكر ، كما يقال زعموا كذا وكذا وكما في قوله : وقالوا هل يبلّغك الثريّا ، وقوله : قالوا لنا مات إسحقٌ ، وهو كثيرٌ شائعٌ في النظم والنثر . والمعنى أنّه تمّ له بالشجاعة كسب ما يكسبُه الناس بالملق . فتأمل . وقوله :

وإنّما عرّضَ اللهُ الجنودَ بكم   لكي يكونوا بلا فسلٍ إذا رجعوا

ولم أجد من كشف عن معنى قوله : عرّض الله الجنود بكم ، سوى أن الواحدي قال في هذا الموضع : كل الناس رووا بكم ، والصحيح في المعنى لكم ، باللام ، لأنّه يقال : عرّضت فلاناً لكذا ، ويجوز أن يكون بكم من صلة معنى التعريض لا لفظه ، ومعناه : إنّما ابتلى الله الجنود بكم . اه . ويغني عن كل هذا أن يقال : صلة التعريض محذوفة ، أي عرّضهم بكم للبلاء ونحوه ، كما يقال : أرى الله بفلان ، أي أرى به المكروه . وقوله :

هلِ الحدَثُ الحمراء تعرف لونها   وتعلمُ أيُّ الساقيينِ الغمائمُ

وقد ذكروا في تفسير الشطر الثاني ما نصّه : وهل تعلم أي الساقيين يسقيها الغمائم أم الجماجم ، وحذف ذكر الجماجم اكتفاءً بذكر الغمائم ، كما قال الهذلي :

عصيتُ إليها القلبَ إنّي لأمرِها مطيعٌ فما أدري أرُشدٌ طلابُها

اه . وفي هذا التفسير ما لا يخفى على المتأمّل ولا يكفي في تصحيحه تقدير ذكر الجماجم كما قالوا ، ولكن لا بدّ هناك من تقدير خبرٍ لأيّ ، وهو الذي صرّحوا به بقولهم : وهل تعلم أي الساقيين يسقيها . على أن الجماجم غير معلومة في البيت ولا فيه دليلٌ عليها بخلاف ما في بيت الهذليّ ، فإنّ الرشد فيه دلّ على الغيّ بما بينهما من التضادّ ، فما صحّ هناك لا يصحّ هنا . على أن المعنى أيضاً على هذا الوجه غير صحيح لأن مراد المتنبي أنّ كلاً من الغمائم والجماجم سقاها ، كما صرّح به في البيت التالي بقوله :

سقتها الغمامُ الغرّ قبلَ نزولِهِ فلمّا دنا منها سقتها الجماجمُ

فهو يستفهم عن تمييزها بين ساقٍ وساقٍ ، وعبارة التفسير تقتضي أن أحد الفريقين يسقيها دون الآخر ، فالاستفهام فيها عن تعيين الساقي وعاد قوله في البيت الثاني ناقضاً لما ذكره في البيت الأوّل . والصحيح في مراده ، وهو المتبادر من وجه الكلام ، أن خبر أيّ هو الغمائم نفسها ، وأراد بالساقيين ما فسرهما به في البيت التالي من الغمام والجماجم ، وحينئذٍ يستقيم المعنى ولا تبقى حاجة إلى تقدير شيء ، كما يظهر بالتأمّل . ومن قبيل هذا البيت قوله :

ما زِلتُ أُضحكُ إبلي كلّما نظرَتْ إلى مَن اختضبت أخفافها بدَمِ

وقد ذُكر في تفسير هذا البيت ما نصه : وفي الكلام محذوفٌ يتمّ به المعنى ، أي إلى من اختضبت أخفافها بدمٍ في قصده . اه . وهو مبنيّ على جعل من اسماً موصولاً وتعليق الجارّ بنظرت ، أي كلّما نظرت إلى الذي دميت أخفافها في قصده ، وهو تكلّف يستغنى عنه على ما في حذف العائد هنا من الضعف . وأظهر ممّا ذُكر أن من هنا اسم استفهام والحرف الداخل عليه متعلّق بما بعده ، على حدّ قوله : تعالوا فانظروا بمن ابتلاني ، وحينئذٍ يكون الكلام تامّاً فلا يُحتاج فيه إلى التقدير المذكور . ومن ذلك قوله :

ولا تَغرّنّكَ الإمارةُ في غيرِ أميرٍ وإن بها باهى

وقد جعلوا قوله : في غير أمير ، على تأويل : في أمير غيره ، أي غير الممدوح ، وهو تفسير عاميّ ليس من كلام العرب في شيء ، وأقلّ ما يقال فيه ان الأمير منكّرٌ في البيت فلا يراد به أميرٌ بعينه ، وحينئذٍ فإضافة غير إليه لصريح النفيّ ، على حدّ قولهم : طمع فلانٌ في غير مطمع وسار بغير زاد ، أي طمع فيما ليس بمطمع وسار بلا زاد ، وهو من التعبير الشائع بهذا المعنى ، ومنه : يرزق من يشاء بغير حساب ، وقوله : إذا رأى غير شيءٍ ظنّه رجلا ، وهو مقصود المتنبي في هذا الموضع ، يريد : لا تغرّك الإمارة فيمن ليس بأمير ، يعني من ليس بأمير حقيقةً ، وتتمّة معنى البيت في محلّه .

وبقيت هناك وجوهٌ شتى لبث بها كثيرٌ من أبيات الديوان مُوصَداً على ما فيه يرجع جلّها أو كلّها إلى ترك التثبّت في المعنى أو الاكتفاء منه بما يوافق اللفظ دون الدخول على معاني الأبيات والكشف عن كنه مراد الشاعر . وأنا أورد لك جملةً من الأمثلة على ذلك أسردها على طريق الإيجاز والإجمال تفادياً من التطويل وإعنات المطالع بكثرة التقسيم والتفصيل ، وذلك نحو قوله يصف خيلاً :

إذا وَطئتْ بأيديها صخوراً يفئنَ لوَقع أرجلها رِمالا

ولم أجد من تنبّه للسرّ في هذا البيت ، ولم يكادوا يذكرون فيه شيئاً سوى أنّهم يقولون هو كما قال ابن المعتزّ : كأنّ حصى الصمّان من وقعها رمل . اه . وهو الظاهر الذي يُدرك لأوّل وهلة ، وبقي الكلام في ذكر الأيدي في صدر البيت والأرجل في عجزه ، وهي النكتة التي فاتت ابن المعتزّ . وقوله :

لوْ حمىَ سيّداً منَ الموْتِ حامٍ لحماهُ الإجلالُ والإعظامُ

قال الواحدي : يقول لو كان سيدٌ محمياً من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إيّاك وإعظامهم ، أي أنّهم يفدونك بنفوسهم من الموت لو قُبل الفداء . قال وقال ابن دوست : لأنّهم يهابونك فلا يقدمون عليك ، وليس المعنى في إجلال الناس إيّاه ما ذكر لأنّه ليس كلّ الموت القتل حتى يصحّ ما ذكر . انتهى كلامه . قلت : والتفسير الآخر أيضاً لا يصحّ لأنّ فداء الناس له لا يسمّى حمايةً ولا يكون سببه الإجلال والإعظام وإنّما يكون سببه الحبّ ، وليس كلّ مُجَلّ محبوباً ، وإنّما المراد إجلال الموت له فلا يُقدِم عليه هيبةً . وقوله من هذه القصيدة :

إنّما مرّة بن عوف بن سعدٍ جمَرَاتٌ لا تَشتَهيها النَّعامُ

ذكروا في عدم شهوة النعام لهؤلاء الجمرات أنّها ليست من جمر النار، يعني أنّهم ناسٌ فلا يأكلهم النعام . اه . فانظر أي مدح لهم في ذلك وأيّ نكتةٍ هنا من نكت الكلام . ومن ذلك قوله :

في النّاسِ أمثلةٌ تدورُ حياتُها كمَماتِها ومماتُها كحيّاتِها

وذكروا في معناه أن هؤلاء الناس لا فضل بين حياتهم وموتهم لأنّهم لا خير فيهم . اه . فجعلوا وجه الشبه في كلّ من تشبيه حياتهم بموتهم وتشبيه موتهم بحياتهم كونهم لا خير فيهم ، وهذا إنّما يصحّ في الأوّل دون الثاني لأنّه إذا نفى عنهم الخير وهم أحياء فمن العبث أن ينفيه عنهم وهم أموات ، بل هم في ذلك مساوون لغيرهم فلا ذمّ عليهم فيه . وقوله :

أقلّبُ فيهِ أجفاني كأنّي أعدّ بهِ على الدهرِ الذّنوبا

الضمير للّيل ، وقد ذكروا في معنى عدّه للذنوب الدهر أنّه يعدّها بحركات أجفانه عند التقليب ، كنايةً عن طول السهر . وليس هذا المعنى ، إنّما أراد تقليب نظره في النجوم والحالة هذه فهي التي يعدّ بها ذنوب الدّهر لكثرتها ، والمعنى مأخوذ من قول ديك الجنّ :

أنا أُحصِي فيكَ النّجوم ولكِن لذنوبِ الزّمانِ لَستُ بمُحصِ

وقوله :

وَجدتُ عليـّاً وابنَهُ خيرَ قَوْمِـهِ وهم خيرُ قومٍ واستوَى الحرُّ والعبدُ

وذكروا في تفسير قوله واستوى الحرّ والعبد أنّه بعد قوم الممدوح يستوي الأحرار والعبيد ، فلا يكون لأحد على غيره فضل . اه. فصار الكلام على هذا الوجه ضرباً من الإحالة لأن التفاضل لازمٌ في جميع طبقات البشر وآحادهم ، وإنّما أراد المتنبي استواءهم في الانحطاط عن منزلة الممدوحين مهما تفاوتت طبقاتهم ، وإلاّ فكيف يستوي الحرّ والعبد بغير هذا ؟ وقوله :

وأحسبُ أنّي لو هويتُ فراقكمْ لفارقتُه والدّهر أخبث صاحبِ

وقد أطالوا في هذا البيت بما لا محلّ له فيه فقال بعضهم يريد ان الدّهر يخالفه في كلّ ما أراد

حتى لو أحبّ فراقهم لواصلوه ، وكان من حقّه أن يقول لفارقني لأن قوله لفارقتُه فعل نفسه ، وهو يشكو الدّهر ولا يشكو فعل نفسه ، ولكنه قلبه لأن من فارقك فقد فارقته . اه . قلت : كان يُستغنى عن كلّ هذا بأن يُجعَل فراقُه لفراقهم اضطراراً بحكم الدهر ، وهو المقصود ، كما دلّ عليه بقوله : والدهر أخبث صاحب . وقوله :

صلاة الله خالقنا حنوطٌ   على الوّجهِ المكفَّنِ بالجمالِ

ولم أجد من زاد في تفسير قوله المكفن بالجمال على قول القائل : وجعل وجهها مكفناً بالجمال كأنّ الجمال كفنٌ لوجهها ، وكأنّه يقول : رحم الله وجهها الجميل . اه . وهو لا يزيد على تكرير اللفظ . وقوله :

وإن جزعنا لهُ فلا عَجَبٌ   ذا الجَزْرُ في البحرِ غير معهودِ

قالوا : يريد أن البحر لا جزر له فإذا جزر فهو أمرٌ عظيم ، شبّه موته بجزر البحر ، يقول : قد يجزر البحر ولكن مثل ذا الجزر فلا يكون . اه . وهو على ما تراه . وقوله :

وجيشٌ يثني كلّ طودٍ كأنّهُ   خريق رياحٍ واجهتْ غصُناً رطْبَا

وذكروا في تفسير هذا البيت أن جيشه إذا مرّوا بجبل شقّوه لكثرتهم بنصفين فجعلوه اثنين يُسمَع حسيسهما كالريح إذا مرّت بأغصانٍ رطبةٍ . اه . فجعلوا تثنية الجيش للطود على معنى أنّهم يشقّونه حتى يصير نصفين ، ولا معنًى للشقّ هنا لأنّه ليس ممّا يوصف به الجيش ولا هو من لوازم الكثرة ، ثمّ جعلوا لنصفيه حسيساً يُسمع ، ومعنى الحسيس الصوت الخفيّ ، وهو خفيّ في هذا الموضع . وإنّما أدّاهم إلى هذا الاختلاط أنّهم ظنّوا قوله : كأنّه خريق رياح ، من صلة قوله : يثني ، ذهاباً إلى أنّه يشبه الجيش في شقّه الجبل بالريح إذا تخلّلت الأغصان وليس هذا مراده إنّما كلّ من هذين المعنيين وصفٌ قائمٌ بنفسه ، وأراد بكونه يثني كلّ طودٍ أنّه إذا وقف بجانب جبل كان بإزائه كجبل آخر فصار به الجبل جبلين ، ثمّ ذكر أنّه مع هذه الكثرة والكثافة كان في لقاء العدوّ كالريح سرعة وشدّة ، وكان العدوّ أمامه كالغصن الرطب أمام الريح الشديدة . والمعنى الأوّل من قبيل قوله :

حَوالَيهِ بحرٌ للتّجافيفِ مائِجٌ   يَسيرُ بهِ طودٌ منَ الخيلِ أيهَمُ

تَساوَتْ بهِ الأقطارُ حتى كأنّهُ يجمّعُ أشتاتَ الجبالِ وينظمُ

وقوله :

أنام ملءَ جفوني عَن شواردها ويسهرُ الخلق جرّاها ويختصِمُ

الضمير من شواردها للكلمات المذكورة في البيت السابق. وقد رأيت في تفسير الشطر الأوّل ما نصّه : يقول أنام عنها وجفوني ممتلئة بها وكأنّي أنظر إليها . اه . فتأمّل في هذا التأويل وانظر كيف تكون جفونه ممتلئة بها وهو يقول أنام عنها ، وكيف يستفاد هذا المعنى من لفظ الشطر .
وقوله :

فأورَدهم صدرَ الحصان وسَيفهُ فتًى بأسه مثلُ العطاءِ جزَيلُ

قالوا : يعني أن الروم قُتلوا بحضرة سيف الدولة وهو راكب ، فجعلهم واردين صدر فرسه حين أُحضروا بين يديه وهو راكب وواردين سيفهُ حين قُتلوا به . اه . وليس هذا المعنى لأنّ إحضارهم بين يديه وهو راكب لا يعبّر عنه بأنّه أوردهم صدر فرسه وليس في ذلك كبير مدحٍ له ، إنّما أراد أنّه لقيهم بنفسه وقتلهم بحدّ سيفه ، فجعل صدر فرسه مورداً لأسلحتهم ، وجعل سيفه مورداً لأرواحهم ، وهو المعنى الذي يُفهَم من هذا الموضع ، لأنّه يقول قبله :

فلمّا رأوه وحدَه قبلَ جيشهِ دروا أنّ كلّ العالمين فضولُ

يشير إلى أنّه كان متقدّماً الجيش ، ثمّ وصف لقاءه لهم بعد ذلك بما أبَنّاه ، وهو منتهى الوصف بالشجاعة . وقوله منها أيضاً :

أعادَى على ما يوجبُ الحبّ للفتى وأهدأُ والأفكارُ فيّ تجُولُ

جعلوا الأفكار أفكار المتنبي ولا يكاد يُتناوَل له معنى في هذا الموضع ، إنّما أراد أفكار الناس ، كما يُستدرك بأدنى تأمّل . وقوله :

وما الدّهرُ إلاّ من رواةِ قَصائدي إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدّهرُ منشدا

قالوا : المعنى أن أهل الدهر كلّهم يروون شعري ، وأخرج الكلام على الدهر تعظيماً لشعره ،

وهو يريد أهل الدهر . اه . وهو غير المقصود فضلاً عمّا يؤدّي إليه من اختلال المعنى لأنّه جعل الدهر من رواة قصائده ، أي واحداً منهم ، فإن جعلنا أهل الدهر واحداً من أولئك الرواة فأيّ رواة يريد ؟ ومثله البيت الذي بعدهُ وهو قوله :

فسارَ به من لا يسيرُ مشمّراً وغنّى به من لا يُغَنّي مغرّداً

وذكروا في معناه أن شعره ينشّط الكسلان إذا سمعه فيسير على سماع شعره مشمّراً . اه . وليس بشيء لأن الشعر لا يوصف بمثل هذا ، ولا هو من مراد المتنبي لأن البيت مفرعٌ على الذي قبله ، وغرضه في البيتين بيان مسير شعره في الآفاق حتّى لم يبقَ من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من حَمَلَة الشعر .

وهذا بابٌ واسع اجتزىء منه بالقدر الذي أوردته وبقي لكلّ ما مرّ أمثلة لو تتبعتُها لامتدّ بي نَفَس الكلام إلى ما وراء المقصود من هذا الفصل .

خلاصة القول في شعر المتنبي :

وجملة القول : إن شعر المتنبي على ما في بعضه من التكلّف والتعقيد من أرصف الكلام تعبيراً وأحكمه وضعاً وأكثره طيّاً للمعاني تحت أثناء اللفظ حتّى لا يكاد يرمي بلفظةٍ إلاّ وفيها إلماعٌ إلى غرضٍ مخصوص وتمثيلٌ لوجهٍ من المعنى ، فهو بالمتون العلميّة أشبه منه بالعبارات الشعريّة . ولذلك كثُرت فيه الأبيات الموهمة واحتيج في شرح مشتبهاته إلى مزيد نظر وفضل تأمّل في تحقيق أغراضه وتصوير ملاحنه والقطع بالمقصود منها في مواضع الاحتمال ممّا يقضي على الشارح أن يستعير أداة الشاعر في نقد المعاني وتخيّر الأشبه منها وترتيب بعضها على بعض ، وناهيك به شوطاً تزلّ في مجاله سوابق الأفكار ، وتيهاً تضلّ في مجاهله ثواقب الأبصار ، وهو عذر كلّ من أُخذ عليه من شرّاح هذا الديوان أوطنّه لهم ولي ، والأضعف بالعذر أحقّ .

وهذا آخر ما تحرّك به الخاطر ، وأملاه العلم القاصر ، أُجيز به سراح القلم ، بعد إذ أُرهق حيناً من الدّهر بين السأم والنَّصَب ، يمدّهُ الإخلاص فيجري ، وتعترضه المهابة فيقف ، أو يرجع على ما كتب ، علماً بأنّ الأسماع عندنا لم تألف للإخلاص صدّى غير التقريظ والاطراء ، ولا تعتقد في ذكر غير الإحسان إلاّ التقريع والإزراء ، وما أنا في شيء من الأمرين ، إنّما ذكرتُ

ما ذكرتُه مجاراةً للعصر في النقد الذي هو اليوم أحد أركان العلم وحكايةً للحق التزمتُ فيها ذكر الشيء على وجهه تسديداً لوجه الحكم ، وإن وُجِدَ ثَمَّةَ ما يقدّر فيه الخلاف ، فالنيّة براء منه ، والقصد بمعزل عنه ، وأنا أبرأ إلى الله عزّ وجلّ من دعوى العصمة ، وأستغفره مما طغى به القلم ، وأسأل أُلي النظر تلقّيَّ بالحلم والكرم . والله حسبي وإليه أُنيب .

كان تسليمه وداعاً

أول شعر نظمه ارتجالا قوله وهو صبي :

بأبي مَنْ وَدِدْتُـهُ فَافْتَرَقْنَا   وقَضَى اللهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِمَاعَا[1]
فَافْتَرَقْنَا حَوْلاً فَلَمَّا الْتَقَيْنَا   كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا[2]

كفى بجسمي نحولا

قال أيضاً في صباه :

أبْلَى الهَوَى أسَفاً يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي   وَفَرَّقَ الهَجْرُ بَيْنَ الجَفْنِ وَالوَسَنِ[3]
رُوحٌ تَرَدَّدَ في مثلِ الخِلالِ إذا   أطَارَتِ الرِّيحُ عنهُ الثَّوْبَ لم يَبِنِ[4]
كَفَى بجِسْمي نُحُولاً أنّني رَجُلٌ   لَوْلا مُخاطَبَتي إيّاكَ لمْ تَرَني[5]

---

١ الباء للتفدية . وبأبي يجوز أن يكون مستقراً والموصول بعده مبتدأ . أو لغواً والموصول مفعول لمحذوف تقديره أفدي .
٢ حولا عاماً .
٣ أسفاً مفعول مطلق محذوف العامل والتقدير آسف أسفاً . والنوى البعد . والوسن النوم .
٤ روح مبتدأ محذوف الخبر أي لي روح . وتردد يجوز أن يكون فعلا ماضياً على تذكير الروح وهو الأكثر أو مضارعاً على تأنيثها والأصل تتردد بتاءين فحذفت إحداهما للتخفيف.والخلال عود دقيق تخلل به الأسنان . ويروى الخيال . أي أن روحه تجيء وتذهب في بدن قد نحل حتى صار مثل الخلال لو طيرت الريح الثوب الذي عليه لم يظهر لرقته .
٥ الباء في بجسمي زائدة . وجسمي مفعول كفى . ونحولا تميز . وأني رجل فاعل كفى . يقول

قفا قليلاً بها عليّ !

قال أيضاً في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :

أَهْلاً بِدارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا ... أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا[1]

ظِلْتَ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ ... نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا[2]

يَا حَادِيَيْ عِيرِهَا وَأَحْسَبُنِي ... أُوجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا[3]

قِفَا قَلِيلاً بِهَا عَلَيَّ فَلا ... أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُهَا[4]

فَفِي فُؤَادِ المُحِبِّ نَارُ جَوًى ... أَحَرُّ نَارِ الجَحِيمِ أَبْرَدُهَا[5]

شَابَ مِنَ الهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ ... فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا[6]

---

* لصاحبه : كفاني من فعل النحول بي أني قد خفيت عن أعين الناظرين حتى إني لو لم أكلمك لم تعلم بمكاني ولم يقع بصرك علي .

١ أهلا منصوب بمضمر والتقدير جعل الله أهلا بتلك الدار أي جعلها عامرة بالأهل. والأغيد الناعم المتثني ليناً، وهو وصف للحبيبة وإنما ذكره على معنى الشخص. وبان بعد. والخرد جمع الخريدة على غير قياس وهي المرأة الحيية .

٢ ظلت أصله ظللت فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً . وخلب الكبد غشاؤها . ويدها مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه والجملة نعت آخر لكبد . أي ظللت بتلك الدار تنثني على كبدك التي أنضجها حر الحزن واضعاً يدك فوق غشائها من الألم .

٣ العير الإبل التي تحمل عليها الميرة . ويروى عيسها وهي الكرام من الإبل . وقوله أحسبني إلى آخر البيت اعتراض . وقبيل تصغير قبل وأراد قبيل أن أفقدها فلما حذفت ان عاد الفعل إلى الرفع كما كان بدونها .

٤ أي فلا شيء أقل .

٥ الجوى هو الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن .

٦ اللمة الشعر يجاوز شحمة الأذن . والدمقس الحرير الأبيض .

يَا عَاذِلَ العَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً   أَضَلَّهَا اللهُ كَيفَ تُرْشِدُهَا[1]

لَيْسَ يُحِيكُ المَلامُ في هِمَمٍ   أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا[2]

بِئْسَ اللَّيَالِي سَهِدْتُ مِنْ طَرَبٍ   شَوْقاً إلى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا[3]

أَحْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي   شُؤُونُهَا وَالظَّلامُ يُنْجِدُهَا[4]

لا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلا   بالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا[5]

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا   زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا[6]

أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبُقُهُ   تَحتِيَ مِنْ خَطْوِهَا تَأَوُّدُهَا[7]

في مِثْلِ ظَهْرِ المِجَنِّ مُتَّصِلٍ   بِمِثْلِ بَطْنِ المِجَنِّ قَرْدَدُهَا[8]

---

١ الفئة الجماعة يريد بها العاشقين . وأضلها الله نعت فئة .

٢ يحيك يؤثر . أي لا يؤثر ملامك في همم أقربها إلى قبول نصحك على حسب ظنك هو أبعدها عنه في الواقع فإن كانت هذه صفة الأقرب فما ظنك بالأبعد .

٣ سهدت أي سهرت .

٤ يقال أحيا الليل إذا سهره كله وأنجده أعانه . والشؤون مجاري الدمع من الرأس . أي سهرت هذه الليلة كلها وللدموع إمداد من شؤونها والليلة إمداد من الظلام . أي أن دموعه تجود والليلة تطول .

٥ أراد بناقته نعله . والرديف الراكب خلف الراكب . والسوط ما يضرب به . والرهان السباق . وأجهد الدابة وجهدها حملها في السير فوق طاقتها .

٦ الشراك سير النعل . والكور رحل الناقة . والمشفر من الناقة بمنزلة الشفة من الإنسان . وزمام النعل ما تشد إليه شسوعها وهي السيور التي تكون بين خلال الأصابع . والمقود الحبل الذي تقاد به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة وزمامها بمنزلة المشفر لها والشسوع بمنزلة المقود.

٧ التأود التمايل . ويروى تأيدها من الأيد وهو القوة والصلابة . وكلاهما لا يناسب المقام والصحيح تَوَأُدها من التؤدة بمعنى التمهل .

٨ مثل نعت لمحذوف أي في فلاة مثل ظهر المجن وهو الترس. ومتصل نعت سببي لفلاة المحذوفة. والقردد الأرض المرتفعة وهو فاعل متصل والضمير المضاف إليه الفلاة. أي أن هذه الفلاة محدبة

مُرْتَميَاتٌ بِنَا إلى ابنِ عُبَيْـ ـدِ اللهِ غِيطَانُهَا وَفَدْفَدُهَا[1]

إلى فَتًى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أنْهَلَهَا في القُلُوبِ مُورِدُهَا[2]

لَهُ أيَادٍ إليّ سَابِقَةٌ أعُدّ مِنْهَا وَلا أُعَدِّدُهَا[3]

يُعْطي فَلا مَطْلَةٌ يُكَدِّرُهَا بِهَا وَلا مَنّةٌ يُنَكِّدُهَا[4]

خَيْرُ قُرَيْشٍ أباً وَأمْجَدُهَا أكْثَرُهَا نَائِلاً وَأجْوَدُهَا[5]

أطْعَنُهَا بالقَنَاةِ أضْرَبُهَا بالسّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا[6]

أفْرَسُهَا فَارِساً وَأطْوَلُهَا باعاً وَمِغْوَارُهَا وَسَيّدُهَا[7]

تَاجُ لُؤيّ بنِ غَالِبٍ وَبِهِ سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتِدُهَا[8]

شَمْسُ ضُحَاهَا هِلالُ لَيلَتِهَا دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا[9]

مثل ظهر المجن يتصل ما ارتفع منها بأماكن منخفضة مثل بطن المجن يعني أنها ذات جبال ووهاد .

١ مرتميات أي منتهيات وهو خبر مقدم عن قوله غيطانها في عجز البيت . والغيطان بطون الأرض . والفدفد الأرض الغليظة . والضمير في غيطانها وفدفدها للمفازة .

٢ أنهلها سقاها . وموردها ، يروى بفتح الميم على معنى المصدر ، وبضمها على معنى اسم الفاعل وهو الأجود . أي يعيد الرماح وقد سقاها من دماء قلوب أعدائه .

٣ أيادٍ نعم .

٤ الضمير في بها للمطلة . وفي يكدرها وينكدها للأيادي المذكورة في البيت السابق . ويروى مطله وبه ومنّه . يعني أنه لا يمطل قبل العطاء ولا يمن بعده .

٥ نائلاً عطاء .

٦ القناة الرمح . والجحجاح السيد الشريف . والمسود الذي جعله قومه سيداً . قال الواحدي : ذكر القناة والسيف تأكيداً للكلام مع الطعن والضرب كما يقال مشيت برجلي وكلمته بفمي .

٧ فارساً حال أي إذا ركب فرسه . والمغوار الكثير الغارات .

٨ لؤي أبو قريش . والمحتد الأصل .

٩ التقاصير القلائد مفردها تقصار وتقصارة . والزبرجد حجر كريم والضمير المضاف إليه للتقاصير .

يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمِّدُهَا[1]

أَثَّرَ فِيهَا وَفِي الحَدِيدِ وَمَا أَثَّرَ فِي وَجْهِهِ مُهَنَّدُهَا[2]

فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهَا بِمِثْلِهِ وَالجِرَاحُ تَحْسُدُهَا[3]

وَأَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا[4]

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا[5]

تَبْكِي عَلَى الأَنْصُلِ الغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا

لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا[6]

---

١ أتيح أي قدر . ومحمدها نائب فاعل أتيح أي أتيح لها محمدها كما أتيحت له . وكان الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه في الحرب فهو يتمنى لو كانت هذه الضربة به ففداه منها أو يتمنى مثلها لنفسه لما فيها من دليل الشجاعة والإقدام .

٢ المهند السيف المطبوع من حديد الهند. والمعنى أن كلا من الضربة وحديد السيف قصد إهلاكه فردهما عن قصدهما فذلك تأثيره فيهما . ويمكن أن يكون المراد أنه أثر في الضربة والسيف ضعفاً بإرعاش يد الضارب لهيبته واستعظام الإقدام عليه ولذلك لم يؤثر السيف في وجهه أثراً يعتد به أو لم يغير وجهه عن إقدامه أي لم يصرفه إلى الفرار .

٣ أي أن هذه الضربة وجدت نفسها سعيدة لما رأت أنها قد تزينت بوقوعها في وجهه وحسدتها بقية الجراح لأنها لم تصادف لها مكاناً شريفاً مثل هذا .

٤ يشير إلى أن هذه الضربة أتته غدراً لا كفاحاً وأن ضاربها قد زرع زرعاً خبيثاً لا بد أن يحصده أي ينال جزاءه عليه . والضمير في قلبه يحتمل أن يعود إلى الممدوح أي أن الضارب قد زرع هذه العداوة في قلبه وأن يعود إلى الضارب أي زرعها بمكر في قلبه .

٥ حساده فاعل أصبح وهي التامة . وجملة أنفسهم وما بعدها حال . أي أنه أقلق حساده فهم لا يستقرون خوفاً منه .

٦ أي أن غمود سيوفه تبكي على نصالها إذا أنذرها أنه يجرد تلك النصال لعلمها أن النصال المذكورة ستلبس لون الدم لكثرة ما تتلطخ به فيذهب رونقها وأنه سيجعل الرقاب غموداً لها بدلا منها .

أطْلَقَهَا فَالعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا[١]

تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا

إذَا أضَلَّ الهُمَامُ مُهْجَتَهُ يَوْماً فَأطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا[٢]

قَدْ أجْمَعَتْ هَذِهِ الخَلِيقَةُ لي أنَّكَ يا ابنَ النَّبيِّ أوْحَدُهَا

وأنْكَ بالأمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً شَيْخَ مَعَدٍّ وَأنْتَ أمْرَدُهَا[٣]

وَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلِّلَةٍ رَبَّيْتَهَا كانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا[٤]

وكَمْ وكَمْ حَاجَةٍ سَمَحْتَ بِهَا أقْرَبُ مِنّي إليَّ مَوْعِدُهَا[٥]

وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْـ بِرِّ إلى مَنْزِلي تُرَدِّدُهَا[٦]

أقَرَّ جِلْدي بِهَا عَلَيَّ فَلا أقْدِرُ حَتَّى المَمَاتِ أجْحَدُهَا[٧]

فَعُدْ بِهَا لا عَدِمْتُهَا أبَداً خَيْرُ صِلاتِ الكَرِيمِ أعْوَدُهَا[٨]

---

١ الضمير في أطلقها للأنصل . والجزع ذهاب الصبر من شدة المخافة .

٢ الهمام الملك العظيم . والمهجة الروح. ونشد الضالة طلبها ليعرف مكانها . أي إذا أضل الملك العظيم مهجته من الدهش فأطراف هذه السيوف تطلبها حيث هي فتهتدي إليها . ويروى منشدها اسم مكان أي إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله فسيوفه هي المكان الذي تطلب مهجته منه لأنها قواتل الملوك .

٣ أنك مخففة من أنك للضرورة . والمحتلم الغلام بلغ مبالغ الرجال وهو حال من التاء في كنت . وشيخ معد خبر كان . والضمير في أمردها لمعد . أي وانك بالأمس حين كنت غلاماً أمرد كنت شيخ بني معد فكيف اليوم مع كمال السن والعقل .

٤ مجللة شاملة .

٥ أي موعدها أقرب إلي من نفسي يشير إلى قصر الوعد وقرب الإنجاز وسرعته .

٦ ويروى تَرددها على المصدر . يريد بالمكرمات هنا ثياباً أنفذها إليه ولذلك يقول بعده أقر جلدي بها علي . وقوله على قدم البر أي أن حاملها كان من جملة الهدية بكونه غلاماً للممدوح . ويجوز أن يراد أنها على اثر بر سابق .

٧ أنكرها . أي اعترف جلدي بها لظهورها علي .

٨ الصلات العطايا . وأعودها أكثرها عوداً .

الوفرة الحسنة

قيل له وهو في المكتب : ما أحسن هذه الوفرة ! فقال :

لا تَحْسُنُ الوَفْرَةُ حتّى تُرَى مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ القِتالْ[1]
عَلى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً يَعُلُّهَا مِنْ كُلّ وَافي السِّبالْ[2]

نهى كهل في سن أمرد

قال في صباه :

وَشَادِنٍ رُوحُ مَنْ يَهواهُ في يَدِهِ سَيْفُ الصُّدودِ عَلى أعْلى مُقَلَّدِهِ[3]

---

1 الوفرة الشعر المجتمع على الرأس . والضفر الخصلة المضفورة من الشعر وكانوا ينشرون شعورهم يوم الحرب تهويلا للعدو .

2 الصعدة الرمح القصير . واعتقل الرمح حمله. ويعلها يسقيها مرة بعد أخرى. والسبال جمع السبلة وهي الشارب أو ما استرسل من مقدم اللحية .

3 الشادن الظبي إذا كبر واستغنى عن أمه . والمقلد موضع نجاد السيف من المنكبين . ذكر الواحدي هذه الأبيات بعد القطعة التي استأذن ابن عسكر بها في بعلبك وجعل صدر أول بيت منها قوله : سيف الصدود على أعلى مقلده . وأما العجز فقال إنه لم يحفظ وإن الناس تكلفوا له زيادة مصراع فقال بعضهم : بكف أهيف ذي مطل بموعده . وقال آخر : يفري طلى وامقيه في تجرده . وعلى هذا بنى شرحه .

٢ مَا اهتَزَّ مِنهُ عَلى عُضْوٍ لِيَبتُرَهُ إلاّ اتّقاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجَلّدِهِ[1]

٣ ذَمّ الزّمَانُ إلَيْهِ مِنْ أحِبّتِهِ ما ذَمّ مِن بَدرِهِ في حَمدِ أحمدِهِ[2]

٤ شَمسٌ إذا الشّمسُ لاقَتهُ على فرَسٍ تَرَدّدَ النّورُ فيها مِنْ تَرَدّدِهِ[3]

٥ إنْ يَقبُحُ الحُسْنُ إلاّ عِندَ طَلعَتِهِ وَالعَبْدُ يَقبُحُ إلاّ عندَ سَيّدِهِ[4]

قالتْ عنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْساً فقلتُ لها لا يَصْدُرُ الحُرُّ إلاّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ[5]

لم أعرِفِ الخَيرَ إلاّ مُذْ عَرَفْتُ فَتًى لم يُولَدِ الجُودُ إلاّ عِندَ مَوْلِدِهِ

نَفْسٌ تُصَغّرُ نَفسَ الدّهرِ من كِبَرٍ لهَا نُهَى كَهْلِهِ في سِنّ أمْرَدِهِ

---

١ البتر القطع . والتجلد التصبر . والضمير في اهتز للسيف . وفي منه للشادن . وفي اتقاه المرفوع للعاشق والمنصوب للسيف .

٢ الضمير في بدره وأحمده للزمان وباقي الضمائر للمحب . أي أن الزمان ذم إلى المتنبي العيب الذي ذمه المتنبي من بدر الزمان عند حمده هذا الرجل المسمى بأحمد وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان في مودة الأحبة وفي القمر بالنسبة إلى الممدوح . وقد أكثرت الشراح في هذا البيت ولعل الأقرب هذا المعنى .

٣ على فرس حال من الهاء في لاقته أي وهو على فرس .

٤ إن نافية . وقوله والعبد يقبح إلى آخره كلام مستأنف . ويروى فالعبد يقبح على جعل إن شرطية وعلى كليهما لا يتبين البيت معنى صحيح . والأظهر أن قوله يقبح في عجز البيت خطأ في الرواية والصواب يحسن وحينئذ تتعين إن النفي ويكون المعنى أن الحسن في غير هذا الممدوح لا يظهر قبيحاً إلا عند مقابلته بطلعته لما فيها من الكمال وفي غيرها من النقص . فكل ذي حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده فإذا قوبل به ظهر قبيحاً بالنسبة إليه والله أعلم .

٥ الرفد العطاء . ويصدر يعود. أي قالت العاذلة طب نفساً عن الرفد أي لا تطمع فيه فإنه غير مبذول، فقلت لها إن الحر إذا قصد أمراً لا يرجع عنه إلا بعد الوصول إليه والتمكن منه .

الجرذ الصريع

مر برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه
يعجبان الناس من كبره ، فقال :

لَقَدْ أصْبَحَ الجُرَذُ المُسْتَغِيرُ أسيرَ المَنَايا صَرِيعَ العَطَبْ[1]
رَمَـاهُ الكِنَانيُّ وَالعَامِرِيُّ وَتَلاَّهُ للوَجْهِ فِعْلَ العَرَبْ[2]
كِلا الرّجُلَيْنِ اتّلَى قَتْلَهُ فَأيُّكُمَا غَلّ حُرَّ السَّلَبْ[3]
وَأيُّكُمَا كانَ مِنْ خَلْفِهِ فإنّ بهِ عَضّةً في الذّنَبْ

لقب على لقب

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي :

لمّا نُسِبْتَ فكُنْتَ ابْناً لِغَيرِ أبٍ ثمّ اخْتُبِرْتَ فلَمْ تَرْجعْ إلى أدَبِ

---

١ الجرذ ضرب من الفأر معروف . والمستغير الطالب الغارة على ما في البيوت من الأطعمة .
٢ تلاه أي صرعاه . وفعل العرب مفعول مطلق .
٣ اتلى أي تولى . وغل خان . والحر الجيد . والسلب ما يسلب من ثياب وسلاح ونحو ذلك . أي أيكما خان صاحبه في السلب . وكل ذلك من باب التهكم .

سُمّيتَ بالذّهَبيّ اليَوْمَ تَسْمِيَةً مُشتَقّةً من ذهابِ العقلِ لا الذّهَبِ[1]

مُلَقَّبٌ بكَ مَا لُقّبْتَ وَيْكَ بهِ يا أيّها اللّقَبُ المُلقَى على اللّقَبِ[2]

ما أحد فوقي ولا أحد مثلي

وقال في صباه :

مُحِبّي قِيَامي مَا لِذلِكُمُ النّصْلِ بَرِيئاً مِنَ الجرْحَى سَليماً من القَتلِ[3]

أرَى من فِرِنْدي قِطعَةً في فِرِنْدِهِ وَجُودَةُ ضَربِ الهَامِ في جُودةِ الصّقلِ[4]

وَخُضرَةُ ثوْبِ العيشِ في الخضرةِ التي أرَتكَ احمرارَ المَوْتِ في مدرَجِ النّملِ[5]

---

١ أي لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به سميت بالذهبي اليوم أي أن هذه النسبة مستحدثة لك اليوم لا موروثة واشتقاقها من ذهاب العقل لا من الذهب .

٢ ويك أصلها ويلك فحذفت اللام لكثرة الاستعمال . يقول : إن الذي لقبت به هو ملقب بك أي أنت شين وعار للقبك فأنت منزل منه منزلة اللقب ممن لقب به . قال الواحدي : ومثل هذا الكلام لا يستحق الشرح ولو طرح المتنبي شعر صباه من ديوانه لكان أولى . وأكثر الناس لا يروون هاتين القطعتين .

٣ محبي قيامي منادى . وبريئاً وسليماً حالان . أي يا أيها المحبون قيامي بينكم وتركي الأسفار والحروب ما بالي لا أنهض وما لسيفي لا يجرح ولا يقتل في الأعداء .

٤ الفرند جوهر السيف . والهام جمع الهامة وهي الرأس . أي أرى من مضائي شيئاً في مضاء هذا النصل يريد أنهما مشتركان في ذلك . ولما شبه نفسه بالسيف وأثبت لها الفرند قال إن جودة الضرب متوقفة على جودة الصقل يريد به كثرة الأسفار ومعاركة الخطوب فإنها تجلو همم أربابها وتكسبها مضاء كالصقال للسيف .

٥ المراد بخضرة ثوب العيش النعمة والخصب أخذاً من خضرة النبات . وأراد بالخضرة الثانية لون

أمِطْ عَنكَ تَشبيهي بمَا وَكَأنّهُ فَمَا أحَدٌ فَوْقي وَلا أحَدٌ مِثْلي[1]
وَذَرْني وَإيّاهُ وَطِرْفي وَذابِلي نكنْ واحداً يلقى الورَى وَانظرَنْ فعلي[2]

نور تظاهر فيك لاهوتيه

قال وهو في المكتب يمدح رجلا ،
وأراد أن يستكشفه عن مذهبه :

كُفّي ! أرَاني ، وَيْكِ ،لَوْمَكِ ألْوَما ، هَمٌّ أقامَ عَلى فُؤادٍ أنْجَمَا[3]
وَخَيالُ جِسْمٍ لم يُخَلِّ له الهَوَى لَحْماً فَيُنْحِلَهُ السّقامُ وَلا دَمَا[4]
وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأيتِ لَهيبَهُ يا جَنّتي لَظَنَنْتِ فيهِ جَهَنّمَا[5]

النصل وهي مستحبة فيه . واحمرار الموت شدته وأصله من القتل لما فيه من حمرة الدم . ومدرج النمل مدبه كنى به عن آثار الفرند .

١ أمط أي أزل وارفع. ومراده بما وكأنه قول القائل ما أشبه بكذا وكأنه فلان .

٢ ذرني بمعنى دعني وإياه ضمير النصل . والطرف الفرس . والذابل الرمح . وقوله نكن جواب الأمر . وجملة يلقى الورى نعت واحداً. ويروى نلق بصيغة المتكلمين مجزوماً على البدل من نكن .

٣ ويك كلمة تقال في مقام التعجب والإنكار وقد مر تفسيرها قبيل هذا. ولومك مفعول ثان لأراني . وألوم تفضيل من اللوم وهو مفعول ثالث . وهم فاعل أراني . وأنجم بمعنى أقلع وذهب . والمعنى أن الهم المقيم على فؤادي الذاهب أراني أن لومك أحق مني باللوم . وعليه فيكون ألوم من معنى المفعول وهو شاذ .

٤ وخيال عطف على هم .

٥ وخفوق عطف آخر .

وَإذا سَحابَةُ صَدّ حِبٍّ أبْرَقَتْ	تَرَكَتْ حَلاوَةَ كُلّ حُبٍّ عَلْقَمَا[1]
يَا وَجْهَ داهِيَةَ الّذي لَوْلاكَ مَا	أكلَ الضّنَى جسدي ورَضّ الأعظُمَا[2]
إنْ كَانَ أغْنَاهَا السُّلُوُّ فإنّني	أمْسَيْتُ مِنْ كَبِدي وَمنها مُعْدِمَا[3]
غُصْنٌ عَلَى نَقَوَيْ فَلاةٍ نَابِتٌ	شمسُ النّهارِ تُقِلُّ لَيلاً مُظْلِمَا[4]
لمْ تُجْمَعِ الأضدادُ في مُتَشَابِهٍ	إلاّ لتَجْعَلَني لغُرْمي مَغْنَمَا[5]
كَصِفاتِ أوْحَدِنَا أبي الفَضْلِ الّتي	بَهَرَتْ فأنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأفْحَمَا[6]
يُعْطيكَ مُبْتَدِراً فإنْ أعْجَلْتَهُ	أعطاكَ مُعْتَذِراً كَمَنْ قد أجرَمَا[7]
وَيَرَى التّعَظّمَ أن يُرَى مُتَواضِعاً	وَيَرَى التّواضُعَ أنْ يُرَى مُتَعَظِّمَا

١ الحب ، بالكسر ، بمعنى الحبيب ، وبالضم مصدر . والعلقم شجر مر. يقول : إذا لاحت لوائح الصد من الحبيب جعلت حلاوة المحبة مرارة .

٢ داهية كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها ولذلك منعها من الصرف . يشير إلى أنها لم تكن إلا داهية عليه لشدة ما لقي منها من البلاء .

٣ المعدم الفقير ذكره في مقابلة قوله أغناها . يريد أنها قد سلبت كبده بمحبتها فإن كان السلو قد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كبده وحبيبته لأنه قد حرمهما جميعاً .

٤ غصن خبر عن محذوف أي هي غصن . وكذا شمس في المصراع الثاني . والنقوان مثنى النقا وهو الكثيب من الرمل . والفلاة الأرض الواسعة . وتقل بمعنى تحمل .

٥ أراد بالأضداد ما ذكره في البيت السابق من الأشياء التي شبهها بها. وبالمتشابه شخصها الذي تشابهت أعضاؤه في حسن الخلق وتناسبه . أي لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة في شخص متشابه المحاسن إلا لتجعلني غنيمة لما أنا مغترمه من غوائل حبها .

٦ بهرت غلبت . وأفحم ضد أنطق . شبه هذه الأضداد بصفات الممدوح من نحو كونه خشناً على الأعداء ليناً على الأصدقاء حلواً في حال الرضى مراً في حال الغضب وأشباه ذلك وأن هذه الصفات قد غلبت واصفيها فأنطقهم بها لكثرتها ثم أفحمهم لعجزهم عن إحصائها .

٧ أي أنه يبتدرك بالعطاء قبل أن تسأله فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن إبطائه كأنه قد أتى ذنباً .

نَصَرَ الفَعالَ عَلى المِطالِ كأنَّمَا خَالَ السُّؤالَ عَلى النَّوالِ مُحَرَّمَا[1]

يا أيُّهَا المَلَكُ المُصَفَّى جَوْهَراً من ذاتِ ذي المَلَكوتِ أسمى من سَمَا[2]

نُورٌ تَظاهَرَ فيكَ لاهُوتِيُّـهُ فتَكادُ تَعْلَمُ عِلْمَ ما لَنْ يُعْلَما[3]

وَيَهِمُّ فيكَ إذا نَطَقْتَ فَصاحَةً من كُلّ عُضوٍ مِنكَ أنْ يَتَكَلّمَا[4]

أنَا مُبْصِرٌ وَأظُنّ أنّي نَـائِمٌ مَنْ كانَ يَحْلُمُ بالإلَهِ فأحْلُمَا[5]

كَبُرَ العِيَانُ عَلَيّ حتى إنّـهُ صارَ اليَقينُ مِنَ العِيانِ تَوَهُّمَا[6]

يَا مَنْ لجُودِ يَدَيْهِ في أمْوالِـهِ نِقَمٌ تَعُودُ على اليَتَامَى أنْعُمَا

حتى يَقُولُ النّاسُ مَا ذا عَاقِلاً وَيَقولُ بَيْتُ المالِ مَا ذا مُسْلِمَا[7]

إذكارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إذكاري لَهُ إذْ لا تُريدُ لِمَا أُريدُ مُتَرْجِمَا[8]

---

١ أي أنه يعطي من غير وعد فلا يعرض له المطال كأنه يحسب الطلب حراماً فلا يحوج الناس إليه .

٢ يقول : إنه جوهر مصفى من ذات الله وهذا مدح منكر في حق البشر ولكن أراد أن يستكشفه عن مذهبه حتى إذا رضي به علم أنه فاسد المذهب بادعائه الألوهية وإن أنكره علم أنه حسن العقيدة لا يرضى بدعوى الألوهية لنفسه .

٣ ويروى لاهوتية على التمييز .

٤ فاعل يهم ضمير النور . وفصاحة مفعول له . وأن يتكلم صلة يهم . أي أن هذا النور يهم أن يتكلم فيك من كل عضو من أعضائك .

٥ أي أنا مستيقظ ولكني لغرابة ما أرى منك أظن أني في الحلم . ثم عدل عن ذلك فقال من يحلم بالإله حتى أحلم بك . يريد أن يثبت له الألوهية امتحاناً .

٦ هذا البيت تأكيد لما في السابق يقول : قد عظم علي ما أراه منك حتى شككت فيها رأيته وصار المعاين عيان اليقين كالمتوهم الذي لا يدرك بالعيان .

٧ ما ذا في الشطرين مركبة من ما النافية العاملة عمل ليس وذا الإشارية. أي أنه يفرط في جوده حتى تنسبه الناس إلى الحمق ويقول بيت المال إن هذا الذي فرق بيت مال المسلمين ليس بمسلم .

٨ مفعول تريد . أي أن مثلك لا يحتاج إلى إذكار بحاجة لعلمك بها من غير أن تذكر فيكون ترك الاذكار إذكاراً لك .

الموت في الحرب عسل في الفم

وقال في صباه :

إلى أيّ حينٍ أنْتَ في زيّ مُحْرِمِ ... وَحتى مَتى في شِقْوَةٍ وَإلى كَمِ[1]

وَإلاّ تَمُتْ تَحْتَ السّيوفِ مكرَّماً ... تَمُتْ وَتُقاسِ الذّلّ غَيرَ مُكَرَّمِ[2]

فَثِبْ وَاثِقاً باللهِ وِثْبَةَ مَـاجِدٍ ... يرى الموتَ في الهيجا جَنى النحلِ في الفَمِ[3]

إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي:

أحْيَا وَأيْسَرُ مَا قاسَيْتُ ما قَتَلا ... وَالبَيْنُ جارَ على ضُعْفي وَمَا عَدَلا[4]

وَالوَجدُ يَقوَى كما تَقوَى النّوَى أبداً ... وَالصّبرُ يَنحَلُ في جسمي كما نَحِلا[5]

---

١ المحرم الطائف بالحرم وزيه العري لأنه لا يلبس ثوباً مخيطاً. يقول لنفسه: إلى متى أنت عريان فقير . ويجوز أن يراد أن المحرم لا يصيب شيئاً ولا يقتل صيداً أي إلى متى أكف عن قتل الأعداء .

٢ أي إن لم تمت في الحرب كريماً فلا بد أن تموت من نفسك غير كريم بعد مقاساة الذل والهوان .

٣ الهيجاء من أسماء الحرب . وجنى النحل العسل .

٤ يخبر عن نفسه بأنه باق في الحياة مع أن أقل ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل وذلك على سبيل التعجب . ويجوز أن يكون المراد أأحيا فحذف أداة الاستفهام .

٥ الوجد الحزن والشوق . والنوى البعد . أي أن الوجد يزداد مثل ازدياد بعد الأحبة والصبر يضعف مثل ضعف جسمه .

لَوْلا مُفارَقَةُ الأحبابِ ما وَجَدَتْ   لهَا المَنَايَا إلى أرْوَاحِنَا سُبُلا[1]

بمَا بجفْنَيْكِ من سِحْرٍ صِلي دَنِفاً   يهوَى الحَياةَ وَأمّا إنْ صَدَدتِ فَلا[2]

إلاّ يَشِبْ فَلَقَدْ شابَتْ لَهُ كبِدٌ   شَيْباً إذا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلا[3]

يَحِنّ شَوْقاً فَلَوْلا أنّ رَائِحَةً   تَزورُهُ مِن رِياحِ الشّرْقِ مَا عَقَلا[4]

هَا فانْظُري أوْ فَظُنّي بي تَرَيْ حُرَقاً   مَن لم يَذُقْ طَرَفاً منها فقدْ وَألا[5]

عَلّ الأميرَ يَرَى ذُلّي فيَشْفَعَ لي   إلى التي تَرَكَتْني في الهَوَى مَثَلا[6]

أيْقَنْتُ أنّ سَعيداً طَالِبٌ بدَمي   لمّا بَصُرْتُ بهِ بالرّمْحِ مُعْتَقِلا[7]

وأنّني غَيرُ مُحْصٍ فَضْلَ والِدِهِ   وَنَائِلٌ دونَ نَيْلي وَصْفَهُ زُحَلا[8]

....

١ المنايا جمع المنية وهي الموت .

٢ الباء في قوله بما بجفنيك للقسم . ومن بعده بيانية أي بالسحر الذي بجفنيك . والدنف الذي أثقله المرض .

٣ ذهب خضابه . كنى بشيب كبده عن الضعف لأنه من لوازم الشيب غالباً وهي استعارة غير مستحسنة عندهم . يريد أن ذلك الشيب إذا خضبته سلوة لم يثبت خضابها أي إذا سلا حيناً لم يلبث الشوق أن يعود لأن سلوته لا تدوم .

٤ يحن من الحنين وهو الصبوة والطرب . ويروى يجن ، بالجيم ، من الجنون . والأول أحسن والثاني أليق بالمقام ليوافق قوله عقل في آخر البيت .

٥ ها للتنبيه أي ها أنا ذا فانظري إلي أو ظني بي إن لم تنظاري . وتري جواب الأمر . ووأل نجا .

٦ فيشفع جواب الترجي. وروى العروضي عن الشعراني فيشفعني أي يضمني شفعاً بناء على أنها كانت جارية الممدوح وهو أجمل بالأدب .

٧ بصرت به أي أبصرته . يقول: إني أيقنت بأن الممدوح يطلب بدمي إن سفكته الحبيبة ويأخذ ثأري لأني رأيته قد اعتقل رمحه متوجهاً لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك ثأر أوليائه .

٨ ويروى فضل نائله وهو العطاء . زحل اسم نجم معروف أي أنني أدرك النجم قبل أن أدرك وصفه .

قَيْلٌ بمَنْبِجَ مَثْواهُ ونَائِلُهُ في الأفْقِ يَسألُ عَمّنْ غيرَهُ سألا[1]

يَلوحُ بَدْرُ الدّجى في صَحنِ غُرّتِهِ وَيَحْمِلُ الموتُ في الهيجاء إن حمَلا[2]

تُرَابُهُ في كِلابٍ كُحْلُ أعْيُنِهَا وَسَيْفُهُ في جَنَابٍ يَسْبُقُ العَذَلا[3]

لنُورِهِ في سَمَاءِ الفَخرِ مُخْتَرَقٌ لوْ صاعدَ الفكرَ فيهِ الدّهرَ ما نَزَلا[4]

هُوَ الأميرُ الذي بادَتْ تَميمُ بهِ قِدْماً وساقَ إليْها حَيْنُهَا الأجَلا[5]

لمّا رَأوْهُ وَخَيْلُ النّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالحَرْبُ غَيرُ عَوَانٍ أسلموا الحِلَلا[6]

---

١ القيل الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج بلد بالشام . ومثواه مقامه . والأفق القطر والناحية . أي هو مقيم بمنبج وعطاياه تطوف في الأرض تسأل عمن استعطى غيره . يريد أن جوده قد اشتهر حتى صرف السؤال عن غيره إليه .

٢ الغرة الوجه . وصحنها وسطها كأنه مأخوذ من صحن الدار . والموت يروى بالرفع فيكون يحمل من معنى الحملة في الحرب أي أن هذا الممدوح إذا حمل على الأعداء في الحرب فالموت يحمل معه . ويروى بالنصب أي أنه إذا حمل على أعدائه اصحب الموت حاملا إياه إليهم .

٣ أي أن بني كلاب وهم قبيلة الممدوح يكتحلون بالتراب الذي يمشي عليه لشدة حبهم له كناية عن اغتباطهم بولائه . وسيفه في بني جناب وهم قبيلة العدو يسبق ملامة من يلومه في قتلهم كناية عن شقائهم بعداوته . والعبارة مثل قاله ضبة بن أد حين قتل قاتل ابنه في الحرم فلاموه على قتله . ويروى بعد هذا البيت قوله :

مهذب الجد يستسقى الغمام به حلو كأن على أخلاقه عسلا

وهو منحول ليس في روايات الديوان .

٤ المخترق المجاز والمصعد . وصاعده شاركه في الصعود . وفاعل صاعد ضمير النور . والضمير في قوله فيه للمخترق . وفاعل نزل ضمير الفكر . أراد بنوره شهرته وصيته أي أنه عالي الشرف والذكر حتى لو صاحب الفكر في مصعده طول الدهر لم ينته الفكر معه إلى حد ولذلك لا ينزل بل لا يزال مستمراً في صعوده إلى ما شاء الله .

٥ الحين الهلاك . والأجل وقت حلول الموت . أي أن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الأجل قبل وقته .

٦ العوان الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة . والحلل المنازل . أي هربوا من أول حرب جرت .

وَضاقَتِ الأَرْضُ حتى كانَ هارِبُهم ْ إذا رَأى غَيرَ شيءٍ ظَنّهُ رَجُلا[1]

فَبَعْدَهُ وإلى ذا اليَوْمِ لوْ رَكَضَتْ بالخَيْلِ في لهَوَاتِ الطّفلِ ما سَعَلا[2]

فَقَدْ تَركْتَ الأُلى لاقَيْتَهُمْ جَزَراً وَقَد قَتَلتَ الأُلى لم تَلْقَهُمْ وَجَلا[3]

كَمْ مَهْمَهٍ قَذَفٍ قَلبُ الدّليلِ به قَلْبُ المُحِبّ قَضاني بعدما مَطَلا[4]

عَقَدْتُ بالنّجْمِ طَرْفي في مَفاوِزِهِ وَحُرَّ وَجْهي بحَرّ الشّمسِ إذْ أفَلا[5]

أوْطَأتُ صُمَّ حَصاها خُفَّ يَعْمَلَةٍ تَغَشْمَرَتْ بي إليكَ السهلَ وَالجَبَلا[6]

لوْ كنتَ حشوَ قَميصي فوْقَ نُمرُقِهَا سَمِعْتَ للجنّ في غيطانها زَجَلا[7]

---

١ أي إذا رأى ما ليس بشيء يعبأ به أو توهم ما ليس بشيء شيئاً كما هو شأن الخائف .

٢ الضمير في ركضت لتميم . واللهوات جمع اللهاة وهي لحمة في الحلق عند أصل اللسان . يريد أنهم بعد ذلك لقلّتهم وضعفهم لو ركضوا بخيلهم في لهاة الطفل ما شعر بهم ولا سعل .

٣ الأُلى بمعنى الذين . والجزر اللحم الذي تأكله السباع . والوجل الخوف . أي جعلت الذين قاتلتهم منهم طعاماً للسباع والذين لم تقاتلهم قتلتهم بالخوف .

٤ المهمه الفلاة الواسعة . والقذف البعيد . وقوله قلب المحب أي كقلبه وهو خبر قلب الأول . وقضاني أي وفى لي بما عليه وهو خبر كم . والمعنى كم فلاة بعيدة الأطراف قلب الدليل فيها مضطرب كقلب العاشق قطعتها بعدما طال السير فيها .

٥ طرفي أي عيني . والمفاوز الفلوات . وحر الوجه ما بدا منه . وأفل غاب والضمير فيه للنجم . أي كنت أنظر إلى النجم دائماً في مسيري ليلا حتى كأن أجفاني معقودة به . وإذا غاب النجم أي في النهار كنت أنصب وجهي للشمس دائماً حتى كأنه معقود بها .

٦ الصم الصلاب . واليعملة الناقة القوية على السير . وتغشمرت تعسفت .

٧ قوله حشو قميصي أي في مكاني . والنمرق الوسادة يعتمد عليها الراكب . والغيطان الوهاد . والزجل الضجيج واختلاط الأصوات .

حتى وَصَلْتُ بنَفْسٍ ماتَ أكثرُهَا وَلَيْتَني عِشْتُ مِنْهَا بالّذي فَضَلا[1]
أرْجُو نَدَاكَ وَلا أخشَى المِطالَ بِهِ يا مَنْ إذا وَهَبَ الدّنْيا فقَد بخِلا[2]

غريب كصالح في ثمود

وقال في صباه :

كَمْ قَتِيلٍ كمَا قُتِلْتُ شَهيدِ لِبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الخُدودِ[3]
وَعُيُونِ المَهَا وَلا كَعُيُونٍ فَتَكَتْ بالمُتَيَّمِ المَعْمُودِ[4]
دَرَّ دَرُّ الصِّبَاءِ أيّامَ تَجْرِيـ رِ ذُيُولي بدارِ أثْلَةَ عُودِي[5]
عَمْرَكَ اللهَ ! هَلْ رَأيتَ بُدوراً طَلَعَتْ في بَرَاقِعٍ وعُقُودِ[6]

---

١ أراد بأكثرها لحمها وقوتها. وقوله ليتني عشت أراد ليتني أعيش فعبر بالماضي عن المضارع، لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتاً سمى الإقامة والراحة عيشاً والمعنى ليتني أصادف عيشاً بما بقي من عمري قبل أن أموت .

٢ بالنسبة إلى علو همته وفخامة قدره .

٣ شهيد نعت قتيل . والطلى جمع طلية وهي العنق .

٤ المها بقر الوحش تشبه عيون النساء بعيونها . والمتيم الذي استعبده الحب.والمعمود الذي أضناه الحب وأوجعه يعني بذلك نفسه . يقول : كم قتيل قتل بعيون أحبته التي هي كعيون المها وليست تلك العيون التي قتلته كالعيون التي قتلتني فإنها لا تشبه بغيرها .

٥ يقال در دره أي كثر خيره لأن الخير في ذلك عند العرب . وأيام منادى . وتجرير الذيول كناية عن اللهو والسرور . ودار اثلة موضع بظهر الكوفة . ينادي هذه الأيام ويتمنى أن تعود له .

٦ العمر اسم بمعنى التعمير وهو إطالة العمر . وهو واسم الجلالة منصوبان بمضمر أي اسأل الله تعميرك .

رَامياتٍ بأسْهُمٍ رِيشُها الهُـدْ ... بُ تَشُقّ القُلوبَ قبلَ الجُلودِ[1]

يتَرَشّفْنَ مِنْ فَمي رَشَفَاتٍ ... هُنّ فيهِ حَلاوَةُ التّوْحيدِ[2]

كُلُّ خُمْصَانَةٍ أرَقُّ منَ الخَمْـ ... ـرِ بقَلْبٍ أقسَى مِنَ الجُلْمُودِ[3]

ذاتِ فَرْعٍ كأنّما ضُرِبَ العَنْـ ... ـبَرُ فيهِ بمَاءِ وَرْدٍ وَعُـودِ[4]

حالِكٍ كالغُدافِ جَثْلٍ دَجُوجيٍّ ... أثيثٍ جَعْدٍ بلا تَجْعيدِ[5]

تَحْمِلُ المِسْكَ عن غَدائِرِها الرّيـ ... ـحُ وَتَفْتَرُّ عَن شَنيبٍ بَرُودِ[6]

جَمَعَتْ بينَ جسْمِ أحمَدَ والسُّقْـ ... ـمِ وَبَيْنَ الجُفُونِ وَالتّسْهِيدِ[7]

هَذِهِ مُهْجَتي لَدَيْكِ لحَيْني ... فانْقُصِي مِنْ عَذابِها أوْ فَزيدي[8]

---

١ راميات نعت بدوراً في البيت السابق . ويريد بالأسهم العيون. والهدب الشعر الذي على أشفار الأجفان شبهه بريش السهم . أي أن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها من غير أن تشق الجلود بخلاف الأسهم المعهودة .

٢ الترشف الامتصاص . والتوحيد قيل نوع من التمر بالعراق وقيل المراد به توحيد الله. وفي الكلام تشبيه مضمر أي كحلاوة التوحيد ويروى أحلى من التوحيد .

٣ الخمصانة الضامرة البطن . والجلمود الصخر .

٤ الفرع شعر الرأس . وضرب مزج . وعود في آخر البيت من صلة فعل محذوف أي ودخن بعود لأن ماء العود لا طيب له فحذف الفعل الثاني على حد قوله علفتها تبناً وماء بارداً .

٥ الحالك الشديد السواد. والغداف الغراب. والجثل الكثير الملتف. والدجوجي المظلم. والأثيث الكثيف.

٦ الغدائر جمع الغديرة وهي الذؤابة. وتفتر أي تبتسم . والشنيب المنتظم المنابت العذب وهو خلف عن موصوف أي عن ثغر شنيب . والبرود البارد .

٧ يريد بأحمد نفسه . والتسهيد السهر .

٨ حيني هلاكي . أي هذه مهجتي مسلمة إليك لأجل هلاكي .

أهلُ ما بي منَ الضّنَى بَطَلٌ صِيـ ... دَ بتَصْفيفِ طُرّةٍ وبجيـدِ[1]
كُلُّ شيءٍ مِنَ الدّماءِ حَرامٌ ... شُرْبُهُ مَا خَلا ابْنَةَ العُنْقُودِ[2]
فاسْقِنيهَا فِدًى لعَيْنَيْكَ نَفسي ... مِنْ غَزَالٍ وَطارِفي وَتَليدي[3]
شَيْبُ رَأسِي وَذِلّتي ونُحُولي ... وَدُمُوعي عَلى هَوَاكَ شُهُودي
أيَّ يَوْمٍ سَرَرْتَني بوِصَالٍ ... لمْ تَرُعْني ثَلاثَةً بِصُدُودِ[4]
مَا مُقامي بأرْضِ نَخْلَةَ إلاّ ... كمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهُودِ[5]
مَفْرَشِي صَهْوَةُ الحِصانِ وَلَكِـ ... ـنّ قَميصِي مسرُودَةٌ مِنْ حَديدِ[6]
لأمَةٌ فاضَةٌ أضَاةٌ دِلاصٌ ... أحْكَمَتْ نَسْجَهَا يَدَا داوُدِ[7]

---

١ أهل ما بي مبتدأ خبره بطل . والضنى المرض الطويل . والجيد العنق. أي يستحق ما بي من الضنى بطل ساق نفسه إلى هذه الفتنة كأنه يتشفى من نفسه ويلومها على العشق .

٢ أي الخمر . ويروى دم العنقود .

٣ الطارف المال المستحدث . والتليد المال القديم . وهما معطوفان على قوله نفسي .

٤ أي استفهامية. وقوله لم ترعني حال من التاء في سررتني، يقال راعه وروعه أي أفزعه . يقول: إنك لم تسرني يوماً بالوصال إلا رعتني ثلاثة أيام بالصدود .

٥ مقامي مصدر ميمي بمعنى إقامتي. وأرض نخلة قرية لبني كلب عند بعلبك . يريد أن أهل هذه القرية أعداء له كما كانت اليهود أعداء المسيح .

٦ المفرش موضع الفراش . والصهوة مقعد الفارس من الفرس . والمسرودة المنسوجة وهي خلف من موصوف أي درع مسرودة . يقول : إن فراشه سرج الحصان وثيابه الدرع أي أنه لا يزال متأهباً حذراً . والظاهر أن الاستدراك هنا من باب المدح في معرض الذم كما في نحو أنا أفصح العرب بيد أني من قريش .

٧ اللأمة الدرع وهي بدل من قوله مسرودة . والفاضة الواسعة . والأضاة الغدير من الماء . وصفها بها ذهاباً إلى ما فيها من صفة البريق والصفاء . والدلاص اللينة الملساء . والمراد بداود داود النبي يقال إنه أول من عمل الدروع .

أينَ فَضْلي إذا قَنِعْتُ منَ الدّهْـ ـرِ بعَيْشٍ مُعَجَّلِ التّنْكيدِ
ضاقَ صَدري وطالَ في طلَبِ الرّزْ قِ قيامي وَقَلّ عَنهُ قُعُودي
أبَداً أقْطَعُ البِلادَ وَنَجْمي في نُحُوسٍ وَهِمّتي في سُعُودِ[1]
وَلَعَلّي مُؤمِّلٌ بَعْضَ مَا أبْـ ـلُغُ باللّطْفِ من عَزيزٍ حَميدِ[2]
لِسَرِيٍّ لِباسُهُ خَشِنُ القُطْـ ـنِ وَمَرْوِيُّ مَرْوَ لِبْسُ القُرُودِ[3]
عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وَأنتَ كَريمٌ بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ[4]
فَرُؤوسُ الرّمَاحِ أذْهَبُ للغَيْـ ـظِ وَأشفَى لِغلّ صَدرِ الحَقُودِ[5]
لا كَمَا قد حَيِيتَ غَيرَ حَميدٍ وإذا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقيدِ[6]
فاطْلُبِ العِزّ في لَظَى وَدَعِ الذّ لّ وَلَوْ كانَ في جِنانِ الخُلُودِ[7]
يُقْتَلُ العاجِزُ الجَبَانُ وقَدْ يَعـ ـجِزُ عَن قَطْعِ بُخْنُقِ المَوْلودِ[8]

١ يريد أنه عالي الهمة دائب السعي وإن قل حظه من الرزق .
٢ أي لعل الله يبلغني فوق ما أرجو فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه . وقيل الكلام على القلب أي لعلي أبلغ بلطف الله بعض ما أرجوه .
٣ السري الشريف يعني به نفسه . والمروي ثياب رقاق تنسج بمرو وهي بلد بفارس . أي ابلغ ما ذكر بلطف الله لهذا السري الذي لباسه القطن الخشن والعرب تتمدح بخشونة الملبس وتعيب النعمة والترف . ويروى بسري أي ابلغه بإقدام هذا السري وهمته .
٤ الأعلام الكبيرة .
٥ غل حقد .
٦ أي لا تعش كما عشت إلى الآن في حال الذل لا تقدر على الصنيعة حتى تحمدك الناس وإذا مت يجدون مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يبالون بموتك .
٧ لظى جهنم .
٨ البخنق خرقة يقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك . يعني ليس الجبن والعجز من أسباب

وَيُوَقَّى الفَتَى المِخَشُّ وقَدْ خوَّ ضَ في ماءِ لَبَّةِ الصِّنْديدِ[1]

لا بقَوْمي شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بي وَبنَفْسِي فَخَرْتُ لا بجُدودِي

وبهمْ فَخْرُ كلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا دَ وَعَوْذُ الجاني وَغَوْثُ الطَّريدِ[2]

إنْ أكُنْ مُعجَباً فعُجبُ عَجيبٍ لمْ يَجدْ فَوقَ نَفْسِهِ من مَزيدِ[3]

أنَا تِرْبُ النَّدَى ورَبُّ القَوافي وَسِمَامُ العِدَى وغَيظُ الحَسودِ[4]

أنَا في أُمّةٍ تَدارَكَهَا اللّـ ـهُ غَريبٌ كصَالِحٍ في ثَمودِ[5]

البقاء فلا تعجز ولا تجبن .

١ المخش الجريء على الليل . وخوض بالغ في الخوض . واللبة أعلى الصدر والمراد بمائها دمها . والصنديد السيد الشجاع . والبيت تتمة لمعنى البيت السابق أي وكذلك الشجاع الهجوم على موارد الهلكة يسلم منها وهو قد خاض في الحروب حتى غاص في دماء القتلى .

٢ المراد بمن نطق الضاد العرب لأن هذا الحرف لا يوجد في غير العربية. والعوذ الالتجاء . والغوث النصرة . والطريد المطرود . والبيت احتراس أورده دفعاً لما يتوهم في البيت السابق من كون جدوده ليسوا أهلا لأن يفتخر بهم .

٣ المعجب الذي يفتخر بنفسه . أي إن كنت معجباً بنفسي فهذا العجب صادر من رجل عجيب لا يجد لأحد مزية عليه في الشرف فلا سبيل لإنكار افتخاري .

٤ ترب الانسان من ولد معه . والندى الجود . والسمام جمع سم .

٥ قوله تداركها الله جملة دعائية معترضة . قال ابن جني إنه بهذا البيت لقب بالمتنبي .

العباد في رجل

قال في صباه ارتجالا وقد أهدى إليه عبيد الله بن خلكان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل :

قَدْ شَغَلَ النّاسَ كَثْرَةُ الأمَلِ ... وَأنْتَ بالمَكْرُماتِ في شُغُلِ[1]

تَمَثّلُوا حَاتِماً وَلَوْ عَقَلُوا ... لَكُنْتَ في الجُودِ غايَةَ المَثَلِ[2]

أهْلاً وَسَهْلاً بما بَعَثْتَ بِهِ ... إيهاً أبا قاسِمٍ وبالرّسُلِ[3]

هَدِيّةٌ مَا رَأيْتُ مُهْدِيَهَا ... إلاّ رَأيْتُ العِبَادَ في رَجُلِ[4]

أقَلُّ مَا في أقَلّهَا سَمَكٌ ... يَسْبَحُ في بِرْكَةٍ مِنَ العَسَلِ[5]

كَيفَ أُكَافي عَلى أجَلّ يَدٍ ... مَنْ لا يَرَى أنّهَا يَدٌ قِبَلي[6]

---

١ أي أن الناس قد اشتغلوا بآمالهم فيك وأنت مشتغل بتصديق آمالهم . ويمكن أن يكون المراد أنهم قد اشتغلوا بأطماعهم وحرصهم على حطام الدنيا وأنت قد اشتغلت بتبديد هذا الحطام كرماً .

٢ أراد تمثلوا بحاتم فحذف الباء ضرورة . أي أنهم ضربوا المثل بحاتم في الجود ولو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك لأنك أجود منه .

٣ إيهاً اسم فعل بمعنى كف واترك . يقول : أهلا بهديتك ورسولك فكف بعد الآن لأنك قد أكثرت الهدايا .

٤ هدية خبر لمحذوف أي هي هدية . يقول : إني لم أر مهدي هذه الهدية يعني الممدوح إلا رأيت الناس كلهم في رجل واحد لأنه قد جمع كل ما في الناس من صفات الفضل والكرم .

٥ يريد بالبركة القصعة التي كان فيها العسل . أي أقل شيء اشتمل عليه أقل ما في هذه الهدية سمك هذه صفته .

٦ اليد النعمة . ومن مفعول أكافي . وقبلي بمعنى عندي . أي بماذا أكافي الذي أسدى إلي نعمة عظيمة وهو يستصغرها حتى يرى أنها لا تعد نعمة له عندي .

الخلائق الشريفة

وأرسل إليه جامة فيها حلوى فردها وكتب فيها بالزعفران :

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بِزائِدي وُدّا بَلَغَ المَدَى وتَجاوَزَ الحَدّا[1]
أَرْسَلْتَهـا مَمْلُوءَةً كَرَماً فَرَدَدْتُها مَمْلُوءَةً حَمْدا[2]
جاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهيَ فارِغَةٌ مَثْنَى بِهِ وَتَظُنُّها فَرْدا[3]
تَأْبَى خَلائِقُكَ التي شَرُفَتْ أَلاّ تَحِنَّ وَتَذْكُرَ العَهْدا[4]
لَوْ كُنْتَ عَصراً مُنْبِتاً زَهَراً كُنْتَ الرَّبِيعَ وكانَتِ الوَرْدا[5]

---

١ أقصر عن الشيء أمسك عنه مع القدرة عليه . والضمير في بلغ للود والجملة استئناف . أي أن ودي قد بلغ غايته وتجاوز حده فلا يقبل الزيادة .

٢ أي الجامة .

٣ تطفح حال أي طافحة . ومثنى حال أخرى . أي جاءتك وهي تطفح بالحمد وإن كانت فارغة مما كان فيها وقد شفعتها بالحمد فصارت به شيئين لا شيئاً واحداً كما تظنها . ومراده بالحمد الأبيات التي كتبها عليها .

٤ الخلائق بمعنى الأخلاق . وتحن تشتاق .

٥ اسم كانت ضمير الخلائق . أي لو كنت زمناً ينبت فيه الزهر لكنت زمن الربيع وكانت أخلاقك الورد . أي أنه بين الرجال كالربيع بين الأزمنة وأخلاقه في نفسه بمنزلة الورد من أزهار الربيع .

حسد الأرض السماء بهم

وقال يمدحه :

أظَبْيَةَ الوَحشِ لوْلا ظَبيَةُ الأنَسِ لمّا غَدَوْتُ بِجَدٍّ في الهوَى تَعِسِ [1]

ولا سَقَيْتُ الثرَى وَالمُزْنُ مُخلِفَةٌ دَمْعاً يُنَشّفُهُ من لَوْعةٍ نَفَسي [2]

ولا وَقَفْتُ بجِسْمٍ مُسْيَ ثالِثَةٍ ذي أرْسُمٍ دُرُسٍ في الأرْسُمِ الدُّرُسِ [3]

صَريعَ مُقْلَتِها سأآلَ دِمْنَتِها قَتيلَ تَكسيرِ ذاكَ الجفنِ وَاللّعَسِ [4]

خَريدةٌ لوْ رَأتْها الشّمسُ ما طَلَعَتْ ولَوْ رآها قَضيبُ البانِ لم يَمِسِ [5]

ما ضَاقَ قبلَكِ خَلخالٌ على رَشَإٍ ولا سَمِعْتُ بديباجٍ على كُنُسِ [6]

---

١ الظبية الغزالة . والأنس جماعة الناس . والجد الحظ . وجه الخطاب إلى الغزالة الوحشية لما بيّنها وبين حبيبته من المشابهة والشبه بالشبه يذكر . يقول لها: إني لولا شبيهتك من الإنس لما كان حظي في الهوى مشؤوماً .

٢ الثرى التراب . والمزن جمع المزنة وهي السحابة البيضاء . والمراد بإخلافها تكذيبها الظن بالمطر مأخوذ من إخلاف الوعد .

٣ المسي كقفل بمعنى المساء كما يقال صبح وصباح وهو ظرف الوقوف . وثالثة نعت لمحذوف أي مساء ليلة ثالثة . وقوله ذي أرسم نعت لجسم . والأرسم الآثار . والدرس المنمحية. أي ولا وقفت في رسوم دارها مساء الليلة الثالثة من رحيلها وأنا بجسم بال قد أنحله الحزن حتى صار مثل تلك الرسوم .

٤ صريع حال من فاعل وقفت . والسأآل مبالغة في السائل بمعنى المستفهم . والدمنة ما تلبد من آثار الدار . واللعس معطوف على تكسير وهو سمرة في الشفة .

٥ الخريدة المرأة الحيية . وماس الغصن مال .

٦ الرشأ ولد الظبية . والديباج ضرب من الثياب الحريرية . والكنس جمع الكناس وهو ما يستتر به

إن تَرْمِني نَكَبَاتُ الدَّهرِ عن كَثَبٍ ... تَرْمِ امرأً غيرَ رِعْديدٍ ولا نَكِسِ [1]

يَفْدي بَنيكَ عُبَيْدَ اللهِ حَاسِدُهم ... بجَبهَةِ العَيرِ يُفدى حافرُ الفَرَسِ [2]

أبَا الغَطَارِفَةِ الحَامِينَ جَارَهُمُ ... وَتارِكي اللّيثِ كَلْباً غيرَ مُفترِسِ [3]

مِن كُلّ أبْيَضَ وَضّاحٍ عِمامَتُهُ ... كأنّمَا اشْتَمَلَتْ نُوراً عَلى قَبَسِ [4]

دانٍ بَعيدٍ مُحِبٍّ مُبغِضٍ بَهِجٍ ... أغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٍّ لَيّنٍ شَرِسِ [5]

نَدٍ أبيٍّ غَرٍ وَافٍ أخي ثِقَةٍ ... جَعْدٍ سَرِيٍّ نَهٍ ندبٍ رَضٍ نَدُسِ [6]

الغزال من أغصان الشجر . كنى بضيق خلخالها عن غلظ الساق وهو غير مألوف في الغزلان لأنها دقيقة القوائم . وأراد بكناسها الهودج الذي سارت فيه وأنه كان مستوراً بالثياب الحريرية .

١ الكثب القرب . والرعديد الجبان الذي يرتعد من الخوف . والنكس الساقط الفشل وأصله نكس بكسر النون وسكون الكاف فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى مثال فعل ، بفتح فكسر أو بكسرتين ، على حد قول الآخر :

إذا تجاوب نوح قامتا معه ... ضرباً أليماً بسبت يلعج الجلدا

٢ عبيد الله منادى . وحاسدهم فاعل يفدي . والعير الحمار . جعل العير مثلا لحاسدهم أي يفدى أخس ما يكون في الفرس بأفضل ما يكون في العير .

٣ أبا الغطارفة بدل من عبيد الله . والغطارفة السادة . والليث الأسد .

٤ الوضاح المشرق . وعمامته مبتدأ خبره الجملة التي بعده . والقبس شعلة النار . أي من كل أبيض الوجه مشرقه تعلوه عمامة كأنه تحتها شعلة نار لضيائه وإشراق لونه .

٥ الداني القريب . والبهج الفرح . والشرس الصعب الأخلاق . أي هو قريب ممن يقصده بعيد على من ينازعه محب للفضل مبغض للنقص فرح بالقاصدين حلو على الأولياء مر على الأعداء لين في الرضى شرس في الغضب .

٦ الندي الجواد . والأبي العزيز النفس يأبى الدنايا . والغري الحسن وأصله بتشديد الياء . والجعد الكريم . والسري الشريف . والنهي وزان الشجي العاقل . والندب السريع في الأمر إذا ندب إليه . والرضي بمعنى الراضي يريد رضي الخلق أي بعيد عن المغاضبة . ويروى رضى على الوصف بالمصدر . والندس الذكي الفهم .

لوْ كانَ فَيضُ يَدَيْهِ ماءَ غادِيَةٍ عزّ القَطا في الفَيافي موْضعُ اليبَسِ[1]
أكارِمٌ حَسَدَ الأرْضَ السّماءُ بهِمْ وَقَصّرَتْ كلُّ مصرٍ عن طَرَابُلُسِ[2]
أيّ المُلوكِ وَهُمْ قَصْدي أحاذِرُهُ وَأيّ قِرْنٍ وَهُم سَيْفي وهم تُرُسي[3]

قواف كالمرقد

قام أبو بكر الطائي وهو ينشد ، فقال :

إنّ القَوافيَ لَمْ تُنِمْكَ وَإنّمَا مَحَقَتْكَ حتى صِرْتَ ما لا يُوجَدُ[4]
فَكَأنّ أذْنَكَ فُوكَ حينَ سَمِعْتَها وَكَأنّهَا مِمّا سَكِرْتَ المُرْقِدُ[5]

---

١ الغادية السحابة المنتشرة صباحاً . وعز هنا بمعنى أعيا . والقطا طائر يوصف بالهداية . والفيافي جمع الفيفاة وهي المفازة لا ماء بها . يقول : لو كان عطاؤه ماء سحابة لعم الأرض كلها حتى لا تجد القطا في الفلوات موضعاً جافاً تستقر عليه .

٢ المصر البلد . وطرابلس بلدة الممدوح والمراد بها طرابلس الشام .

٣ القرن الكفؤ في الحرب .

٤ أي أن الشعر لم يكن جالباً لنومك ولكنك حسدتني عليه فذبت حتى لم تبق شيئاً موجوداً .

٥ ما من قوله مما سكرت مصدرية أي من أجل سكرك . والمرقد دواء من شربه غلبه النوم . أي أنه عندما مرت قوافيّ بأذنك أنامتك فكأن ما سمعت منها بأذنك مرقد شربته بفيك .

كتمت حبك

كَتَمْتُ حُبَّكِ حتى منكِ تكرِمَةً ثمّ استَوَى فيهِ إسراري وإعْلاني
كأنّهُ زادَ حتى فَاضَ عَن جَسَدي فصارَ سُقْمي بهِ في جِسْمِ كِتماني[1]

شربت غير أثيم

حلف صديق له بالطلاق أن يشرب ، فقال :

وَأخٍ لَنَا بَعَثَ الطّلاقَ أليّـةً لأُعَلِّلَنّ بِهَـذِهِ الخُرْطُـومِ[2]
فَجَعَلْتُ رَدّي عِرْسَهُ كَفّـارَةً مِنْ شُرْبِها وشَرِبْتُ غيرَ أثيمِ[3]

---

١ الضمائر كلها للحب . والباء في به متعلقة بسقمي . وقوله في جسم كتماني خبر صار . يقول : كتمت حبك حتى غلب علي الوجد فظهر وتساوى فيه كتمي وإفشائي فكأنه زاد حتى فاض عني وصار جسماً على جسمي وحينئذ سرى سقم جسمي إلى الكتمان فضعف وافتضح ما كان مكتتماً عندي .

٢ الألية اليمين . والتعليل التلهية بالشيء . والخرطوم من أسماء الخمر .

٣ العرس الزوجة . وتكفير اليمين فعل ما يجب بالحنث فيها . يقول : إن هذا الصديق حلف أن أشرب وإلا فامرأته طالق فجعلت حفظ امرأته عليه كفارة عن شرب الخمر وشربتها بعد ذلك وأنا غير آثم لتقديم الكفارة .

عصف الرياح قرى سوار

يهجو سواراً الديلمي :

بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَــوارِ وَأَنْضاءُ أَسْفارٍ كَشَرْبِ عُقارِ[1]

نَزَلْنا على حكمِ الرِّياحِ بمَسْجِدٍ عَلَيْنا لها ثَوْبَا حَصًى وغُبارِ[2]

خَلِيليَّ ما هذا مُناخاً لِمِثْلِنــا فَشُدَّا عَلَيْهَا وَارْحَلا بنَهَارِ[3]

وَلا تُنكِرَا عَصْفَ الرِّياحِ فإنّها قِرَى كلّ ضَيْفٍ باتَ عند سِوَارِ[4]

---

١ بقية قوم خبر عن محذوف أي نحن بقية قوم . وآذنوا اعلموا . والبوار الهلاك . أي اعلموا الناظر إليهم بأنهم هالكون . والأنضاء جمع نضو وهو المهزول . والشرب اسم جمع للشارب بمعنى الشاربين . والعقار الخمر .

٢ أي تحكمت فينا الرياح حتى أثارت علينا من الغبار ما سترتنا به كالثياب .

٣ المناخ المنزل وأصله مبرك الناقة . والضمير في عليها للرواحل استغنى عن ذكرها بالقرينة . أي فشدا رحالكما عليها وارحلا قبل هجوم الليل .

٤ ذاك لأنهم نزلوا في المسجد بقرب داره فهبت عواصف الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم . فيقول : لا تعجبا من عصف الرياح فإنها بمنزلة القرى عند سوار .

برٌّ خفيفٌ ثقيل

وقال في صباه :

أَحْبَبْتُ بِرَّكَ إذْ أرَدْتَ رَحيلا فوَجَدْتُ أكْثَرَ ما وَجَدْتُ قَليلا[1]
وَعَلِمْتُ أنّكَ في المَكارِمِ رَاغِبٌ صَبٌّ إلَيْها بُكْرَةً وَأصِيلا[2]
فَجَعَلْتُ مَا تُهْدي إليّ هَدِيّةً مِني إلَيْكَ وَظَرْفَها التّأميلا[3]
بِرٌّ يَخِفّ عَلى يَدَيْكَ قَبُولُهُ وَيَكُونُ مَحْمِلُهُ عَليّ ثَقِيلا[4]

كبّرت حول ديارهم

وقال في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد
ابن أوس بن معن بن الرضى الأزدي :

أرَقٌ عَلى أرَقٍ وَمِثْلي يَأرَقُ وَجَوًى يَزيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ[5]
جُهْدُ الصّبابَةِ أنْ تكونَ كما أرَى عَينٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ يَخْفِقُ[6]

---

١ يريد أحببت أن أسدي إليك براً فوجدت أكثر ما عندي قليلا عليك .

٢ الصب المشتاق . والأصيل ما بين العصر إلى غروب الشمس أي بكرة ومساء .

٣ أي فجعلت ما تعودت أن تهديه إلي هدية مني إليك وجعلت ظرفها حسن الرجاء فيك .

٤ أي هذه الهدية يخف عليك قبولها لأنها من مالك ولكن يثقل علي محمل قبولك إياها أي شكرك عليه لأنه يكون منة عظيمة .

٥ الأرق السهر وهو مبتدأ محذوف الخبر أي لي أرق . والجوى الحرقة من حزن أو عشق . والعبرة الدمعة . وتترقرق تسيل .

٦ الجهد الطاقة والوسع ، يقال جهدك أن تفعل كذا أي مبلغ ما يصل إليه اجتهادك . والصبابة رقة

مَا لاحَ بَرْقٌ أوْ تَرَنّمَ طائِرٌ إلاّ انْثَنَيْتُ وَلي فُؤادٌ شَيّقُ[1]

جَرّبْتُ مِنْ نَارِ الهَوَى ما تَنطَفي نَارُ الغَضَا وَتَكِلُّ عَمّا يُحْرِقُ[2]

وَعَذَلْتُ أهْلَ العِشْقِ حتى ذُقْتُهُ فعجبتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعشَقُ[3]

وَعَذَرْتُهُمْ وعَرَفْتُ ذَنْبِي أنّني عَيّرْتُهُمْ فَلَقيتُ منهُ ما لَقُوا[4]

أبَني أبِينَا نَحنُ أهْلُ مَنَازِلٍ أبَداً غُرابُ البَينِ فيها يَنْعَقُ[5]

نَبْكي على الدّنْيا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمُ الدّنْيا فَلَمْ يَتَفَرّقُوا

أينَ الأكاسِرَةُ الجَبابِرَةُ الأُلى كَنَزُوا الكُنُوزَ فَما بَقينَ وَلا بَقوا[6]

من كلّ مَن ضاقَ الفَضاءُ بجيْشِهِ حتى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيّقُ[7]

الشوق . وان تكون في موضع الخبر عن جهد . وعين فاعل تكون وهي التامة . ويمكن أن تجعل ناقصة فيكون اسمها ضمير الصبابة وخبرها كما أرى وعين مبتدأ محذوف الخبر أي لي عين . يقول : إن جهد ما تفعله الصبابة هذه الحالة التي أنا فيها يعني أنها قد بلغت منه كل مبلغ .

١ انثنيت رجعت . والشيق المشتاق . وذلك لأن البرق إذا لاح يتذكر به العاشق ارتحال أحبته لانتجاع المنازل وربما لاح من الجهة التي هم بها . وكذلك ترنم الطائر .

٢ الغضا شجر تبقى ناره طويلا . وما من قوله ما تنطفي اسم موصول مفعول جربت . والضمير في يحرق عائد إلى ما المذكورة . أي أن الذي قاساه من نار الهوى تنطفىء نار الغضا وهو مشتعل وتكل عن إحراق ما يحرقه .

٣ يريد أن يعظم أمر العشق وبلاءه حتى ادعى أن لا سبب للموت غيره .

٤ ويروى فيه بدل منه .

٥ أبني أبينا نداء أي يا إخوتنا . انتقل من الغزل إلى الوعظ وذكر الموت . قال الواحدي: ومثل هذا يستحسن في المراثي لا في المدائح .

٦ الضمير في بقين للكنوز وفي بقوا للأكاسرة .

٧ من تفسيرية والجار والمجرور في موضع الحال من الأكاسرة . ومن المضافة إليها كل نكرة موصوفة والجملة بعدها صفتها . والفضاء الأرض الواسعة . وثوى بمعنى أقام أي ثوى في قبره .

خُرْسٌ إذا نُودوا كأنْ لم يَعْلَمُوا أنّ الكَلامَ لَهُمْ حَلالٌ مُطلَقُ[١]

فالمَوْتُ آتٍ وَالنّفُوسُ نَفائِسٌ وَالمُسْتَعِزُّ بِمَا لَدَيْهِ الأحْمَقُ[٢]

وَالمَرْءُ يأمُلُ وَالحَيَاةُ شَهِيّةٌ وَالشّيْبُ أوْقَرُ وَالشّبيبَةُ أنْزَقُ[٣]

وَلَقَدْ بَكَيْتُ على الشّبابِ وَلِمّتي مُسْوَدّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهي رَوْنَقُ[٤]

حَذَراً عَلَيْهِ قَبلَ يَوْمِ فِراقِهِ حتى لَكِدْتُ بمَاءِ جَفني أشرَقُ[٥]

أمّا بَنُو أوْسِ بنِ مَعْنِ بنِ الرّضَى فأعَزُّ مَنْ تُحْدَى إليهِ الأيْنُقُ[٦]

كَبّرْتُ حَوْلَ دِيارِهِمْ لمّا بَدَتْ منها الشُّمُوسُ وَليسَ فيها المَشرِقُ[٧]

وعَجِبتُ من أرْضٍ سَحابُ أكفّهمْ من فَوْقِها وَصُخورِها لا تُورِقُ

ويروى توي بالتاء المثناة وكسر الواو أي هلك . واللحد الشق في جانب القبر .

١ أي كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم . قال الواحدي: لو وصفهم بالعجز عن الكلام لكان أولى وأحسن مما قال لأن الميت لا يوصف بما ذكره .

٢ المستعز أي المعتز . ويروى المستغر من الغرور .

٣ أوقر من الوقار وهو الرزانة . وانزق من النزق وهو الطيش . أي أن الانسان يكره الشيب وهو خير له لأنه يكسبه الحلم والرزانة ويحب الشباب وهو شر له لأنه يحمله على الخفة والطيش .

٤ اللمة الشعر يجاوز شحمة الأذن والواو قبلها للحال . والرونق الحسن والطلاوة .

٥ حذراً مفعول له وعامله بكيت . واللام في لكدت للتوكيد والأصل لقد كدت فحذف قد للوزن . وأشرق أغص .

٦ روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمي الرضى ، بضم الراء ، قال وهو اسم صنم في الجاهلية أراد ابن عبد الرضى فحذف المضاف كما قالوا ابن مناف في ابن عبد مناف . وروى غيره بكسر الراء ، وهو المعروف في أسماء الرجال . والأينق النياق .

٧ كبرت أي قلت الله أكبر تعجباً من قدرته . وبدت أي ظهرت . والشموس جمع شمس أراد بها الممدوحين . قال ذلك لأن منازلهم كانت من جهة المغرب .

وَتَفُوحُ من طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحٌ لَهُمُ بكُلِّ مكانَةٍ تُسْتَنشَقُ[1]
مِسْكِيَّةُ النَّفَحاتِ إلاّ أنَّهَا وَحْشِيَّةٌ بسِواهُمُ لا تَعْبَقُ[2]
أمُريدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ في عَصرِنَا لا تَبْلُنَا بطِلابِ ما لا يُلْحَقُ[3]
لم يَخْلُقِ الرّحْمَنُ مثلَ مُحَمَّدٍ أحَداً وَظَنّي أنّهُ لا يَخْلُقُ
يا ذا الذي يَهَبُ الكَثيرَ وَعِنْدَهُ أنّي عَلَيْهِ بأخْذِهِ أتَصَدّقُ[4]
أمْطِرْ عَلَيّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرّةً وَانظُرْ إليّ برَحْمَةٍ لا أغرَقُ[5]
كَذَبَ ابنُ فاعِلَةٍ يَقُولُ بجَهْلِهِ ماتَ الكِرامُ وَأنْتَ حَيٌّ يُرْزَقُ[6]

---

١ مكانة أي مكان .
٢ يقول : روائح ثنائهم كالمسك إلا أنها نافرة لا تألف غيرهم ولا تفوح إلا منهم أي أنه لا يثنى على غيرهم بما يثنى به عليهم .
٣ قوله أمريد نداء أي يا من يريد مثل هذا الرجل في زماننا لا تمتحنا بطلب ما لا يدرك لأن مثله غير موجود .
٤ وعنده أي في اعتقاده .
٥ يقال سحاب ثرة وعين ثرة أي غزيرة الماء .
٦ كنى بالفاعلة عن الزانية . ويرزق يروى بلفظ الغيبة والخطاب وبصيغة المجهول والمعلوم . أي وأنت حي مرزوق أو حي يرزق الناس .

فتى رأيه ألف جزء

وقال في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي :

حُشاشةُ نَفسٍ وَدّعتْ يومَ وَدّعوا فَلَمْ أدرِ أيّ الظّاعِنَينِ أشَيّعُ[1]
أشاروا بتَسْليمٍ فَجُدْنَا بأنْفُسٍ تَسيلُ مِنَ الآماقِ وَالسّمُ أدْمُعُ[2]
حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكيٍّ مِنَ الهَوَى وَعَيْنايَ في رَوْضٍ من الحسنِ ترْتَعُ[3]
وَلَوْ حُمّلَتْ صُمُّ الجِبالِ الذي بِنَا غداةَ افترَقْنا أوْشكَتْ تتَصَدّعُ[4]
بمَا بينَ جَنبيّ التي خاضَ طَيْفُهَا إليّ الدّياجي وَالخَلِيّونَ هُجّعُ[5]
أتَتْ زائراً ما خامَرَ الطّيبُ ثَوْبَها وكالمِسْكِ مِن أرْدانِها يتَضَوّعُ[6]

١ الحشاشة بقية الروح في المريض . والظاعنين المرتحلين يروى بلفظ التثنية على جعل كل واحد من الطرفين فريقاً أو على إرادة الحشاشة والحبيب الذي هو أحد المودعين . ويروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة والأحبة الذين ذكرهم بقوله ودعوا .

٢ الآماق جمع المأق وهو طرف العين مما يلي الأنف . والسم مخففة لغة في الاسم . أي أنهم أشاروا إلينا بالسلام فجدنا بدموع تذيبنا فهي في الحقيقة أرواح لأننا نتلف بسيلانها منا ولكن اسمها دموع .

٣ أفرد الضمير لأن العينين في حكم واحدة إذ لا تكاد تنفرد إحداها برؤية دون الأخرى . ويروى عيني بالافراد .

٤ الصم جمع الأصم وهو الصلب . وتتصدع تتشقق .

٥ الباء للتفدية . وكنى بما بين جنبيه عن قلبه . والطيف الخيال يأتي في النوم . والدياجي الظلمات . والخليون جمع الخلي وهو الذي خلا فؤاده من العشق . والهجع النيام .

٦ استعمل الزائر اسماً كالضيف أو على معنى شخص زائر وهو حال من فاعل أتت . وخامر بمعنى خالط . والكاف في كالمسك اسم بمنزلة مثل وهو مبتدأ خبره الجملة بعده . والأردان جمع الردن وهو أصل الكم . ويتضوع يفوح .

فما جلَسَتْ حتى انثَنَتْ توسعُ الخُطى | كفاطِمةٍ عن درّها قبلَ تُرْضِعُ[1]
فَشَرّدَ إعظامي لهَا ما أتى بهَا | مِنَ النّوْمِ والتّاعَ الفؤادُ المُفَجَّعُ[2]
فَيَا لَيْلَةً ما كانَ أطْوَلَ بِتُّهَا | وَسُمُّ الأفاعي عَذْبُ ما أتجرّعُ[3]
تذلّلْ لها وَاخضَعْ على القرْبِ والنّوَى | فَما عاشِقٌ مَن لا يَذِلّ وَيَخْضَعُ
وَلا ثَوْبُ مَجدٍ غيرَ ثوبِ ابنِ أحمدٍ | عَلى أحَدٍ إلاّ بلُؤمٍ مُرَقَّعُ[4]
وَإنّ الذي حابَى جَديلَةَ طَيّءٍ | بهِ اللهُ يُعطي مَنْ يَشاءُ وَيَمْنَعُ[5]
بذي كَرَمٍ مَا مَرّ يَوْمٌ وشَمْسُهُ | على رَأس أوْفى ذمّةً منه تَطْلُعُ[6]

١ أي قبل أن ترضع فلما حذف ان رفع الفعل وقد مر مثله .

٢ إعظامي لها بمعنى استعظامي . وما موصولة وهي مفعول شرد . ومن في قوله من النوم بيانية . والتاع أي احترق . والمفجع الموجع . أي أن استعظامه لخيالها نفى عنه النوم الذي كان سبباً لوصوله إليه فاحترق فؤاده لفقد رؤيتها .

٣ يريد ما كان أطولها فحذف الضمير للوزن . والضمير المنصوب في بتها مفعول به ولا يجوز أن يكون مفعولا فيه لأن الضمير المفعول فيه لا يقع إلا مجروراً . وتجرعه شربه على تكلف واستكراه . أي تجرعت من مرارة فراقها ما يكون سم الأفاعي عذباً بالنسبة إليه .

٤ يروى برفع ثوب عطفاً على ما في البيت السابق وبنصبه على جعل لا نافية للجنس . وغير منصوب على الاستثناء أو الحال . وابن أحمد الممدوح . وعلى أحد صلة ثوب الأول . واللؤم الخسة . ومرقع خبر . يريد أنه لم يسلم المجد لأحد خالصاً من شوائب اللؤم إلا للممدوح .

٥ حاباه فاخره في الحباء وهو العطاء . وجديلة رهط الممدوح وهو حي من طيء . أي أن الذي فاخر قومه في العطاء يعني الممدوح وفي ذلك مدح لقومه بأنهم من أهل الحباء يعطي الله على يده من يشاء ويحرم من يشاء لأنه قد فوض إليه النفع والمنع .

٦ بذي بدل من قوله به في البيت المتقدم . وشمسه مبتدأ خبره تطلع والجملة حال من يوم . وعلى متعلق بتطلع . وذمة تمييز . أي ما مر يوم طلعت شمسه على رأس أحد أوفى بالذمة منه .

فأرْحامُ شِعْرٍ يتّصِلْنَ لَدُنَّهُ وَأرْحامُ مالٍ ما تَني تتقطّعُ[1]

فتىً ألْفُ جُزْءٍ رَأيُهُ في زَمَانِهِ أقلُّ جُزَيْءٍ بعضُهُ الرّأيُ أجمَعُ[2]

غَمامٌ علَيْنا مُمْطِرٌ لَيْسَ يُقشِعُ ولا البَرْقُ فيهِ خُلَّباً حينَ يَلْمَعُ[3]

إذا عُرِضَتْ حاجٌ إلَيْهِ فَنَفْسُهُ إلى نَفْسِهِ فيها شَفيعٌ مُشَفَّعُ[4]

خَبَتْ نارُ حَرْبٍ لم تَهِجْها بَنانُهُ وَأسْمَرُ عُرْيانٌ منَ القِشرِ أصْلَعُ[5]

نَحيفُ الشَّوَى يَعدو على أمّ رَأسِهِ وَيحفى فيَقْوَى عَدْوُهُ حينَ يُقطَعُ[6]

يَمُجُّ ظَلاماً في نَهارٍ لِسانُهُ وَيُفْهِمُ عمّن قالَ ما ليسَ يُسمَعُ[7]

---

١ شدد النون من قوله لدنه للضرورة . ويروى ببابه . وما تني بمعنى ما تزال . وتنقطع خبر تني . يريد أنه يمدح بأشعار كثيرة تجتمع عنده فتتصل اتصال ذوي الأرحام وكلما جاءه شعر أجاز عليه فيتفرق ما اجتمع من أمواله .

٢ فتى خبر عن محذوف أي هو فتى . وألف جزء خبر مقدم . ورأيه مبتدأ مؤخر . وفي زمانه متعلق برأيه . والجملة نعت فتى . وأقل جزيء مبتدأ والجزيء تصغير الجزء . وبعضه مبتدأ آخر والضمير المضاف إليه لأقل . والرأي خبر بعضه والجملة خبر أقل . وأجمع توكيد للرأي . أي أن رأيه في أحوال زمانه يقدر بألف جزء وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل ما عند الناس من الرأي .

٣ يقال اقشع الغيام إذا أقلع وانكشف . والخلب من البرق الكاذب الذي لا مطر فيه .

٤ الحاج جمع الحاجة . والمشفع الذي لا ترد شفاعته . أي أنه إذا سئل حاجة فنفسه تشفع إليه في قضائها ومن كانت نفسه شفيعة عنده في حاجة فهي من حوائجه الخاصة ولذلك تقضى لا محالة .

٥ خبت النار خمدت . والبنان الأصابع . وأسمر عطف على بنان . وهو وما بعده نعت لمحذوف يعني القلم . يقول : إن كل حرب تنطفيء نارها إلا الحرب التي تشبها يده وقلمه يعني التي يباشرها بنفسه أو بأوامره فإنها لا تنطفيء لشدتها .

٦ الشوى الأطراف . ويعدو يركض . وأم الرأس أعلاه . ويحفى أي يكل . وهو وصف للقلم شبهه بالمهر في سرعة جريه فأثبت له ما ذكر من الأعضاء والصفات .

٧ يمج يقذف . ويريد بالظلام الحبر . وبالنهار القرطاس . وباللسان رأس القلم .

ذُبابُ حُسامٍ منهُ أنجَى ضَريبَةً وَأعْصَى لمَوْلاهُ وذا منهُ أطْوَعُ[1]

فَصيحٌ متى يَنطِقْ تجدْ كلّ لَفظَةٍ أُصُولَ البَراعاتِ التي تَتَفَرّعُ

بكَفّ جَوَادٍ لَوْ حَكَتْها سَحابَةٌ لما فاتَها في الشّرْقِ والغَرْبِ موْضِعُ

ولَيسَ كبَحرِ الماءِ يَشتَقّ قعرَهُ إلى حَيثُ يَفنى الماءُ حوتٌ وَضِفدعُ[2]

أبَحْرٌ يَضُرّ المُعْتَفينَ وطَعْمُهُ زُعاقٌ كبَحرٍ لا يَضُرّ ويَنْفَعُ[3]

يَتيهُ الدّقيقُ الفِكْرِ في بُعدِ غَوْرِهِ وَيَغْرَقُ في تَيّارِهِ وَهْوَ مِصْقَعُ[4]

ألا أيّها القَيْلُ المُقيمُ بمَنْبِجٍ وهِمّتُهُ فوقَ السِّماكَينِ تُوضَعُ[5]

ألَيْسَ عَجيباً أنّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ وَأنّ ظُنُوني في مَعاليكَ تَظْلَعُ[6]

وَأنّكَ في ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فيكُما على أنّه من ساحةِ الأرْضِ أوْسَعُ[7]

---

١ ذباب السيف طرفه المحدد وهو مبتدأ . والحسام السيف القاطع . ومنه صلة انجى . والضريبة اسم بمعنى المضروب وهي تمييز . يريد أن ضريبة ذباب السيف أنجى من ضريبة هذا القلم لأن السيف قد ينبو عن المضروب فيسلم وأنه أطوع لصاحبه من السيف لأنه لا ينبو عن مراد الكاتب .

٢ ضمير ليس يرجع إلى الجواد المذكور في البيت السابق . ويشتق بمعنى يشق . وحوت فاعل يشتق .

٣ المعتفين جمع المعتفي وهو السائل . والزعاق المر . وينفع معطوف على لا يضر أي ينفع السائلين ولا يضرهم .

٤ الغور العمق . والتيار الموج . والمصقع البليغ .

٥ القيل الملك دون الملك الأعظم . ومنبج بلد بالشام . والسماكان نجمان وهما السماك الرامح والسماك الأعزل . وتوضع من قولهم أوضع راحلته إذا حثها على الإسراع .

٦ تمشي مشية الأعرج .

٧ الضمير من قوله فيكما للممدوح والثوب . يقول : أوليس من العجب أن صدرك على كونه أوسع من الأرض قد اشتمل عليه ثوب وهو فيك وفي الثوب قد اشتملتما عليه .

وقَلْبُكَ في الدّنْيا ولوْ دَخلَتْ بنَا   وبالجنّ فيهِ ما درَتْ كيفَ ترْجعُ[1]

ألا كُلّ سَمْحٍ غيرَكَ اليَوْمَ باطِلٌ   وكلّ مَديحٍ في سِواكَ مُضَيَّعُ

سيف يسابق المنايا

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين
وقد سأله ذلك :

قُضاعَةُ تَعْلَمُ أنّي الفَتَى الّـ   ـذي ادّخَرَتْ لصرُوفِ الزّمَانِ[2]

ومَجْدي يَدُلّ بَني خِنْدِفٍ   عَلى أنّ كُلّ كَريمٍ يَمَانِ[3]

أنَا ابنُ اللّقاءِ أنَا ابنُ السّخاءِ   أنا ابنُ الضِّرابِ أنا ابنُ الطِّعانِ

أنَا ابنُ الفَيافي أنَا ابنُ القَوافي   أنَا ابنُ السُّروجِ أنَا ابنُ الرِّعانِ[4]

طَويلُ النِّجادِ طَويلُ العِمادِ   طَويلُ القَناةِ طَويلُ السِّنانِ[5]

---

١ يجوز في قلبك الرفع على الابتداء والنصب عطفاً على الكاف من أنك في البيت السابق . أي أوليس من العجب أن قلبك قد اشتملت عليه الدنيا وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا فيه بمن عليها من الإنس والجن لضلت فلا تهتدي للرجوع .

٢ قضاعة قبيلة التنوخي .

٣ خندف امرأة الياس بن مضر ينسب إليها أحد فخذي مضر . والظرف بعدها صلة يدل . أي أن مجدي يدلهم على أن كل كريم يمني أي من قبائل اليمن لأني أنا منهم .

٤ الفيافي الفلوات . والرعان جمع الرعن وهو أنف الجبل يريد الجبال الشاهقة .

٥ النجاد حمالة السيف يكنى بطوله عن طول القامة . والعماد الاسطوانة يريد به عمود الخيمة . والقناة الرمح .

حَديدُ اللّحاظِ حَديدُ الحِفاظِ   حَديدُ الحُسامِ حَديدُ الجَنَانِ[1]
يُسابِقُ سَيْفي مَنَايَا العِبادِ   إلَيْهِمْ كأنّهُمَا في رِهَانِ[2]
يَرَى حَدُّهُ غامِضاتِ القُلُوبِ   إذا كنتُ في هَبْوَةٍ لا أرَاني[3]
سَأجْعَلُهُ حَكَماً في النّفُوسِ   وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِساني كَفَاني[4]

وما زلت طوداً

وقال في صباه :

قِفَا تَرَيَا وَدْقي فَهَاتَا المَخايِلُ   وَلا تَخْشَيا خُلْفاً لِما أنَا قائِلُ[5]
رَماني خساسُ النّاس من صائبِ استِهِ   وآخَرَ قُطْنٌ من يَدَيهِ الجَنادِلُ[6]

---

١ اللحاظ طرف العين مما يلي الصدغ يريد به البصر . والحفاظ المحافظة على ما يجب حفظه . والحسام السيف القاطع . والجنان القلب .
٢ المنايا جمع المنية وهي الموت : والرهان السباق .
٣ الهبوة الغبار . أي أن حد سيفه يرى قلوب الأعداء فيهتدي إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه .
٤ الحكم الحاكم . يقول : سأجعل سيفي حكماً في أنفس العداة يقتص منها ولو جعلت لساني مكان سيفي لاكتفيت به لأنه كالسيف في مضائه .
٥ الودق المطر . وهاتا بمعنى هذه . والمخايل جمع المخيلة ، بضم الميم وكسر الخاء ، وهي السحابة الخليقة بالمطر . والخلف اسم بمعنى الإخلاف . يقول لصاحبيه : اصبرا قليلا تريا تحقيق ما وعدت بفعله من العظائم فقد دل عليه ما فيّ من علائم النجابة والبأس ولا تخشيا أن أقول شيئاً ولا أفعله .
٦ قطن خبر مقدم عن الجنادل وهي الصخور . والجملة نعت لآخر . وقوله من صائب استه بيان . أي من يرميني فينقلب رميه إليه ومن تكون الصخور التي يرمي بها كالقطن لا أثر لها فيّ .

وَمن جاهلٍ بي وَهْوَ يَجهلُ جَهلَهُ — وَيَجْهَلُ عِلمي أنّهُ بيَ جاهِلُ [1]

وَيَجْهَلُ أنّي مالكَ الأرْضِ مُعسِرٌ — وَأنّي على ظَهرِ السِّماكَينِ رَاجِلُ [2]

تُحَقِّرُ عِندي هِمّتي كُلَّ مَطلَبٍ — وَيَقصُرُ في عَيني المَدى المُتَطاوِلُ

وما زِلْتُ طَوْداً لا تَزُولُ مَنَاكبي — إلى أنْ بَدَتْ للضَّيْمِ فيّ زَلازِلُ [3]

فَقَلْقَلْتُ بالهَمّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا — قَلاقِلَ عِيسٍ كُلّهُنّ قَلاقِلُ [4]

إذا اللّيْلُ وَارَانَا أرَتْنا خِفافُهَا — بقَدحِ الحَصَى ما لا تُرِينا المَشاعِلُ [5]

كأنّي منَ الوَجْناءِ في ظَهرِ مَوْجَةٍ — رَمَتْ بي بحاراً ما لَهُنّ سَوَاحِلُ [6]

يُخَيَّلُ لي أنّ البِلادَ مَسَامِعي — وأنّيَ فيها ما تَقُولُ العَوَاذِلُ [7]

وَمَنْ يَبغِ ما أبْغي منَ المَجْدِ والعلى — تَسَاوَ المَحايي عِنْدَهُ وَالمَقاتِلُ [8]

---

١ ومن جاهل عطف على قوله من صائب استه .

٢ قوله مالك الأرض حال . ومثله قوله على ظهر السماكين . ومعسر وراجل خبران . أي ويجهل أني إذا كنت مالك الأرض أعد نفسي معسراً لعلو همتي وأني إذا كنت راكباً على ظهر السماكين أعد نفسي راجلا .

٣ الطود الجبل العظيم . ومناكبه أعاليه . يريد أنه لم يزل ثابتاً على وقاره كالطود لا يحركه شيء حتى ظلم فتحرك لدفع الظلم .

٤ قلقله حركه . وقلاقل العيس أي الإبل خفافها . وقلاقل الثانية يجوز أن تكون بمعنى الأولى أي إبلا خفافاً كلهن خفاف أو تكون جمع قلقلة وهي الحركة . والمعنى أنني حركت بسبب الهم الذي حرك نفسي إبلا خفافاً في السير فسافرت غير معرج بالمقام الذي يلحقني فيه الضيم .

٥ وارانا سترنا بظلمته .

٦ الوجناء الناقة الشديدة شبهها بالموج وشبه المفاوز بالبحار لسعتها .

٧ أي أن البلاد تلفظني فلا أستقر فيها كما أن المسامع تلفظ العذل . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقي عصاه ببلد حتى ينتقل إلى غيره .

٨ قوله تساو أي تتساو فحذف إحدى التاءين وهو مجزوم لوقوعه جواباً لمن . ويجوز أن يكون ماضياً

ألا لَيسَتِ الحاجاتُ إلاّ نُفُوسَكمْ وَلَيسَ لَنا إلاّ السّيوفَ وَسائِلُ[1]

فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امرىءٍ رُوحُهُ له وَلا صَدَرَتْ عن باخِلٍ وَهوَ باخِلُ[2]

غَثَاثَةُ عَيشي أنْ تَغَثّ كَرامَتي وَلَيسَ بغَثٍّ أنْ تَغَثّ المَآكلُ[3]

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة

وقال في صباه :

ضَيْفٌ ألَمّ برَأسِي غيرَ مُحْتَشِمِ ألسّيفُ أحْسَنُ فِعْلاً منهُ باللِّمَمِ[4]

إبْعَدْ بَعِدْتَ بَياضاً لا بَياضَ لَهُ لأنْتَ أسْوَدُ في عَيني مِنَ الظُّلَمِ[5]

فيثبت آخره ويكون في محل الجزم . والمحايي والمقاتل جمع المحيا والمقتل مصدرين ميميين بمعنى الحياة والقتل .

١ الخطاب للأعداء . ونصب السيوف لأنها استثناء مقدم . والوسائل جمع الوسيلة وهي الواسطة بين الطالب والمطلوب .

٢ أي أن السيوف إذا وردت روح امرىء صارت أملك بروحه منه فلا تصدر عنها حتى تنالها وإن كان صاحبها ضنيناً بها . ويمكن أن يكون المراد أنها لا تصدر عنه أو يجود بماله فداء عنها .

٣ الغثاثة الهزال . يقول : أرى غثاثة عيشي في هزال كرامتي لا في هزال مطاعمي .

٤ أراد بالضيف الشيب . وألم بمعنى نزل . والمحتشم المنقبض حياء. واللمم جمع لمة وهي الشعر يجاوز شحمة الأذن .

٥ إبعد أمر من بعد ، بكسر العين ، بمعنى هلك . ومثله بعدت وهو دعاء . وبياضاً تمييز . وأسود تفضيل من السواد وهو شاذ لورود الوصف منه على أفعل غير أنهم أجازوا ذلك في السواد والبياض دون غيرهما من سائر الألوان .

بحُبِّ قاتِلَتي وَالشَّيْبِ تَغْذِيَتي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبي بالغَ الحُلُمِ [1]

فَمَا أمُرُّ بِرَسْمٍ لا أُسَائِلُهُ وَلا بذاتِ خِمارٍ لا تُريقُ دَمي [2]

تَنَفّسَتْ عَن وَفاءٍ غيرِ مُنصَدِعٍ يَوْمَ الرّحيلِ وشَعْبٍ غيرِ مُلْتَئِمِ [3]

قَبّلْتُها وَدُمُوعي مَزْجُ أدْمُعِهَا وَقَبّلَتْني على خَوْفٍ فَماً لفَمِ

قد ذُقْتُ ماءَ حَياةٍ مِنْ مُقَبَّلِها لَوْ صَابَ تُرْباً لأحيا سالِفَ الأُمَمِ [4]

تَرنو إليّ بعَينِ الظّبيِ مُجْهِشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الوَرْدِ بالعَنَمِ [5]

رُوَيْدَ حُكمِكِ فينا غيرَ مُنصِفَةٍ بالنّاسِ كُلّهِمِ أفديكِ من حكَمِ [6]

أبدَيتِ مثلَ الذي أبدَيتُ من جزَعٍ وَلَمْ تُجِنّي الذي أجنَنْتُ من ألَمِ [7]

إذاً لَبَزّكِ ثَوْبَ الحُسنِ أصغَرُهُ وَصِرْتِ مثليَ في ثَوْبَينِ من سَقَمِ [8]

---

١ بحب قاتلتي خبر مقدم وتغذيتي مبتدأ . وهواي بدل من حب . وشيبي بدل من الشيب . وطفلا وبالغ الحلم حالان . والتقدير أن تغذيتي حاصلة بهواي وأنا طفل وبشيبي وأنا بالغ الحلم يعني أنه هوي وهو طفل وشاب وهو في سن الاحتلام .

٢ يريد بالرسم رسم الدار . أي كل رسم يذكرني رسم دارها فأسأله تسلياً وكذلك كل ذات خمار .

٣ المنصدع المنشق أي غير منثلم . والشعب مصدر بمعنى الفرقة . وملتئم مجتمع .

٤ المقبل الفم . وصاب بمعنى أصاب ويجوز أن يكون من صوب المطر وهو نزوله .

٥ رنا إليه نظر . والظبي الغزال . والمجهش المتهيء للبكاء . والطل المطر الضعيف أراد به دموعها . وأراد بالورد خدها . والعنم شجر أحمر الثمر أراد به أطراف أناملها المخضبة

٦ يجوز في رويد أن يكون مصدراً نائباً عن فعله منصوباً به فيكون حكمك مضافاً إليه . أو اسم فعل مبنياً فيكون حكمك مفعولا به . وغير منصفة حال من الكاف في حكمك . وبالناس صلة أفديك . وحكم في محل نصب على التمييز والجار زائد .

٧ أبديت أي أظهرت . والجزع نقيض الصبر . وأجن الشيء أخفاه .

٨ لبزك أي لسلبك . وثوب الحسن مفعول ثان لبز . وأصغره فاعل بز . والضمير المضاف إليه

لَيسَ التَّعَلُّلُ بالآمَالِ مِن أرَبي ... وَلا القَنَاعَةُ بالإقْلالِ من شِيَمي[1]

وَلا أظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرُكُني ... حتّى تَسُدَّ علَيها طُرْقَها هِمَمي[2]

لُمِ اللّيالي التي أخْنَتْ على جِدَتي ... برِقّةِ الحالِ وَاعذِرْني وَلا تَلُمِ[3]

أرَى أُناساً ومَحصُولي على غَنَمٍ ... وَذِكْرَ جُودٍ ومحْصُولي على الكَلِمِ[4]

وَرَبَّ مالٍ فَقِيراً مِنْ مُرُوءَتِهِ ... لم يُثْرِ منها كما أثْرَى منَ العُدُمِ[5]

سيَصْحَبُ النَّصلُ مني مثلَ مَضرِبِهِ ... وَيَنجَلي خَبَرِي عن صِمّةِ الصِّمَمِ[6]

لقد تَصَبّرْتُ حتى لاتَ مُصْطَبَرٍ ... فالآنَ أقْحَمُ حتى لاتَ مُقْتَحَمِ[7]

للألم المذكور في البيت السابق . واللام في لبزك داخلة في جواب شرط مضمر دلت عليه إذاً أي لو أجنت ما أجننته من الألم لبزك .

١ الإقلال الفقر وقلة ذات اليد .

٢ بنات الدهر كناية عن حوادثه . أي أن النوائب لا تتركه حتى يدفعها عن نفسه بأن يتقوى بالمال والأنصار فيسد عليها طريقها .

٣ أخنى عليه أهلكه . والجدة الغنى . ورقة الحال كناية عن الفقر .

٤ المحصول مصدر بمعنى الحصول. وقوله وذكر جود مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام أي واسمع ذكر جود . يقول : أرى صور أناس ولكنهم كالغنم لا عقل لهم ولا جرأة واسمع ذكر الجود ولكن لا أحصل منه إلا على المواعيد .

٥ رب مال معطوف علىمفعول أرى في البيت السابق . ومن مروءته متعلق بفقيراً . والإثراء الغنى . أي وأرى صاحب مال ليس له مروءة ولم يستغن منها كما استغنى من المال بعد فقره .

٦ مضرب السيف حده . وينجلي ينكشف . والصمة الشجاع . يقول: سيصحب السيف مني رجلا مثل حده في المضاء ويتبين للناس أني أشجع الشجعان .

٧ لات بمعنى ليس والأصل فيها لا فزيدت عليها التاء. كما في ربت وثمت . قال ابن جني: من العرب من يجر بها ، وأنشد :

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ ... فأجبنا أن ليس حين بقاء

لأتركَنَّ وُجوهَ الخَيْلِ ساهِمَةً   وَالحرْبُ أقوَمُ مِن ساقٍ على قَدَمِ[1]
والطّعْنُ يُحرِقُها وَالزّجرُ يُقلِقُها   حتّى كأنّ بها ضَرْباً مِنَ اللّمَمِ[2]
قَدْ كَلّمَتْها العَوالي فَهْيَ كالِحَةٌ   كأنّما الصّابُ مَذرُورٌ على اللُّجُمِ[3]
بكُلّ مُنصَلِتٍ ما زالَ مُنْتَظِري   حتّى أدَلْتُ لَهُ مِنْ دَولَةِ الخَدَمِ[4]
شَيخٌ يَرَى الصّلواتِ الخَمسَ نافِلَةً   ويَستَحِلّ دَمَ الحُجّاجِ في الحَرَمِ[5]
وكُلّما نُطِحَتْ تحْتَ العَجاجِ بهِ   أُسْدُ الكَتائبِ رامَتْهُ ولم يَرِمِ[6]

---

١ ساهمة أي متغيرة ضامرة . والواو من قوله والحرب للابتداء والجملة بعدها حال . يقول : لأتركن الخيل ساهمة الوجوه من شدة ما ينالها من الأهوال حين أترك الحرب قائمة كقيام الساق على القدم .

٢ الضمير في يحرقها للخيل . ويروى يخرقها بالخاء المعجمة . والجملة عطف على الحال السابقة . والزجر الصياح . والضرب من الشيء الصنف منه . واللمم الجنون .

٣ كلمتها أي جرحتها . والعوالي صدور الرماح يعني بها الأسنة والجملة حال أخرى . وكلح تكشر في عبوس . والصاب نبات مر . ومذرور أي مرشوش .

٤ الباء من قوله بكل منصلت للاستعانة وهي متعلقة بقوله لأتركن . والمنصلت الماضي في الأمور . وأدلت له أي نصرته وجعلت له الدولة . كذا يروى إلا أن فيه نظراً من حيث اللغة لأنه لا يقال أدلت له من فلان وإنما يقال أدلته منه فلعل الرواية الصحيحة حتى أُدلت به بصيغة المجهول وبالباء مكان اللام . والمعنى لأفعلن ما ذكرته مستعيناً بكل ماضي العزيمة طالما انتظر خروجي على السلطان حتى أخذت به الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الإمارة يعني بهم قوماً كانوا قد تملكوا بالعراق . والظاهر أن هذا الكلام من قبيل التفاؤل .

٥ يجوز في شيخ الجر على التبعية لمنصلت والرفع على الاستئناف أي هو شيخ . والنافلة خلاف الفرض وهي ما يحسن فعله ولا يحرم تركه . قال ابن القطاع: كل من فسر الديوان قال الشيخ هنا واحد الشيوخ من الناس. يقول: أنتصر على أعدائي بكل شيخ ماض في أموره لا يبالي بالعواقب مستحل للمحارم سافك للدماء . قال وهذا بالهجاء أشبه وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف سمي به لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم أو لبياضه تشبيهاً بالشيب . انتهى ببعض تصرف وهو يؤيد ما أوردناه على البيت السابق .

٦ العجاج الغبار . والكتائب الجيوش . وقوله رامته يريد رامت عنه أي زالت عنه ولم يزل .

تُنسِي البِلادَ بُرُوقَ الجَوِّ بارِقَتي وتَكتَفي بالدَّمِ الجاري عَنِ الدِّيَمِ [١]

رِدِي حِياضَ الرَّدى يا نفسِ وَاترُكي حياضَ خوْفِ الرَّدى للشّاءِ والنَّعَمِ [٢]

إنْ لم أذَرْكِ على الأرماحِ سائِلَةً فلا دُعيتُ ابنَ أُمِّ المَجدِ والكَرَمِ [٣]

أيَمْلِكُ المُلْكَ وَالأسيافُ ظامِئَةٌ وَالطّيرُ جائِعَةٌ لَحْمٌ على وَضَمِ [٤]

مَنْ لَوْ رَآنيَ ماءً ماتَ مِنْ ظَمَإٍ وَلَوْ عَرَضْتُ لهُ في النّوْمِ لم يَنَمِ [٥]

ميعادُ كلِّ رَقيقِ الشّفرَتينِ غَداً ومَن عصَى من ملوكِ العُرْبِ والعجَمِ [٦]

فإنْ أجابُوا فَما قَصدي بهَا لَهُمُ وَإنْ تَوَلّوْا فَمَا أرْضَى لهَا بهِمِ [٧]

---

١ البارقة بمعنى البرق يريد بها لمع سيوفه . والديم جمع الديمة وهي مطر يدوم أياماً .

٢ ردي أمر من الورود . والردى الهلاك . والشاء الغنم . والنعم الإبل . يحرض نفسه على اقتحام الهلكة وعدم المبالاة بمخاوف الموت فإنها من شأن البهائم التي لا تستطيع دفاعاً عن أنفسها .

٣ أذرك أي أتركك والخطاب لنفسه .

٤ الاستفهام للانكار . وظامئة عطشى . والجملة حال . ولحم فاعل يملك . والوضم خشبة يقطع الجزار عليها اللحم . يريدون باللحم على الوضم الضعيف الذي لا يقدر أن يمنع نفسه . يقول : هل يسلم بالملك لمن كانت هذه صفته من غير حرب ولا جهاد .

٥ من بدل من لحم . والظمأ العطش . وعرض له ظهر . ويروى مثلث أي انتصبت .

٦ ميعاد مبتدأ خبره غداً . ورقيق الشفرتين نعت لمحذوف أي سيف رقيق الشفرتين وهما جانبا النصل أو حداه . ومن عصى عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك بقرب إيقاد نار الحرب .

٧ الضمير في بها للسيوف وفي لهم للملوك . وكذا في الشطر الثاني . يقول : إن أطاعوني وأجابوا إلى ما أدعوهم فلست أقصدهم بسيوفي وإنما أقصد بها غيرهم ممن عصى . وإن أعرضوا عن طاعتي فلست أقنع بقتلهم وحدهم ولكني أقتل معهم كل من رأى رأيهم .

أبا سعيد

وعذله أبو سعيد المجيمري على تركه لقاء الملوك فقال ارتجالا :

أبَا سَعيدٍ جنّبِ العِتابَا فَرُبّ رَأيٍ أخطأَ الصّوابَا[1]
فإنّهُمْ قَدْ أكثَرُوا الحُجّابَا وَاستَوْقَفُوا لرَدّنَا البوّابَا[2]
وَإنّ حَدّ الصّارِمِ القِرْضَابَا وَالذّابِلاتِ السُّمرَ والعِرابَا
تَرْفَعُ فيمَا بَيْنَنَا الحِجَابَا[3]

رحل العزاء برحلتي

وقال في صباه ارتجالا على لسان رجل سأله ذلك :

شَوْقي إلَيكَ نَفَى لَذيذَ هُجُوعي فَارَقْتَني وأقَامَ بَينَ ضُلُوعي[4]
أوَمَا وَجَدْتُمْ في الصَّراةِ مُلُوحَةً مِمّا أُرَقْرِقُ في الفُراتِ دُمُوعي[5]

....

١ جنبه نحاه وجعله جانباً . ويروى الشطر الثاني فرب راء خطأ صوابا بنصب خطأ مع تنوين راء وبجره مع ترك التنوين .
٢ فإنهم : الضمير للملوك .
٣ القرضاب القاطع . والذابلات الرماح . والعراب الخيل العربية . يريد أنه بهذه المذكورات يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذي أقاموه على أبوابهم .
٤ الهجوع النوم . وضمير أقام للشوق .
٥ الصراة نهر بالعراق يتشعب من الفرات فيمر بالموصل . وما من قوله مما أرقرق مصدرية . ورقرق

ما زِلْتُ أحذَرُ مِنْ وَداعِكَ جاهِداً حتى اغْتَدَى أسَفي على التَّوْديعِ[1]
رَحَلَ العَزاءُ برِحْلَتي فكأنّمَا أتْبَعْتُهُ الأنْفَاسَ للتّشْييعِ[2]

أي محل أرتقي

أيَّ مَحَلٍّ أرْتَقي أيَّ عَظيمٍ أتّقي[3]
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللّـ ـهُ وَما لَمْ يَخْلُقِ
مُحْتَقَرٌ في هِمّتي كَشَعْرَةٍ في مَفْرِقي[4]

الدمع صبه . يقول : إنه يبكي في الفرات فيملح ماؤه وتسري ملوحته إلى الصراة التي هي شعبة منه وكان الحبيب على جانبها .

١ اغتدى أي أصبح . ويروى غدا . يقول : قد كنت أحذر من وداعك خوف الفراق فلما فارقتني صرت أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه لأنه يكون سبباً لاجتماعي بك .

٢ العزاء الصبر والتسلي . والتشييع الخروج مع المسافر في وداعه . يقول : رحل صبري بارتحالي عنك فكأنني أرسلت أنفاسي على اثره مشيعة له فصارت طويلة متصلة .

٣ أخاف .

٤ وسط الرأس حيث يفترق الشعر .

شغلي عنك بك

قال له بعض إخوانه : سلمت عليك فلم ترد السلام ، فقال معتذراً :

أنَا عاتِبٌ لتَعَتّبِكْ مُتَعَجّبٌ لتَعَجّبِكْ
إذ كُنتُ حينَ لَقيتَني مُتَوَجّعاً لتَغَيّبِكْ
فَشُغِلْتُ عَنْ رَدّ السّلا مِ وكانَ شُغْلي عنكَ بكْ

كن أهلاً لما شئت

قال عند وداعه بعض الأمراء :

أنْصُرْ بجُودِكَ ألْفاظاً ترَكتُ بها في الشّرْقِ والغرْبِ من عاداك مكبوتا[1]
فقد نَظَرْتُكَ حتى حانَ مُرْتَحَلي وذا الوَداعُ فكُنْ أهْلاً لِما شِيتا[2]

---

١ المكبوت الذليل . يقول : انصر بعطاياك قصائدي التي مدحتك بها وغظت أعداءك حتى تركتهم أذلاء . قال الواحدي : ومعنى نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطي المتنبي حتى يزيده منها .

٢ نظرتك بمعنى انتظرتك . يقول : انتظرت عطاءك حتى حان ارتحالي عنك وهذا وقت وداعي فاختر إما أن تجود وتكون أهلا للمدح أو تمنع وتكون أهلا للذم .

تضيق عن جيشه الدنيا

قال في جعفر بن كيغلغ ولم ينشده إياها :

حاشَى الرَّقيبَ فَخانَتْهُ ضَمائِرُهُ وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فانهَلَّتْ بَوادِرُهُ[١]

وكاتِمُ الحُبّ يَوْمَ البَيْنِ مُنهَتِكٌ وصاحبُ الدّمعِ لا تَخفَى سرائرُهُ[٢]

لَوْلا ظِباءُ عَدِيٍّ ما شُغِفْتُ بهِمْ وَلا بِرَبْرَبِهِمْ لَوْلا جَآذِرُهُ[٣]

من كلّ أحوَرَ في أنْيابِهِ شَنَبٌ خَمْرٌ يُخامِرُها مِسكٌ تُخامِرُهُ[٤]

نُعْجٌ مَحاجِرُهُ دُعْجٌ نَوَاظِرُهُ حُمْرٌ غَفائِرُهُ سُودٌ غَدائِرُهُ[٥]

---

١ حاشاه تجنبه . وغيض الدمع نقصه وجففه . وانهل انسكب . وبوادره سوابقه . يصف يوم الفراق يقول : إنه تجنب الرقيب في ذلك اليوم مخافة أن يطلع على هواه وحبس دموعه عن الجري فخانته ضمائره في أمر الكتم لأنها غلبته على الظهور وسبقه الدمع فلم يستطع إمساكه .

٢ يعتذر لما في البيت السابق يقول : إن المحب الذي عادته أن يكتّم هواه إذا فاجأه يوم فراق الحبيب غلبه الوجد والجزع فانهتك ستر كتمانه ودل دمعه الجاري على ما في سرائره من مكنونات الغرام .

٣ الظباء جمع الظبي وهو الغزال . وعدي اسم قبيلة . والربرب القطيع من بقر الوحش . والجآذر جمع الجؤذر وهو ولد البقرة الوحشية . كنى بالظباء عن النساء . وبالربرب عن جماعتهن مطلقاً . وبالجآذر عن الفتيّات منهن . أي لولا نساء هذه القبيلة ما شغفت بالقبيلة كلها ولولا الشابات منهن ما شغفت بنسائهم جميعاً .

٤ من متعلقة بمحذوف حال من جآذره . والأحور الشديد سواد الحدقة وبياض ما حولها . والشنب صفاء ورقة في الأسنان . وخمر مبتدأ . ويخامرها بمعنى يخالطها . ومسك فاعل يخامرها والجملة نعت خمر . وتخامره ضمير الفاعل فيه للخمر وضمير المفعول للشنب والجملة خبر خمر . وجملة خمر وما يليها إلى آخر البيت نعت شنب . أي في أنيابه شنب تخامره خمر يخامرها مسك .

٥ النعج البيض . والمحاجر ما حول العينين . والدعج السود . والنواظر الأحداق . والغفائر جمع الغفارة وهي نحو المقنعة تشدها المرأة على رأسها . والغدائر جمع الغديرة وهي الضفيرة من الشعر .

أعارَني سُقْمَ عينيْهِ وحمّلني | منَ الهوَى ثِقْلَ ما تحوي مآزِرُهُ[1]
يا منْ تحكّمَ في نفسي فعذّبني | ومَنْ فؤادي على قتلي يُضافِرُهُ[2]
بعوْدَةِ الدوْلةِ الغرّاءِ ثانيةً | سلَوْتُ عنكَ ونامَ الليلَ ساهِرُهُ[3]
منْ بعدِ ما كانَ ليلي لا صباحَ لهُ | كأنَّ أوّلَ يوْمِ الحشرِ آخِرُهُ[4]
غابَ الأميرُ فغابَ الخيرُ عنْ بلَدٍ | كادَتْ لفقْدِ اسمِهِ تبكي منابِرُهُ
قدِ اشتكَتْ وحشَةَ الأحياءِ أرْبُعُهُ | وخبّرَتْ عن أسَى الموْتى مقابِرُهُ[5]
حتى إذا عُقِدَتْ فيه القِبابُ لهُ | أهَلَّ للهِ باديهِ وحاضِرُهُ[6]
وجدّدَتْ فرَحاً لا الغمُّ يطْرُدُهُ | ولا الصّبابةُ في قلْبٍ تُجاوِرُهُ[7]
إذا خلَتْ منكَ حمصٌ لا خلتْ أبداً | فلا سقاها منَ الوسميّ باكِرُهُ[8]

....

١ يريد بسقم عينيه ما فيهما من الفتور . والمآزر جمع المئزر وهو الملحفة تشد على الوسط .
٢ يعاونه. أي أن فؤاده يعاون الحبيب على قتله بامتناعه عن قبول السلوان مع كثرة ما يرى من الحبيب من الجفاء والتعذيب .
٣ الباء سببية متعلقة بسلوت . وكان الممدوح قد عزل ثم ولي ثانية .
٤ من متعلقة بقوله نام الليل في البيت السابق . والضمير في آخره يرجع إلى ليلي في صدر البيت . وهو مبالغة في وصف الليل بالطول حتى كأن آخره موصول بيوم الحشر .
٥ الضمير في أربعه للبلد . وكذا في مقابره . يعني أن الموتى حزنوا أيضاً حتى أخبرت مقابرهم عن حزنهم .
٦ القباب جمع القبة وهي الخيمة . وعقدت أي ضربت . والإهلال رفع الصوت بالدعاء .
٧ الضمير في جددت لعودة الدولة . والصبابة الشوق . يعني أن دولته جددت فرحاً لا يغلبه الهم ولا محل معه للصبابة في القلوب لامتلائها به .
٨ قوله لا خلت أبداً دعاء معترض . وقوله فلا سقاها جواب إذا . والوسمي أول مطر السنة .

دَخَلْتَها وشُعاعُ الشّمسِ مُتّقِدٌ ... ونُورُ وَجْهِكَ بينَ الخَلْقِ باهِرُهُ[1]

في فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لوْ قَذَفتَ بهِ ... صَرْفَ الزّمانِ لمَا دارَتْ دَوائِرُهُ[2]

تَمضِي المَواكِبُ والأبصارُ شاخصَةٌ ... منها إلى المَلِكِ المَيْمُونِ طائِرُهُ[3]

قَدْ حِرْنَ في بَشَرٍ في تاجِهِ قَمَرٌ ... في دِرْعِهِ أسَدٌ تَدْمَى أظافِرُهُ[4]

حُلْوٍ خَلائِقُهُ شُوسٍ حَقائِقُهُ ... تُحصَى الحَصَى قَبلَ أنْ تُحصَى مآثِرُهُ[5]

تَضيقُ عن جَيشِه الدُّنيا ولوْ رَحُبَتْ ... كصَدْرِهِ لم تَبِنْ فيها عَساكِرُهُ

إذا تَغَلْغَلَ فكرُ المرءِ في طَرَفٍ ... من مَجْدِهِ غَرِقَتْ فيه خَواطِرُهُ[6]

تَحْمَى السّيوفُ على أعدائِهِ مَعَهُ ... كأنّهُنّ بَنُوهُ أوْ عَشائِرُهُ[7]

إذا انْتَضَاها لحرْبٍ لمْ تَدَعْ جَسَداً ... إلاّ وباطِنُهُ للعَيْنِ ظاهِرُهُ[8]

---

١ غالبه . والضمير المضاف إليه للشعاع .

٢ الفيلق الجيش . وجعله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع . وصرف الزمان حدثانه .

٣ الميمون المبارك . والمراد بالطائر الفأل لأن العرب كانت تتفاءل بالطيور .

٤ الضمير في حرن للأبصار . والمراد بالبشر الممدوح . وبالقمر وجهه . وبالأسد جسمه . وتدمى أظافره أي تتلطخ بالدم لكثرة ما يسفك من دماء الأعداء .

٥ الخلائق جمع الخليقة بمعنى الخلق . والشوس جمع الأشوس وهو الناظر بمؤخر عينه نظر المتكبر . والحقائق ما يحق على الرجل حفظه من الجار والولد . يعني أن جيرانه وحلفاءه يتيهون كبراً لامتناعهم وعزتهم به .

٦ تغلغل في الشيء دخل . أي أن أدنى مجده يستغرق خواطر الأفكار فلا تستطيع الإحاطة بوصفه .

٧ تحمى أي تغضب . والعشائر الأقارب الأدنون .

٨ انتضاها استلها . وتدع تترك . أي أن سيوفه تشق أجساد الأعداء حتى تبدو بواطنها للعين كما تبدو ظواهرها .

فَقَدْ تَيَقَّنَ أنَّ الحَقَّ في يَدِهِ وَقَدْ وَثِقْنَ بأنَّ اللهَ نَاصِرُهُ[1]

تَرَكْنَ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وثَعْلَبَةٍ على رُؤوسٍ بلا ناسٍ مَغَافِرُهُ[2]

فخاضَ بالسَّيفِ بحرَ المَوْتِ خَلفَهُمُ وكانَ منهُ إلى الكَعْبَيْنِ زاخِرُهُ[3]

حتّى انتهَى الفرَسُ الجاري وما وَقعَتْ في الأرضِ من جِيَفِ القتلى حوافرُهُ[4]

كَمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ منهُ أسِنّتُهُ وَمُهْجَةٍ وَلَغَتْ فيها بَوَاتِرُهُ[5]

وحائِنٍ لَعِبَتْ شُمُّ الرِّماحِ بهِ فالعَيشُ هاجِرُهُ والنّسرُ زائِرُهُ[6]

مَنْ قالَ لَسْتَ بخَيرِ النّاسِ كلّهِمِ فجَهْلُهُ بكَ عندَ النّاسِ عاذِرُهُ

أوْ شَكّ أنّكَ فَرْدٌ في زَمانِهِمِ بلا نَظيرٍ فَفي روحي أُخاطِرُهُ[7]

يا مَنْ ألُوذُ بِهِ فيمَا أُؤمّلُهُ وَمَنْ أعُوذُ بهِ مِمّا أُحاذِرُهُ[8]

---

١ تيقن الضمير للسيوف .

٢ الهام جمع الهامة وهي الرأس وتحتمل رئيس القوم . وعوف وثعلبة قبيلتان . ويروى بني بحر . والمغافر ما يلبس على الرأس من الحديد وهي مبتدأ خبره على رؤوس والضمير فيها للهام . والجملة حال أو مفعول ثان لتركن . أي أن سيوفه تركتهم ومغافرهم على رؤوس بلا ناس أي بلا أبدان . قال ابن جنّي وذلك لأنه لما قتلهم جاؤوا برؤوسهم وعليها المغافر .

٣ زخر البحر طمى وارتفع . والمراد ببحر الموت الحرب لكثرة ما يقع فيها من المصارع .

٤ ويروى من جثث القتلى . أي حتّى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة ما عليها من القتلى فكان يطأ على أجسادهم .

٥ الأسنة جمع سنان وهو نصل الرمح . والمهجة دم القلب . والولوغ شرب السباع بألسنتها . والبواتر السيوف .

٦ الحائن الهالك وهو معطوف على دم في البيت السابق . والشم جمع الأشم وهو الطويل المرتفع . ويروى : سمر الرماح .

٧ أي أراهنه على روحي .

٨ لاذ به أي لجأ إليه مثل عاذ به .

وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أنّ البَحرَ راحَتُهُ جُوداً وأنّ عَطاياها جَواهِرُهُ
لا يَجْبُرُ النّاسُ عَظْماً أنْتَ كاسِرُهُ وَلا يَهِيضُونَ عَظْماً أنتَ جابِرُهُ[1]

حلم الفتى في غير موضعه جهل

يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي :

عَزِيزُ أساً مَن داؤهُ الحَدَقُ النُّجْلُ عَيَاءٌ به ماتَ المُحِبّونَ من قَبْلُ[2]
فَمَنْ شاءَ فَلْيَنْظُرْ إليّ فمَنظَرِي نَذيرٌ إلى مَن ظَنّ أنّ الهَوَى سَهْلُ[3]
وما هيَ إلاّ لحظَةٌ بَعدَ لحظَةٍ إذا نَزَلَتْ في قَلبِهِ رَحَلَ العَقْلُ[4]
جرَى حبُّها مجْرَى دَمي في مَفاصِلي فأصْبَحَ لي عَن كلّ شُغلٍ بها شُغْلُ[5]

---

١ يهيضون يكسرون . ويروى بعد هذا البيت :

ارحم شباب فتى أودت بجدته يد البلى وذوى في السجن ناضره

أودى به أهلكه . والجدة مصدر الجديد . وذوى ذبل . قال الواحدي : وهو منحول ليس له .

٢ العزيز ما لا يكاد يوجد وهو خبر مقدم عن الموصول بعده . والإسا الدواء وأصله بالمد فقصره للضرورة . والنجل جمع النجلاء وهي الواسعة . والعياء الداء الذي يعيي الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق .

٣ النذير المنذر . وعداه بإلى على تضمينه معنى الرسول .

٤ هي الضمير للقصة أخبر عنه بمفرد وهو مع قلته جائز كما نبه عليه الشيخ الرضي .

٥ حبها الضمير للمعشوقة وإنما جاز الإضمار لها بدون تقدم ذكرها لتعينها بدلالة المقام وهو كثير في كلامهم .

سَبَتْني بدَلٍّ ذاتُ حُسْنٍ يَزينُها تَكَحُّلُ عَيْنَيها وليسَ لها كُحلُ[1]

كأنَّ لحاظَ العَينِ في فَتْكِهِ بِنَا رَقيبٌ تَعَدّى أوْ عَدُوٌّ لهُ دَخْلُ[2]

ومن جَسَدي لم يَتْرُكِ السّقمُ شعرَةً فَمَا فَوْقَها إلاّ وفيها لَهُ فِعْلُ[3]

إذا عَذَلُوا فيها أجَبْتُ بأنّةٍ : حُبَيّبَتي قلبي فُؤادي هيا جُمْلُ[4]

كأنّ رَقيباً منكِ سَدّ مَسامِعي عنِ العذلِ حتّى ليس يدخلها العذلُ[5]

كأنّ سُهادَ اللّيلِ يَعشَقُ مُقلَتي فبَيْنَهُما في كُلّ هَجْرٍ لنا وَصْلُ[6]

أُحِبّ التي في البدرِ منها مَشَابِهٌ وأشكو إلى من لا يُصابُ له شكلُ[7]

إلى واحِدِ الدّنْيا إلى ابنِ مُحَمّدٍ شُجاعَ الذي للهِ ثمّ لَهُ الفَضْلُ[8]

إلى الثّمَرِ الحُلْوِ الذي طَيِّءٌ لَهُ فُرُوعٌ وقَحْطانُ بنُ هودٍ لها أصلُ[9]

---

١ سبتني أي أسرتني . والدل الدلال .

٢ اللحاظ مؤخر العين . والدخل الريبة .

٣ أي فما هو أعظم منها . ويجوز أن يكون المراد ما دونها في الصغر .

٤ العذل الملام . وحبيبتي قلبي فؤادي نداء متعدد محذوف الأداة أو اخبار متعددة عن محذوف أي أنت حبيبتي . وهيا من حروف النداء . وجمل اسم الحبيبة . يريد أن يبين لهم اشتغاله عنهم وأن هذا ما أثره عذلهم في قلبه . ويروى حبيبتا قلباً فؤاداً على قلب الياء ألفاً أو على معنى الندبة والتفجع للفراق .

٥ يعني كأنك أقمت رقيباً على العذل حتى لا يدخل في مسامعي . والمسامع جمع المسمع وزان منبر وهو الاذن .

٦ الضمير في بينهما للسهاد والمقلة .

٧ المشابه جمع الشبه ، بفتحتين ، على غير قياس . ويصاب بمعنى يوجد . والشكل المشاكل أي النظير .

٨ شجاع اسم الممدوح منعه من الصرف لإقامة الوزن وهو جائز في الأعلام .

٩ طيء قبيلة الممدوح . وقحطان بن هود أبو قبائل اليمن . والضمير في لها لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من غصون هي طيء وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان .

إلى سَيّدٍ لَــوْ بَشّرَ اللهُ أُمّــةً بغَيرِ نَبيٍّ بَشّرَتْنَا بهِ الرّسْلُ[1]
إلى القابضِ الأرْواحِ والضّيغَمِ الذي تُحَدّثُ عن وَقفاته الخيلُ والرَّجْلُ[2]
إلى رَبّ مالٍ كُلّما شتّ شَمْلُهُ تَجَمّعَ في تَشتيتِهِ للعُلَى شَمْلُ[3]
هُمَامٌ إذا ما فَارَقَ الغِمْدَ سَيْفُهُ وعايَنْتَهُ لم تَدرِ أيّهُمَا النّصْلُ[4]
رَأيْتُ ابنَ أمّ المَوْتِ لوْ أنّ بَأسَهُ فَشَا بينَ أهْلِ الأرْضِ لانقطعَ النسلُ[5]
على سابِحٍ مَوْجُ المَنايا بنَحْرِهِ غَدَاةَ كأنّ النَّبلَ في صَدرِهِ وَبْلُ[6]
وَكَمْ عَينِ قِرْنٍ حَدّقَتْ لنِزالِهِ فلم تُغْضِ إلاّ والسّنانُ لها كُحلُ[7]

---

١ قوله بغير نبي خلف من موصوف أي بأحد غير نبي أو هو على معنى الحصر أي إلا بنبي. يقول: لو بشر الله أمة من الأمم بأحد غير الأنبياء لبشرنا على ألسنة رسله بإتيان هذا الممدوح بعدها .

٢ الضيغم الأسد . والمراد بوقفاته مواقفه في الحرب . وكان القياس فيها فتح القاف وإنما سكنها للضرورة . والخيل كناية عن الفرسان . والرجل الرجالة وهم المشاة .

٣ شت تفرق . والشمل ذات البين .

٤ الهمام الملك الرفيع الهمة . ويجوز فيه الجر على البدل مما تقدم والرفع على إضمار مبتدإ محذوف .

٥ قوله ابن أم الموت أي أخوه على سبيل الكناية يريد أنه أخو الموت في كثرة إتلافه للنفوس . والبأس الشدة في الحرب . وفشا شاع . أي لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعاناً يقتل بعضهم بعضاً فتفانوا بذلك ولم يبق من يخلف نسلا .

٦ السابح الفرس . وموج المنايا مبتدأ خبره بنحره أي أن موج المنايا قد صار عند نحره . ويروى موج المنايا بالنصب على إرادة الظرفية أي في موج المنايا فيكون بنحره من صلة سابح . والأول أجود . والمراد بالغداة هنا مطلق الحين لا وقت بعينه كما يقال أصبح وأمسى يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة . وغداة مضافة إلى الجملة بعدها . والوبل المطر الكثير .

٧ القرن الكفؤ في الحرب . وحدقت أي حددت النظر . والنزال الحرب . وأغضت العين غضت . أي لم تطرف عين قرنه بعد أن نظرت إليه حتى جعل السنان لها بمنزلة الكحل .

إذا قيلَ رِفقاً قالَ للحِلمِ موْضِعٌ وَحِلْمُ الفتى في غيرِ مَوْضِعه جَهلُ

ولَوْلا تَوَلّي نَفسِهِ حَملَ حِلْمِهِ عن الأرض لانهدّتْ وناء بها الحِملُ[١]

تَباعَدَتِ الآمالُ عن كلّ مَقصِدٍ وضاقَتْ بها إلاّ إلى بابِهِ السُّبْلُ[٢]

ونادى النّدى بالنّائمينَ عن السُّرَى فأسمَعَهم هُبّوا فقد هلَكَ البُخلُ[٣]

وَحالَتْ عَطايا كَفّه دونَ وَعْدِهِ فَلَيسَ لَهُ إنجازُ وَعْدٍ وَلا مَطْلُ[٤]

فأقْرَبُ مِن تَحديدِها رَدُّ فائِتٍ وأيسَرُ من إحصائِها القَطرُ والرّملُ[٥]

وَما تَنقِمُ الأيّامُ مِمّنْ وُجُوهُهَا لأخْمَصِهِ في كلّ نائِبَةٍ نَعْلُ[٦]

وَمَا عَزّهُ فيها مُرَادٌ أرَادَهُ وإنْ عَزّ إلاّ أن يكونَ لَهُ مِثْلُ[٧]

---

١ تولى الأمر باشره بنفسه . وناء به الحمل أثقله وأماله . يقول : لولا أن نفسه تولت حمل حلمه عن الأرض واستقلت به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت بثقله .

٢ المقصد مكان القصد ووجهته . وفاعل ضاقت السبل . والضمير في بها للآمال . وفي بابه للممدوح .

٣ السرى مشي الليل . وهبوا أي استفيقوا . والجملة وما بعدها إلى آخر البيت حكاية .

٤ حالت اعترضت . أي أن عطاياه لم تبق للوعد سبيلا لأنها يعطيها معجلة ولذلك لا ينسب إليه إنجاز ولا مطل لأنهما يترتبان على الوعد ولا وعد له .

٥ حدده جعل له حداً ينتهي إليه . والضمير في تحديدها للعطايا . يعني أن عطاياه لا يحصرها حد ولا يحصيها عد .

٦ تنقم أي تعيب . والضمير في وجوهها للأيام . وفي أخمصه للممدوح والأخمص ما تجافى عن الأرض من باطن القدم . والنائبة الحادثة من حوادث الدهر . أي أنه يدوس الأيام ويطأ وجوهها فماذا تنقم منه .

٧ عزه غلبه وأعجزه . وعز الثانية بمعنى قل حتى لا يكاد يوجد والضمير فيه للمراد . وأن يكون له مثل بدل من مراد أو استثناء. والضمير في له للممدوح. أي أنه لا يعجزه أمر يطلبه وإن قل وجوده ما لم يكن ذلك الأمر المطلوب وجدان مثيل له فيعجز عنه لأنه مستحيل .

كَفَى ثُعَلاً فَخراً بأنّكَ مِنهُمُ ودَهرٌ لأنْ أمسَيتَ من أهلِهِ أهلُ[1]

ووَيلٌ لنَفسٍ حاوَلَتْ منكَ غِرّةً وَطُوبَى لعَينٍ سَاعَةً منكَ لا تخلو[2]

فَما بفَقيرٍ شامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ وَلا في بِلادٍ أنْتَ صَيّبُها مَحْلُ[3]

قطعتهم حسداً !

يمدحه أيضاً :

أليَوْمَ عَهدُكُمُ فأينَ المَوْعِدُ ؟ هَيهاتِ ليسَ ليَوْمِ عَهدِكمُ غَدُ[4]

ألمَوْتُ أقرَبُ مِخْلَباً من بَيْنِكُمْ وَالعَيشُ أبعَدُ منكُمُ لا تَبعُدُوا[5]

---

١ ثعل بطن من طيء وهو مفعول كفى . وفخراً تمييز . وانك منهم فاعل كفى والباء الداخلة عليه زائدة مثلها في كفى بالله شهيداً.ودهر فاعل لمحذوف أي وليفتخر دهر أو مبتدأ محذوف الخبر أي وكذلك دهر . وأهل نعت دهر . ولأن أمسيت صلة أهل . أي وليفتخر دهر قد استحق أن تكون من أهله .

٢ حاول الأمر طلبه بالحيلة . والغرة الغفلة .

٣ شام البرق إذا نظر إليه يرجو المطر . والفاقة الفقر . والصيب المطر الشديد .

٤ يودع أحبته يقول : اليوم عهدكم بالفراق فأين يكون موعدنا باللقاء ، ثم استأنف فقال هيهات أن أطمع في اللقاء فإن هذا اليوم ليس له غد علي لأني لا أرجو العيش بعده .

٥ المخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان استعاره للموت على تشبيهه بها في اغتيال النفوس . يقول : إذا كنتم عازمين على الفراق فإن الموت يدركني قبل أن تفارقوني والحياة تكون عني أبعد منكم فلا تبعدوا . ويحتمل أن يكون قوله لا تبعدوا بمعنى الدعاء أي لا بعدتم . ومن رواه بفتح العين ، فهو من البعد ، بفتحتين ، بمعنى الهلاك أي لا هلكتم ولا فجعت بكم .

إنّ التي سفَكَتْ دَمي بجُفُونِها لم تَدْرِ أنّ دَمي الذي تَتَقَلّدُ[1]

قالَتْ وقَد رَأتِ اصْفِراريَ من بهِ وتَنَهّدَتْ فأجَبْتُها المُتَنَهِّدُ[2]

فمَضَتْ وقد صَبَغَ الحَياءُ بَياضَهَا لَوْني كَما صَبَغَ اللُّجَيْنَ العَسجَدُ[3]

فرَأيتُ قَرْنَ الشّمسِ في قمرِ الدّجى مُتَأوّداً غُصْنٌ بِهِ يَتَأوّدُ[4]

عَدَوِيّةٌ بَدَوِيّةٌ مِنْ دُونِهَا سَلْبُ النّفُوسِ ونارُ حرْبٍ توقَدُ[5]

وَهَواجِلٌ وصَواهِلٌ ومَنَاصِلٌ وذَوابِلٌ وتَوَعّدٌ وتَهَدُّدُ[6]

أبْلَتْ مَوَدّتَها اللّيالي بَعْدَنَا ومَشَى عَلَيها الدّهرُ وهوَ مُقَيَّدُ[7]

---

١ تقلدت الإثم ونحوه لزمته وتبعته . أي لم تعلم أن دمي في عنقها وقد لزمها جناية قتلي .

٢ أي لما رأت اصفرار لوني قالت من الذي حصل هذا الاصفرار بسببه وتنهدت في أثناء ذلك فقلت لها هو الذي تنهد أي أنت .

٣ اللجين مصغرة الفضة . والعسجد الذهب . وعدى صبغ إلى مفعولين لأنه ضمنه معنى التغشية والإلباس. قال الواحدي : يعني أنها استحيت فاصفر لونها والحياء لا يصفر اللون بل يحمره ولكن هذا الحياء كان مختلطاً بالخوف لأنها خافت الفضيحة على نفسها أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام فغلب هذا الخوف على سلطان الحياء فأورث صفرة . انتهى ببعض تصرف .

٤ قرن الشمس أول ما يبدو منها وهو مفعول أول لرأيت والمفعول الثاني الظرف بعده . ومتأوداً متمايلا وهو حال من قمر . وغصن مبتدأ خبره يتأود . والضمير في به للقمر والجملة بدل من متأوداً . أي حال كونه متأوداً يتأود به غصن . ويجوز أن يكون غصن فاعل متأوداً ويتأود نعت لغصن أي حال كونه متأوداً به غصن يتأود . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة في بياضها كالشمس إذا حلت في القمر الذي يميل به غصن قامتها .

٥ عدوية أي من بني عدي . وبدوية نسبة إلى البادية أو البدو على غير قياس . يعني أنها منيعة في قومها قبل الوصول إليها تسلب نفوس طالبيها وتوقد نيران الحروب .

٦ الهواجل جمع الهوجل وهو الفلاة لا أعلام بها . والصواهل الخيل . والمناصل السيوف . والذوابل الرماح . وكل هذا عطف على ما تقدم .

٧ ويروى أبلت مودتنا الليالي عندها . وقوله ومشى عليها الدهر الضمير للمودة وهو مبالغة في الإبادة

بَرَّحْتَ يا مَرَضَ الجُفُونِ بِمُمْرَضٍ مَرِضَ الطَّبيبُ لهُ وَعِيدَ العُوَّدُ[1]

فَلَهُ بَنُو عَبْدِ العَزيزِ بنِ الرِّضَى ولكُلِّ رَكْبٍ عِيسُهُمْ والفَدْفَدُ[2]

مَنْ في الأنامِ مِنَ الكِرامِ ولا تَقُلْ مَنْ فيكِ شامُ سوَى شجاعٍ يُقصَدُ[3]

أعطى فقُلتُ: لجودِهِ ما يُقْتَنَى ، وَسَطا فقلتُ : لسَيفِهِ ما يُولَدُ[4]

وتَحَيَّرَتْ فيهِ الصِّفاتُ لأنَّهَا ألْفَتْ طَرائِقَهُ عَلَيها تبْعُدُ[5]

في كلِّ مُعْتَرَكٍ كُلًى مَفْرِيَّةٌ يَذْمُمْنَ منهُ ما الأسِنّةُ تَحمَدُ[6]

أي وطئها وطأً ثقيلا كوطء المقيد فدرسها لأن المقيد لا يقدر أن يرفع رجليه في المشي فتثقل وطأته.

١ برح به الأمر جهده واشتد عليه . والعود جمع العائد وهو الذي يزور المريض خاصة . يريد بالممرض نفسه أي أن الجفون المراض أي الذوابل قد أمرضته بهواها واشتد عليه ما يقاسي منها حتى مرض طبيبه وزواره من شدة إشفاقهم عليه .

٢ الضمير في له للممرض المذكور في البيت السابق وهو المتنبي . والركب جمع الراكب . والعيس الكرام من الإبل والضمير المضافة إليه للركب . والفدفد الصحراء . يقول : إن الممدوحين عدة له في بلوغ حاجاته وعدة كل ركب جمالهم والصحراء أي أنه لما انتهى إليهم بلغ بهم ما لا يبلغه غيره إلا بركوب الإبل وقطع الفلوات .

٣ من استفهام إنكاري . والأنام الخلق . وشام منادى . أي ليس في جميع الخليقة كريم يقصد إلا شجاع فلا تقل من فيك يا شام غيره أي لا تخص الشام وحدها بهذا الكلام فإنه عام على جميع البلاد .

٤ لجوده خبر مقدم عن ما الموصولة بعده . وكذا لسيفه في الشطر الثاني . يقول: لما أخذ في العطاء أكثر البذل حتى قلت في نفسي إنه سيعطي كل مقتنى في الوجود . ولما سطا على الأعداء أكثر القتل حتى قلت إنه سيقتل كل مولود فيكون جميع الأموال لجوده وجميع الأولاد لسيفه.

٥ المراد بالصفات المعنى المصدري . وألفت وجدت . يعني أن صفات المادحين له تحيرت كيف تحصي فضائله لأنها وجدت طرائقه في الفضل بعيدة المنال لا يدركها وصف الواصفين .

٦ المعترك ساحة الحرب . ومفرية مشقوقة. والمراد بما يقع عليه الذم والمدح إصابته في الطعن وسرعة الشق فإن الكلى تذم منه ذلك والأسنة تحمده لأنه أحسن استخدامها .

نِقَمٌ عَلى نِقَمِ الزّمانِ يَصُبُّها نِعَمٌ على النِّعَمِ التي لا تُجْحَدُ[١]

في شَأنِهِ ولِسانِهِ وبَنَانِهِ وَجَنانِهِ عَجَبٌ لمَنْ يَتَفَقّدُ[٢]

أسَدٌ دَمُ الأسَدِ الهِزَبْرِ خِضابُهُ مَوْتٌ فَرِيصُ المَوْتِ منهُ يُرْعَدُ[٣]

ما مَنْبِجٌ مُذْ غِبْتَ إلاّ مُقْلَةٌ سَهِدَتْ وَوَجْهُكَ نوْمُها والإثمِدُ[٤]

فاللّيلُ حينَ قَدِمْتَ فيها أبْيَضٌ والصّبْحُ مُنذُ رَحَلْتَ عنها أسوَدُ

ما زِلْتَ تَدنو وهْيَ تَعْلُو عِزّةً حتى تَوَارَى في ثَراها الفَرْقَدُ[٥]

أرْضٌ لها شَرَفٌ سِواها مِثْلُها لوْ كانَ مِثْلُكَ في سِواها يُوجَدُ[٦]

---

١ نقم مبتدأ خبره نعم . وعلى الأولى متعلقة بيصبها والجملة نعت نقم . وعلى الثانية متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم . يقول : إن النقم التي يصبها الممدوح على الأعداء مضافة إلى نقم الزمان هي نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التي لا تجحد . يعني اعتزاز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الغنائم بنكبتهم .

٢ الشان الحال والأمر . والبنان الأنامل . والجنان القلب .

٣ أسد خبر عن محذوف أي هو أسد . ودم الأسد مبتدأ خبره خضابه والجملة نعت . والهزبر الشديد . وموت خبر آخر والجملة بعده نعت له . والفريص جمع الفريصة وهي لحمة عند الكتف تضطرب عند الخوف .

٤ منبج وزان مجلس بلد الممدوح . وسهدت أي سهرت . والاثمد الكحل .

٥ تدنو تقرب . وتوارى استتر . والفرقد نجم . أي ما زلت كلما قربت من هذه البلدة تزداد رفعة بقربك حتى صار ترابها فوق النجم .

٦ أرض خبر عن محذوف أي هي أرض . وسواها مبتدأ خبره لها شرف . والضمير في لها يرجع إلى سواها . ومثلها نعت شرف وهو على حذف مضاف أي مثل شرفها . أي سوى أرض منبج لها شرف مثل شرفها لو كان يوجد فيها مثلك . يريد أن شرف هذه البلدة قائم بالممدوح لا بنفسها فلو كان يوجد مثله في غيرها لكان لغيرها شرف مثل ما لها .

أَبْدَى العُداةُ بكَ السّرورَ كأنّهُمْ فرِحوا وعِندَهُمُ المُقيمُ المُقْعِدُ[1]

قَطّعْتَهُمْ حَسَداً أراهُمْ ما بهِمْ فتَقَطّعُوا حَسَداً لمنْ لا يَحْسُدُ[2]

حتّى انْثَنَوْا ولَوَ انّ حرّ قُلُوبِهمْ في قَلْبِ هاجِرَةٍ لَذابَ الجَلْمَدُ[3]

نَظَرَ العُلُوجُ فلَمْ يرَوْا من حَوْلهم لمّا رَأوْكَ وقيلَ هذا السّيّدُ[4]

بَقِيَتْ جُمُوعُهُمُ كأنّكَ كُلّها وبَقِيتَ بَينَهُمُ كأنّكَ مُفْرَدُ[5]

لهفَانَ يَستوْبي بكَ الغَضَبَ الوَرَى لوْ لم يُنَهْنِهْكَ الحِجى والسّؤدُدُ[6]

كنْ حيثُ شئتَ تَسِرْ إليكَ رِكابُنا فالأرْضُ واحِدَةٌ وأنتَ الأوْحَدُ[7]

---

١ أبدى أظهر . والعداة جمع العادي بمعنى العدو . يقول : إن أعداءك أظهروا السرور بقدومك خوفاً منك لا فرحاً بك وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم .

٢ حسداً مفعول لأجله . وفاعل أراهم ضمير الحسد . وما بهم مفعول ثان لأراهم . أي أن حسدهم أراهم ما بهم من التقصير عن مبلغك فتقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحداً إذ ليس أحد فوقه .

٣ انثنوا رجعوا . والهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحر . والجلمد الصخر .

٤ العلوج جمع العلج وهو الرجل الجافي من العجم يريد بهم قواد الروم . أي نظروا إليك فاشتغلوا برؤيتك عن النظر إلى غيرك فكأنهم لم يروا أحداً منهم .

٥ هذا البيت مبني على الذي قبله . يقول : إنك صرت في عين كل واحد منهم كأنك أنت جموعهم كلها لأنك ملأت عيونهم حتى لم يروا من حولهم سواك ومع ذلك فقد كنت واقفاً بين تلك الجموع كأنك أحد الأفراد .

٦ يريد باللهفان المستشيط غضباً وهو حال من التاء في بقيت . وأصل اللهف حرارة الجوف من كرب ونحوه . ويستوبي من الوباء وهو المرض الفاشي المهلك، يقال استوبأ المكان إذا وجده ذا وباء وأصله بالهمز فخففه للوزن . والورى الخلق وهو فاعل يستوبي . ونهنهه كفه وثناه . والحجى العقل . والسؤدد السيادة . يقول : بقيت ملتهباً بالحنق حتى اعتقد الناس أن غضبك سيكون عليهم وباء مهلكاً لولا أن عقلك وما أنت فيه من شرف السيادة يثنيانك عن إهلاكهم .

٧ يقول : كن في أي موضع شئت من البلاد فلا شيء يمنعنا من المصير إليك لأن الأرض واحدة مهما تباعدت المسافة وليس في الناس أحد نقصده سواك لأنك أنت أوحدهم المنفرد بالفضل دونهم .

وَصُنِ الحُسامَ ولا تُذِلْهُ فإنّهُ يَشكو يَمينَكَ والجَماجمُ تَشهَدُ[1]

يَبِسَ النّجيعُ علَيهِ وَهوَ مُجرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ وكأنّما هوَ مُغْمَدُ[2]

رَيّانُ لَوْ قَذَفَ الذي أسْقَيْتَهُ لجَرَى منَ المُهَجاتِ بَحرٌ مُزْبِدُ[3]

ما شارَكَتْهُ مَنِيّةٌ في مُهْجَةٍ إلاّ وشَفْرَتُهُ على يَدِها يَدُ[4]

إنّ العَطايا والرّزايا والقَنا حُلَفاءُ طَيٍّ غَوّرُوا أوْ أنجَدُوا[5]

صِحْ يا لَجُلْهُمَةٍ تُجِبْكَ وإنّما أشفَارُ عَينِكَ ذابِلٌ ومُهَنّدُ[6]

من كلّ أكبَرَ مِنْ جِبالِ تِهامَةٍ قَلْباً ومِنْ جَوْدِ الغَوَادي أجوَدُ[7]

---

١ الحسام السيف القاطع . والإذالة الامتهان والابتذال . يريد أنك قد أكثرت القتل فحسبك واغمد سيفك فإنه يشكو يدك من كثرة الضرب به والجماجم تشهد له بكونها محطمة .

٢ النجيع الدم . يقول : إن الدم الجامد عليه قد صار كالغمد له حتى يرى كأنه مغمد وهو مجرد .

٣ الريان المرتوي وهو خبر عن محذوف . والمهجات دماء القلوب . يقول : إنك سقيته من دماء قلوب الأعداء ما لو مجه لجرى من تلك الدماء بحر مزبد .

٤ المنية الموت . أي لم يشترك سيفه والمنية في سفك دم إلا كان سيفه يداً ليد المنية أي أنها تستعين به كما يستعين العامل بيده في العمل .

٥ الحلفاء جمع الحليف وهو الصديق المحالف . وغوروا نزلوا الغور وهو المنخفض من الأرض. وأنجدوا نزلوا النجد وهو الأرض المرتفعة . يريد أن هذه المذكورات لا تفارقهم فهم حيثما حلوا أفاضوا المواهب على الأولياء والمصائب على الأعداء وجعلوا الرماح وسيلة لهم في الحالين .

٦ جلهمة اسم طيء وطيء لقب له . واللام للاستغاثة . وتجبك جواب الأمر . والواو من قوله وإنما للحال . وأشفار العين منابت الأهداب . والذابل الرمح . والمهند السيف المطبوع من حديد الهند . أي أنهم يتسارعون إليك ويملأون الدنيا عليك رماحاً وسيوفاً فحيثما وقع بصرك عليه رأيت الرماح والسيوف فتملأ من كثرتها عينك وتحيط بها إحاطة الأشفار .

٧ المراد بكبر قلوبهم قوتها وشدتها . وتهامة أرض ببلاد العرب . والجود المطر الغزير . والغوادي السحائب المنتشرة صباحاً. وأجود خبر عن محذوف يريد من كل رجل هذه صفته وهو أجود من فيض السحاب .

يَلْقاكَ مُرْتَدِياً بأحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بخُضرَتِهِ الطُّلى والأكْبُدُ[1]

حتى يُشارَ إليكَ : ذا مَوْلاهُمُ وَهُمُ المَوَالي والخَليقَةُ أعْبُدُ[2]

أنّى يَكُونُ أبَا البَرِيّةِ آدَمٌ وأبوكَ والثّقَلانِ أنْتَ مُحَمّدُ[3]

يَفْنى الكَلامُ ولا يُحيطُ بفَضْلِكُمْ أيُحيطُ ما يَفْنى بمَا لا يَنْفَدُ[4]

---

١ أحمر صفة لمحذوف أي بسيف أحمر . والباء متعلقة بيلقاك . وخضرة السيف لون فرنده . والطلى الأعناق . يعني أن دماء الأعناق والأكباد قد صبغته بالحمرة فاستترت بها خضرته .

٢ الموالي السادات .

٣ أنى بمعنى كيف . والبرية الخليقة. وأبوك مبتدأ خبره محمد والواو قبله للحال . والثقلان الإنس والجن وهو خبر مقدم عن أنت والجملة معترضة . أي كيف يكون آدم أبا الخليقة وأبوك محمد الطائي وأنت الثقلان يعني أنه قد جمع ما في الخليقة كلها من الفضل والكمال .

٤ يفرغ .

لو برز الزمان إلي

عذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي
على ما كان قد شاهده من تهوره ، فقال * :

أبَا عَبْدِ الإلَهِ مُعاذُ : إنّي خَفِيٌّ عَنْكَ في الهَيْجا مَقامي[1]
ذكَرْتُ جَسيمَ ما طَلَبي وإنّا نُخاطِرُ فيهِ بالمُهَجِ الجِسامِ[2]
أمِثْلي تأخُذُ النّكَباتُ مِنْهُ وَيَجزَعُ مِنْ مُلاقاةِ الحِمامِ[3]

---

* قال في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل: قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاث مئة وهو فتى فاكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من أدبه قلت والله إنك لرجل خطير تصلح لمنادمة ملك كبير . فقال ويحك أتدري ما تقول أنا نبي مرسل . فظننت أنه يمزح ثم تذكرت أني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له ما تقول ؟ فقال أنا نبي مرسل كما ذكرت . فقلت مرسل إلى من . فقال إلى هذه الأمة الضالة المضلة . قلت ماذا تفعل ؟ قال أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جوراً . قلت بماذا ؟ قال بإدرار الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى وضرب الأعناق لمن عصى وأبى. فقلت له إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ، وعذلته على ذلك فأنشد يقول بديهاً وذكر هذه الأبيات .

١ الهيجاء من أسماء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتي في الحرب وما أنا فيه من الجرأة والبأس ولذلك تعذلني على ما أنا مقدم عليه لظنك فيّ العجز عن بلوغه .

٢ الجسيم العظيم وهو مضاف إلى طلبي . وما بينهما زائدة كما في قوله يا شاة ما قنص أي يا شاة قنص . وإنا وما يليها إلى آخر البيت كلام مستأنف . والمهج الأرواح . يقول : ذكرت لك ما أحاوله من المطلب العظيم وما أنا بالجاهل عظمته ولا المستخف به ولكنا سنخاطر فيه بأرواحنا لأن الأمور العظيمة لا تدرك إلا ببذل الأرواح دونها .

٣ الجزع ذهاب الصبر من شدة الخوف . والحمام الموت .

ولو بَرَزَ الزّمانُ إليّ شَخصاً لخَضّبَ شعرَ مَفرِقِهِ حُسامي[1]

وما بَلَغَتْ مَشيئَتَها اللّيالي ولا سَارَتْ وفي يَدِها زِمَامي[2]

إذا امتَلأتْ عُيُونُ الخَيْلِ مني فَوَيْلٌ في التّيَقّظِ والمَنَامِ[3]

---

١ برز ظهر . وشخصاً حال أي مجسماً بصورة شخص . والمفرق وسط الرأس . والحسام السيف القاطع .

٢ يقول : ما بلغت الليالي مرادها مني من تغيير حالي وإضعاف عزمي ولا انقدت لها انقياد من يسلم زمامه إلى غيره .

٣ ويل مبتدأ محذوف الخبر أي فويل لها . يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحالتين لأن خوفي يقلقهم فلا يكون لهم أمان في يقظتهم ولا راحة في منامهم .

الجوع يرضي الأسود بالجيف

أهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بحمص ، وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالي الذي اعتقله فكتب إليه من السجن* :

أهْوِنْ بطولِ الثَّواءِ والتَّلَفِ والسِّجنِ والقَيْدِ يا أبا دُلَفِ[1]

غَيرَ اختيارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ لي والجُوعُ يُرْضي الأسودَ بالجِيَفِ[2]

....

* كان أبو دلف سجان الوالي الذي اعتقله وكان صديقاً له من قبل . قال في الصبح المنبي: لما اشتهر أمر المتنبي وشاع ذكره وخرج بأرض سلمية من عمل حمص في بني عدي قبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها كوتكين وجعل في رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف فقال المتنبي :

زعم المقيم بكوتكين بأنه من آل هاشم بن عبد مناف

فأجبته مذ صرت من أبنائهم صارت قيودهم من الصفصاف

ولما طال اعتقاله في الحبس كتب إلى الوالي :

بيدي أيها الأمير الأريب لا لشيء إلا لأني غريب

أو لأم لها إذا ذكرتني دم قلب بدمع عين يذوب

إن أكن قبل أن رأيتك أخطأ ت فإني على يديك أتوب

عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب

وهاتان القطعتان ليستا في نسخ الديوان .

١ أهون بلفظ الأمر صيغة تعجب أي ما أهون. والثواء الإقامة يعني مقامه في الحبس. يقول: ما أهون هذه الأشياء فإني قد وطنت نفسي عليها ومن وطن نفسه على أمر هان عليه . يريد بذلك نفي الشماتة عنه.

٢ غير اختيار حال والمصدر في تأويل اسم الفاعل . والبر الإحسان يعني به الهدية . يقول : إنني قبلت هديتك اضطراراً لاحتياجي إليها كالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها .

كُنْ أيّها السّجنُ كيفَ شئتَ فقد وَطّنْتُ للمَوْتِ نَفْسَ مُعترِفِ[1]

لوْ كانَ سُكنايَ فيكَ مَنقَصَةً لم يَكُنِ الدُّرُّ ساكِنَ الصَّدَفِ[2]

تعجل فيَّ وجوب الحدود

كتب إلى الوالي وهو في الاعتقال :

أيَا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخُدودِ وَقَدَّ قُدودَ الحِسانِ القُدودِ[3]

فَهُنَّ أسَلْنَ دَماً مُقْلَتي وَعَذّبْنَ قَلبي بطُولِ الصّدودِ[4]

وكَمْ للهَوَى من فَتًى مُدْنَفٍ وكَمْ للنّوَى من قَتيلٍ شَهيدِ[5]

فوَا حَسْرَتَا ما أمَرَّ الفِراقَ وَأعْلَقَ نيرانَــهُ بالكُبُودِ

وأغْرَى الصّبــابَةَ بالعاشِقِينَ وَأقْتَلَهَا للمُحِبّ العَميدِ[6]

وَألْهَجَ نَفْسي لغَيرِ الخَنَا بحُبّ ذَواتِ اللَّمَى والنّهُودِ[7]

---

١ وطن نفسه مهدها وذللها . والمعترف الصابر على ما يصيبه .

٢ منقصة عيباً يتنقص به .

٣ خدد شقق . وقدّ قطع طولا . والحسان القدود اضافة لفظية مثل الحسن الوجه .

٤ دماً تمييز مقدم وهو عند أكثرهم مخصوص بالضرورة . ومقلتي مفعول به .

٥ المدنف الذي أثقله المرض . والنوى البعد . يريد أن الحب يسقم والفراق يقتل .

٦ أغرى تفضيل من قولهم غري بالشيء إذا أولع به . والصبابة رقة الشوق . والعميد الذي أضناه الحب وأوجعه .

٧ الخنا الفحش . والباء من بحب متعلقة بألهج . واللمى سمرة في الشفة .

فكانَتْ وكُنَّ فِداءَ الأميرِ ولا زالَ مِنْ نِعْمَةٍ في مَزِيدِ[1]

لقَدْ حالَ بالسَّيفِ دونَ الوَعيدِ وحالَتْ عَطاياهُ دونَ الوُعودِ[2]

فأنْجُمُ أمْوالِهِ في النُّحُوسِ وأنْجُمُ سُؤّالِهِ في السُّعُودِ[3]

ولَوْ لمْ أخَفْ غيرَ أعْدائِهِ علَيْهِ لبَشّرْتُهُ بالخُلُودِ[4]

رَمَى حَلَباً بِنَواصِي الخُيُولِ وسُمْرٍ يُرِقْنَ دَماً في الصَّعيدِ[5]

وبِيضٍ مُسافِرَةٍ ما يُقِمْـ ـنَ لا في الرِّقابِ ولا في الغُمُودِ[6]

يَقُدْنَ الفَنَاءَ غَداةَ اللّقاءِ إلى كلّ جَيشٍ كَثيرِ العَديدِ

فوَلّى بأشياعِهِ الخَرْشَنيُّ كَشاءٍ أحَسّ بِزَأرِ الأسُودِ[7]

---

١ اسم كانت ضمير نفسي في البيت السابق . واسم كن ضمير ذوات اللمى . وفي مزيد خبر زال . والبيت دعاء للممدوح .

٢ حال اعترض . والوعيد التوعد وهو يستعمل في الشر خاصة . يعني أنه يقدم السيف على الوعيد والعطايا على الوعود .

٣ تفريع على عجز البيت السابق . جعل أمواله في نحوس لأنه يبددها ويتلفها وسؤاله في سعود لأنه يجعلها حظاً لهم فيتنعمون بها .

٤ يقول : لو لم يكن خوفي عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بدوام البقاء لأنهم لا يقدرون أن ينالوه بشر ولكن كل نفس رهن قضاء الله فهو الذي أخافه عليه لا غير .

٥ النواصي جمع الناصية وهي شعر مقدم الرأس . ويروى نواصي الجياد . والسمر الرماح . ويرقن يصببن . والصعيد وجه الأرض .

٦ البيض السيوف . يريد أن سيوفه لا تزال تنتقل من الرقاب إلى الغمود ومن الغمود إلى الرقاب لكثرة حروبه وغزواته فلا مقام لها في شيء من ذلك ولهذا جعلها مسافرة .

٧ ولى أدبر . وأشياع الرجل أتباعه وصحبه . والخرشني نسبة إلى خرشنة من بلاد الروم . والشاء الغنم يذكر ويؤنث . والزأر صوت الأسد .

يُرَوْنَ مِنَ الذُّعرِ صَوْتَ الرِّياحِ صَهيلَ الجِيادِ وخَفْقَ البُنُودِ[1]

فَمَنْ كالأميرِ ابنِ بِنْتِ الأميـ ـرِ أوْ مَنْ كآبائِهِ والجُدُودِ[2]

سَعَوْا للمَعالي وَهُمْ صِبْيَةٌ وسادوا وجادوا وهُمْ في المُهودِ[3]

أمَالِكَ رِقّي ومَنْ شَأنُهُ هِباتُ اللُّجَينِ وعِتْقُ العَبيدِ[4]

دَعَوْتُكَ عِندَ انْقِطاعِ الرَّجَا ءِ والمَوْتُ مني كحَبلِ الوَرِيدِ[5]

دَعَوْتُكَ لمّا بَرانِي البَلاءُ وأوْهَنَ رِجْليّ ثِقْلُ الحَديدِ[6]

وقَدْ كانَ مَشيُهُما في النّعالِ فقَدْ صارَ مَشيُهُما في القُيُودِ

وكنتُ منَ النّاسِ في مَحْفِلٍ فَها أنَا في مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودِ[7]

تُعَجِّلُ فِيّ وُجوبَ الحُدودِ وَحَدّي قُبَيلَ وُجوبِ السّجودِ[8]

---

١ يرون بصيغة المجهول بمعنى يحسبون ويخيل لهم . والذعر الخوف الشديد . وصوت الرياح مفعول ثان ليرون . وصهيل الجياد مفعول ثالث . والبنود الرايات . وخفقها اضطرابها . أي أنهم لشدة خوفهم وهم هاربون صاروا يسمعون صوت الرياح فيظنونه صهيل خيل الممدوح وراءهم وخفق راياته .

٢ من استفهام إنكار أي لا أحد مثله . وقوله ابن بنت الأمير أراد أن جده لأمه كان أميراً أيضاً يعني أن الإمارة اتصلت إليه من طرفي الأب والأم .

٣ اللام في المعالي بمعنى إلى ويجوز أن تكون للتعليل أي سعوا لإحرازها . والصبية جمع صبي . والمهود جمع مهد وهو مضجع الطفل .

٤ الرق العبودية . والهبات العطايا . واللجين الفضة . والعتق الحرية وهو اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . أي شأنه أن يهب الأموال وتعتق العبيد عنده .

٥ عرق في العنق يضرب مثلا في شدة القرب .

٦ براه أي هزله وأنحله . وأوهنه أضعفه .

٧ المحفل المجمع . أراد بالقرود جماعة المحبوسين معه من اللصوص وأصحاب الجنايات .

٨ قوله تعجل يحتمل أن يكون خبراً أو استفهاماً إنكارياً على تقدير الهمزة . والحدود جمع الحد وهو

وقيلَ : عَدَوْتَ على العالمينَ بَيْنَ وِلادي وبَيْنَ القُعُودِ[1]

فَما لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الكَلامِ وقَدْرُ الشَّهادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ[2]

فَلا تَسْمَعَنَّ مِنَ الكَاشِحِينَ وَلا تَعْبَأَنَّ بِعِجْلِ اليَهُودِ[3]

وكُنْ فارِقاً بينَ دَعوَى أرَدتُ وَدَعوَى فَعَلْتُ بشَأوٍ بَعيدِ[4]

وفي جُودِ كَفَّيْكَ ما جُدْتَ لي بنَفسي ولوْ كنتُ أشْقَى ثَمُودِ[5]

العقوبة . وحدي مصدر وهو معطوف على وجوب . ويروى وحدي ، بسكون الحاء وتخفيف الدال أي منفرداً بذلك دون غيري . وقبيل تصغير قبل . يقول : تعجل علي إيجاب الحد وأنا لم يجب علي سجود الصلاة . يعني أن ذلك إنما يجب على البالغين وهو لا يزال معدوداً من الصبيان الذين لم يلزمهم حق لله فكيف يلزمهم حق للناس .

١ عدا عليه بغى . وبين صلة قيل . أي أنه لم يزل متهماً من أول أمره فقد ادعى الناس عليه مثل هذا وهو طفل قبل أن يتمكن من الجلوس وحده .

٢ يعني أن الذين شهدوا عليه كانوا من أوباش الناس والشهادة تعتبر بحسب اعتبار الشاهد فتقبل بذلك أو ترد .

٣ الكاشح الذي يضمر العداوة . ويروى من الكاذبين . ويقال ما عبأت به أي ما باليت . يشير إلى اتخاذ الباطل في ذلك تشبيهاً بعجل اليهود الذي سبكته النار وهو من الخرافات الباطلة . ويروى بمحك اليهود وبمحل اليهود والمحك اللجاج والمحل المكر والكيد .

٤ يروى بضم التاء من أردت وفعلت على أنهما من كلام الشاعر وبفتحها على أنهما من كلام خصمه وكلاهما حكاية. ودعوى فيهما مضافة إلى الجملة المحكية . والشأو المسافة والغاية . والباء متعلقة بفارقاً . يقول : ينبغي أن تفرق بين دعوى من يقول أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول فعلت كذا . وذلك لأنهم كانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد ولكن ليس كل ما يريده الرجل يفعله .

٥ ما من قوله ما جدت لي مصدرية . وثمود من القبائل البائدة . أي جودك لي بنفسي يعد من جملة عطايا كفيك . ومراده بأشقى ثمود عاقر الناقة .

أنا عين المسوَّد

وقال في صباه وقد بلغ عن قوم كلاماً :

أنَا عَينُ المُسَوَّدِ الجَحْجَاحِ هَيَّجَتْنِي كِلابُكُمْ بالنُّباحِ[1]
أيَكُونُ الهِجانُ غَيرَ هِجانٍ أمْ يكونُ الصُّراحُ غيرَ صُراحِ[2]
جَهِلُوني وإنْ عَمَرْتُ قَليلاً نَسَبَتْني لهُمْ رُؤوسُ الرّماحِ[3]

موتي في الوغى عيشي

قال ارتجالا وقد سأله صديق له يعرف بأبي ضبيس الشراب معه فامتنع :

ألَذُّ مِنَ المُدامِ الخَنْدَرِيسِ وأحْلى مِنْ مُعاطاةِ الكُؤوسِ[4]
مُعاطاةُ الصّفائِحِ والعَوَالي وإقْحامي خَميساً في خَميسِ[5]

---

١ المسود الذي جعله قومه سيداً وقد مر . والجحجاح السيد الكريم . يقول : أنا نفس السيد الكريم أثارتني سفهاؤكم بسفاهتها .

٢ الهجان الرجل الحسيب . والصراح الخالص النسب . يقول : إن الحسيب الخالص النسب لا يصير غير حسيب وغير خالص النسب يعني أن هجو الهاجي له لا يقدح في حسبه ولا يغير نسبه .

٣ عمرت أي عشت . يقول : إن أولئك الثالبين قد جهلوا نسبي ولكني عن قليل سأوجه إليهم رؤوس الرماح فتعرفني لهم إذا رأوا إقدامي وفتكي . وهو تهديد لهم بالقتل .

٤ المدام الخمر . والخندريس القديمة . والمعاطاة المناولة .

٥ الصفائح السيوف العريضة . والعوالي صدور الرماح . والمراد بمعاطاتها مد اليد بها إلى الأقران .

فَمَوْتي في الوَغى عَيشي لأنّي رَأيتُ العَيشَ في أرَبِ النّفُوسِ[1]
ولَوْ سُقّيتُها بيَدَيْ نَديمٍ أُسَرُّ بهِ لكَانَ أبا ضَبيسِ[2]

إذا ما شربت الخمر

قال له بعض الكلابيين : أشرب هذه الكأس سروراً بك ، فقال له ارتجالا :

إذا ما شرِبْتَ الخَمرَ صِرْفاً مُهَنّأً شرِبْنا الذي من مثلهِ شرِبَ الكَرْمُ[3]
ألا حَبّذا قَوْمٌ نُداماهُمُ القَنَـا يُسَقّونَها رِيّاً وساقيهِمِ العَزْمُ[4]

والإقحام الإدخال ، والخميس الجيش .

١ الوغى الحرب . والأرب الحاجة . يقول : إذا قتلت في الحرب فذلك عندي هو الحياة لأني أتمنى مثل هذه الميتة وحقيقة العيش إنما هي فيما تشتهيه النفس .

٢ الضمير في سقيتها للخمر . والنديم الجليس على الشراب . يقول : لو أحببت أن أشربها من يد نديم أسر به لم يكن ذلك النديم إلا أبا ضبيس .

٣ الصرف الخالصة . ويروى إذا ما شربت الكأس . وقوله الذي من مثله شرب الكرم يعني الماء .

٤ الإضافة في ساقيهم معنوية . يقول : حبذا القوم الذين صحبوا الرماح ولازموها حتى صارت لهم كالندامى وهم يسقونها من الدماء حتى تروى والساقي عندهم هو العزم .

عليَّ أن لا أشرب

وقال ارتجالا :

لأحبتي أنْ يَمْلأوا بالصّافياتِ الأكْوُبَا[1]

وَعلَيْهِمِ أنْ يَبذُلوا وَعليَّ أنْ لا أشْرَبَا[2]

حتى تكُونَ الباترا تُ المُسمعاتِ فأطْرَبَا[3]

الفرقد ابنك

قال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح :

أمَا ترَى ما أراهُ أيّها المَلِكُ كأنّنَا في سَماءٍ ما لهَا حُبُكُ[4]

ألفَرْقَدُ ابْنُكَ والمِصباحُ صاحِبُهُ وأنتَ بَدرُ الدُّجَى والمَجلسُ الفَلَكُ[5]

---

١ اللام من قوله لأحبتي للاستحقاق . والأكوب جمع كوب وهو إناء يشرب فيه .

٢ يبذلوا أي يجودوا بالشراب .

٣ الباترات السيوف .

٤ طرائق النجوم في السماء .

٥ الفرقد نجم معروف وهما فرقدان . وقوله صاحبه أي الفرقد الآخر .

ونطرد باسمه إبليسا

يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :

هَذِهْ بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا	ثُمَّ انْثَنَيْتِ وما شَفَيْتِ نَسِيسَا[1]
وَجعلتِ حظِّي منكِ حظِّي في الكَرَى	وَتَرَكْتِنِي للفَرْقَدَيْنِ جَلِيسَا[2]
قَطَّعْتِ ذَيَّاكِ الخُمارَ بِسَكْرَةٍ	وأدَرْتِ من خَمرِ الفِراقِ كُؤُوسَا[3]
إنْ كُنْتِ ظاعِنَةً فإنَّ مَدامعي	تَكفي مَزادَكُمُ وتُرْوي العِيسَا[4]
حاشَى لِمِثْلِكِ أنْ تكونَ بَخيلَةً	ولِمِثْلِ وَجهِكِ أن يكونَ عَبُوسَا[5]
ولِمِثْلِ وَصْلِكِ أنْ يكونَ مُمَنَّعاً	ولِمِثْلِ نَيْلِكِ أنْ يكونَ خَسِيسَا[6]

١ هذه نائبة عن المرة أي هذه البرزة برزت . ويحتمل أن تكون منادى محذوف الأداة أي يا هذه . والرسيس ابتداء الحب . وانثنيت رجعت . والنسيس بقية الروح . يقول : هذه المرة برزت لنا فهيجت ما كان في القلب من هواك ثم انصرفت مودعة ولم تشفي ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا .

٢ الكرى النوم .

٣ ذياك تصغير ذاك . والخمار بقية السكر . يقول : إننا كنا في خمار لما نجده من هواك فأزلت ذلك الخمار بسكرة الفراق لأنها غلبت عليه بشدتها فلم يبق شيئاً يشعر به بالنسبة إليها .

٤ الظعن الارتحال . والمدامع مجاري الدموع من العين والمراد بها الدموع نفسها . والمزاد جمع المزادة وهي القربة . والعيس الإبل .

٥ حاشى كلمة تنزيه تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف . وأن تكون في موضع جر بمن مضمرة . واسم تكون يرجع إلى مثل وهو يذكر ويؤنث بحسب ما يقع عليه . يريد بنسبة البخل إليها بخلها بالإقامة والقرب وبعبوسة وجهها عبوسة الحزن والجزع وقت الفراق .

٦ النيل اسم لما ينال . والخسيس القليل . ومعنى البيت تابع لما سبقه .

خَوْدٌ جَنَتْ بَيْني وبَيْنَ عَوَاذِلي حَرْباً وغادَرَتِ الفُؤادَ وطِيساَ[1]

بَيْضاءُ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلُّها تِيهاً ويَمْنَعُهَا الحَيَاءُ تَميسَا[2]

لمّا وَجَدْتُ دَوَاءَ دائي عِنْدَها هانَتْ عليّ صِفاتُ جالينُوسَا[3]

أبْقَى زُرَيْقٌ للثّغُورِ مُحَمّداً أبْقَى نَفِيسٌ للنّفيسِ نَفِيسَا[4]

إنْ حَلّ فارَقَتِ الخَزائِنُ مَالَهُ أوْ سارَ فارَقَتِ الجُسُومُ الرُّوسَا[5]

مَلِكٌ إذا عادَيْتَ نَفسَكَ عادِهِ ورَضِيتَ أوحَشَ ما كَرِهتَ أنيسَا[6]

الخائِضَ الغَمَراتِ غيرَ مُدافَعٍ والشِّمَّرِيَّ المِطْعَنَ الدِّعّيسَا[7]

---

١ الخود المرأة الناعمة وهي خبر عن محذوف أي هي خود . وجنت أي جرت . والعواذل جمع العاذلة . وحرباً مفعول جنت . وغادرت بمعنى تركت . والوطيس التنور . يعني تركت فؤاده مثل الوطيس بما فيه من حرارة الوجد .

٢ تكلم أي تتكلم فحذف إحدى التاءين تخفيفاً . وهو وتميس في آخر البيت منصوبان بأن مضمرة أي أن تتكلم وأن تميس . ويروى التكلم على المصدر . والدل الدلال. والتيه الكبر . وتميس تميل .

٣ جالينوس هو الطبيب المشهور ويريد بصفاته ما وصفه من الأدوية في كتب الطب .

٤ زريق أبو الممدوح . والثغور مواضع المخافة من فروج البلدان . ومحمد اسم الممدوح .

٥ سار يريد مسيره للغزو .

٦ رضيت معطوف على فعل الشرط أي إذا عاديت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت أنيساً فعاده . وحذف الفاء من جواب إذا للضرورة . قال الواحدي: لا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده إذا عاديت نفسك لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له وقوله عاده أمر والأمر لا يوصف به . يقول : هو ملك إذا عاديته فقد عاديت نفسك ورضيت بأوحش المكروهات يعني الموت .

٧ نصب الخائض بمحذوف أي أردت أو مدحت. ويحتمل الإبدال من الهاء في قوله عاده . والغمرات الشدائد . وغير مدافع حال أي لا يدافعه أحد للعجز عنه . والشمري الجاد المنصلت في الأمور. والمطعن الجيد الطعن . والدعيس مبالغة في معناه من الدعس وهو الطعن .

كَشَّفْتُ جَمْهَرَةَ العِبادِ فلمْ أجدْ إلاّ مَسُوداً جَنْبَهُ مَرْؤوسَا[1]
بَشَرٌ تَصَوّرَ غايَةً في آيَةٍ تَنْفي الظّنُونَ وتُفْسِدُ التّقْيِيسَا[2]
وبهِ يُضَنّ على البَرِيّةِ لا بِها وعَلَيْهِ منها لا علَيها يُوسَى[3]
لوْ كانَ ذو القَرْنَينِ أعْمَلَ رأيَهُ لمّا أتَى الظّلُماتِ صِرْنَ شُمُوسَا[4]
أو كانَ صادَفَ رأسَ عازَرَ سَيفُهُ في يوْمِ مَعرَكَةٍ لأعْيا عيسَى[5]
أوْ كانَ لُجّ البَحْرِ مِثْلَ يَمينِهِ ما انْشَقّ حتى جازَ فيهِ مُوسَى
أوْ كانَ للنّيرانِ ضَوْءُ جَبينِهِ عُبِدَتْ فكانَ العالَمونَ مَجوسَا
لمّا سَمِعْتُ بهِ سَمِعْتُ بواحِدٍ ورَأيْتُهُ فرَأيْتُ منْهُ خَميسَا[6]

---

١ جمهرة الشيء بمعنى جمهوره أي معظمه . والمسود خلاف السيد . وقوله جنبه منصوب على الظرفية أي في جنبه وبالنسبة إليه . يقول : اختبرت جمهور الناس فوجدتهم كلهم مرؤوسين بالنسبة إليه وهو السيد بينهم .

٢ غاية الشيء منتهاه وحده الذي لا حد بعده . والآية العلامة وأكثر ما تطلق على الآية من آيات الله الدالة على قدرته لخرقها العادات . والجار والمجرور في موضع الحال من ضمير تصور . يقول : إن الله صوره بشراً وجعله غاية الناس تنتهي إليها كمالاتهم بأسرها وكان ذلك الخلق في آية من خوارق العادات تنتفي بها ظنون الناس فيه فلا تقع على حقيقة كنهه ويفسد قياسهم له بغيره لأن الشيء إنما يقاس بمثله ولا مثل له .

٣ يضن أي يبخل . والبرية الخليقة . وقوله منها أي من بينها وهو في موضع الحال من الضمير في عليه . ويوسى من الأسى وهو الحزن وأصله بالهمز فلينه للقافية . أي يفدى بجميع الناس ولا يفدون به ويحزن عليه إذا هلك لا عليهم . يعني أنه إذا قيس بالناس كلهم لا يساوون قدره، والمعنى مرتب على البيت السابق .

٤ ذو القرنين الاسكندر المشهور . وأعمل أي استعمل . ولهذه الظلمات حديث مظلم ليس هنا محله .

٥ أعياه أعجزه . وهذا البيت والذي بعده من غلو المتنبي وتهوره .

٦ جيشاً . يعني أنه يقوم بنفسه مقام الجيش ويغني غناءه .

وَلحظْتُ أُنْمُلَهُ فَسِلْنَ مَوَاهِباً   وَلَمَسْتُ مُنْصُلَهُ فَسَالَ نُفُوسَا[1]

يا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزّمَانِ بِظِلّهِ   أبداً وَنَطْرُدُ باسْمِهِ إبْلِيسَا

صَدَقَ المُخبِّرُ عنكَ دونَكَ وَصْفُهُ   مَنْ في العِراقِ يراكَ في طَرَسُوسَا[2]

بَلَدٌ أقَمْتَ بهِ وذِكْرُكَ سائِرٌ   يَشْنا المَقِيلَ وَيَكْرَهُ التّعْرِيسَا[3]

فإذا طَلَبْتَ فَرِيسَةً فارَقْتَهُ   وإذا خَدَرْتَ تَخِذْتَهُ عِرّيسَا[4]

إنّي نَثَرْتُ عَلَيكَ دُرّاً فانْتَقِدْ   كَثُرَ المُدَلِّسُ فاحْذَرِ التّدليسَا[5]

حَجّبْتُها عَنْ أهلِ إنْطاكِيّةٍ   وجَلَوْتُها لكَ فاجتَلَيتَ عَرُوسَا[6]

---

١ لحظه نظر إليه بمؤخر عينه ثم استعمل في مطلق النظر . والأنمل رؤوس الأصابع . ومواهباً تمييز . ومثله نفوساً في آخر البيت . والمنصل السيف . قال الواحدي: لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار ولمس المنصل كناية عن الاستنصار . يقول : تعرضت لعطائه فسالت أنامله بالمواهب وتعرضت لإعانته إياي فسال سيفه بنفوس أعدائي .

٢ وصفه مبتدأ مؤخر خبره دونك . يقول : إن الذي خبر عنك وأثنى عليك قد صدق وما وصفك به هو دون ما أنت عليه. ثم استأنف فقال إن آثارك وأفعالك ظاهرة مشهورة فمن كان في العراق يراك بها وأنت في طرسوس .

٣ الضمير في يشنا ويكره للذكر . ومعنى يشنأ يبغض وأصله الهمز فلينه للضرورة . والمقيل النوم عند الظهيرة . والتعريس النزول في أواخر الليل للراحة . يعني أن ذكره مسافر نهاراً وليلا لا يتوقف مسيره ولا يطلب مقيلا ولا تعريساً .

٤ الضمير في فارقته للبلد . وخدر الأسد استتر في أجمته . وتخذ بمعنى اتخذ . والعريس مأوى الأسد . شبه الممدوح بالأسد فاستعار له هذه الأشياء . يقول: هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه عند طلب الفريسة أي العدو وتأوي إليه بعد ذلك كما يأوي الأسد إلى عرينه .

٥ التدليس أن يكتم البائع عيب السلعة عن المشتري . يقول : إني قد أتيتك بدر يعني شعره فانتقده لتعلم جيده من رديئه فإن الشعراء قد كثروا وأكثرهم يبيع السقط من الشعر فاحذر أن يدلسوا عليك عيوب شعرهم ويخدعوك به .

٦ الضمير في حجبتها للقصيدة استغنى عن تقدم ذكرها بدلالة المقام . وجلا العروس على بعلها عرضها

خيرُ الطّيورِ على القُصورِ وشَرُّها   يأوي الخَرابَ ويَسكُنُ النّاوُوسَا[1]
لوْ جادَتِ الدّنْيا فَدَتْكَ بأهْلِها   أو جاهَدَتْ كُتِبَتْ عليك حَبِيسَا[2]

وابلها يغرق البلد

يمدحه أيضاً :

مُحَمّدَ بنَ زُرَيْقٍ ما نَرَى أحَدا   إذا فَقَدْناكَ يُعطي قبلَ أن يَعِدَا
وقَدْ قَصَدْتُكَ والتّرْحالُ مُقتَرِبٌ   والدّارُ شاسِعَةٌ والزّادُ قد نَفِدَا[3]
فَخَلِّ كَفّكَ تَهْمي وَاثْنِ وابِلَها   إذا اكْتَفَيْتُ وإلاّ أغرَقَ البَلَدَا[4]

عليه سافرة فاجتلاها هو أي نظر إليها كذلك . شبه قصيدته بالمرأة الحسناء فقال حجبتها عن أهل انطاكية أي لم أمدحهم بها وهو تعريض ببعض الأكابر فيها ثم عرضتها عليك مجلوة فاجتليت منها عروساً .

١ الناووس القبر . يعرض بالذين لم يمدحهم من أهل انطاكية يريد أن أفضل الشعر ما تمدح به الملوك كالطيور النفيسة فإنها تطير إلى قصور الأكابر وشره ما تمدح به السفلة كالطيور التي تأوي إلى المقابر ومواضع الخراب .

٢ الحبيس المحبوس وهو الوقف . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لبذلت أهلها فدية عنك ولو كانت ممن يجاهد أي يقاتل في سبيل الله لجعلت نفسها وقفاً عليك لا تنقاد إلا لك ولا تصدر إلا عن أمرك . قال ذلك لأن الممدوح كان من القائمين بالجهاد .

٣ الشاسع البعيد . ونفد فرغ .

٤ تهمي أي تسيل . وثناه كفه . والوابل المطر الغزير . يقول : أطلق يدك لي بالعطاء ومتى أغنتني فاكفف مطر جودها عن الانسكاب وإلا فإنه إن دام أغرق البلد بكثرته .

يا من لا شبيه له

يمدح عبد الله بن يحيى البحتري :

بكَيتُ يا رَبعُ حتى كِدْتُ أبكيكَا وجُدْتُ بي وبدَمعي في مَغانيكَا[1]
فعِمْ صَباحاً لقدْ هَيّجتَ لي طَرَباً وَارْدُدْ تَحيّتَنَا إنّا مُحَيّوكَا[2]
بأيّ حُكْمِ زَمانٍ صِرْتَ مُتّخِذاً رِئْمَ الفَلا بَدَلاً من رِئْمِ أهليكَا[3]
أيّامَ فيكَ شُمُوسٌ ما انبَعَثْنَ لَنا إلاّ ابتَعَثْنَ دماً باللّحْظِ مَسفُوكَا[4]
والعَيشُ أخضَرُ والأطلالُ مُشرِقَةٌ كأنّ نُورَ عُبَيْدِ اللهِ يَعْلُوكَا[5]
نَجا امرُؤٌ يا ابنَ يحيَى كنتَ بُغيَتَهُ وخابَ رَكْبُ رِكابٍ لم يَؤمّوكَا[6]
أحْيَيْتَ للشّعَراءِ الشّعرَ فامْتَدَحوا جَميعَ مَنْ مَدَحوهُ بالّذي فيكَا[7]

---

١ المغاني جمع مغنى وهو المنزل . يقول : بكيت عليك أيها الربع حتى لو كنت ممن يعقل لتوجعت لي وبكيت لبكائي وحتى أتلفت نفسي وأفنيت دمعي في مغانيك من شدة أسفي عليك وتذكري لأهلك .

٢ عم بمعنى انعم . وصباحاً تمييز . والطرب هزة تأخذ الانسان من حزن أو فرح . ويروى شجناً وهو الحزن .

٣ الرئم الغزال . والفلا جمع الفلاة وهي الصحراء . يريد أنه لما أقفر أوت إليه غزلان الصحراء فكانت بدلا من غزلان أهله اللائي رحلن عنه .

٤ انبعثن أي انبرين وتعرضن . وابتعثن أي أسلن .

٥ خضرة العيش كناية عن الخصب والرغد . والأطلال رسوم الديار . يعني التي هي أطلال اليوم كانت إذ ذاك مشرقة .

٦ الركب جمع الراكب . والركاب الإبل . ويروى ركب رجاء . ولم يؤموك لم يقصدوك .

٧ يقول : إنك أحييت الشعر بما فيك من صفات المجد والكرم فاتخذ الشعراء عنك تلك الصفات ومدحوا بها الملوك فهم إنما يمدحونهم بما فيك . وفي البيت التالي زيادة بيان لمقصوده .

وعَلّمُوا النّاسَ منكَ المجدَ واقتدروا على دَقيقِ المَعاني مِنْ مَعانيكَا

فكُنْ كمَا شئتَ يا مَنْ لا شَبيهَ لَهُ وكيفَ شئتَ فَما خَلْقٌ يُدانيكَا[1]

شُكْرُ العُفاةِ لِما أوْلَيتَ أوْجَدَني إلى نَداكَ طَرِيقَ العُرْفِ مَسلُوكَا[2]

وعُظْمُ قَدْرِكَ في الآفاقِ أوْهَمَني أنّي بقِلّةِ ما أثْنَيْتُ أهْجُوكَا[3]

كَفَى بأنّكَ مِنْ قَحطانَ في شَرَفٍ وإنْ فَخَرْتَ فكُلٌّ مِنْ مَواليكَا[4]

ولَوْ نَقَصْتُ كما قد زِدْتَ من كَرَمٍ على الوَرَى لَرَأوْني مِثْلَ شانيكَا[5]

لَبّيْ نَداكَ لَقَدْ نادَى فأسْمَعَني يَفديكَ من رجلٍ صَحبي وأفديكَا[6]

---

١ أي أية حالة كنت عليها وكيفما كنت في تلك الحالة فإنك منفرد بها عن سواك لا يشابهك فيها أحد ولا يقاربك لأنك بمعزل عن الأنداد .

٢ العفاة جمع العافي وهو طالب المعروف . وأوليت بمعنى أعطيت . وأوجدني جعلني أجد . والندى الجود . ويروى إلى يديك . والعرف المعروف . أي شكر السائلين لعطائك دلني على كرمك وأعلمني أن طريق المعروف مسلوك إليك فسلكته .

٣ الآفاق النواحي . يقول : إن عظم قدرك قد تجاوز مقدار مدحي حتى تخيلت ثنائي عليك هجواً لك لما فيه من التقصير عن مبلغك ووضعه إياك دون محلك .

٤ الباء من بأنك زائدة وأن وخبرها في موضع فاعل كفى . وفي شرف خبر أن . ومن قحطان حال مقدمة عن الضمير المستتر في الخبر . والشرط وما يليه معطوف على خبر أنك . والموالي العبيد . يقول : يكفيك أنك في مقام شريف من هذه القبيلة وأنك إن أردت أن تفتخر فكل العرب من عبيدك .

٥ الضمير في رأوني للورى . والشاني المبغض وأصله الهمز فلينه للقافية . يقول : لو نقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأوني خسيساً مثل عدوك .

٦ لبي مثنى يراد به التكثير من قولهم ألب بالمكان إذا أقام به يقال للداعي لبيك أي أقيم على إجابتك إقامة مكررة . وهو يلزم الإضافة إلى ضمير المخاطب ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما في البيت . وقوله من رجل من زائدة والمجرور في موضع نصب على التمييز . يقول : دعاني جودك بما ذاع من ثناء الناس عليه وهاءنذا مجيب لما يريد بي من الإحسان إلي وصوغ المديح له .

ما زِلْتَ تُتْبِــعُ ما تُولي يَدَاً بِيَدٍ   حتى ظَنَنْتُ حَيَاتي مِنْ أياديكَـا[1]

فإنْ تَقُلْ هـَا فَعَاداتٌ عُرِفتَ بها   أوْ لا فإنّكَ لا يَسخُو بلا فُوكَـا[2]

أهل الدهر دونك والدهر

يمدحه أيضاً:

أريقُكِ أمْ ماءُ الغَمامةِ أمْ خَمْرُ   بفيّ بَرُودٌ وهْوَ في كَبِدي جَمْرُ[3]

أذا الغُصْنُ أم ذا الدِّعصُ أم أنتِ فتنةٌ   وذَيّا الذي قَبّلْتُهُ البَرْقُ أمْ ثَغرُ[4]

رَأتْ وجهَ مَنْ أهوَى بلَيلٍ عَواذلي   فقُلْنَ نرَى شَمساً وما طَلَعَ الفَجرُ[5]

رَأينَ التي للسِّحرِ في لَحَظاتِهـا   سُيُوفٌ ظُباها من دَمي أبداً حُمرُ[6]

---

١ تولي تعطي . ويداً بدل بعض من الموصول قبله واليد النعمة . يقول : ما زالت عطاياك تتتابع عندي حتى وجدت كل ما عندي منها وظننت أن حياتي أيضاً من جملة مواهبك .

٢ ها اسم فعل بمعنى خذ . وفوك فمك . أي فإن سمحت وقلت خذ فذلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ فإنك لا تقول لا يعني لا أعطيك أو لا أقضي حاجتك فإن فمك لا يسمح بهذه الكلمة ولسانك لا يطيعك عليها لأنك لم تتعود أن تقولها .

٣ الغمامة السحابة البيضاء . والبرود البارد .

٤ ذا بمعنى هذا والهمزة للاستفهام . والدعص كثيب الرمل . وذيا تصغير ذا وهو تصغير تحبيب . والثغر مقدم الأسنان .

٥ العواذل جمع العاذلة . وإنما خصهن بذلك لأنهن إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه حبها كان ذلك حجة قاطعة على تناهيها في الحسن وقيام عذره في هواها .

٦ ظباها حدودها .

تَناهَى سُكونُ الحُسنِ في حرَكاتِها فليسَ لرائي وجهِها لم يَمُتْ عُذْرُ[1]

إليكَ ابنَ يحيَى بنِ الوَليدِ تجاوَزَتْ بيَ البيدَ عيسٌ لحمُها والدَّمُ الشَّعرُ[2]

نَضَحْتُ بذكراكُمْ حَرارةَ قَلبِها فسارَتْ وطولُ الأرضِ في عينِها شبرُ[3]

إلى لَيثِ حَرْبٍ يُلحِمُ اللّيثَ سيفَهُ وبَحْرِ نَدًى في موجِهِ يغرَقُ البحرُ[4]

وإنْ كانَ يُبقي جُودُهُ من تَليدِهِ شَبيهاً بما يُبقي منَ العاشِقِ الهَجْرُ[5]

فَتًى كلَّ يَوْمٍ تحتَوي نَفْسَ مالِهِ رِماحُ المَعالي لا الرُّدَيْنيّةُ السُّمْرُ[6]

تَباعَدَ ما بَيْنَ السّحابِ وبَيْنَهُ فَنائِلُها قَطْرٌ ونائِلُهُ غَمْرُ[7]

---

١ السكون خلاف الحركة . والضمير في حركاتها الحظات . وقوله لم يمت حال . يقول : إنها كيفما تحركت لحظاتها فالحسن ساكن في حركاتها بالغ نهايته في ذلك فمن أبصر وجهها ولم يتعشق هذه المحاسن حتى يموت في حبها فإنه ملوم لأنه لم يعط ذلك الجمال حقه .

٢ البيد الفلوات . والعيس الإبل . ويروى عنس بالنون وهي الناقة الصلبة . والشعر يروى بفتح الشين أي ذاب لحمها وجف دمها فلم يبق لها إلا الشعر أي الوبر وهي رواية الخوارزمي . وروى غيره الشعر ، بالكسر ، أي كنت أحدوها به فتقوى على السير وأصون بذلك لحمها ودمها . ولعل هذه الرواية أوفق بما سيذكره في البيت التالي .

٣ يقال نضح عطشه إذا سكنه . يقول : إني كنت أحدوها بمدحكم فأبرد غلة عطشها فتسرع غير مبالية بالمسافة حتى كأن طول الأرض في نظرها شبر من شدة نشاطها .

٤ قوله إلى ليث حرب بدل من قوله إليك . والليث الأسد . وقوله يلحم الليث سيفه أي يجعل الليث طعمة له . والندى الجود .

٥ التليد المال الموروث من الآباء . كأنه يقول : إن ناقتي سارت إليه وإن كنت عالماً بأن جوده لا يبقي من ماله إلا بمقدار ما يبقي الهجر من العاشق يعني بقية يسيرة لا مطمع فيها .

٦ الردينية الرماح منسوبة إلى ردينة وهي امرأة كانت تقوم الرماح . شبه المعالي وأموال الممدوح بجيشين متقاتلين فأثبت للمعالي الرماح وللأموال النفوس . يقول : إن المعالي لا تزال تغزو خزائنه فتنال أنفس أمواله برماحها وأما رماح العدو فلا حظ لها في أمواله لأنها لا تؤخذ بالحرب .

٧ النائل العطاء . والغمر معظم البحر . والضمير في نائلها للسحاب وفي نائله للممدوح .

وَلَوْ تَنزِلُ الدُّنيا على حُكْمِ كَفِّهِ   لأصْبَحَتِ الدُّنْيا وأكْثرُها نَزْرُ[1]

أراهُ صَغِيراً قَدْرَها عُظْمُ قَدْرِهِ   فَما لعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِندَهُ قَدْرُ[2]

مَتى ما يُشِرْ نحوَ السَّماءِ بوَجهِهِ   تَخِرّ لهُ الشِّعرَى ويَنخسِفِ البَدْرُ[3]

تَرَى القَمَرَ الأرْضِيَّ والمَلِكَ الذي   لهُ المُلْكُ بعدَ اللهِ والمَجدُ والذِّكرُ[4]

كَثيرُ سُهادِ العَيْنِ من غيرِ عِلّةٍ   يُؤرّقُهُ في ما يُشَرّفُهُ الفِكْرُ[5]

لَهُ مِنَنٌ تُفْني الثّنَاءَ كأنّما   بهِ أقسَمَتْ أن لا يؤدّى لها شُكْرُ[6]

أبا أحْمَدٍ ما الفَخْرُ إلاّ لأهْلِهِ   وما لامرِىءٍ لم يُمسِ من بُحتُرٍ فخرُ[7]

---

١ النزر القليل . أي لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها فأصبح أكثر ما فيها شيئاً يسيراً بالنسبة إلى جوده .

٢ أراه فعل ماض فاعله عظم قدره . والهاء من أراه مفعول أول . وصغيراً مفعول ثالث مقدم . وقدرها مفعول ثان . أي أراه عظم قدره قدرها صغيراً . وقوله لعظيم خبر مقدم عن قوله قدر في آخر البيت . وقدره فاعل عظيم .

٣ تخر تسقط . والشعرى نجم والمراد بها الشعرى العبور . يريد أنه أتم ضياء من الشعرى والبدر فإذا أشار بوجهه إلى السماء خرت الشعرى حياء منه وانخسف البدر لغلبة نوره عليه .

٤ يروى ترى بإثبات آخره مرفوعاً على الاستئناف فيكون فاعله ضمير المخاطب أو ضمير الشعرى . وبحذفه مجزوماً على أنه بدل من جواب الشرط في البيت السابق فيتعين ضميره للشعرى .

٥ السهاد والأرق بمعنى وهو ذهاب النوم . والفكر فاعل يؤرقه . يقول : إنه يطيل سهره لغير مرض يوجب ذلك ولكنه يتفكر فيما يزيده شرفاً فذلك سبب سهره .

٦ يقول : إن مننه قد زادت على شكر آخذيها حتّى أفنته فكأنها حلفت بالممدوح أن تعجز الشاكرين عن أداء حقها .

٧ بحتر قبيلة الممدوح .

هُمُ النّاسُ إلاّ أنّهُمْ من مكارِمٍ يُغَنّي بهِمْ حَضْرٌ ويحدو بهم سَفْرُ[1]
بمَنْ أضرِبُ الأمثالَ أمْ من أقيسُهُ إليكَ وأهلُ الدّهرِ دونَكَ والدّهرُ[2]

أيّ الأكف تباري الغيث

يمدح أخاه أبا عبادة :

ما الشّوْقُ مُقتَنِعاً منّي بذا الكَمَدِ حتّى أكونَ بِلا قَلْبٍ ولا كَبِدِ[3]
ولا الدّيارُ الّتي كانَ الحَبيبُ بهَا تَشْكُو إليّ ولا أشكُو إلى أحَدِ[4]
ما زالَ كُلّ هَزِيمِ الوَدْقِ يُنحِلُهَا والسّقمُ يُنحِلُني حتّى حكتْ جسدي[5]
وكلّما فاضَ دمعي غاض مُصْطَبَري كأنّ ما سالَ من جَفنيّ من جَلَدي[6]

---

١ قوله من مكارم من فيه لبيان الجنس أي أنهم مخلوقون من طينة المكارم . والحضر جماعة الحضار . والسفر المسافرون .

٢ يقول : من من الناس أمثلك به ومن الذي أقيسه بك وأضيفه إليك حتّى أشبهك به وأهل الدهر والدهر نفسه لا يبلغون شأوك .

٣ أي لا يقتنع الشوق مني بما أنا فيه من الحزن حتّى يتلف جسمي ويذهب بقلبي وكبدي .

٤ يقول إن دار الحبيب لا تشكو إلي إذ لا نطق لها ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبق بها ساكن ومن شأن المحزون أن يتأسى بسماع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب . وقد أكثر الشراح في هذا البيت وتكلفوا فيه وجوهاً بعيدة ولعل هذا المعنى هو المراد .

٥ يقال سحاب هزيم أي منبعث لا يستمسك . والودق المطر .

٦ غاض نقص . والمصطبر مصدر ميمي بمعنى الاصطبار . يقول : كأن دموعي جارية من جلدي لأني كلما زاد بكائي نقص صبري .

فأينَ من زَفَرَاتي مَنْ كَلِفْتُ بهِ وأينَ منكَ ابنَ يحيى صَوْلَةُ الأسَدِ[1]

لمّا وزَنْتُ بكَ الدّنْيا فَمِلْتَ بهَا وبالوَرَى قَلّ عِندي كثرَةُ العَدَدِ[2]

ما دارَ في خَلَدِ الأيّامِ لي فَرَحٌ أبا عُبادَةَ حتّى دُرْتَ في خَلَدي[3]

مَلْكٌ إذا امتَلأتْ مَالاً خزائنُهُ أذاقَهَا طَعْمَ ثُكْلِ الأمّ للوَلَدِ[4]

ماضي الجَنَانِ يُريهِ الحَزْمُ قَبلَ غَدٍ بقَلْبِهِ ما تَرَى عَيناهُ بَعْدَ غَدِ[5]

ما ذا البَهاءُ ولا ذا النّورُ من بَشَرٍ ولا السّماحُ الذي فيهِ سَماحُ يَدِ[6]

أيّ الأكُفّ تُباري الغَيثَ ما اتّفَقَا حتّى إذا افْتَرَقَا عادَتْ ولمْ يَعُدِ[7]

---

١ الزفرات الأنفاس الحادة . وكلف به أولع . يقول : إن الذي أحببته بعيد عن زفراتي لا يعلم بها أو لا يشعر بمثلها كما أن صولة الأسد بعيدة عن صولتك لا يشابهك فيها ولا يقاربك .

٢ يقول : جعلتك في كفة وجعلت الدنيا وأهلها في الكفة الأخرى فكانت كفتك الراجحة لأن الرزانة للفضل لا للأشخاص . وإذا رجح الواحد على الكثير فقد صار ذلك الكثير قليلا بالنسبة إلى ذلك الواحد .

٣ الخلد البال . أي ما وقع في قلب الأيام أن تسرني حتّى وقعت في قلبي فقصدتك .

٤ الثكل فقد المرأة ولدها .

٥ الماضي النافذ . والجنان القلب . والحزم ضبط الأمر وأخذه بالثقة . يقول : إن الحزم يريه في يومه ما يكون بعد الغد فيرى الأمور بقلبه كما ترى المنظورات عيناه .

٦ ما ذا مركبة من ما النافية وذا الإشارية . والبهاء الحسن. يريد أن ما فيه من الجمال والنور أجلّ من أن يكون صاحبه بشراً وسماحه أعظم من أن يكون سماح يد إنما هو سماح غيث أو بحر .

٧ باراه عارضه وفعل مثل فعله . والغيث المطر . وقوله ما اتفقا ما ظرفية أي مدة اتفاقهما . وضمير المثنى لأي والغيث . يقول : أي كف سوى كف هذا الممدوح تباري الغيث في السخاء مدة اتفاقهما على الجري وإذا افترقا بأن أقلع السحاب عادت الكف إلى سخائها ولم يعد الغيث . يريد أن الغيث يمطر ثم يكف زماناً ويده تجود ثم لا تلبث أن تعود .

قد كنتُ أحسَبُ أنّ المجدَ من مُضَرٍ حتى تبَحتَرَ فهوَ اليومَ مِن أُدَدِ[1]

قَوْمٌ إذا أمْطَرَتْ مَوْتاً سُيُوفُهُمُ حَسِبْتَها سُحُباً جادَتْ على بَلَدِ[2]

لم أُجْرِ غايَةَ فكري منكَ في صِفَةٍ إلاّ وَجَدْتُ مَداها غايَةَ الأبدِ[3]

نفديك من سيل ندى

يمدح مساور بن محمد الرومي :

جَلَلاً كمَا بي فَلْيَكُ التّبْريحُ أغِذاءُ ذا الرّشإِ الأغَنّ الشّيحُ[4]

لَعِبَتْ بمِشيَتِهِ الشَّمولُ وغادرَتْ صَنَماً منَ الأصنامِ لَوْلا الرّوحُ[5]

---

١ مضر بن نزار بن معد أبو العرب . وتبحتر انتسب إلى بني بحتر وهم حي من طيء من عرب اليمن . وأدد بن قحطان أبو عرب اليمن . يقول : كنت أحسب المجد مضرياً حتى نقله الممدوح إلى بني بحتر فهو اليوم بحتري أددي .

٢ يريد بالموت الدم الذي يجري من القتلى .

٣ الغاية والمدى كلاهما بمعنى المنتهى . يقول : إني لم أتفكر في صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لا تدرك كغاية الأبد .

٤ الجلل العظيم . والتبريح الجهد والأذى . والرشأ ولد الظبية . والأغن الذي يخرج صوته من خياشيمه وهو من أوصاف الغزلان . والشيح نبات . أي إذا كان تبريح في الهوى فليكن شديداً كتبريحي وإلا فلا . ثم قال : أتظنون أن غذاء هذا الرشإ من النبات كعادة مثله من غزلان الصحراء كأنه يريد أن يقول إن غذاءه من قلب عاشقه لأنه ينحله ويمرضه فهذا الذي أورثه ذلك التبريح .

٥ الشمول الخمر . وغادرت تركت . يقول : إن الخمر غيرت مشيته ورنحته فتمايل في خطوه وزادت في حسنه حتى إنه لولا الروح الذي فيه لكان يظن صنماً بدعوى أنه صور كما شاء المصور . ويروى وجردت أي صيرته بحيث يجرد منه صنم لحسنه .

ما بالُهُ لاحَظْتُهُ فتَضَرَّجَتْ وَجَناتُهُ وفُؤادِيَ المَجْرُوحُ[١]

وَرَمَى وما رَمَتَا يَداهُ فَصابَني سَهْمٌ يُعَذِّبُ والسِّهامُ تُرِيحُ[٢]

قَرُبَ المَزَارُ ولا مَزارَ وإنَّما يَغدو الجَنانُ فَنَلْتَقي ويَرُوحُ[٣]

وفَشَتْ سَرائرُنا إلَيكَ وشَفَّنا تَعريضُنا فبَدا لَكَ التَّصريحُ[٤]

لمّا تَقَطَّعَتِ الحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أسًى وكأنَّهُنَّ طُلُوحُ[٥]

وَجَلا الوَداعُ من الحَبيبِ مَحاسِناً حُسْنُ العَزاءِ وقد جُلِينَ قَبيحُ[٦]

فَيَدٌ مُسَلِّمَةٌ وطَرْفٌ شاخِصٌ وحَشاً يَذوبُ ومَدْمَعٌ مَسفُوحُ[٧]

---

١ تفرجت أي تخضبت . وفؤادي المجروح مبتدأ وخبر . يقول : ما لي أراه قد نظرت إليه فاحمرت وجنتاه لظهور الدم فيهما من الخجل مع أن فؤادي هو المجروح لا هما فهو أولى بذلك .

٢ قوله وما رمتا يداه أخرجه على لغة يتعاقبون والجملة حال . يقول : رماني بلحظه فأصابني منه سهم يعذب مرميه لا كالسهام المعروفة فإنها تقتل فيستريح مرميها لأنه لا يشعر بعد ذلك بعذاب .

٣ المزار الأول مكان والثاني مصدر . والجنان القلب . يلتفت إلى خطاب الحبيب يقول: إن دارك قريبة مني ولكن لا سبيل إلى الزيارة بيننا خوفاً من أعين الرقباء فالزيارة مقصورة على الوهم لأن قلبي يغدو إليك ويروح فنلتقي بالقلوب .

٤ فشت ظهرت . والسرائر بمعنى الأسرار . وشفه الحزن ونحوه أنحله . والتعريض التلويح إلى الشيء من غير تصريح . أي أن كتمان الهوى والاقتصار فيه على التعريض قد أسقمنا وأنحلنا فدلك نحولنا الظاهر على ما في ضمائرنا من الشكاية وقام مقام التصريح بها .

٥ الحمول الأحمال على الإبل ويريد بها الإبل التي حملتها . والأسى الحزن . والطلوح جمع طلح وهو شجر عظيم والعرب تشبه الإبل وعليها الأحمال والهوادج بالأشجار . أي لما تفرقت الحمول للمسير وكأنها أشجار طلح تقطعت نفسي من الحزن .

٦ جلا كشف . والعزاء التصبر . أي لما برز الحبيب للوداع وانجلت محاسنه تركت حسن الصبر عنها قبيحاً .

٧ يصف حال الوداع . ويريد بالمدمع الدمع . والمسفوح المصبوب .

يجدُ الحَمامُ ولوْ كوَجدي لانبَرَى شَجَرُ الأراكِ معَ الحَمامِ ينُوحُ[1]

وأمَقَّ لوْ خدَتِ الشَّمالُ براكِبٍ في عَرْضِهِ لأناخَ وَهْيَ طَليحُ[2]

نازَعتُهُ قُلُصَ الرِّكابِ ورَكْبُها خَوْفَ الهَلاكِ حُداهُمُ التّسبيحُ[3]

لَوْلا الأميرُ مُساوِرُ بنُ مُحَمّدٍ ما جُشّمَتْ خَطَراً وَرُدَّ نَصيحُ[4]

ومَتى وَنَتْ وأبُو المُظَفَّرِ أمُّها فأتاحَ لي وَلَهَا الحِمامَ مُتيحُ[5]

شِمْنَا وما حُجِبَ السَّماءُ بُرُوقَهُ وحَرًى يَجُودُ وما مَرَتْهُ الرِّيحُ[6]

---

١ يجد من الوجد . وقوله كوجدي خبر كان المحذوفة بعد لو كما في نحو اسأل ولو خاتماً من حديد أي ولو كان وجده كوجدي . وانبرى أي اندفع . والأراك شجر يستاك بعيدانه . يقول : عادة الحمام أن يحزن عند فراق إلفه فينوح ولكنه لو عراه مثل وجدي لناح حتى يرق له شجر الأراك وينوح معه .

٢ الأمق الطويل يريد وبلد أمق . والواو قبله واو رب . وخدت أسرعت. وأناخ الراكب نزل . والطليح المعيي يستوي فيه المذكر والمؤنث . يقول : لو أسرعت ريح الشمال في عرض هذا البلد فضلا عن طوله وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب وهي معيية فكيف الناقة .

٣ الضمير في نازعته لأمق . والقلص جمع قلوص وهي الناقة الفتية . والركاب الإبل . والركب جمع الراكب . يقول : إني مدة سفري في هذا البلد الشاسع كنت أخاصمه على الإبل فهو يريد أن يفنيها بطوله ومشقته وأنا أريد أن أستبقيها لمسيري . وكان ركاب هذه الإبل يخافون على أنفسهم فيسبحون الله ويسألون النجاة لأنفسهم فكان التسبيح حداء للإبل مكان الغناء الذي تحدى به .

٤ جشمت أي كلفت والضمير للإبل . والنصيح الناصح . أي لولا قصدنا للممدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر ولا رددنا من كان ينصح لنا وينهانا عن ركوب هذه الأهوال .

٥ ونت بمعنى توانت والضمير للإبل أيضاً . وأبو المظفر كنية الممدوح . وأمها قصدها . وأتاح الله الشيء قدره وهو دعاء . والحمام الموت . أي إذا كسلت وتوانت في سيرها وهذا الرجل مقصودها فالموت خير لي ولها .

٦ شام البرق نظر إليه يرجو المطر . وقوله وما حجب السماء حال معترضة . وبروقه مفعول شمنا . وحرى نعت لمحذوف معطوف على بروقه أي وسحاباً حرى بأن يجود ومعنى الحرى الخليق .

مَرْجُوُّ مَنْفَعَةٍ مَخُوفُ أذِيَّةٍ   مَغْبُوقُ كأسِ مَحامِدٍ مَصبوحُ[1]

حَنِقٌ على بِدَرِ اللُّجَيْنِ وما أتَتْ   بإساءَةٍ وعَنِ المُسِيءِ صَفُوحُ[2]

لَوْ فُرِّقَ الكَرَمُ المُفَرِّقُ مالَهُ   في النّاسِ لم يَكُ في الزّمانِ شَحيحُ[3]

ألْغَتْ مَسامِعُهُ المَلامَ وغادَرَتْ   سِمَةً على أنْفِ اللِّئامِ تَلُوحُ[4]

هذا الذي خَلَتِ القُرُونُ وذِكْرُهُ   وحَديثُهُ في كُتْبِها مَشْرُوحُ[5]

ألْبابُنا بِجَمالِهِ مَبْهُورَةٌ   وسَحابُنا بِنَوالِهِ مَفضُوحُ[6]

يَغشَى الطِّعانَ فَلا يَرُدُّ قَناتَهُ   مكسُورَةً ومِنَ الكُماةِ صَحيحُ[7]

ويجود بمطر . ومرته الريح استدرته وأصله في الناقة يمسح ضرعها لتدر . يقول : شمنا بروقه أي رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها الغيم ونظرنا منه إلى سحاب خليق بالمطر وإن لم تمره الريح كما تمري السحائب لتمطر .

١ المغبوق الذي يسقى مساء والمصبوح الذي يسقى صباحاً . يعني أنه يحمد في المساء والصباح .

٢ البدر جمع بدرة وهي عشرة آلاف درهم . واللجين الفضة .

٣ يروى فرق بصيغة المجهول والكرم نائب فاعله وبصيغة المعلوم على أنه فعل الممدوح والكرم مفعول به . والمفرق نعت الكرم . والشحيح البخيل .

٤ ألغت أي أهملت وأسقطت . وغادرت تركت . والسمة العلامة . أي أن مسامعه لم تبال بلوم اللائمين له على الجود فمضى على سخائه وغيره ممن أطاعوا اللائم صاروا لئاماً يرى عليهم أثر اللؤم كما ترى السمة على الأنف . وروى ابن جني ألفت من الألفة أي أن مسامعه اعتادت اللوم على ذلك فلم تلتفت إليه لأنه قد صار عندها شيئاً مألوفاً .

٥ خلت أي مضت . والقرون جمع القرن وهو أهل الزمن الواحد . قال الواحدي: المعنى أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم وهو المعني بذلك إذ الحقيقة منها له فذكره إذن في الكتب مشروح . ا هـ . ويمكن أن يكون المراد تخلو القرون لكنه أتى بالماضي للتحقيق .

٦ الألباب العقول . والنوال العطاء .

٧ يريد بالطعان موضعه أي ساحة الحرب . والقناة الرمح . والكماة جمع كمي على غير قياس وهو

وعلى التّرابِ منَ الدّماءِ مَجاسِدٌ وعلى السّماءِ منَ العَجاجِ مُسُوحُ[1]
يَخْطُو القَتيلَ إلى القَتيلِ أمامَهُ رَبُّ الجَوادِ وخَلْفَهُ المَبْطُوحُ[2]
فمَقيلُ حُبّ مُحبّهِ فَرِحٌ بِهِ ومَقيلُ غَيظِ عَدُوّهِ مَقْرُوحُ[3]
يُخْفي العَداوَةَ وهيَ غَيرُ خَفِيّةٍ نَظَرُ العَدُوّ بِمَا أسَرّ يَبُوحُ[4]
يا ابنَ الذي ما ضَمّ بُرْدٌ كابنِهِ شَرَفاً ولا كالجَدّ ضَمّ ضَريحُ[5]
نَفْديكَ من سَيْلٍ إذا سُئِلَ النّدَى هَوْلٍ إذا اخْتَلَطا دَمٌ ومَسيحُ[6]

المغطى بالسلاح. قال الواحدي: قوله مكسورة حشو أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح لأنه لا فائدة أن ترد القناة من الحرب مكسورة ولو ردها صحيحة لم يلحقه نقص .

١ المجاسد الثياب المصبوغة بالجساد وهو الزعفران واحدها مجسد ، بضم الميم وفتح السين . والعجاج الغبار . والمسوح جمع مسح .

٢ فاعل يخطو رب الجواد . ورب بمعنى صاحب . والجواد الفرس الكريم . والمبطوح الملقى على وجهه . يقول : قد امتلأت المعركة من القتلى فالفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ويخلف وراءه فارساً مبطوحاً أي قتيلا أيضاً .

٣ يريد بمقيل الحب ومقيل الغيظ القلب لحصوله فيهما وذلك من باب الكناية . والمقيل بمعنى المقام والمستقر .

٤ فاعل يخفي ضمير العدو . ونظر مبتدأ خبره يبوح والجملة استئناف . وأسر أخفى وكتم . يريد أن عدوه يخفي العداوة خوفاً منه لكنها لا تختفي لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما بقلبه من العداوة .

٥ البرد ضرب من الثياب . والكاف من كابنه اسم بمعنى مثل أي لم يضم برد أحداً مثل ابنه . وشرفاً تمييز . والضريح القبر . يعني ليس في الأحياء مثله شرفاً ولا في الأموات مثل جد أبيه .

٦ سيل في موضع نصب على التمييز والجار قبله زائد . والندى الجود . وهول معطوف على سيل والعاطف محذوف أي وهول . وقوله اختلطا جرى فيه على لغة يتعاقبون . والمسيح العرق . أي أنت سيل عند العطاء وهول عند القتال إذا سالت الدماء وامتزجت بالعرق .

لَوْ كُنتَ بحراً لم يكُنْ لكَ ساحِلٌ   أو كنتَ غَيْثاً ضاقَ عنكَ اللَّوحُ[1]
وخَشيتُ منكَ على البِلادِ وأهلِها   ما كانَ أنذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحُ[2]
عَجزٌ بِحُرٍّ فَاقَـةٌ وَوَراءَهُ   رِزْقُ الإلَهِ وبابُكَ المَفْتُوحُ[3]
إنّ القَرِيضَ شَجٍ بعِطْفي عائِذٌ   من أنْ يكونَ سَوَاءَكَ المَمْدوحُ[4]
وذَكِيُّ رائحَةِ الرِّياضِ كَلامُها   تَبْغي الثّنَاءَ على الحَيَا فتَفُوحُ[5]
جُهْدُ المُقِلّ فكَيفَ بابنِ كَريمَةٍ   تُوليهِ خَيراً واللّسانُ فَصيحُ[6]

---

١ الغيث المطر . واللوح الجو .

٢ خشيت معطوف على قوله ضاق في البيت السابق . وما مفعول به لخشيت . أي لو كنت غيثاً لخشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه .

٣ عجز خبر مقدم عن فاقة . وبحر متعلق بفاقة . ومعنى الفاقة الفقر . والضمير في وراءه للحر . يقول : من العجز أن يقاسي الحر الفاقة مع وجود رزق الله وبابك الذي لا يحجب عنه طالب وهو قد تركها وراءه لا يأتيك ولا يسترزق الله عن يدك .

٤ القريض الشعر . وشج حزين . والعطف الجانب . وعاذ به لجأ . أي أن الشعر يستجير بي من أن أمدح به غيرك إذ ليس أحد سواك أهلا له .

٥ الحيا مقصوراً المطر . يقول : إن الرياض إذا أرادت الثناء على المطر كان ذلك منها بسطوع رائحتها لأنها لا تنطق فيكون ذلك كلامها .

٦ الجهد الطاقة والوسع وهو خبر عن محذوف أي ذلك جهد المقل . والمقل الذي قلت ذات يده . وبابن كريمة متعلق بمحذوف أي فكيف تظن بابن كريمة . وتوليه تعطيه . يقول: إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلي وأنا شاعر فصيح اللسان.

في موقف وقف الحمام عليهم

يمدحه أيضاً:

أَمُساوِرٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَـذا   أَمْ لَيْثُ غابٍ يَقْدُمُ الأُسْتَاذَا[1]

شِمْ ما انْتَضَيْتَ فقد تركْتَ ذُبابَهُ   قِطَعاً وقَدْ تَرَكَ العِبادَ جُذاذَا[2]

هَبْكَ ابنَ يزْداذٍ حَطَمْتَ وصَحْبَهُ   أَتُرَى الوَرَى أَضْحَوْا بَنِي يَزْداذَا[3]

غادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ بحَيْثُ لَقيتَهُمْ   أَقْفَاءَهُمْ وكُبُودَهُمْ أَفْلاذَا[4]

في مَوْقِفٍ وَقَفَ الحِمَامُ عَلَيهِمِ   في ضَنْكِهِ واسْتَحْوَذَ اسْتِحْوَاذَا[5]

جَمَدَتْ نُفُوسُهُمُ فَلَمَّا جِئْتَها   أَجْرَيْتَها وسَقَيْتَها الفُولاذَا[6]

---

١ قرن الشمس أول ما يبدو منها . والليث الأسد . ويقدم بمعنى يتقدم . والأستاذ الوزير في بعض لغات أهل الشام .

٢ شم أمر من شام السيف إذا أغمده . وانتضاه استله . وذباب السيف حده . والجذاذ الحطام . يقول : اغمد سيفك فقد فللت حده بكثرة الضرب وقد ترك سيفك الناس قطعاً .

٣ ابن يزداذ مفعول حطمت . وهبك بمعنى احسب نفسك . يقول : هب أنك حطمت ابن يزداذ وجماعته أفتحسب الناس كلهم عداة لك مثل ابن يزداذ حتى كأنك تريد أن تفنيهم جميعاً .

٤ غادرت بمعنى تركت . وأوجههم مفعول أول لغادرت . وأقفاءهم مفعول آخر . وكبودهم أفلاذاً عطف على المفعولين . والأفلاذ القطع . يقول : إنك كسرتهم في الموضع الذي لقيتهم فيه فولوك أقفاءهم بعد أن ولوك وجوههم وتركت أكبادهم قطعاً .

٥ الحمام الموت . والضنك الضيق والضمير للموقف . واستحوذ عليه استولى . يقول : فعلت بهم ذلك في معركة ضيقة وقف الموت عليهم في ضيقها وحبسهم حتى استولى على نفوسهم واستأصلها .

٦ الضمير المنصوب في سقيتها مفعول ثان مقدم والفولاذ مفعول أول . وقد اختلف الشراح في معنى هذا البيت على أقوال أقربها وهو لابن جني أن المراد بجمود نفوسهم صبرها وشجاعتها حتى صارت

لمّا رَأوْكَ رَأوْا أبَاكَ مُحَمّداً في جَوْشَنٍ وأخا أبِيكَ مُعاذَا[1]
أعْجَلْتَ ألْسُنَهُمْ بضَرْبِ رِقابِهمْ عَنْ قَوْلِهِمْ : لا فارِسٌ إلاّ ذَا[2]
غِرٌّ طَلَعْتَ عَلَيْهِ طِلْعَةَ عارِضٍ مَطَرَ المَنَايَا وابِلاً ورَذاذَا[3]
سَدّتْ عَلَيْهِ المَشْرَفِيّةُ طُرْقَهُ فانْصَاعَ لا حَلَباً ولا بَغْذاذَا[4]
طَلَبَ الإمارَةَ في الثّغُورِ ونَشْؤهُ ما بَينَ كَرْخايا إلى كَلْواذَا[5]
فكَأنّهُ حَسِبَ الأسِنّةَ حُلْوَةً أوْ ظَنّها البَرْنيَّ وَالآزاذَا[6]
لم يَلْقَ قَبلَكَ مَنْ إذا اختَلَفَ القَنَا جَعَلَ الطّعانَ مِنَ الطّعانِ مَلاذَا[7]

كالشيء الجامد وأنه لما التقاهم أجرى نفوسهم يعني دماءهم على سيوفه وجعلها سقياً لها كما يسقى الفولاذ الماء .

١ الجوشن الدرع . يريد شدة المشابهة بينه وبين أبيه وعمه حتى ان من رآه يكون كأنه قد رآهما .

٢ أي أنهم لما رأوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لا فارس إلا هذا لكنك عاجلتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا ذلك .

٣ الغر الغافل يريد به ابن يزداذ . والعارض السحاب المعترض في الأفق . والمنايا مفعول مطر . والوابل المطر الغزير . والرذاذ المطر الخفيف وهما حالان .

٤ المشرفية السيوف منسوبة إلى مشارف اليمن وهي قرى هناك تعمل فيها السيوف . وانصاع انفتل راجعاً . وحلب وبغذاذ منصوبان بمضمر أي لا يقصد حلب ولا بغذاذ لأنك حيرته فلم يدر كيف يتوجه .

٥ كرخايا وكلواذا قريتان بسواد العراق . يريد أنه لا يصلح للإمارة لأنه سوادي خسيس .

٦ الأسنة جمع سنان وهو نصل الرمح . والبرني والآزاذ ضربان من التمر يكثران بالعراق . والمشهور في الآزاذ القصر لكنه مده لإقامة الوزن . يقول : إنه تعود أكل التمر وليس من أهل الطعان والحرب فكأنه ظن الحرب تمراً يأكله .

٧ القنا الرماح . والمراد باختلافها أن يطعن هذا مرة وذاك أخرى . والملاذ الملجأ . أي لم يلق رجلا قبلك إذا اختلف الطعان من الجانبين لا يهرب من الطعن إلا إلى مثله لعدم مبالاته بالحرب وشدة إقدامه على الأهوال .

مَنْ لا تُوافِقُهُ الحَياةُ وطِيبُها حتى يُوافِقَ عزْمُهُ الإنْفاذَا[1]
مُتَعَوِّداً لُبْسَ الدُّروعِ يَخالُها في البَرْدِ خَزّاً والهَواجِرِ لاذَا[2]
أعْجِبْ بأخْذِكَهُ وأعجَبُ منكما أنْ لا تَكُونَ لِمِثْلِهِ أخّاذَا[3]

الكواكب في التراب تغور

يرثي محمد بن إسحاق التنوخي:

إنّي لأعْلَمُ ، واللّبيبُ خَبيرُ ، أنّ الحَياةَ وَإنْ حَرَصْتُ غُرُورُ[4]
ورَأيْتُ كُلاً ما يُعَلّلُ نَفْسَهُ بِتَعِلّةٍ وإلى الفَناءِ يَصيرُ[5]

---

١ من بدل من من الأولى . أي أنه لا تطيب له الحياة حتى يرى عزمه نافذاً لا يرجع فيه إلى الوراء .

٢ متعوداً بدل آخر على جعله خلفاً من موصوف أو نعت لمن على جعلها نكرة . ويخالها يحسبها . والخز ثوب غليظ . والهواجر جمع هاجرة وهي وقت اشتداد الحر أيام القيظ . واللاذ ثوب من الكتان رقيق . وفي البيت عطف على معمولي عاملين مختلفين لأن الهواجر معطوفة على البرد ولاذاً معطوف على خزاً وإنما سهله كون عامل أولها جاراً وهو جائز في رأي الأكثرين .

٣ أعجب صيغة تعجب بمعنى ما أعجب . أي ما أعجب أخذك لابن يزداذ مع شجاعته وكثرة جيشه ولكن اعجب من هذا لو لم تأخذه لأنك مظفر لا يفوتك مطلب .

٤ اللبيب العاقل وهو مبتدأ خبره خبير والجملة اعتراض . وأن وما يتصل بها صلة أعلم . والواو من وإن حرصت للحال والجملة بعدها معترضة . وان وصلية محذوفة الجواب دل عليه ما قبله . وغرور خبر أن يجوز فيه ضم الغين على المصدر وفتحها على الصفة .

٥ ما من قوله كلا ما زائدة للتوكيد . وعلله بالشيء لهاه به . ويصير بمعنى ينتهي وهو مضارع صار التامة . أي رأيت كل أحد يعلل نفسه بشيء يشاغلها به عن توقع الموت وهو صائر إلى الفناء لا محالة .

أمُجاوِرَ الدَّيْمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ فيها الضِّياءُ بوَجْهِهِ والنّورُ[1]

ما كنتُ أحسبُ قبل دفنكَ في الثّرَى أنّ الكَواكِبَ في التّرابِ تَغُورُ[2]

ما كنتُ آمُلُ قَبلَ نَعشِكَ أن أرَى رَضْوَى على أيدي الرِّجالِ تَسيرُ[3]

خرَجُوا بهِ ولكُلِّ باكٍ خَلْفَهُ صَعَقاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ[4]

والشّمسُ في كَبِدِ السّماءِ مريضَةٌ والأرْضُ واجفَةٌ تَكادُ تَمُورُ[5]

وحَفيفُ أجنِحَةِ المَلائِكِ حَوْلَهُ وعُيُونُ أهلِ اللاّذقيّةِ صُورُ[6]

حتى أتَوْا جَدَثاً كَأنّ ضَريحَهُ في قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ[7]

بمُزَوَّدٍ كَفَنَ البِلَى مِن مُلْكِهِ مُغْفٍ وإثْمِدُ عَيْنِهِ الكافُورُ[8]

فيهِ السّماحةُ والفَصاحةُ والتّقَى والبأسُ أجْمَعُ والحِجَى والخِيرُ[9]

---

١ الديماس حفرة لا ينفذ إليها الضوء يريد بها حفرة القبر . ورهن حال . والقرارة قاع مستدير .

٢ الثرى التراب . وتغور تذهب وتختفي .

٣ رضوى اسم جبل بالمدينة شبه المرثي به لعظمته وفخامة قدره .

٤ الصعقات جمع صعقة وهي الغشية . ودك أي هد . والطور الجبل والمراد به طور سيناء . يشير إلى قوله في القرآن : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً .

٥ كبد السماء وسطها . وقوله واجفة أي مضطربة . وتمور تجيء وتذهب . أراد بكون الشمس مريضة ضعف ضوئها من حزنها على المرثي .

٦ الحفيف صوت جناح الطائر إذا حركه . واللاذقية بلد المرثي . وصور جمع أصور وهو المائل . يريد أن عيونهم مائلة إلى نعشه لا يصرفون بصرهم عنه لشدة حبهم له وأسفهم عليه .

٧ الجدث القبر . والضريح الشق في وسط القبر .

٨ الباء متعلقة بأتوا في البيت السابق . والاثمد الكحل . يعني أنه لم يزود من ملكه إلا الكفن الذي سيبلى فيه وقد جعل الكافور الذي يذر على وجه الميت في موضع الكحل له .

٩ الضمير من قوله فيه للكفن . والحجى العقل . والخير بالكسر الكرم .

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لمّا انْطَوَى فكأنّهُ مَنْشُورُ[1]
وكأنّما عيسَى بنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وكأنَّ عازَرَ شَخْصُهُ المَقْبُورُ[2]

إن العظيم على العظيم صبور

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا :

غاضَتْ أنامِلُهُ وهُنّ بُحُورُ وخَبَتْ مَكايِدُهُ وهُنّ سَعِيرُ[3]
يُبْكَى عَلَيْهِ وما استَقَرّ قَرارُهُ في اللّحْدِ حتى صافَحَتْهُ الحُورُ[4]
صَبْراً بني إسْحقَ عَنْهُ تَكَرّماً إنّ العَظيمَ على العَظيمِ صَبُورُ[5]
فلِكُلّ مَفجُوعٍ سِواكُمْ مُشْبِهٌ ولِكُلّ مَفْقُودٍ سِواهُ نَظيرُ
أيّامَ قائِمُ سَيْفِهِ في كَفّهِ الـ يُمْنَى وَبَاعُ المَوْتِ عَنهُ قَصيرُ[6]

---

١ انطوى أي دفن . ومنشور من نشر الله الميت إذا أحياه . يقول : إن ثناء الناس عليه ودوام ذكرهم له كفيل له بالحياة وإن طوت الأرض جسمه لأن من بقي ذكره يكون كأنه لم يمت .

٢ أي أن ذكره يحييه كما أحيا عيسى العازر بعد موته .

٣ غاضت جفت . والأنامل أطراف الأصابع . وخبت خمدت . والمكايد جمع مكيدة وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأي . والسعير اللهيب .

٤ يجوز في قراره الرفع على الفاعلية والنصب على المصدر . واللحد الشق في جانب القبر . والمصافحة الأخذ باليد . والحور جواري الجنة .

٥ أي على الأمر العظيم . وروى ابن جني عن العظيم أي عن المفقود العظيم .

٦ قائم السيف مقبضه . أي لم يكن له نظير أيام كان يقاتل أعداءه ويد الموت مكفوفة عنه . ويجوز أن يكون أيام منصوباً بمحذوف أي أذكركم تلك الأيام . يريد أنه لم يأخذه عدو ولكن إذا حان أمر الله فلا مرد له .

وَلَطالَما انْهَمَلَتْ بِماءٍ أحْمَرٍ　في شَفْرَتَيْهِ جَماجِمٌ ونُحورُ[1]

فأُعيذُ إخوتَهُ بِرَبِّ مُحَمَّدٍ　أنْ يَحْزَنُوا ومُحَمَّدٌ مَسْرُورُ[2]

أوْ يَرْغَبُوا بقُصُورِهم عَنْ حُفْرَةٍ　حَيّاهُ فيها مُنْكَرٌ ونَكيرُ[3]

نَفَرٌ إذا غابَتْ غُمُودُ سُيُوفِهِمْ　عَنْها فآجالُ العِبادِ حُضُورُ[4]

وإذا لَقُوا جَيْشاً تَيَقَّنَ أنّهُ　مِنْ بَطْنِ طَيرٍ تَنُوفَةٍ مَحْشُورُ[5]

لم تُثْنَ في طَلَبٍ أعِنَّةُ خَيْلِهِمْ　إلاّ وعُمْرُ طَريدِها مَبْتُورُ[6]

يَمَّمْتُ شاسِعَ دارِهِمْ عَنْ نيّةٍ　إنّ المُحِبَّ عَلى البِعادِ يَزُورُ[7]

وقَنِعْتُ باللُّقْيا وأوّلِ نَظْرَةٍ　إنّ القَليلَ مِنَ الحَبيبِ كَثيرُ

---

١ انهملت سالت . ويروى انهمرت . وشفرتا السيف حداه . والنحور جمع نحر وهو موضع القلادة من الصدر .

٢ أعذته بالله من كذا عصمته به منه وهي كلمة تقال في مقام التنزيه . وان يحزنوا في تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة أعيذ . أي أنزههم عن الحزن عليه حالة كونه مسروراً بما أصاره الله إليه من الكرامة .

٣ حرفا الجر متعلقان بيرغبوا، يقال رغبت بهذا عن ذاك أي فضلته عليه . ومنكر ونكير ملكا القبور . أي وأعيذهم أن يفضلوا قصورهم على هذه الحفرة فإنها خير له لأن منازل الآخرة أشرف .

٤ النفر الرهط . وقوله غابت غمود سيوفهم أي سلت وفارقت غمودها . وحضور جمع حاضر .

٥ التنوفة المفازة . أي إذا حاربوا جيشاً أيقن أنهم سيقتلونه فتأكل الطير لحمه فإذا دعي إلى الحشر يوم القيامة جاء من بطون الطير .

٦ ثناه عطفه . والأعنة جمع عنان وهو سير اللجام . والبتر القطع . يقول : إنهم لم يعطفوا أعنتهم في طلب عدو إلا انبت أجله لا محالة .

٧ يممه قصده . والشاسع البعيد . والنية الوجه الذي ينويه المسافر .

حنين دائم وزفير

وسألوه أن ينفي الشماتة عنهم فقال :

أَلآلِ إبْراهيمَ بَعدَ مُحَمّدٍ إلاّ حَنينٌ دائمٌ وزَفيرُ[1]

ما شَكَّ خابِرُ أمْرِهمْ من بَعدِهِ أنّ العَزاءَ عَلَيهِمِ مَحْظُورُ[2]

تُدمي خدودَهمُ الدّموعُ وتَنقضي ساعاتُ لَيْلِهِمِ وهُنّ دُهُورُ

أبْناءُ عَمٍّ كُلُّ ذَنْبٍ لامرِىءٍ إلاّ السّعايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورُ[3]

طارَ الوُشاةُ على صَفاءِ وِدادِهِمْ وكذا الذّبابُ على الطّعامِ يَطيرُ[4]

ولَقَدْ مَنَحتُ أبا الحُسَينِ مَوَدّةً جُودي بها لعَدُوّهِ تَبْذيرُ[5]

مَلِكٌ تَكَوّنَ كَيفَ شاء كأنّما يَجْري بفَصْلِ قَضائِهِ المَقْدورُ[6]

---

١ الاستفهام للانكار . والحنين الشوق . والزفير اغتراق النفس للشدة .

٢ الخابر المختبر . والعزاء السلوان . ومحظور ممنوع .

٣ السعاية النميمة .

٤ الوشاة جمع الواشي وهو الساعي بالفساد . أي أن أصحاب النمائم حاموا على صفاء ودادهم قصد تكديره مثل الذباب الذي يطير على الطعام فيفسده .

٥ أبو الحسين أحد إخوة المرثي . يقول : بذلت له من الود ما لو بذلته لأحد من أعدائه لكان ذلك تبذيراً مني ووضعاً للشيء في غير محله لأنهم لا يستحقون المودة .

٦ ويروى تصور كيف شاء . وفصل القضاء حكمه الفاصل بين الحق والباطل . والمقدور القدر . يعني كأن قدر الله يجري بحسب مراده وعلى اختياره .

ليس لله غالب

قال وقد سألوه زيادة في نفي الشماتة عنهم :

لأيّ صُرُوفِ الدّهْرِ فيهِ نُعاتِبُ   وَأيَّ رَزاياهُ بوِتْــرٍ نُطالِبُ[1]
مَضَى مَنْ فَقَدْنا صَبرَنا عند فَقْدِهِ   وقد كانَ يُعطي الصّبرَ والصّبرُ عازِبُ[2]
يزُورُ الأعادي في سَمَاءِ عَجاجَةٍ   أسِنّتُهُ في جانِبَيْها الكَواكِبُ[3]
فتَسْفِرُ عنْهُ والسّيوفُ كأنّما   مَضارِبُها مِمّا انْفَلَلْنَ ضَرائِبُ[4]
طَلَعْنَ شُمُوساً والغُمُودُ مَشارِقٌ   لَهُنّ وهاماتُ الرّجالِ مَغارِبُ[5]
مَصائِبُ شَتّى جُمّعَتْ في مُصيبَةٍ   ولم يَكفِها حتى قَفَتْها مَصائِبُ[6]

---

١ اللام من قوله لأي زائدة لتقوية العامل أي أي صروفه نعاتب. والرزايا جمع الرزيئة وهي النكبة. والوتر الثأر . يريد كثرة صروف الدهر ورزاياه فلا يمكن معاتبتها ولا طلب الثأر منها .

٢ العازب البعيد . يعني أنه كان في حياته يعين الناس في شدائدهم حتى يصبروا على ما ينوبهم . ويروى يعطى الصبر مجهولا أي يصبر حين لا صبر لغيره .

٣ العجاجة الغبار . والأسنة أطراف الرماح .

٤ تسفر أي تنجلي . ومضارب السيوف حدودها . وانفللن انثلمن . والضرائب جمع ضريبة وهي المضروب بالسيف . أي أن هذه العجاجة تنجلي عنه وقد تثلمت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة لا ضاربة .

٥ شموساً حال أي مثل الشموس . والهامات الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت مثل الشموس وأغمادها مشارقها ثم غابت في رؤوس المضروبين بها فكانت مغارب لها .

٦ شتى جمع شتيت بمعنى متفرق . وقفتها تبعتها . يقول : إن المصيبة به كانت بمنزلة مصائب شتى لعظمتها ثم تبعتها مصائب أخرى من كلام المفسدين واتهامهم إيانا بالشماتة .

رَثَى ابنَ أبينا غيرُ ذي رَحِمٍ لَـهُ   فَبَاعَدَنَا عَنْهُ ونَحْنُ الأقارِبُ[1]
وَعَرَّضَ أنّا شامِتُونَ بمَوتِهِ   وإلاّ فَزارَتْ عارِضَيْهِ القَواضِبُ[2]
ألَيسَ عَجيباً أنّ بَينَ بَني أبٍ   لنَجْلِ يَهوديٍّ تَدِبّ العَقارِبُ[3]
ألا إنّما كانَتْ وَفاةُ مُحَمَّدٍ   دَليلاً على أنْ لَيسَ للهِ غَالِبُ

فتى يُخشى ويرتجى

يمدح أخاه الحسين بن إسحق التنوخي:

هُوَ البَينُ حتى ما تَأنّى الحَزائِقُ   ويا قَلْبُ حتى أنْتَ مِمّنْ أُفارِقُ[4]
وَقَفْنا ومِمّا زادَ بَثّاً وُقُوفُنَا   فَريقَيْ هَوًى منّا مَشُوقٌ وشائِقُ[5]

---

١ الرحم القرابة . ويروى غير ذي رحم لنا . أي أظهر من نفسه الأسف على فقده وزعم أن يبعدنا عنه ونحن أقرباؤه والفقد إنما يؤلم الأقرباء لا الأجانب .

٢ التعريض الإشارة إلى ما في النفس من غير تصريح . وقوله وإلا إلى آخر البيت حكاية قول المعرض تأكيداً لزعمه . والعارضان جانبا الوجه . والقواضب السيوف .

٣ اسم أن محذوف ضمير الشأن . والنجل الولد . ودبيب العقارب كناية عن النميمة . لما ذكر أنهم بنو أب أي إخوة جعل الساعي بينهم ابن رجل يهودي مبالغة في أجنبيته عنهم . وإنما خص اليهودي لأن اليهود يتهمون بالخبث ودس المكايد .

٤ هو ضمير الشأن فسره بمفرد وقد مر مثله . والبين الفراق . وحتّى في الشطرين ابتدائية وتأنى أصله تتأنى بتاءين أي تتمهل . والحزائق جمع حزيقة وهي الجماعة . يقول : هو البين يفرق كل قوم حتّى لا تتأنى الجماعات إذا قضي به ولا تلبث أن تتفرق. ثم يخاطب قلبه فيقول له: حتّى أنت مما يفارقني ، يشير إلى فراق الأحبة وذهاب قلبه في أثرهم .

٥ البث الشكاية . وفريقي هوى حال من الضمير في وقوفنا . أي مما زادنا حزناً أننا وقفنا فريقين

وقد صارَتِ الأجفانُ قَرْحى من َالبُكا وصارَتْ بهاراً في الخدودِ الشّقائقُ[1]

على ذا مضَى النّاسُ اجتماعٌ وفُرْقَـةٌ ومَيْتٌ ومَوْلُودٌ وقالٍ ووامِقُ[2]

تَغَيّرَ حَـالي واللّيـالي بحالِهـا وشِبْتُ وما شابَ الزّمانُ الغُرانِقُ[3]

سَلِ البِيدَ أينَ الجِنّ منّا بجَوْزِها وعن ذي المَهاري أينَ منها النّقانِقُ[4]

ولَيْلٍ دَجوجيٍّ كَـأنّا جلَتْ لَنا مُحَيّاكَ فيهِ فاهْتَدَيْنا السّمالِقُ[5]

فما زالَ لَوْلا نُورُ وَجهِكَ جِنحُهُ ولا جابَها الرُّكبانُ لوْلا الأيانِقُ[6]

وهَزٌّ أطارَ النّوْمَ حتى كَـأنّني من السُّكرِ في الغَرْزَينِ ثوْبٌ شُبارِقُ[7]

منا مشوق وهو المحب وشائق وهو الحبيب .

١ قرحى جمع قريح بمعنى الجريح . والبهار نبت أصفر الزهر .

٢ اجتماع مبتدأ محذوف الخبر أي لهم اجتماع والجملة حال . والقالي المبغض . والوامق المحب . وهو تفصيل لأحوال الناس واختلاف الدهر بهم .

٣ الغرانق الشاب الناعم .

٤ جوزها وسطها . والمهاري جمع مهرية وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان قبيلة من اليمن . والنقانق جمع نقنق ، بالكسر ، وهو ذكر النعام . أي كنا أجسر من الجن ومطايانا أسرع من النعام .

٥ الواو واو رب . وليل في موضع رفع مبتدأ خبره الجملة بعده . والدجوجي الشديد السواد . وجلت أي كشفت . والمحيا الوجه . والسمالق الأراضي البعيدة وهي فاعل جلت . يقول : رب ليل حالك الظلمة اهتدينا تحت ظلمته كأن المفاوز التي كنا نقطعها إليك جلت لنا وجهك فسرنا في ضوئه .

٦ زال ذهب . وجنح الليل ما أقبل منه . وجابها أي قطعها والضمير للسمالق . والأيانق النياق .

٧ هز معطوف على الأيانق . والغرز ركاب الرحل من جلد . والشبارق الممزق . يقول : إن هز السير له قد أطار نومه حتى صار من سكر النعاس على قتبه كالثوب البالي من كثرة نودانه وتمايله بين الغرزين .

شدَوْا بابنِ إسحقَ الحُسينِ فصافحتْ ذَفارِيَها كِيرانُها والنَّمارِقُ[1]
بمَنْ تَقشَعِرّ الأرْضُ خوفاً إذا مشَى علَيها وتَرْتَجّ الجبالُ الشّواهِقُ[2]
فتًى كالسّحابِ الجُونِ يُخشَى ويُرْتَجى يُرَجّى الحَيا منها وتُخشَى الصّواعقُ[3]
ولكِنّها تَمْضِي وهذا مُخَيِّمٌ وتَكذِبُ أحياناً وذا الدّهرَ صادِقُ[4]
تَخَلّى منَ الدّنْيا ليُنْسَى فَما خلتْ مَغارِبُها مِنْ ذِكْرِهِ وَالمَشارِقُ[5]
غَذا الهِنْدُوانيّاتِ بالهَامِ والطُّلَى فَهُنّ مَدارِيها وهُنّ المَخانِقُ[6]
تَشَقّقُ مِنهُنّ الجُيوبُ إذا غَزا وتُخضَبُ منهنّ اللّحَى والمَفارِقُ[7]

---

١ الشدو الغناء . وقوله بابن إسحق فيه حذف مضاف أي بمدح ابن إسحق . وصافحت أي ماست مأخوذة من مصافحة الأكف . والذفاري جمع ذفرى وهي ما خلف الأذن . والكيران جمع كور وهو الرحل . والنمارق جمع نمرقة وهي الوسادة توضع تحت الراكب . يعني أنهم لما شدوا بمدحه رفعت رؤوسها نشاطاً حتى صافحت أقفاؤها الرحال والوسائد التي عليها .

٢ بمن بدل من قوله بابن إسحق . واقشعر الجلد أخذته الرعدة فتقبض .

٣ السحاب اسم جمع يكون مفرداً باعتبار لفظه وجمعاً بإعتبار معناه . والجون ، بالضم ، جمع الجون ، بالفتح ، وهو الأسود . والحيا المطر .

٤ الضمير في لكنها للسحاب . والمراد بكذبها إخلافها الظن بالمطر .

٥ يعني أنه زهد في الدنيا وانقطع عن أهلها فما زاده ذلك إلا شهرة وبعد صيت لسعة فضله واشتمال نعمته .

٦ الهندوانيات السيوف الهندية . والهام الرؤوس . والطلى الأعناق . والمداري جمع مدرى وهو ما يفرق به الشعر . والمخانق القلائد . يعني أنه جعل الرؤوس والأعناق غذاء لسيوفه فأطالت صحبتها لها حتى صارت من الرؤوس بمنزلة المداري ومن الأعناق بمنزلة القلائد .

٧ يروى تشقق ، بفتح التاء ، أي تتشقق ، وبضمها على المجهول . وضمير منهن للسيوف . والجيوب جمع الجيب وهو ما ينفتح على النحر من أعلى الثوب . والمفارق أوساط الرؤوس . أي أنه إذا غزا شققت الثاكلات جيوبهن حزناً على من قتلتهم سيوفه وخضبت لحى الفرسان ومفارقها بما يسيل من دمائها .

يُجَنِّبُها مَنْ حَتْفُهُ عنهُ غافِلٌ ويَصلى بها مَن نَفسُهُ منهُ طالِقُ[1]
يُحاجَى به ما ناطِقٌ وهْوَ ساكِتٌ يُرَى ساكتاً والسّيفُ عن فيه ناطِقُ[2]
نَكِرْتُكَ حتى طالَ منكَ تَعَجّبي ولا عَجَبٌ من حُسنِ ما اللهُ خالِقُ[3]
كأنّكَ في الإعطاءِ للمَالِ مُبغِضٌ وفي كلِّ حَرْبٍ للمَنيّةِ عَاشِقُ
ألا قَلّما تَبْقَى عَلَى ما بَدا لَهَا وحَلَّ بِهَا مِنْكَ القَنَا والسّوابِقُ[4]
خَفِ اللهَ وَاسْتُرْ ذا الجَمالَ ببُرْقعٍ فإنْ لُحتَ ذابتْ في الخدورِ العواتقُ[5]
سَيُحيي بكَ السُّمّارُ ما لاحَ كوْكبٌ ويَحدو بكَ السُّفّارُ ما ذرّ شارِقُ[6]

---

١ جنبته الشيء باعدته عنه . والحتف الموت . ويصلى بها أي يقاسي بلاءها وأصله من صلي النار وبالنار إذا قاسى حرها . أي أن من غفلت عنه منيته وتأخر أجله يقدر له اجتناب سيوفه فلا يقتل بها ومن طلقته نفسه وخاف فراقها له يبتلى بها لأنه يكون مقتولا بها لا محالة .

٢ المحاجاة الإلغاز . وقوله ما ناطق وهو ساكت حكاية . أي أن الناس يحاجون بعضهم بعضاً بهذا الممدوح يقولون ما ناطق وهو ساكت . ثم فسر هذا في المصراع الثاني يريد أنه ساكت عن ذكر شجاعته والافتخار بها ولكن السيف ينطق عنه بذلك بما يبدي من أفعاله في الحرب .

٣ نكر الشيء وأنكره ضد عرفه . يقول : استغربتك لكثرة ما رأيت فيك من المحاسن التي لا أراها في غيرك حتى طال تعجبي منك ثم علمت أن عجبي في غير محله لأن الله قادر على خلق ما يريد .

٤ ألا كلمة استفتاح . وعلى بمعنى مع . وبدا ظهر وعرض . والقنا الرماح وهي فاعل تبقى . والسوابق الخيل . يقول : إن الرماح والخيل قليلة البقاء عندك لشدة ما ينالها منك من كثرة الاستعمال في الحروب والغارات .

٥ الخدور الستور . والعواتق جمع عاتق وهي الشابة من النساء .

٦ سيحيي من قولهم أحيا الليل إذا سهره كله . والسمار الذين يجلسون للحديث ليلاً . والسفار المسافرون. والشارق الكوكب. وذر بمعنى طلع . وما من قوله ما لاح كوكب وما ذر شارق مصدرية زمانية أي مدة ظهور الكواكب كناية عن الدوام والتأبيد .

فَما تَرْزُقُ الأقدارُ من أنتَ حارِمٌ   ولا تَحْرِمُ الأقدارُ مَن أنتَ رازِقُ

ولا تَفْتُقُ الأيّامُ ما أنْتَ راتِقُ   ولا تَرْتُقُ الأيّامُ ما أنْتَ فاتِقُ[1]

لكَ الخَيرُ غَيري رامَ من غيرك الغنى   وغَيري بغَيرِ اللاذِقيّةِ لاحِقُ[2]

هيَ الغرَضُ الأقصَى ورُؤيَتُكَ المنى   ومَنزِلُكَ الدّنْيا وأنْتَ الخَلائِقُ[3]

خير من تحت السماء

يمدح الحسين بن إسحق التنوخي ، وكان قوم قد هجوه ونحلوا الهجاء إلى أبي الطيب ، فكتب إليه يعاتبه فكتب أبو الطيب إليه :

أتُنْكِرُ يا ابنَ إسْحَقٍ إخائي   وتَحْسَبُ ماءَ غَيري من إنائي ؟[4]

أأنْطِقُ فيكَ هُجْراً بعدَ عِلْمي   بأنّكَ خَيرُ مَن تَحْتَ السّماءِ[5]

---

١ الرتق خلاف الفتق . والمراد في البيتين أن الأقدار والأيام لا تخالفه بصنع ولا تفعل شيئاً على غير مراده .

٢ لك الخير دعاء للممدوح . ورام بمعنى طلب . واللاذقية بلد الممدوح . أي أني لا أطلب الغنى إلا منك ولا أقصد إلا البلد الذي أنت فيه .

٣ هي ضمير اللاذقية . والأقصى الأبعد أي الذي لا غرض بعده . يقول : من بلغ اللاذقية لم يطلب بعدها بلداً آخر ومن رآك لم يتمن من السعادة شيئاً ومن بلغ منزلك استغنى به عن الدنيا واستغنى بك عن أهلها .

٤ الاستفهام للتعجب . والإخاء هنا بمعنى المصادقة . والماء والإناء مثل الكلام والقائل أي أتحسب كلام غيري صادراً مني .

٥ هجراً قبيحاً .

وأكْرَهُ مِن ذُبابِ السَّيفِ طَعْماً   وأمْضَى في الأمورِ منَ القَضاءِ[1]

ومَا أرْبَتْ على العِشْرينَ سِنّي   فكَيفَ مَلِلْتُ منْ طولِ البَقاءِ ؟[2]

وما استَغرَقتُ وَصْفَكَ في مَديحي   فأنْقُصَ مِنْـهُ شَيْئاً بالهِجَاءِ[3]

وهَبْني قُلتُ : هذا الصّبْحُ لَيْلٌ   أيَعْمَى العالمُونَ عَنِ الضّياءِ ؟

تُطيعُ الحاسِدينَ وأنْتَ مَـرْءٌ   جُعِلْتُ فِداءَهُ وهُمُ فِدائي[4]

وهاجي نَفْسِهِ مَنْ لم يُمَيّزْ   كَلامي مِنْ كَلامِهِمِ الهُراءِ[5]

وإنّ مِنَ العَجائِبِ أنْ تَراني   فَتَعْدِلَ بي أقَلّ مِنَ الهَبَـاءِ[6]

وتُنْـكِرَ مَوْتَهُمْ وأنا سُهَيْلٌ   طَلَعْتُ بمَوْتِ أوْلادِ الزّناءِ[7]

---

١ أكره معطوف على خبر أن في البيت السابق . وذباب السيف حده .

٢ أربت أي زادت . والسن يكنى بها عن العمر . ومللت ضجرت . يقول: إن عمري لم يزد على العشرين سنة فكيف يظن أني مللت من الحياة حتى أتعرض لهجائك وأرمي نفسي ببأسك .

٣ استغرقت أي استوفيت . يقول : إني إلى الآن لم أستتم مدحي لك فكيف أعدل عن إتمامه إلى الذم الذي يوجب نقصه .

٤ أي توافق الحاسدين على ما تقولوه فيّ من التهمة بهجائك وأنت رجل أكون أنا فداء له لكرمه وفضله فهو أجل من أن يهجوه مثلي وهم يكونون فداء لي لأنهم ممن لا خير فيه ولا منفعة في بقائه . ويحتمل أن يكون قوله جعلت فداءه كلاماً دعائياً جعله وصفاً للنكرة على تقدير محذوف أي مستحق لأن أقول له هذا وهو ما ذهب إليه أكثر الشراح وفيه من التكلف ما لا يخفى .

٥ هاجي نفسه خبر مقدم عن الموصول بعده . والهراء الساقط من الكلام . ويروى الهذاء وهو الكلام المختلط الذي لا معنى له . يقول : إن كنت لا تفرق بين كلامي وكلامهم فكفى بذلك هجواً منك لنفسك بأنك لم تميز بين الحسن والقبيح .

٦ عدله به ساواه . وأقل بمعنى أخس وهو صفة لمحذوف أي شيئاً أقل . والهباء ما يرى في شعاع الشمس من دق الغبار .

٧ تنكر معطوف على تراني . وسهيل اسم نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر الموت . أي ومن العجائب أيضاً أن تنكر موت حسادي وأنا قد طلعت بموتهم كما يطلع سهيل .

أطعناك طوع الدهر

يمدحه أيضاً:

مَلامي النّوى في ظُلْمِها غايةُ الظّلمِ ... لَعَلّ بها مِثْلَ الذي بي من السُّقْمِ [1]

فَلَوْ لم تَغَرْ لم تَزْوِ عني لِقاءَكُم ... ولَوْ لم تُرِدكم لم تكن فيكمُ خصْمي [2]

أمُنْعِمَةٌ بالعَوْدَةِ الظّبْيَةُ التي ... بغَيرِ وَليٍّ كانَ نائلُها الوَسمي [3]

تَرَشّفْتُ فاهَا سُحْرَةً فكأنّني ... تَرَشّفْتُ حرَّ الوَجدِ من بارِدِ الظَّلْمِ [4]

فَتَاةٌ تَساوَى عِقدُها وكَلامُها ... ومَبسِمُها الدُّرّيُّ في الحسنِ والنّظمِ

ونَكْهَتُها والمَنْدَليُّ وقَرْقَفٌ ... مُعَتَّقَةٌ صَهباءُ في الرّيحِ والطّعمِ [5]

---

١ النوى البعد وهي مؤنثة . يقول : إن لومه للنوى في ظلمها له يعد ظلماً منه أيضاً لأن النوى ربما كانت تعشق هؤلاء الأحبة كما يعشقهم هو فاستأثرت بهم عليه .

٢ زواه نحاه وأبعده . يثبت ما ادعاه في البيت السابق يقول : لو لم تكن النوى غارت عليكم لما أبعدت لقاءكم عني ولو لم يكن لها رغبة فيكم لما خاصمتني عليكم .

٣ الظبية الغزالة . وهي مبتدأ مؤخر خبره منعمة أو فاعل لمنعمة سد مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام . والولي المطر الثاني . والوسمي المطر الأول . والنائل العطاء يريد به الوصال . يقول : إنها بدأت بالوصال ثم لم تعد إليه فهل تنعم به مرة أخرى .

٤ الترشف الامتصاص . والسحرة بمعنى السحر . والظلم ماء الأسنان وريقها . أي أن ذلك هيج نار وجده فكأنه ترشف من برودة فمها حراً .

٥ النكهة رائحة الفم . والمندلي عطر ينسب إلى المندل من بلاد الهند . والقرقف من أسماء الخمر . والصهباء الحمراء إلى البياض . وهذه الأشياء معطوفة على فاعل تساوى في البيت السابق. قال الواحدي: النكهة لا طعم لها لأنها رائحة الفم لكنه احتاج إلى القافية فذكر الطعم فأفسد. انتهى بتصرف.

جَفَتْني كأنّي لَستُ أنطَقَ قَومِها وأطعنَهم والشُّهبُ في صورةِ الدُّهمِ [1]
يُحاذِرُني حَتْفي كأنّيَ حَتْفُهُ وتَنكُزُني الأفعَى فيَقتُلُها سُمّي [2]
طِوالُ الرُّدَينيّاتِ يَقْصِفُها دَمي وبيضُ السُّرَيجيّاتِ يَقطَعُها لَحمي [3]
بَرَتْني السُّرَى بَرْيَ المُدى فرَدَدْنَني أخَفُّ على المَركوبِ من نَفَسي جِرْمي [4]
وأبصرَ من زرقاءِ جَوٍّ لأنّني متى نَظَرَتْ عَيْنايَ ساواهما عِلمي [5]
كأنّي دحوْتُ الأرضَ من خبرتي بها كأنّي بَنَى الإسكَندرُ السدَّ من عزْمي [6]

....

١ انطق تفضيل من النطق أي افصح . والشهب من صفات الخيل وهي التي في لونها بياض قد غلب على السواد . والدهم السوداء محضاً . يريد تغير ألوانها من الدم الغبار حتى يسود ما فيها من البياض .

٢ الحتف الموت . والأفعى حية خبيثة . ونكزته الحية لسعته بأنفها .

٣ الردينيات الرماح نسبة إلى ردينة وهي امرأة كانت تقوم الرماح . والسريجيات السيوف منسوبة إلى قين اسمه سريج .

٤ برتني أي هزلتني مأخوذ من بري السهم وهو نحته حتى يدق . والسرى جمع سرية وهي سير الليل . والمدى السكاكين . والجرم الجسد وهو مبتدأ مؤخر خبره أخف والجملة حال أو مفعول ثان لرددنني . ويجوز نصب أخف على أنها هي الحال أو المفعول الثاني وجعل جرمي بدل بعض من الياء في رددنني ولا يجوز جعله فاعلا لأخف لأن أفعل التفضيل لا يرفع الظاهر إلا في مسألة الكحل .

٥ نصب أبصر عطفاً على محل الجملة في البيت السابق أو على لفظ أخف فيمن نصبه . والزرقاء اسم امرأة من أهل جو وهي قصبة اليمامة يضرب بها المثل في حدة البصر . وقوله ساواهما علمي أي أن عينيه لا تسبقان علمه بمعرفة المنظورات يعني أنه يدرك الأشياء مهما كانت بعيدة عند أول وقوع نظره عليها فلا يعرض له الشك فيها . ويروى شاءاها علمي أي سابقهما إلى المرئي وهي مفاعلة من الشأو بمعنى الغاية والأمد .

٦ الدحو البسط . والسد الحاجز . يصف كثرة أسفاره في الأرض واطلاعه على كل ما فيها وما له من صلابة العزم والقوة على الأسفار واحتمال المشقات . والمراد بالسد المذكور في القرآن قالوا وهو بناء من حديد ونحاس بناه الاسكندر بين يأجوج ومأجوج وسائر البلاد .

لألقَى ابنَ إسحقَ الذي دَقّ فَهْمُهُ ... فأبْدَعَ حتى جَلّ عن دِقّةِ الفَهْمِ [1]

وأسْمَعَ مِنْ ألفاظِهِ اللّغَةَ التي ... يَلَذّ بها سمعي ولَوْ ضُمّنَتْ شَتمي

يَمينُ بني قَحطانَ رأسُ قُضاعَةٍ ... وعِرْنينُها بدرُ النّجومِ بَني فَهْمِ [2]

إذا بَيّتَ الأعداءَ كانَ سَمَاعُهُمْ ... صَريرَ العَوَالي قبلَ قَعقَعَةِ اللُّجْمِ [3]

مُذِلُّ الأعزّاءِ المُعِزُّ وإنْ يَئِنْ ... بهِ يُتْمُهُمْ فالمُوتِمُ الجابرُ اليُتْمِ [4]

وإنْ تُمْسِ داءً في القُلُوبِ قَنَاتُهُ ... فمُمْسِكُها منهُ الشّفاءُ منَ العُدْمِ [5]

مُقَلَّدُ طاغي الشّفرَتَينِ مُحَكَّمٍ ... على الهامِ إلاّ أنّهُ جائرُ الحُكْمِ [6]

تَحَرّجَ عَنْ حَقْنِ الدّماءِ كأنّهُ ... يرَى قتلَ نفسٍ ترْكَ رأسٍ على جسْمِ [7]

---

١ اللام متعلقة بقوله برتني . وأبدع أي جاء بالأمور البديعة وهي ما لم يسبق له مثال . وجل عن الشيء عظم . أي أنه دق فهمه حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة أو حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه يعلم المغيبات .

٢ قحطان أبو قبائل اليمن . وقضاعة قبيلة منهم . وبنو فهم حي من قضاعة وهم رهط الممدوح . والعرنين السيد . مأخوذ من عرنين الأنف وهو ما تحت ملتقى الحاجبين .

٣ بيت الأعداء طرقهم ليلاً . والصرير والقعقعة من مرادفات الصوت . والعوالي صدور الرماح . أي يسمعون صرير الأسنة في ضلوعهم قبل أن يسمعوا قعقعة اللجم من إسراعه وتلطفه .

٤ يئن مضارع آن بمعنى حان . وقوله به أي على يديه . والموتم اسم فاعل من أيتم وهو مبتدأ خبره ما بعده . أي هو مذل الأعزاء من أعدائه معز الأذلاء من أوليائه والذين يوتمهم يجبر يتمهم لأنه إذا قتل الآباء أحسن إلى أيتامهم وكفلهم بنعمته .

٥ القناة الرمح . ويريد بممسكها شخصه ومنه للتجريد . والعدم الفقر .

٦ الطاغي الجائر المسرف وهو صفة للسيف . وشفرتاه حداه . والهام الرؤوس . وصف سيفه بذلك يريد أنه لما حكمه في رؤوس الأعداء جار في حكمه وأسرف لأنه حكم بقتلهم جميعاً ولم يبق منهم أحداً .

٧ تحرج عن الشيء امتنع عنه تأثماً والضمير للسيف . وحقن الدماء حبسها وإمساكها . أي أن سيفه

وَجَدْنا ابنَ إسحقَ الحُسينَ كحَدّهِ على كَثْرَةِ القَتلى بَريئاً من الإثْمِ[1]
مَعَ الحَزْمِ حتى لوْ تَعَمّدَ تَرْكَهُ لألحَقَهُ تَضييعُهُ الحَزْمَ بالحَزْمِ[2]
وفي الحَرْبِ حتى لوْ أرادَ تأخّراً لأخّرَهُ الطّبْعُ الكَريمُ إلى القُدْمِ[3]
لَهُ رَحمَةٌ تُحيِي العِظامَ وغَضْبَةٌ بها فَضْلَةٌ للجُرْمِ عن صاحبِ الجُرْمِ[4]
ورِقّةُ وجْهٍ لوْ خَتَمْتَ بنَظرَةٍ على وَجْنَتَيْهِ ما انمَحَى أثَرُ الخَتمِ[5]
أذاقَ الغَواني حُسنُهُ ما أذَقْنَني وعَفّ فجازاهنّ عني على الصَّرْمِ[6]

يتجنب حقن الدماء كأنه يرى العفو عن القتل محرماً كما يرى غيره القتل .

١ الضمير في حده للسيف . أي أنه مع كثرة قتلاه غير آثم فيهم لأنه لا يقتل أحداً ظلماً فهو كحد السيف كثير القتل ولا إثم عليه .

٢ الظرف متعلق بقوله وجدنا . والحزم ضبط الأمور وأخذها بالثقة . والضمير في ألحقه للممدوح . وتضييعه فاعل ألحقه . والحزم مفعول تضييعه . وبالحزم صلة ألحقه . أي وجدناه كحد السيف فيما ذكر لكنه مخالف له في مقارنته للحزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازماً لأن الحزم ملازم له في جميع أحواله وأفعاله . ويمكن أن يكون المعنى أنه لو تعمد ترك ما هو حزم في بادي الرأي لم يكن تركه إلا لأمر يقتضيه الحزم لأنه يرى ما لا يرى غيره ولا يضع الأشياء إلا مواضعها .

٣ في الحرب معطوف على مع الحزم . والقدم التقدم . أي ووجدناه في الحرب كحد السيف في الإقدام حتى لو نوى التأخر لأخره عنه كرم طبعه إلى التقدم فكان تأخره تقدماً .

٤ الجرم الذنب . أي أن غضبه يفني المجرم وتبقى منه فضلة تفني الجرم الذي اجترمه أيضاً بمعنى أنه بعد تنكيله بالمجرم لا يجترىء أحد أن يأتي مثل جرمه خوفاً من غضبه فغضبه يفني المجرم وجرمه .

٥ رقة الوجه كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه حتى لو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم ثم لا يذهب ذلك الأثر ولا ينمحي .

٦ الغواني جمع الغانية وهي التي غنيت بجمالها عن الحلي . والصرم الهجر والمقاطعة . أي أنه لحسنه تعشقه النساء ولكنه يصد عنهن عفة فيكون ذلك جزاء لهن على مصارمتي .

فِدًى مَنْ على الغَبراءِ أوّلُهُمْ أنَا ... لهذا الأبيّ الماجدِ الجائدِ القَرْمِ[1]

لقد حالَ بينَ الجنِّ والأمنِ سَيفُهُ ... فما الظنّ بعد الجنّ بالعُرْبِ والعُجمِ[2]

وأرْهَبَ حتى لوْ تَأمّلَ دِرْعَهُ ... جرَتْ جزَعاً من غَيرِ نارٍ ولا فَحمِ[3]

وجَادَ فلَوْلا جُودُهُ غيرَ شاربٍ ... لَقُلْنا كَريمٌ هَيّجَتْهُ ابنَةُ الكَرْمِ[4]

أطَعْناكَ طوْعَ الدّهرِ يابنَ ابنِ يوسُفٍ ... بشَهْوَتِنا والحاسدُو لكَ بالرّغْمِ[5]

وَثِقْنا بأنْ تُعْطي فلَوْ لم تَجُدْ لَنا ... لَخلناكَ قد أعطَيتَ من قوّةِ الوَهْمِ[6]

دُعيتُ بتَقْريظيكَ في كلّ مَجلِسٍ ... فظَنّ الذي يَدعو ثَنائي عليكَ اسمي[7]

وأطْمَعتَني في نَيْلِ ما لا أنالُهُ ... بما نِلْتُ حتى صرْتُ أطمَعُ في النجمِ

إذا ما ضَرَبْتَ القِرْنَ ثمّ أجزْتَني ... فَكِلْ ذَهَباً لي مَرّةً منهُ بالكَلْمِ[8]

---

١ فدى خبر عن الموصول بعده . والغبراء الأرض . والأبي العزيز النفس . والقرم السيد .

٢ حال اعترض . أي أن سيفه أخاف الجن حتى حجز بينهم وبين الأمن فكيف الناس .

٣ أرهب خوف . والجزع ذهاب الصبر من شدة الخوف . أي أنه أرهب كل أحد حتى إنه لو نظر إلى درعه لذابت من خوفه .

٤ غير شارب حال من الضمير في جوده . وابنة الكرم كناية عن الخمر .

٥ قوله طوع الدهر أي كطوعنا للدهر على أن المصدر مضاف إلى مفعوله . ويحتمل أن يكون مضافاً إلى فاعله أي كطوع الدهر لك . وقوله والحاسدو لك يريد الحاسدوك فزاد اللام أو الحاسدون لك فحذف النون . ويروى والحاسدونك بالنون مكان اللام وكله من شوارد الاستعمال .

٦ خلناك أي حسبناك . وقوله من قوة الوهم متعلق بخلناك . والوهم التخيل .

٧ التقريظ المدح . وقوله الذي يدعو أراد يدعوني فحذف المفعول . والثناء الوصف وغلب على الوصف بالمادح وهو مفعول أول لظن . وعليك متعلق بثنائي . واسمي مفعول ثان . يقول : إني قد اشتهرت بمدحك بين الناس حتى سموني مادح فلان وصار الذي يريد أن يدعوني يناديني بهذا اللفظ لظنه أني مسمى به .

٨ القرن الكفؤ في الحرب . والكلم الجرح . يصفه بسعة الضربة وبعد غور الجرح يقول : إذا أردت

أبَتْ لكَ ذَمّي نَخْوَةٌ يَمَنِيَّةٌ ونَفسٌ بها في مأزِقٍ أبَداً تَرْمي[1]

فكَمْ قائِلٍ لو كانَ ذا الشخصُ نفسَهُ لكانَ قَراهُ مكمَنَ العسكرِ الدَّهْمِ[2]

وقائِلَةٍ والأرْضَ أعْني تَعَجّباً عليَّ امرُؤٌ يمشي بوَقري من الحلْمِ[3]

عَظُمْتَ فلَمّا لم تُكَلَّمْ مَهابَةً تواضَعتَ وهوَ العُظمُ عُظماً عنِ العُظمِ[4]

....

أن تجيزني وقد ضربت أحد أقرانك في الحرب فاجعل جائزتي ملء جرحه ذهباً فإنه يكون كافلا لي بالغنى .

١ النخوة الكبر أراد بها ترفعه عن الدنايا والنقائص . ويروى نخوة عربية . والمأزق المضيق يكنى به عن ساحة الحرب . أي أن ما عندك من النخوة والبأس يمنع ذمي لك إذ لا موضع له فيمن كان على هذا الوصف .

٢ القرا الظهر . والمكمن المخبأ . والدهم الكثير . يقول : إن نفسك قد بلغت أعظم مبلغ من الكبر حتى لو كان شخصك على قدر عظمتها لاختفى وراء ظهرك العسكر العظيم .

٣ قائلة مجرورة برب مضمرة بعد الواو . والأرض مفعول أعني والجملة اعتراض . وتعجباً مفعول له أو حال وهو من صلة قائلة . ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقاً لفعل محذوف أي أتعجب تعجباً . وعلي خبر مقدم عن قوله امرؤ . وجملة يمشي نعت . والوقر الثقل يريد بمثل وقري . والحلم الرزانة . يعني أن ثقل حلمه يوازن ثقل الأرض .

٤ قوله وهو العظم الضمير يرجع إلى المصدر المفهوم من قوله تواضعت أي التواضع . والجملة معترضة . وعظماً مصدر في موضع الحال عن التاء في تواضعت . وعن العظم متعلق بعظماً . يقول : عظمت حتى لم يجسر أحد أن يكلمك هيبة لك فلما رأيت ذلك تواضعت متعظماً عن طلب العظمة وهذا التواضع هو عين العظمة لك لأن تواضع الشريف شرف له .

أغار من الزجاجة !

دخل على علي بن إبراهيم التنوخي ، فعرض عليه
كأساً بيده فيها شراب أسود فقال ارتجالا :

إذا ما الكأسُ أرْعشَتِ اليَدَينِ صَحَوْتُ فلم تَحُلْ بَيْني وبَيْني [1]
هجَرْتُ الخمرَ كالذّهبِ المُصَفّى فخَمري ماءُ مُزْنٍ كاللُّجَينِ [2]
أغارُ مِنَ الزّجاجَةِ وهْيَ تَجري على شَفَةِ الأميرِ أبي الحُسَينِ
كأنّ بَياضَها والرّاحُ فيهـا بَياضٌ مُحْدِقٌ بسَوادِ عَيْنِ [3]
أتَيْناهُ نُطالِبُـهُ بِرِفْـدٍ فَطالَبَ نَفْسَهُ منهُ بدَينِ [4]

---

١ أي بيني وبين نفسي . يقول : إذا كان غيري يشرب الخمر حتى تضطرب يداه من السكر فإني أبقى على صحوي لأني لا أشربها فلا تحول بيني وبين حواسي :

٢ كالذهب المصفى حال من الخمر . والمزن جمع مزنة وهي السحابة البيضاء . واللجين الفضة .

٣ الضمير في بياضها للزجاجة . والراح الخمر . وأحدق به أحاط .

٤ الرفد العطاء . يقول : سألناه الرفد على سبيل الهبة فإذا هو يعده على نفسه ديناً واجب الأداء لفرط كرمه وأريحيته .

يسعى على قدم الخضر

وشرب على تلك الكأس فقال له ارتجالا :

مَرَتْكَ ابنَ إبراهيمَ صافيةُ الخَمْرِ ... وهُنِّئْتَها من شاربٍ مُسكرِ السُّكرِ[1]

رأيْتُ الحُمَيّا في الزّجاجِ بكَفّهِ ... فشَبّهْتُها بالشمسِ في البدرِ في البحرِ[2]

إذا ما ذكَرْنا جُودَهُ كانَ حاضِراً ... نأى أوْ دَنا يسعى على قدمِ الخِضْرِ[3]

---

١ قال الواحدي: في قوله مرتك نوعان من الضرورة أحدهما أنه كان يجب أن يقول أمرأتك لأنه إنما يقال مرأك إذا كان مع هنأك فإذا أفرد قالوا أمرأني الطعام . والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله مسكر السكر أي أنه يغلب السكر والسكر لا يغلبه أو أن السكر يستحسن شمائله فيسكر بها .

٢ الحميا أي الخمر .

٣ الضمير في كان للجود . وفي نأى ودنا للممدوح . يقول : نحن أينما ذكرنا جوده كان حاضراً كالخضر فيما يقال لا يذكر في مكان إلا حضر . يعني أن جوده يدركنا حيثما كنا .

كن كالموت لا يرثي لباك

يمدحه أيضاً :

أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحَـادِ لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتّنادِي[1]
كأنّ بَنَاتِ نَعْشٍ في دُجَاهَا خَرائِدُ سافراتٌ في حِدادِ[2]
أفَكّرُ في مُعاقَرَةِ المَنَايَا وقَوْدِ الخَيْلِ مُشرِفَةَ الهَوادي[3]
زَعيمٌ للقَنَا الخَطّيّ عَزْمي بسَفْكِ دمِ الحَواضرِ والبَوادي[4]

١ قوله أحاد أراد أأحاد فحذف الهمزة وهو ضرورة . وأحاد من الصيغ التي يراد بها توارد المعدود على العدد المصوغة منه، يقال جاؤوا أحاد أي واحداً واحداً . وهو مسموع عن العرب إلى الأربعة وقاسه المولدون إلى العشرة . والليلة تصغير ليلة وهو من تصغير التعظيم . والمنوطة المعلقة . والتنادي كناية عن القيامة . يقول : إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة فهي لطولها بمنزلة ليالي الدهر كلها إلا أن كل واحدة من تلك الليالي طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال في ليلة على جعل الليلة ظرفاً للست الأخر فصارت سبع ليال . يعني أن ليلته دهر بلياليه وكل ليلة منه أسبوع وهي نهاية المبالغة في الطول .

٢ بنات نعش كواكب معروفة . وقوله في دجاها حال من بنات نعش عاملها معنى التشبيه . والضمير في دجاها لقوله لييلتنا . والخرائد النساء الحييات . والسافرات الكاشفات عن وجوههن . وفي حداد متعلق بسافرات أو حال من الضمير المستتر فيها .

٣ المعاقرة الملازمة . والمراد بالمنايا الحرب لأنها من لوازمها . والمشرف العالي المستطيل . والهوادي الأعناق .

٤ الزعيم الكفيل وهو خبر مقدم عن عزمي . والقنا الرماح . والخطي المنسوب إلى خط هجر وهو موضع اليمامة . وقوله دم الحواضر والبوادي أي دم سكانها وهما جمع حاضرة وبادية . والحاضرة اسم يقع على المدن والقرى والريف ، وما سواها البادية وهي الصحراء .

إلى كمْ ذا التخلّفُ والتّواني — وكمْ هذا التّمادي في التّمادي[1]

وشُغلُ النّفسِ عن طلَبِ المَعالي — ببَيعِ الشّعرِ في سوقِ الكَسادِ[2]

وما ماضي الشّبابِ بمُستَرَدّ — ولا يَوْمٌ يَمُرّ بمُستَعادِ

متى لحَظَتْ بَياضَ الشّيبِ عيني — فقد وَجَدَتْهُ منها في السّوادِ[3]

متى ما ازْدَدْتُ من بعدِ التّناهي — فقد وقَعَ انتِقاصي في ازْدِيادي[4]

أأرْضَى أنْ أعيشَ ولا أُكافي — على ما للأميرِ مِنَ الأيادي[5]

جزَى اللهُ المَسيرَ إلَيْهِ خَيْراً — وإنْ تَرَكَ المَطَايا كالمَزادِ[6]

فلَمْ تَلقَ ابنَ إبْراهيمَ عَنْسِي — وفيها قُوتُ يَوْمٍ للقُرادِ[7]

ألَمْ يَكُ بَيْنَنا بَلَدٌ بَعيدٌ — فَصَيّرَ طُولَهُ عَرْضَ النّجادِ[8]

---

١ التخلف التأخر . والتواني التقصير . والتمادي في الأمر بلوغ مداه وهو غايته أي وكم أتمادى في التقصير تمادياً متتابعاً .

٢ شغل معطوف على قوله ذا التخلف . والباء من قوله ببيع متعلقة بشغل . أي وإلى كم أشغل نفسي عن طلب المعالي بنظم الشعر في مدح من لا قيمة عنده للشعر .

٣ أي متى رأت بياض الشيب كرهته كأنها رأته في سوادها فعميت به .

٤ أي إذا بلغ الشباب نهايته فزيادة العمر بعد ذلك تفضي إلى النقصان بما ينشأ عنها من الضعف .

٥ النعم .

٦ المطايا الإبل . والمزاد جمع مزادة وهي قربة الماء . يعني أن إبلنا قد هزلت من طول السير فضمرت أبدانها وانزوى جلدها حتى صارت كالمزاد التي كانت معنا بعد جفاف مائها لطول السفر .

٧ العنس الناقة الصلبة . والقراد دويبة تتعلق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للإنسان . يعني أن ناقته لم تصل إلى الممدوح وفيها من الدم ما يقوت القراد يوماً واحداً .

٨ الضمير في صير للمسير . والنجاد حمائل السيف . يعني أن السير قرب بينه وبين الممدوح حتى لم يبق بينهما إلا عرض النجاد وهو غاية القرب .

وأبْعَدَ بُعْدَنا بُعْدَ التّداني وقَرّبَ قُرْبَنا قُرْبَ البِعَادِ[1]
فلَمّا جِئْتُهُ أعْلَى مَحَلّي وأجلَسَني على السّبْعِ الشِّدادِ[2]
تَهَلّلَ قَبْلَ تَسليمي علَيْهِ وألْقَى مالَهُ قَبْلَ الوِسَادِ[3]
نَلُومُكَ يا عَليّ لغَيرِ ذَنْبٍ لأنّكَ قد زَرَيْتَ على العِبَـادِ[4]
وأنّكَ لا تَجُودُ على جَوادٍ هِباتُكَ أنْ يُلَقَّبَ بالجَوادِ[5]
كأنّ سَخاءَكَ الإسلامُ تَخشَى إذا ما حُلتَ عاقِبَةَ ارتِدادِ[6]
كأنّ الهَامَ في الهَيْجا عُيُونٌ وقد طُبِعتْ سُيُوفُكَ من رُقادِ[7]
وقد صُغتَ الأسِنّةَ من هُمومٍ فَما يَخْطُرْنَ إلاّ في الفُؤادِ[8]

---

١ الضمير في الفعلين للمسير . والمصدر الأول من كل من الشطرين مفعول به . والمصدر الثاني مفعول مطلق . أي أنه جعل البعد بعيداً عنا بقدر ما كان بعد التداني وصير القرب قريباً منا بقدر ما كان قرب البعاد . يعني أننا كنا في غاية البعد فصيرنا في غاية القرب .

٢ أي السبع السموات . والشداد المحكمة الصنعة . أي رفع منزلتي في مجلسه حتى نلت من الرفعة ما صرت به كأنني فوق السموات .

٣ تهلل أي تلألأ وجهه بشراً . والوساد ما يتكأ عليه .

٤ زرى عليه حقره . أي أنك قد حقرت أفعال الناس ومناقبهم بزيادتك عليهم .

٥ الجواد الكريم . وهباتك فاعل تجود . أي أن هباتك لا تسمح لكريم أن يسمى كريماً بالنسبة إليك .

٦ حلت أي تغيرت . يقول : كأنك إذا تغيرت عن حالة السخاء تخاف العقاب على ذلك كما يخاف المرتد عن الإسلام أن يعاقب بالقتل ودخول النار .

٧ الهام الرؤوس . والهيجا من أسماء الحرب تمد وتقصر . وطبع السيف طرقه وعمله. يعني أن سيوفه قد ألفت الرؤوس ألفة الرقاد للعين فهي لا تحل إلا فيها ولا تقع إلا عليها .

٨ الأسنة نصال الرماح . ويخطرن يجوز فيه ضم الطاء على إرادة الهموم وكسرها على إرادة الرماح . والفؤاد القلب وقيل ما يتعلق بالمريء من رئة وكبد وقلب . ومعنى البيت على حد الذي سبقه .

ويَوْمَ جَلَبْتَها شُعْثَ النَّواصِي   مُعَقَّدَةَ السَّبائِبِ للطِّرادِ[1]
وحامَ بها الهَلاكُ على أُناسٍ   لَهُمْ باللاّذِقِيَّةِ بَغْيُ عادِ[2]
فكانَ الغَرْبُ بَحْراً مِن مِياهٍ   وكانَ الشَّرْقُ بَحراً من جِيادِ[3]
وقد خَفَقَتْ لكَ الرّاياتُ فيهِ   فَظَلَّ يَمُوجُ بالبِيضِ الحِدادِ[4]
لَقُوكَ بأكْبُدِ الإبِلِ الأبَايَا   فسُقْتَهُمُ وحَدُّ السَّيفِ حادِ[5]
وقد مزَّقتَ ثَوْبَ الغَيِّ عنهمْ   وقَدَ ألْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرَّشادِ[6]
فَما تَرَكُوا الإمارَةَ لاخْتِيارٍ   ولا انتَحلَوا وِدادَكَ من وِدادِ[7]
ولا اسْتَفَلُوا لزُهْدٍ في التَّعالي   ولا انْقادوا سُرُوراً بانْقِيادِ[8]

---

١ يوم منصوب بمحذوف أي أذكرك ذلك اليوم . والضمير في جلبتها للخيل استغنى عن تقدم ذكرها بدلالة القرائن عليها . والأشعث المغبر . والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس. وجعلها شعث النواصي لكثرة الغارات وتواصلها . والسبائب شعر العرف والذنب وكانوا يعقدونه عند الحرب .

٢ حام دار يقال حام الطير على الماء إذا دار حوله للشرب . والباء من بها متعلقة بحام والضمير للخيل . والبغي الظلم . وعاد من القبائل البائدة .

٣ الجياد الخيل . شبه خيل الممدوح بالبحر لكثرتها وتموجها وما عليها من بريق أسلحة الفرسان . يريد أن العدو كان محصوراً بين بحرين أحدهما من الجانب الغربي وهو بحر الماء والآخر من الجانب الشرقي وهو جيش الممدوح .

٤ خفقت الراية اضطربت . والضمير من قوله فيه لبحر الجياد . والبيض السيوف . والحداد الرقاق .

٥ الأبايا جمع أبية وهي الممتنعة . أي لقوك بأكباد غليظة كأكباد الإبل التي امتنعت على أربابها فذللتهم وسقتهم سوق الإبل وجعلت السيف حادياً وراءهم .

٦ أي أخرجتهم من ضلال المعصية إلى رشاد الطاعة .

٧ انتحل الشيء ادعاه . وقوله من وداد تعليل أي ولا ادعوا ودادك لأنهم يودونك حقيقة .

٨ استفلوا أي انحطوا . وبانقياد متعلق بقوله سروراً .

ولكن هَبَّ خوفُكَ في حَشاهُمْ   هُبُوبَ الرِّيحِ في رِجلِ الجَرادِ[1]

وماتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمِ فَلَمّا   مَنَنْتَ أعَدْتَهُمْ قَبْلَ المَعادِ[2]

غَمَدْتَ صَوارِماً لَوْ لم يَتُوبوا   مَحَوْتَهُمُ بها مَحْوَ المِدادِ[3]

وما الغضَبُ الطّريفُ وإنْ تَقَوّى   بمُنْتَصِفٍ منَ الكَرَمِ التّلادِ[4]

فَلا تَغْرُرْكَ ألْسِنَةٌ مَوالٍ   تُقَلّبُهُنّ أفْئِدَةٌ أعادي[5]

وكنْ كالمَوْتِ لا يَرْثي لباكٍ   بكَى منهُ ويَرْوَى وهْوَ صادِ[6]

فإنّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعدَ حينٍ   إذا كانَ البِناءُ على فَسادِ[7]

وإنّ المَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمادٍ   وإنّ النّارَ تَخْرُجُ من زِنَادِ[8]

---

١ هب ثار . والرجل من الجراد القطعة منه . والبيت استدراك على البيتين السابقين يقول : إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إيثاراً لفعله ولكنك اضطررتهم إليه ففعلوه خوفاً منك .

٢ أي ماتوا خوفاً منك قبل أوان موتهم فلما مننت بالعفو عنهم أحييتهم قبل يوم النشور .

٣ الصوارم جمع صارم وهو السيف القاطع . والمداد الحبر .

٤ الطريف المستحدث . وانتصف منه استوفى حقه . والتلاد القديم الموروث . يعني أن الغضب الطارىء مهما اشتد وتقوى لطلب الانتقام لا يغلب على الكرم الموروث الذي يقتضي الصفح فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

٥ الموالي جمع المولى وهو الصديق . والأفئدة جمع فؤاد . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك الصداقة وقلوبهم تبطن العداوة فلا تغتر بظاهرهم .

٦ الصادي العطشان . أي يشرب ما يرويه ولا يزال مشتاقاً إلى الشرب .

٧ نفر الجرح هاج وورم . وقوله إذا كان البناء على فساد أي إذا كان برؤه مبنياً على فساد في غوره . والمعنى أنهم يطوون العداوة في أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة .

٨ يريد بالجماد الصخر . والزناد جمع الزند وهو العود الذي تقدح به النار . وكل ذلك تحذير له من أعدائه أن لا يغفل عنهم وإن لم يكونوا أكفاء له فيضرب له هذه الأمثال .

وكيفَ يَبيتُ مُضْطَجِعاً جَبانٌ ... فَرَشْتَ لجَنْبِهِ شَوْكَ القَتادِ[1]

يَرَى في النَّوْمِ رُمْحَكَ في كُلاهُ ... ويَخشَى أنْ يَراهُ في السُّهادِ[2]

أشِرْتُ أبا الحُسَيْنِ بمَدحِ قوْمٍ ... نزَلتُ بهِمْ فسِرْتُ بغَيرِ زادِ[3]

وظَنّوني مَدَحْتُهُمُ قَديماً ... وأنْتَ بما مَدَحتُهُمُ مُرادي[4]

وإنّي عَنْكَ بَعدَ غَدٍ لَغَادٍ ... وقَلبي عَنْ فِنائِكَ غَيرُ غَادِ[5]

مُحِبُّكَ حَيثُما اتّجَهَتْ رِكابي ... وضَيفُكَ حيثُ كنتُ منَ البلادِ[6]

---

١ يريد بالجبان عدوه . والقتاد شجر له شوك . يقول : كيف يبيت عدوك مضطجعاً وكلما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القتاد من خوفك . يعني أنه لا يزال متيقظاً لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد بك ودفع خوفك عنه .

٢ أي في السهر . وذلك لشدة ارتياعه وقلقه .

٣ كل من روى هذا البيت رواه بفتح الشين والتاء على أنه من الإشارة كأن الممدوح أشار على المتنبي بمدح أولئك القوم وهو مستبعد . والأظهر أنه بكسر الشين وضم التاء على أنه من الأشر وهو الفرح بالشيء والاغترار به كأنه يقول إني اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً ورحلت عنهم بغير زاد .

٤ أي ظنوا أن مدحي كان لهم وإنما كنت أمدحهم وأعنيك بذلك المدح لأنك تستحقه دونهم وهو معنى غير مستحسن .

٥ الغدو الذهاب صباحاً ثم كثر حتى استعمل في مطلق الذهاب أيّ وقت كان . والفناء الساحة والمنزل . يعني أنا مرتحل عنك وقلبي باق عندك .

٦ أي أني لا أزال محبك على القرب والبعد وحيثما نزلت فأنا ضيفك لأني أنفق من فضلة عطاياك .

فكيف علوت حتى لا رفيعا

يمدحه أيضاً :

مُلِثَّ القَطْرِ أعْطِشْها رُبُوعَا وإلاَّ فاسْقِهَا السمَّ النَّقيعَا[1]

أُسائِلُهَا عَنِ المُتَدَيّريهَا فَلا تَدري ولا تُذْري دُمُوعَا[2]

لحَاهَا اللهُ إلاَّ ماضِيَيْهَا زَمَانَ اللَّهْوِ والخَوْدَ الشَّمُوعَا[3]

مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَةٌ رَدَاحٌ يُكَلِّفُ لَفظُها الطَّيرَ الوُقُوعَا[4]

كأنَّ نِقابَهَا غَيْمٌ رَقيقٌ يُضيءُ بمَنْعِهِ البَدْرَ الطُّلُوعَا[5]

أقُولُ لها اكشِفي ضُرّي وَقَوْلي بأكْثَرَ مِنْ تَدَلّلِها خُضُوعَا[6]

---

١ الملث الدائم المقيم . والقطر المطر . وربوعاً تمييز . والسم النقيع المربى. يقول : يا أيها السحاب الدائم المطر اعطش هذه الربوع وإن سقيتها فاسقها السم بدل الماء .

٢ تدير المكان اتخذه داراً . وأذرى الدمع أسقطه مأخوذ من إذراء الحب للزراعة . وفي هذا البيت تعليل لما قبله أي أنه يأمر القطر بذلك لأنه يسألها عن أهلها فلا تجيبه ويبكي فلا تبكي معه .

٣ يقال لحاه الله أي قبحه ولعنه . وزمان بدل تفصيل من قوله ماضييها . والخود الجارية الناعمة وهي معطوفة على زمان . والشموع اللعوب الضحوك .

٤ الرداح الثقيلة الأوراك . والطير مفعول أول لقوله يكلف . والوقوع مفعول ثان . يصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام يقول : إذا سمعت الطير لفظها وقعت عليها تناغيها .

٥ البدر مفعول أول لمنعه . والطلوع مفعول ثان . يشبه نقابها بالغيم الرقيق ووجهها تحته بالبدر يقول: إنها سترت وجهها بالنقاب فشف عن ضوء محاسنها كما يشف الغيم الرقيق عن ضوء البدر .

٦ قولي مبتدأ خبره الظرف بعده . وخضوعاً تمييز . أي خضوعي لها في قولي هذا أكثر من تدللها . يشير إلى أنها كثيرة الدلال ولكن خضوعه لها أكثر .

أَخِفْتَ اللهَ في إحْيَاءِ نَفْسٍ ... مَتى عُصِيَ الإلَهُ بأنْ أُطيعَا[١]

غَدا بِكَ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهَاماً ... وأصْبَحَ كلُّ مَسْتُورٍ خَليعَا[٢]

أُحِبُّكَ أوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ ... ثَبيرَ أوِ ابنُ إبْراهِيمَ رِيعَا[٣]

بَعِيدُ الصِّيتِ مُنْبَثُّ السَّرايَا ... يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطِّفلَ الرَّضيعَا[٤]

يَغُضُّ الطَّرْفَ مِن مَكرٍ وَدَهْيٍ ... كأنَّ بهِ ولَيسَ بهِ خُشُوعَا[٥]

إذا اسْتَعْطَيْتَهُ ما في يَدَيْهِ ... فقَدْكَ سألتَ عن سِرٍّ مُذيعَا[٦]

قَبُولُكَ مَنَّهُ مَنٌّ عَلَيْهِ ... وَإنْ لا يَبْتَدىءْ يَرَهُ فَظيعَا[٧]

---

١ متى استفهامية . والاستفهام في كلا الشطرين للإنكار . يقول : لا تخافي أن يعاقبك الله إذا أحييت نفسي فإن إحياء النفوس مما يتقرب به إلى الله ويعد طاعة له والله لا يعصى بالطاعة .

٢ الخلو الخالي من الهوى . والمستهام الذي أذهب العشق عقله . والخليع يريد به الذي خلع العذار وتهتك في الهوى .

٣ أو الأولى بمعنى إلى أو إلا والفعل بعدها منصوب بإضمار أن . وثبير اسم جبل منع صرفه للوزن وهو جائز في الأعلام . ويروى ثبيراً وابن إبراهيم بتنوين ثبير والعطف بعده بالواو والرواية الأولى أجود . وابن إبراهيم الممدوح . وريع مجهول راعه أي خوفه . علق زوال محبته بما لا يمكن أن يكون وما لا يجوز أن يكون بحسب دعواه . يقول : إني لا أزال أحبك إلى أن يقال إن النمل جر هذا الجبل أو إن بعض الناس أخاف هذا الرجل يريد أن كل ذلك لا يكون فمحبته لا تزول .

٤ المنبث المنتشر . والسرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش .

٥ الدهي والدهاء النكر وجودة الرأي . وخشوعاً اسم كأن . واسم ليس ضمير الخشوع والجملة اعتراض . أي أنه يغض طرفه عمن يحادثه حتى يظن ذلك خشوعاً منه وإنما هو مكر ودهاء .

٦ استعطيته سألته أن يعطيك . وقدك بمعنى حسبك . والمذيع المفشي وهو مفعول سألت . يقول : إذا سألته كل ما يملكه لم يحوجك إلى تكرار السؤال لموافقته ميله وارتياحه فهو كالمولع بإفشاء الأسرار إذا سئل عن سره لارتياح طبعه إلى الإفشاء .

٧ المن النعمة . والفظيع القبيح المنكر. يقول : إذا قبلت عطاءه عد ذلك منة منك عليه لاستلذاذه العطاء

لِهُونِ المَالِ أفْرَشَهُ أديماً وللتفريقِ يَكْرَهُ أنْ يَضيعا[1]

إذا ضَرَبَ الأميرُ رِقابَ قَومٍ فَما لكَرامَةٍ مَدَّ النُّطُوعا[2]

فَلَيسَ بواهِبٍ إلاّ كَثيراً ولَيسَ بقاتِلٍ إلاّ قَريعا[3]

ولَيسَ مُؤدِّباً إلاّ بِنَصْلٍ كفى الصَّمصامةُ التَّعبَ القَطيعا[4]

عَلِيٌّ لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ مَجيءٍ مُبارِزَهُ ويَمْنَعُهُ الرُّجُوعا[5]

عَلِيٌّ قاتِلُ البَطَلِ المُفَدّى ومُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرَدِ النَّجيعا[6]

إذا اعْوَجَّ القَنَا في حامِليهِ وجازَ إلى ضُلوعِهِمِ الضُّلُوعا[7]

وإن لم يبتدىء بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً قبيحاً .

١ الهون الهوان . والأديم الجلد . وأفرشه إياه جعله فراشاً له . وكان الممدوح قد حمل إليه مال من الجبايات ففرش له أديماً وأمر بطرحه عليه . فيقول : إن ذلك الأديم لم يفرش لكرامة المال بل لهوانه لأنه يريد أن ينثره على الوفد والشعراء وهو يكره أن يضيع هذا المال لو ألقاه ناحية غير محفوظ لا لكي يدخره في خزائنه بل لكي يفرقه على الناس . وقد مثل لذلك بما ذكره في البيت الثاني .

٢ النطوع جمع النطع وهو ما يبسط تحت المقتول من جلد . يقول : إن النطع يبسط تحت المجرمين لضرب الرقاب لا للكرامة وكذلك هذا الاديم فرش تحت المال لإتلافه وتفريقه لا لصيانته وادخاره .

٣ القريع السيد الشريف . يريد وصفه بالتناهي في كرم النفس وعلو الهمة فهو إذا وهب وهب كثيراً وإذا قتل قتل سيداً شريفاً .

٤ النصل شفرة السيف . والصمصامة السيف الذي لا ينثني . والقطيع السوط يقد من جلد البعير . يريد أنه أقام سيفه في التأديب مقام سوطه فكفاه التعب .

٥ علي اسم الممدوح . يقول : إنه لا يرد أحداً عن مبارزته في الحرب ولكن من بارزه يمتنع عليه الرجوع إلى قومه لأنه لا يكون إلا قتيلا أو أسيراً .

٦ المفدى الذي يقول له الناس فديناك لما يرون من شجاعته . والزرد الدرع . والنجيع دم الجوف . أي أنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعاً مكان الدرع .

٧ يريد باعوجاج القنا التواءه من شدة الطعن . وقوله جاز إلى ضلوعهم الضلوع أي نفذ من ضلع

ونالَتْ ثـأرَها الأكبادُ مِنْهُ فأوْلَتْهُ انْدِقاقاً أوْ صُدوعَا[1]

فَحِدْ في مُلْتَقَى الخَيلَينِ عَنهُ وإنْ كُنتَ الخُبَعْثِنَةَ الشّجيعَا[2]

إنِ اسْتَجرَأتَ تَرْمُقُهُ بَعيداً فأنْتَ اسطَعْتَ شيئاً ما استُطيعَا[3]

وإنْ مارَيْتَني فارْكَبْ حِصاناً ومَثّلْهُ تَخِرَّ لَهُ صَريعَا[4]

غَمَامٌ رُبّما مَطَرَ انْتِقاماً فَأقْحَطَ وَدْقُهُ البَلَدَ المَريعَا[5]

رَآني بَعْدَمَا قَطَعَ المَطَايَا تَيَمُّمُهُ وقَطّعَتِ القُطُوعَا[6]

فَصَيّرَ سَيْلُهُ بَلَدي غَديراً وصَيّرَ خَيْرُهُ سَنَتي رَبيعَا[7]

إلى أخرى يعني أنه يشق الضلع فينفذ منها إلى التي تليها .

١ نالت معطوف على قوله اعوج في البيت السابق . والضمير في منه للقنا . وأولته أي أنالته . والاندقاق الانكسار . والصدوع جمع صدع وهو الشق . أي انكسرت الرماح وتشققت في الأكباد لشدة الطعن فكأنها بذلك أدركت ثارها منها .

٢ حد أي مل وهو جواب قوله إذا اعوج القنا . وضمير منه للممدوح . والخبعثنة من أسماء الأسد .

٣ رمقه نظر إليه . وأراد أن ترمقه فحذف أن ورفع الفعل . وبعيداً حال من أحد الضميرين في ترمقه . واسطعت أصله استطعت فحذفت التاء تخفيفاً . يقول: إن كنت تجترىء أن تنظر إليه من بعيد فقد استطعت أمراً عظيماً لا يستطيعه غيرك .

٤ ماريتني أي جادلتني . ومثله أي صوره في نفسك . وتخر تسقط وهو جواب الأمر . والصريع المطروح على الأرض .

٥ أقحط الأرض أصابها بالقحط وهو الجدب . والودق المطر . والمريع الخصيب . يقول : هو غمام يمطر النعم فيحيي بها البلاد ولكنه أحياناً يمطر نقمة على أعدائه فيصير مطره البلد الخصيب مجدباً لما ينزل به من الدمار .

٦ المطايا الإبل . والتيمم القصد . والقطوع جمع قطع وهو الطنفسة تحت الرحل تغطي كتفي البعير . أي رآني بعدما طال سفري في قصده حتى قطع المطايا أي اعجزها عن المسير وقطعت هي ما عليها من الطنافس أي أبلتها لطول السير وإدمانه .

٧ الغدير القطعة من السيل يغادرها المطر . أي فاض علي بجوده فأسعد أحوالي وأيامي حتى كأني في

وجاوَدَني بأنْ يُعْطي وأحوي فأغْرَقَ نَيْلُهُ أخذي سَريعَا[1]

أمُنْسِيَّ السَّكونَ وحَضْرَمَوْتاً ووالِدَتي وكِنْدَةَ والسَّبِيعَا[2]

قدِ استَقصَيتَ في سَلبِ الأعادي فرُدَّ لهُمْ من السَّلَبِ الهُجُوعَا[3]

إذا ما لم تُسِرْ جَيْشاً إليْهِمْ أسَرْتَ إلى قُلُوبِهِمِ الهُلُوعَا[4]

رَضُوا بكَ كالرِّضَى بالشّيبِ قسراً وقد وَخَطَ النّواصِيَ والفُرُوعَا[5]

فلا عَزَلٌ وأنْتَ بِلا سِلاحٍ لحَاظُكَ ما تَكُونُ به مَنيعَا[6]

لَوِ استَبدَلتَ ذِهْنَكَ من حسامٍ قَدَدْتَ به المَغافِرَ والدُّرُوعَا[7]

بلد كله غدير وفي زمن كله ربيع .

١ جعل الأخذ منه جوداً عليه كما في قوله قبولك منّه منّ عليه فقال جاودني أي غالبني في الجود فكان يجود علي بالعطاء وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبني لأني لم أتمكن من التقاط كل ما يعطي لكثرته حتى طفح عطاؤه على أخذي فأغرقه .

٢ أسماء أماكن بالكوفة .

٣ استقصى في الأمر بالغ . والسلب الأول ، بسكون اللام ، مصدر . والثاني ، بفتحها ، بمعنى الشيء المسلوب . والهجوع النوم . يقول : إنك سلبت أعداءك كل شيء حتى النوم فامنن عليهم به فإنهم لا ينامون خوفاً منك .

٤ أشد الخوف . يقول : إذا لم تغزهم بجيشك غزوتهم بخوفك فلا يأخذهم قرار .

٥ القسر الرغم. ووخط الشيب الشعر خالطه. والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس . والفروع جمع فرع وهو الشعر التام . يقول إنهم صبروا على الخضوع لك كارهين كما يصبر الانسان على الشيب إذا جلل رأسه .

٦ العزل مصدر الأعزل وهو الذي لا سلاح معه . واللحاظ مؤخر العين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده . والمنيع الممتنع على من يطلبه . أي إذا كنت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح لأنك إذا نظرت إلى عدوك في الحرب ارتاع من هيبتك ولم يجسر على الإقدام عليك فصرت بذلك منيعاً .

٧ الحسام السيف القاطع . وقد الشيء قطعه . والمغافر جمع مغفر وهو زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس . يصفه بحدة الذهن وقوة الذكاء .

لوِ استَفرَغتَ جُهدَكَ في قِتالٍ أتَيْتَ بهِ على الدّنْيا جَميعَا[1]

سَمَوْتَ بهِمّةٍ تَسمُو فتَسْمُو فَما تُلْفَى بمَرْتَبَةٍ قَنُوعَا[2]

وهَبْكَ سَمَحتَ حتى لا جَوادٌ فكَيفَ علَوْتَ حتى لا رَفيعَا ؟[3]

الموج مثل الفحول

يمدحه أيضاً :

أحَقُّ عافٍ بدَمْعِكَ الهِمَمُ أحدَثُ شيءٍ عَهداً بها القِدَمُ[4]

وإنّما النّاسُ بالمُلُوكِ ومَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُها عَجَمُ

لا أدَبٌ عِندَهُمْ ولا حَسَبٌ ولا عُهُودٌ لهُمْ ولا ذِمَمُ

بكُلّ أرْضٍ وطِئْتُها أُمَمٌ تُرْعَى بعَبْدٍ كأنّها غَنَمُ[5]

---

١ الجهد الهمة والطاقة . وأتى على الشيء أهلكه .

٢ فاعل تسمو الأول الهمة وفاعل الثاني ضمير المخاطب ويجوز العكس . وتلفى أي توجد . يقول : سموت بهمة لا تزال تسمو بك فتسمو إلى المراتب العلية فأنت لا تقنع بمرتبة تقف عندها .

٣ هبك بمعنى احسب نفسك . يقول : احسب أنك جدت حتى لم تترك لأحد حقاً أن يسمى جواداً فكيف علوت حتى لم تترك لشيء حقاً أن يسمى رفيعاً .

٤ أحق بمعنى أولى وأجدر وهو خبر مقدم عن الهمم . والعافي الدارس . والقدم ضد الحدوث . يقول : إن الهمم التي اندرست في الناس أولى بالبكاء من الأطلال الدوارس وتلك الهمم قد درست منذ القدم فهو أحدث الأشياء عهداً بها ولا يعهدها أحد بعده .

٥ ترعى بعبد أي يرعاها عبد يريد عبيد الخلفاء من الأتراك .

يَسْتَخشِنُ الخَزَّ حينَ يَلْمُسُهُ ‏ ‏ ‏ وكانَ يُبْرَى بظُفْرِهِ القَلَمُ[1]

إنّي وإنْ لُمْتُ حاسديَّ فَمَا ‏ ‏ ‏ أُنْكِرُ أنّي عُقُوبَةٌ لَهُمُ[2]

وكَيفَ لا يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلَمٌ ‏ ‏ ‏ لَهُ على كلّ هامَةٍ قَدَمُ[3]

يَهابُهُ أبْسأُ الرّجالِ بِهِ ‏ ‏ ‏ وتَتّقي حَدّ سَيْفِهِ البُهَمُ[4]

كَفَانيَ الذّمَّ أنّني رَجُلٌ ‏ ‏ ‏ أكْرَمُ مالٍ مَلَكْتُهُ الكَرَمُ[5]

يَجْني الغِنى للّئامِ لَوْ عَقَلُوا ‏ ‏ ‏ ما لَيسَ يَجْني عَلَيهِمِ العُدُمُ[6]

هُمُ لأمْوالِهِمْ ولَسْنَ لَهُمْ ‏ ‏ ‏ والعارُ يَبْقَى والجُرْحُ يَلْتَئِمُ[7]

---

١ الخز ضرب من الثياب الحريرية .

٢ يقول : إني وإن لمت حسادي لا أنكر عذرهم في حسدهم لي لعلمي بأنهم معاقبون بتقدمي عليهم وظهور نقصهم بزيادة فضلي .

٣ العلم الجبل يعني شهير كالعلم. والهامة الرأس . وفي هذا البيت تأكيد لما تقدم من عذرهم في حسده، يقول : وكيف لا يحسد رجل قد بلغ أعظم مبلغ من الشهرة وعلو المنزلة حتى صارت قدمه فوق الرؤوس .

٤ أبسأ الرجال أي آنسهم . وتتقي بمعنى تحذر . والبهم جمع بهمة وهو البطل الذي لا يدرى من أين يؤتى .

٥ يقال كفاه الشيء أي صرفه عنه . وأنني رجل فاعل كفى . يقول : منع الذم عني أني رجل كريم أرى ما بي من طبيعة الكرم أعز شيء أملكه وأصونه ببذل المال دونه كما يصون غيري ماله .

٦ يجني بمعنى يجر . وقوله لو عقلوا اعتراض . وما مفعول يجني . والعدم الفقر . يقول : إن غنى اللئام يجر عليهم من الذم ما لا يجره الفقر لأنه يكون سبباً في ظهور لؤمهم بإمساكهم للمال وحرصهم عليه في مواضع الانفاق .

٧ الضمير في لسن للأموال . والتأم الجرح التحم . يقول : هم مملوكون لأموالهم لأنهم يخدمونها بالجمع والحفظ وليست أموالهم لهملأنهم لا يقدرون على بذلها والانتفاع بها في كسب الثناء والمثوبة. ثم يقول : إن العار أبقى من الجرح لأن العار لا يزول عن صاحبه والجرح يندمل ويبرأ .

مَن طَلَبَ المَجدَ فَلْيَكُنْ كعَلِـ ي يَهَبُ الأَلْفَ وهوَ يَبْتَسِمُ[1]

ويَطْعَنُ الخَيْلَ كُلَّ نافِذَةٍ لَيسَ لهَا مِنْ وَحائِهَا أَلَمُ[2]

ويَعْرِفُ الأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بعدَ فِعْلِهِ نَدَمُ[3]

والأَمْرُ والنَّهْيُ والسَّلاهِبُ والـ بيضُ لَهُ والعَبيدُ والحَشَمُ[4]

والسَّطَواتُ الّتي سَمِعْتَ بها تكادُ منها الجِبالُ تَنقَصِمُ[5]

يُرْعيكَ سَمعاً فيهِ استِماعٌ إلى الـ دّاعي وفيهِ عنِ الخَنى صَمَمُ[6]

يُريكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرائِبَهُ في مَجْدِهِ كيفَ تُخلَقُ النَّسَمُ[7]

مِلْتُ إلى مَنْ يَكادُ بَيْنَكُما إنْ كُنتُما السّائِلَينِ يَنْقَسِمُ[8]

---

١ يهب الألف أي من الدنانير .

٢ المراد بالخيل فرسانها. ونافذة نعت لمحذوف أي طعنة نافذة . والوحاء السرعة . أي أن مطعونه لا يشعر بألم الطعنة لأنها لسرعتها تقتله قبل أن يدرك ألمها .

٣ الموقع هنا مصدر بمعنى الوقوع . أي أنه يعرف عواقب الأمور قبل حلوثها فإذا فعل أمراً فعله عن بصيرة وعلم بما يصير إليه فلا يفجأه بعده ما يبعثه على الندم .

٤ السلاهب الخيل الطويلة واحدها سلهب وسلهبة . والبيض السيوف . والحشم اتباع الرجل الذين يغضبون له .

٥ قوله التي سمعت بها أي المشهورة يتحدث بها الناس وتتسامع أخبارها. وتنقصم أي تنكسر وتنهد .

٦ يقال أرعاه سمعه أي أصغى به إليه . والضمير من قوله فيه في الشطرين للسمع . والخنى الفحش . أي أنه يستمع إلى الداعي إذا استغاثه فهو عند ذلك سميع ويعرض عن كلام الفحش كأنه أصم .

٧ خلقه مصدر أي إبداعه . وغرائبه مفعول خلقه . وفي مجده صلة الخلق . والنسم الأرواح . أي أنه بإبداعه غرائب المجد التي لم يسبق إليها يعرف الناس كيف يخلق الله النسم لأن المخلوق إذا كان قادراً على الخلق فالخالق بالقدرة عليه أولى .

٨ يخاطب صاحبيه على عادة العرب يقول : إني عدلت إلى زيارة رجل لو جئتماه تسألانه نفسه لكاد ينقسم بينكما شطرين يعطي لكل شطراً .

مِنْ بَعدِ ما صِيغَ من مَواهِبِهِ   لِمَنْ أُحبُّ الشُّنُوفُ والخَدَمُ[1]

ما بَذَلَتْ ما بِهِ يَجُودُ يَدٌ   ولا تَهَدّى لِمَا يَقُولُ فَمُ[2]

بَنُو العَفَرْنَى مَحَطَّةَ الأسَدِ الـ   أُسْدُ ولكِنْ رِماحُها الأجَمُ[3]

قَوْمٌ بُلُوغُ الغُلامِ عِنْدَهُمُ   طَعنُ نُحورِ الكُماةِ لا الحُلُمُ[4]

كأنّما يُولَدُ النّدَى مَعَهُمْ   لا صِغَرٌ عاذِرٌ ولا هَرَمُ[5]

إذا تَوَلّوا عَداوَةً كَشَفُوا   وإنْ تَوَلّوا صَنيعَةً كَتَمُوا[6]

تَظُنّ من فَقْدِكَ اعتِدادَهُمُ   أنّهُمُ أنْعَمُوا ومَا عَلِمُوا[7]

---

١ الظرف متعلق بقوله ملت . والشنوف جمع شنف وهو ما يعلق في أعلى الأذن . والخدم جمع خدمة وهي الخلخال . أي ملت إليه بعدما كثرت مواهبه علي حتى صغت لمن أحبه الشنوف والخلاخيل من الذهب الذي أعطاني . يعني أن عطاءه وصل إلي قبل زيارته .

٢ به متعلق بقوله يجود . ويد فاعل بذلت . وتهدى بمعنى اهتدى . يعني أنه أجود الناس بناناً وأفصحهم لساناً .

٣ بنو العفرنى مبتدأ خبره الأسد . والعفرنى من صفات الأسد ومعناه الشديد . ومحطة اسم جد الممدوح وهو بدل من العفرنى . والأسد نعت لمحطة باعتبار ما فيه من معنى الشجاعة أو بدل منه . والأجم الغاب . أي أن بني محطة الذي هو أسد أسود مثله ولكن غاباتهم الرماح لا الشجر كعادة الأسود .

٤ قوم خبر عن محذوف أي هم قوم . وعندهم بمعنى في اعتقادهم . والنحور جمع نحر وهو موضع القلادة . والكماة جمع كمي على غير قياس وهو البطل المغطى بالسلاح . والحلم بمعنى البلوغ . يقول : إنهم يعرفون بلوغ الغلام بحمل السلاح والطعن في نحور الأبطال لا ببلوغ سن الحلم لأن هذا معنى الرجولية عندهم .

٥ الندى الجود والهرم الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إن الجود مقارن لفطرهم لا يتوقف على القدرة ولا يمنع منه العجز .

٦ الصنيعة المعروف. يقول : إنهم إذا عادوا أحداً جاهروا بعداوته لأنهم لا يخافون عدواً وإذا اصطنعوا إلى أحد معروفاً كتموا معروفهم تكرماً وحياء .

٧ يقول : إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف لتناسيهم إياه حتى كأنهم لم يعلموا به .

إنْ بَرَقُوا فالحُتُوفُ حاضِرَةٌ أو نَطَقُوا فالصّوابُ والحِكَمُ[1]

أو حَلَفُوا بالغَمُوسِ واجتهَدوا فقَوْلُهُمْ خابَ سائِلِي القَسَمُ[2]

أو رَكِبُوا الخَيْلَ غيرَ مُسرَجَةٍ فإنّ أفْخاذَهُمْ لهَا حُزُمُ

أوْ شَهِدوا الحَرْبَ لاقِحاً أخَذوا من مُهَجِ الدّارِعِينَ ما احتكموا[3]

تُشرِقُ أعْرَاضُهُمْ وأوْجُهُهُمْ كأنّها في نُفوسِهِمْ شِيَمُ[4]

لَوْلاكَ لم أترُكِ البُحَيرَةَ والـ غَوْرُ دَفِيءٌ وماؤها شَبِمُ[5]

والمَوْجُ مِثْلُ الفُحولِ مُزْبِدَةً تَهْدِرُ فيها وما بِها قَطَمُ[6]

---

١ برقوا أي تهددوا . والحتوف جمع الحتف وهو الموت . وقوله فالصواب خبر عن محذوف دل عليه المقام أي فنطقهم الصواب .

٢ الغموس اليمين التي تغمس الحانث فيها في الإثم . وقولهم مبتدأ خبره القسم . وخاب سائلي حكاية القول . أي إذا أراد أحدهم أن يحلف يميناً يخاف الاثم عند الحنث فيها فتلك اليمين هي أن يقول خاب سائلي إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا لأنهم يرون خيبة السائل من أعظم الأشياء عليهم .

٣ شهدوا أي حضروا . واللاقح الحرب الشديدة . والمهج دماء القلوب . والدارع لابس الدرع . أي إذا نازلوا الفرسان في الحرب تحكموا في دمائهم فنالوا منها ما أرادوا .

٤ الشيم جمع الشيمة وهي الخلق . أي أن أعراضهم وأوجههم مشرقة نقية مثل خلائقهم .

٥ يريد بالبحيرة بحيرة طبرية . والغور موضع بالشام به بلد الممدوح . والشبم البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة التي كنت عليها بطبرية وماؤها بارد وأحضر إلى الغور الذي أنت فيه وهو حار . قاله الواحدي . والأظهر أن المراد بالغور المكان المجاور طبرية فيكون المعنى لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء .

٦ يجوز رفع مثل ونصب مزبدة على أن الأولى خبر والثانية حال من الفحول . ويجوز العكس على أن مثل حال من فاعل مزبدة ومزبدة خبر . والضمير في تهدر وبها للفحول . وفي فيها للبحيرة . والهدير صوت الفحل من الجمال . والقطم هياج الفحل .

والطّيرُ فَوْقَ الحَبابِ تَحسَبُها فُرْسانَ بُلْقٍ تَخونُها اللُّجُمُ[1]

كأنّها والرّياحُ تَضْرِبُهَا جَيْشا وَغًى هازِمٌ ومُنْهَزِمُ[2]

كأنّها في نَهارِهَا قَمَرٌ حَفَّ بهِ مِنْ جِنانِها ظُلَمُ[3]

تَغَنّتِ الطّيرُ في جَوانِبِها وجادَتِ الأرْضَ حَوْلَها الدِّيَمُ[4]

فَهْيَ كَمَاوِيّةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرِّدَ عَنها غِشاؤها الأدَمُ[5]

يَشينُها جَرْيُها عَلى بَلَدٍ تَشينُهُ الأدْعِياءُ والقَزَمُ[6]

أبا الحُسَينِ استَمعْ فمَدْحُكُمُ بالفِعْلِ قَبلَ الكَلامِ مُنْتَظِمُ[7]

---

١ الحباب طريق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله بلق نعت لمحذوف أي فرسان خيل بلق وهي التي فيها سواد وبياض شبه الأمواج بها في اختلا ف ألوانها . وقوله تخونها اللجم الضمير للفرسان أي تنقطع أعنتها فتذهب الخيل كما تشاء. يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر في كل وجه.

٢ الضمير للموج أو للطير أو لكليهما باعتبار معنى الجمع . وعلى هذا يجوز في قوله جيشا وغى أي حرب أن يكون المراد بالجيشين الرياح والموج أو إياها والطير لأن الرياح تضرب كلا من الفريقين فينهزم أمامها. أو الموج والطير لأن الرياح تضربهما معاً فتتابع الطير على أثر الأمواج .

٣ حف به أي أحاط . والجنان جمع جنة وهي البستان . يشبه البحيرة في النهار بقمر لما يلمع عليها من نور الشمس . والبساتين حولها بالليل لشدة خضرتها الضاربة إلى السواد .

٤ جادت من الجود ، بالفتح ، وهو المطر . والديم جمع ديمة وهي مطر يدوم أياماً .

٥ الماوية المرآة . والأدم الجلد وهو بيان للغشاء . شبه البحيرة مع ما يحدق بها من البساتين بالمرآة المطوقة وقد جردت مما تغلف به من الجلد .

٦ يشينها أي يعيبها . والأدعياء جمع دعي وهو المتهم في نسبه . والقزم رذال الناس يستعمل للواحد وغيره . يقول : إن عيب هذه البحيرة أنها تجري على أرض أهلها لئام .

٧ أي أن أفعالكم تمدحكم قبل أن يمدحكم كلام الشعراء .

وقَد تَوالى العِهادُ مِنْـهُ لكُم وجادَتِ المَطْرَةُ الّتي تَسِمُ[١]

أُعيذُكمْ من صُرُوفِ دَهْرِكُمُ فإنّهُ في الكِرامِ مُتّهَـمُ[٢]

والدنيا لمن غلبا

يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي :

دَمْعٌ جرَى فقضَى في الرَّبْعِ ما وجَبَا لأهلِهِ وشَفَى أنّى ولا كَرَبَا[٣]

عُجْنا فأذهَبَ ما أبْقَى الفِراقُ لَنا منَ العُقُولِ وما رَدّ الذي ذَهَبَا[٤]

سَقَيْتُهُ عَبَراتٍ ظَنّهَا مَطَراً سَوائِلاً من جُفُونٍ ظَنّها سُحُبَا[٥]

....

١ توالى تتابع . والعهاد جمع عهد وهو المطر بعد المطر . والضمير في منه للمدح . والمراد بالمطرة التي تسم مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات . شبه مدائحه فيهم بالأمطار المتتابعة لأنها تنبت له نعمتهم وأراد بالتي تسم هذه القصيدة .

٢ أعاذه بالله جعل الله عصمة له مما ينوبه . وصروف الدهر حوادثه . يقول : أسأل الله أن يعصمكم من نوائب الدهر فإنه مولع بالكرام يجني عليهم ويهلكهم .

٣ دمع مبتدأ محذوف الخبر أي لي دمع . وأنى بمعنى كيف . وكرب من أفعال المقاربة حذف خبره لدلالة المقام عليه أي ولا كرب أن يقضي . يقول : إنه بكى في أطلال الأحبة بدمع قضى ما يجب لهم عليه وشفى نفسه من وجدها بهم. ثم رجع عن ذلك فقال: وكيف أقول هذا وهو لم يقض ما وجب ولا قارب أن يقضي .

٤ عاج بالمكان وقف . يقول : وقفنا بهذا الربع لنزوره فأذهب ما بقي من عقولنا بعد الفراق بما جدده من تذكر الأحبة فضلا عن أنه لم يرد علينا ما ذهب منها .

٥ عبرات دموعاً .

دارُ المُلِمِّ لها طَيفٌ تَهَدَّدَني ... لَيلاً فَما صَدَقَتْ عَيني ولا كَذَبَا[1]

أنْأيْتُهُ فَدَنا ، أدْنَيْتُهُ فنَأى ، ... جَمَّشْتُهُ فَنَبَا ، قَبَّلْتُهُ فأبَى[2]

هامَ الفُؤادُ بأعرابيَّةٍ سَكَنَتْ ... بَيْتاً من القلبِ لم تَمدُدْ له طُنُبا[3]

مَظْلُومَةُ القَدِّ في تَشْبيهِهِ غُصُناً ... مَظْلُومَةُ الرِّيقِ في تَشبيهِهِ ضَرَبَا[4]

بَيضاءُ تُطمِعُ في ما تحتَ حُلّتِها ... وعَزَّ ذلكَ مَطْلُوباً إذا طُلِبا[5]

كأنّها الشّمسُ يُعْيي كَفَّ قابضِهِ ... شُعاعُها ويَراهُ الطّرْفُ مُقْتَرِبَا[6]

مَرّتْ بنا بَينَ تِرْبَيْها فقُلتُ لَها ... من أينَ جانَسَ هذا الشّادِنُ العَرَبَا[7]

فاستضْحكتْ ثمّ قالتْ كالمُغيثِ يُرَى ... ليثَ الشّرَى وهوَ من عجل إذا انتسبَا[8]

---

١ دار خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الربع . والملم الزائر . ولها حال مقدمة عن قوله طيف وهو فاعل ملم . أي أن هذا الطيف تهددني بهجره لي فما صدقت عيني لأنها رأت خيالا كاذباً ولا كذب الطيف لأنه هجرني بعد ذلك إذ لم أنم بعدها .

٢ أنأيته أبعدته . ودنا قرب . وجمشته داعبته . ونبا أي جفا. وأبى امتنع . يريد أنه يقابله بضد ما يريد منه .

٣ الهيام أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه . والطنب حبل الخباء . يقول : إن هذه الحبيبة اتخذت قلبي مسكناً فكان لها بيتاً ولكن لا أطناب له .

٤ عسلا .

٥ الحلة الثوب . ومطلوباً تمييز . يقول : إنها لأنسها وعذوبة كلامها تطمع العاشق في نفسها فإذا حاول ذلك عز عليه مطلبه لتعففها وصيانتها .

٦ أعياه أعجزه . والضمير في قابضه للشعاع . وشعاعها فاعل يعيي . والطرف النظر .

٧ الترب المساوي لغيره في العمر يستعمل للمذكر والمؤنث . والشادن الغزال الذي قوي واستغنى عن أمه يريد به المحبوبة . يقول لها : أنت من الغزلان وترباك اللتان تماشيانها من العرب فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينها .

٨ استضحكت بمعنى ضحكت . والمغيث اسم الممدوح وفي الكلام حذف أي أنا كالمغيث . والليث

جاءتْ بأشجعِ مَن يُسمى وأسمحِ مَن　　أعطى وأبلغِ مَنْ أملى ومَنْ كَتَبَا[1]

لوْ حَلّ خاطِرُهُ في مُقْعَدٍ لَمَشى　　أو جاهلٍ لصَحا أو أخرَسٍ خَطَبَا[2]

إذا بَدا حَجَبَتْ عَيْنَيكَ هَيْبَتُهُ　　وليسَ يحجبُهُ سِتْرٌ إذا احتَجَبَا[3]

بَياضُ وَجْهٍ يُريكَ الشّمسَ حالكَةً　　ودُرُّ لَفظٍ يُريكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا[4]

وسَيفُ عَزْمٍ تَرُدّ السّيفَ هِبّتُهُ　　رَطْبَ الغِرارِ منَ التأمُورِ مُختَضِبَا[5]

عُمرُ العَدوّ إذا لاقاهُ في رَهَجٍ　　أقَلُّ مِنْ عُمْرِ ما يَحْوِي إذا وَهَبَا[6]

تَوَقّهُ فَمَتى ما شِئْتَ تَبْلُوَهُ　　فكُنْ مُعادِيَهُ أوْ كُنْ له نَشَبَا[7]

تَحْلُو مَذاقَتُهُ حتى إذا غَضِبَا　　حالَتْ فلَوْ قطرَتْ في الماءِ ما شُرِبَا[8]

الأسد . والشرى موضع تكثر فيه الأسود . وعجل قبيلة الممدوح . المعنى لا تعجب من مجانستي للعرب وأنا ظبية فإني كالمغيث تراه من الأسود وهو مع ذلك من بني عجل .

١ الضمير في جاءت للمحبوبة أي جاءت بذكر رجل هذه صفاته .

٢ يصفه بقوة الخاطر وتوقد الذهن .

٣ يقول : إذا ظهر للناس حجبت هيبته العيون عن النظر إليه وإذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورائها فلم تستطع حجبه .

٤ بياض وجه مبتدأ خبره محذوف أي له بياض وجه . والحالك الشديد السواد . والمخشلب خرز أبيض يشبه الدر .

٥ هبة السيف مضاؤه. وغراره حده. والتأمور دم القلب. أي أن مضاء عزمه يصير السيف رطب الحد من دم الأعداء .

٦ الرهج الغبار . يقول : إذا لقي عدوه في الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا شرع في العطاء .

٧ تبلوه أي تختبره وأراد أن تبلوه فحذف أن وبقي عملها . والنشب المال . يقول : احذر بأسه وإن أردت أن تمتحنه فعاده أو كن مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإبادة والإفناء .

٨ حالت تغيرت . يقول : هو عذب الأخلاق في حال الرضى فإذا غضب تغيرت أخلاقه فصارت مرة

وتَغْبِطُ الأرْضُ منها حيثُ حَلّ بهِ   وتَحْسُدُ الخيلُ منها أيُّها رَكِبَا[1]

ولا يَرُدّ بفيهِ كَفَّ سائِلِهِ   عن نَفسِهِ ويَرُدّ الجَحفَلَ اللّجِبَا[2]

وكُلّما لَقيَ الدّينارُ صاحِبَهُ   في مُلْكِهِ افترَقا من قبلِ يَصْطَحِبَا[3]

مالٌ كأنّ غُرابَ البَينِ يَرْقُبُهُ   فكُلّما قيلَ هذا مُجْتَدٍ نَعَبَا[4]

بَحْرٌ عَجائِبُهُ لم تُبْقِ في سَمَرٍ   ولا عَجائِبِ بَحرٍ بَعدَها عَجَبَا[5]

لا يُقْنِعُ ابنَ عليّ نَيْلُ مَنزِلَةٍ   يَشكُو مُحاوِلُها التّقصيرَ والتّعَبَا[6]

حتى لو أمكن مزج الماء بها لم يطق أحد شربه .

١ الغبطة والحسد كلاهما بمعنى التمني إلا أن الغبطة تمني مثل حال الرجل مع بقائها عليه والحسد تمني زوالها إلى الحاسد . والضمير في به يعود إلى حيث وهو هنا مفعول به لتغبط . وأيها مفعول تحسد . قال الواحدي: جعل الغبطة للأرض لأنها وإن كثرت بقاعها فهي كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض والخيل ليست كذلك لأنها متفرقة فجعل لها الحسد .

٢ الجحفل الجيش العظيم . واللجب المختلط الأصوات .

٣ أي من قبل أن يصطحبا فحذف أن وأبقى النصب . أراد إذا التقى الديناران عنده تفرقا قبل الاصطحاب فهما يلتقيان مجتازين لا مصطحبين كما قال الآخر :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا   لكن يمر عليها وهو منطلق

٤ المجتدي السائل . ونعب الغراب صاح . يقول : كأن غراب البين يرقب ماله فكلما جاءه سائل نعب فيه فتفرق شمله .

٥ السمر حديث الليل . يقول : هو بحر له عجائب في الفضل والشجاعة لا تحكيها العجائب التي يتحدث بها أهل السمر ولا تذكر في جنبها عجائب البحار وإنما هي بالنسبة إليها كالشيء المألوف لغرابة ما يبدو منه ويذكر عنه .

٦ محاولها طالبها وأصله طلب الشيء بالحيلة . أي أنه لا يقنع ببلوغ هذه المنزلة العظيمة التي يشكو طالبها تقصير همته عنها وتعبه في تحصيلها وإنما هو دائماً يطلب المزيد إلى ما يعجز عنه الطالبون .

هَزَّ اللّواءَ بَنو عِجلٍ بهِ فَغَدا رأساً لهمْ وغَدا كُلٌّ لهُمْ ذَنَبَا[1]

ألتّارِكينَ مِنَ الأشياءِ أهْوَنَها والرّاكبينَ مِنَ الأشياءِ ما صَعُبَا[2]

مُبَرْقِعي خَيلِهمْ بالبِيضِ مُتّخذي هامِ الكُماةِ على أرماحِهِمْ عَذَبَا[3]

إنّ المَنِيّةَ لَوْ لاقَتْهُمُ وَقَفَتْ خَرْقاءَ تَتّهِمُ الإقدامَ والهَرَبَا[4]

مَراتِبٌ صَعِدَتْ والفِكْرُ يَتْبَعُها فَجازَ وهْوَ على آثارِها الشُّهُبَا[5]

مَحامِدٌ نَزَفَتْ شِعْري لِيَمْلأها فآلَ ما امتَلأتْ منْهُ ولا نَضَبَا[6]

مَكارِمٌ لكَ فُتَّ العالمينَ بهَا مَنْ يَسْتَطيعُ لأمْرٍ فائِتٍ طَلَبَا

---

١ اللواء الراية . وبنو عجل قبيلة الممدوح . يقول : حركوا لواءهم باسمه أي جعلوه قائدهم فصار سيداً لهم وصاروا هم سادات الناس .

٢ نصب التاركين على المدح بإضمار أعني أو أمدح . أي أنهم لعلو هممهم يتركون سهل الأمور وحاصلها ويرومون المطالب الشاقة والغايات البعيدة .

٣ البيض السيوف . والهام جمع هامة وهي الرأس . والكماة الأبطال المدججون في السلاح . والعذب جمع عذبة وهي الريش المعلق في طرف الرمح . أي أن سيوفهم تحول دون خيلهم فلا يصل إليها طعن أو ضرب فتكون لها بمنزلة البراقع يعني أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . ويحتمل أن يكون المراد أنهم يدهشون أبصار الأعداء بلمعان سيوفهم المسلولة فوق رؤوس خيلهم فلا يبصرون وجوهها كأنها مبرقعة . وقوله متخذي هام الكماة أي أنهم يأخلون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم فتكون وشعورها بمنزلة العذب التي تعلق على الرماح .

٤ المنية الموت . والخرقاء مؤنث الأخرق وهو الأحمق الضعيف الرأي . يقول : لو لاقتهم المنية يوم حرب لوقفت من الخوف لا يتجه لها رأي في السلامة فهي تتهم الإقدام مخافة الهلكة وتتهم الهرب مخافة اللحاق والوقوع في أيديهم .

٥ الكواكب . أي لهم مراتب علت في السماء وتبعها فكر المتأمل فيها فجاوز الكواكب في صعوده وراءها حتى ترك الكواكب تحته ولم يبلغ إليها .

٦ نزفت أي استفرغت . وآل بمعنى عاد . وقوله ما امتلأت حال من الضمير في آل . ونضب جف . شبه المحامد في اقتضائها ما يكافئها من المدح بالإناء الذي لا يمتلىء إلا بقدر ما يسع من الماء. فقال

لمّا أقمتَ بإنطاكيةَ اختلفتْ إليّ بالخبرِ الرُّكبانُ في حلبا[1]

فسرتُ نحوكَ لا ألوي على أحدٍ أحُثُّ راحلتيَّ : الفقرَ والأدبا[2]

أذاقني زمني بلوى شرِقتُ بها لو ذاقها لبكى ما عاشَ وانتحبا[3]

وإنْ عمرتُ جعلتُ الحربَ والدةً والسمهريَّ أخاً والمشرفيَّ أبا[4]

بكلّ أشعثَ يلقى الموتَ مبتسماً حتى كأنّ لهُ في قتلهِ أربا[5]

قُحٍّ يكادُ صهيلُ الخيلِ يقذفُهُ عن سرجهِ مرحاً بالعزّ أو طربا[6]

فالموتُ أعذرُ لي والصبرُ أجملُ بي والبرُّ أوسعُ والدنيا لمنْ غلبا[7]

إن هذه المحامد استفرغت شعري اقتضاء لحقها منه فعاد وحقها لم يستوف وشعري لم ينفد. يعني أنه سيعود إلى استيفاء مدحها .

١ قوله اختلفت أي جاءت مرة بعد أخرى . ويريد بالركبان جماعات القصاد الذين أتوا الممدوح فرجعوا عنه بالهبات والعطايا .

٢ ألوي أي أعرج . يقول : جئتك لا أميل في سيري ولا أقف حتى بلغتك محمولا على راحلتين من فقري الذي يسعى بي إلى بابك طلباً للعطاء وأدبي الذي اتخذته وسيلة في قصدك .

٣ شرقت أي غصصت . والضمير في ذاقها للزمن . وقوله ما عاش أي ما بقي وامتد . يقول : لو كان الدهر شخصاً وذاق البلاء الذي ذقته منه لم يستطع عليه صبراً لشدته فكيف أصبر أنا على بلائه .

٤ عمرت أي عشت . والسمهري الرمح . والمشرفي السيف . أي جعلت هذه المذكورات عشيرتي التي أنتسب إليها ولا أفارقها .

٥ الأشعث الأغبر . والأرب الحاجة . أي ألازم الحرب بكل رجل قد اغبر من طول الأسفار ولقاء الحروب يرمي بنفسه في مواقع الهلكة حتى كأن القتل له حاجة يبغيها ويسعى إليها .

٦ القح الخالص يريد العربي الخالص النسب وهو نعت لأشعث . ويقذفه يرمي به . والمرح النشاط . وروى ابن جني صهيل الجرد جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر . ويروى مرحاً بالغزو . والمعنى أن هذا الرجل إذا سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب .

٧ يقول : الموت أعذر لي من أن أعيش راضياً بالذل . والصبر على البلاء أجمل بي من الجزع لأنه

معدن الذهب الرغام

يمدحه أيضاً :

فُؤادٌ ما تُسَلّيهِ المُدامُ وعُمْرٌ مثلُ ما تَهَبُ اللّئامُ[1]
ودَهْرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغارٌ وإنْ كانتْ لهمْ جُثَثٌ ضِخامُ[2]
وما أنا مِنْهُمُ بالعَيْشِ فيهم ولكنْ مَعدِنُ الذّهَبِ الرَّغامُ[3]
أرانِبُ غَيرَ أنّهُمُ مُلُوكٌ مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ[4]
بأجْسامٍ يَحَرّ القَتْلُ فيها وما أقْرانُها إلاّ الطّعامُ[5]
وخَيْلٍ ما يَخِرّ لها طَعينٌ كأنّ قَنَا فَوارِسِها ثُمَامُ[6]

أبعد عن الشماتة وأقرب إلى الفوز . والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه . والدنيا لمن زاحم وغلب لا لمن رضي بقسمة الدهر .

١ يجوز في فؤاد أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أي لي فؤاد أو خبراً عن محذوف أي فؤادي فؤاد . وهذا الوجه أحسن في البيت الثاني . والمدام الخمر . وقوله مثل ما تهب اللئام كناية عن قلته . يقول : إن فؤاده لا يتسلى بالخمر واللهو عن طلب المعالي كما يتسلى سائر الناس والعمر قصير لا يمكن فيه انتظار الحاجات فإنه ربما انصرم قبل ذلك .

٢ أي هم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان .

٣ التراب . يقول : إنني لا أعد نفسي من هؤلاء الناس وإن عشت بينهم كالذهب الذي يكون بين التراب ولكنه لا يحسب من التراب .

٤ يقول : هم كالأرانب إلا أن في أيديهم ملكاً وعيونهم مفتحة ولكنهم غافلون كأنهم نيام .

٥ يحر أي يشتد . والأقران جمع القرن ، بالكسر ، وهو الكفؤ في الحرب . يقول : إنهم لا يهتمون إلا بالمآكل فيموتون بالتخمة لا في وقائع الحرب لأنهم لا يشهدونها .

٦ خيل معطوف على أجسام . ويخر يسقط . والقنا الرماح . والثمام نبات ضعيف . أي أن طعنهم

خَليلُكَ أنتَ لا مَن قُلتَ خِلّي   وإنْ كَثُرَ التَجَمّلُ والكَلامُ[1]

ولو حِيزَ الحِفاظُ بغَيرِ عَقْلٍ   تَجَنّبَ عُنْقَ صَيقَلِهِ الحُسامُ[2]

وشِبْهُ الشيءِ مُنجَذِبٌ إلَيْهِ   وأشْبَهُنا بدُنْيانا الطَّغامُ[3]

ولَوْ لم يَعْلُ إلاّ ذو مَحَلٍّ   تَعالى الجَيْشُ وانحَطّ القَتامُ[4]

ولَوْ لم يَرْعَ إلاّ مُسْتَحِقٌّ   لرُتْبَتِهِ أسامَهُمُ المُسَامُ[5]

ومَنْ خَبَرَ الغَواني فالغَواني   ضِياءٌ في بَواطِنِهِ ظَلامُ[6]

إذا كانَ الشّبابُ السُّكرَ والشّيْـ   ـبُ هَمّاً فالحَياةُ هيَ الحِمامُ[7]

لا يؤثر في المطعون لضعفهم فكأنهم يطعنون بالثام .

١ يقول : لا خليل لأحد على الحقيقة إلا نفسه فلا يثق الإنسان بصداقة أحد وإن كان كثير التجمل لين المقال .

٢ حيز مجهول حاز بمعنى ملك . والحفاظ المحافظة على الحقوق . والصيقل الذي يعمل السيوف . والحسام السيف القاطع . أي لو أمكن أن يحافظ على المودة والوفاء ما لا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق صيقله لا يقع عليه ولا يقطعه . والمعنى أنهم لا عقول لهم فلا يوثق منهم بذمام .

٣ الأرذال . يقول : إن الشيء يميل إلى شبهه والدنيا خسيسة فهي لذلك تميل إلى الخساس من الناس .

٤ يريد بالمحل المكانة الرفيعة . والقتام الغبار . يقول : إن علوهم في الدنيا لا يدل على فضيلتهم واستحقاقهم وضرب لذلك مثلا بالجيش والغبار فإن الغبار يرتفع فوق الجيش وهو مما تثيره الأقدام والحوافر .

٥ قوله لم يرع من الرعاية بمعنى السياسة . وسامت الرعية رعت وأسامها صاحبها . يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ورعيتهم ملوكاً يسوسونهم لأنهم أحق منهم بالملك . وقال ابن فورجة المسام المال المرسل في مراعيه.يقول : هؤلاء شر من البهائم فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعي لهم البهائم لأنها أشرف منهم وأعقل .

٦ خبر بمعنى اختبر . والغواني النساء الحسان .

٧ الموت . يقول : إذا كان الانسان في شبيبته غائصاً في سكر من اللهو والصبا وعند مشيبه غائصاً في بحر من الهم حتى لا يعي في عمره شيئاً فحياته أشبه بالممات لأن حاله وحال الميت سيان .

وما كُلٌّ بمَعذورٍ ببُخْلٍ ولا كُلٌّ على بُخْلٍ يُلامُ

ولم أرَ مِثْلَ جيراني ومِثْلي لِمِثْلي عِندَ مِثْلِهِمِ مُقامُ[1]

بأرْضٍ ما اشْتَهَيْتَ رأيتَ فيها فلَيسَ يَفُوتُها إلاّ الكِرامُ[2]

فهَلاّ كانَ نَقْصُ الأهْلِ فيها وكانَ لأهْلِها مِنها التّمامُ[3]

بها الجَبَلانِ مِنْ صَخْرٍ وفَخْرٍ أنَافَا ذا المُغيثُ وذا اللُّكامُ[4]

ولَيْسَتْ مِنْ مَواطِنِهِ ولكِنْ يَمُرّ بها كَما مَرّ الغَمَامُ[5]

سَقَى اللهُ ابنَ مُنْجِبَةٍ سَقَاني بدَرٍّ ما لِراضِعِهِ فِطامُ[6]

ومَنْ إحْدى فَوائِدِهِ العَطَايا ومَن إحدى عَطاياهُ الذّمامُ[7]

---

١ لمثلي خبر مقدم عن مقام وهو مصدر ميمي بمعنى إقامة . والجملة مفعول ثان لقوله لم أر . ويحتمل أن يكون أراد ألمثلي على الاستفهام التعجبي فحذف لضيق المقام. يشكو لؤم الذين يجاورهم ويلوم نفسه على الإقامة بينهم .

٢ يقول : إن هذه الأرض قد اشتملت على كل ما يشتهى من مال وجمال فلا ينقصها إلا أن يكون لها أهل كرام .

٣ فيها خبر كان . وكذا لأهلها في الشطر الثاني . ومنها حال مقدمة عن التمام . يقول هي كاملة في صفاتها وهم ناقصون في أخلاقهم فهو يتمنى أن يكون كمالها فيهم ونقصهم فيها لأن كمال الأرض مع نقص سكانها لا يفيد شيئاً .

٤ أنافا أشرفا . واسم الإشارة بدل تفصيل من قوله الجبلان . والمغيث الممدوح . واللكام جبل بالشام . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر وهو جبل اللكام والثاني من فخر وهو الممدوح .

٥ السحاب . قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فأخرجه منهم وجعل نزوله فيهم اجتيازاً كما يجتاز الغمام بأرض فيمطر عليها ثم يقلع إلى غيرها .

٦ تقول العرب سقى الله فلاناً يريدون سقى أرضه وهو دعاء له بالخصب . والمنجبة التي تلد النجباء . والمراد بابنها الممدوح كنى بذلك عن كونه نجيباً . والدر اللبن أراد به عطاياه .

٧ من عطف على ابن منجبة. والذمام العهد. يعني أن فوائده لا تنحصر في العطايا فإن في التقرب منه

وقد خَفِيَ الزّمانُ بهِ علَينا كسِلْكِ الدُّرِّ يُخفيهِ النّظامُ[1]

تَلَذّ لهُ المُروءَةُ وهيَ تُؤذي ومَنْ يَعشَقْ يَلَذّ لهُ الغَرامُ[2]

تَعَلّقَها هَوَى قَيسٍ للَيْلى وواصَلَها فلَيسَ بهِ سَقَامُ[3]

يَروعُ رَكانَةً ويَذوبُ ظَرْفاً فَما يُدرَى أشَيْخٌ أمْ غُلامُ[4]

وتَمْلِكُهُ المَسائِلُ في نَداهُ وأمّا في الجِدالِ فلا يُرامُ[5]

وقَبضُ نَوالِهِ شَرَفٌ وعِزٌّ وقبضُ نَوالِ بعضِ القومِ ذامُ[6]

فوائد أخرى كالشرف وعزة الجانب وغيرها . وعطاياه لا تنحصر في الأموال فمن جملتها العهد والمودة . يعني أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز ولكن يعامله معاملة الحاشية والخواص .

١ السلك الخيط الذي ينتظم به العقد . والنظام مصدر نظم . وقد أكثر الشراح في معنى هذا البيت والأظهر في مراده منه أن مآثر الممدوح قد كثرت وتواصلت على مر الساعات كما يتواصل الدر في السلك فامتلأ الزمان من فضائله وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أو كرم وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هي الزمان وخفي الزمان الذي هي منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

٢ أي أنه يجد المروءة لذيذة مع ما فيها من التكاليف التي تؤذي صاحبها كما أن العاشق يستلذ العشق مع ما فيه من النصب .

٣ تعلقها أي هويها والضمير للمروءة . وهوى مفعول مطلق . يقول : هوي المروءة كهوى قيس العامري لليلى ولكنه واصلها فلم يسقم بها كقيس .

٤ يروع أي يخيف . والركانة الرزانة والوقار . والظرف خفة الروح وذكاء القلب وهو مما يوصف به الفتيان . وشيخ خبر عن محذوف أي أشيخ هو والجملة في محل رفع سادة مسد معمولي يدرى أو في محل نصب على أن في يدرى ضميراً يرجع إلى الممدوح وهو المفعول الثاني . ويروى فما ندري . والمعنى أنه جمع بين وقار الشيوخ وظرافة الشبان .

٥ المسائل المطالب. والندى الجود. أي أنه إذا وردت عليه المسائل من جهة الطالبين انقاد لها ولم يستطع ردها وأما المسائل التي تلقى عليه في الجدال فإنه لا يطاق فيها .

٦ النوال العطاء . والذام العيب . يقول : إن قبول عطائه شرف لما فيه من دليل التقريب والإعزاز

أقامتْ في الرِّقابِ لَهُ أيَادٍ هيَ الأطواقُ والنّاسُ الحَمامُ[1]

إذا عُدَّ الكِرامُ فتِلْكَ عِجْلٌ كَمَا الأنْواءُ حينَ تُعَدّ عامُ[2]

تَقي جَبَهاتُهُمْ ما في ذَرَاهُمْ إذا بشِفارِها حَميَ اللِّطامُ[3]

ولو يَمّمْتَهُمْ في الحَشْرِ تجدو لأعطَوْكَ الذي صَلّوا وصامُوا[4]

فإنْ حَلُمُوا فإنّ الخَيلَ فيهِمْ خِفافٌ والرِّماحَ بها عُرامُ[5]

....

وأما عطية الدنيء فقبولها عار لما فيها من فضل المعطي على الآخذ .

١ الأيادي النعم . والحمام عند العرب اسم جامع لذوات الأطواق من الطير . أي أن نعمته قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام .

٢ عجل قبيلة الممدوح . والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق . يقول : إذا عد الكرام كان مجموعهم بني عجل كما أن الأنواء مجموعها العام يعني أن الكرم محصور فيهم لا يتجاوز إلى سواهم .

٣ الذرا ، بالفتح والقصر ، كل ما استتر به الشخص، يقال أنا في ذراه أي في ستره وكنفه . ويحتمل أن يكون بضم الذال أو كسرها ، جمع ذروة بالوجهين وهي من كل شيء أعلاه يعني في قصورهم . والشفار جمع شفرة وهي جانب النصل وحده . والضمير المضافة إليه للسيوف استغنى عن تقدم ذكرها بدلالة الحال . واللطام المضاربة . يقول : إنهم يقتحمون السيوف بجباههم ليدفعوا عما في منازلهم من الحرم والوفود . هذه رواية ابن جني . وروى الواحدي وجماعة : يقي جبهاتهم ما في ذراهم ، بجعل يقي فعلا للموصول ونصب جبهاتهم على المفعولية وضم الذال من ذراهم على أن المراد بالذرى أعالي الشخص وأن المراد بما في ذراهم السيوف لأنها تُتقلد في أعالي البدن فيكون المعنى أنهم يقون جبهاتهم بالسيوف وفيه بعد لا يخفى .

٤ يممتهم قصدتهم . والحشر القيامة . وتجدو تسأل العطاء . يقول : لو قصدهم سائل يوم القيامة لأعطوه صلاتهم وصيامهم لأنهم لم يتعودوا أن يردوا سائلا .

٥ شراسة . وهو مبتدأ خبره الظرف قبله . أي أنهم من ذوي الرزانة والرفق ولكن خيلهم خفيفة ورماحهم شرسة .

وعِندَهُمُ الجِفانُ مُكَلَّلاتٍ ... وشَزْرُ الطَّعْنِ والضَّرْبُ التُّؤامُ[1]

نُصَرِّعُهُمْ بأعْيُنِنا حَيَاءً ... وتَنْبُو عَنْ وُجوهِهِمِ السِّهامُ[2]

قَبيلٌ يَحْمِلُونَ منَ المَعالي ... كما حَمَلَتْ من الجسد العِظامُ[3]

قَبيلٌ أنتَ أنتَ وأنتَ منهُمْ ... وجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمَامُ[4]

لِمَنْ مالٌ تُمَزِّقُهُ العَطَايا ... ويُشْرِكُ في رَغائِبِهِ الأنامُ[5]

ولا نَدْعُوكَ صاحِبَهُ فتَرْضَى ... لأنّ بِصُحبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ[6]

تُحايِدُهُ كأنّكَ سامِرِيٌّ ... تُصافِحُهُ يَدٌ فيها جُذامُ[7]

---

١ الجفان القصاع . ومكللات أي مغطاة باللحم وهي حال . والشزر ما كان عن اليمين والشمال . والتؤام جمع التوأم على غير قياس أي مزدوج . يعني أنهم بلغوا منتهى الكرم والشجاعة .

٢ صرعه طرحه والتشديد للتكثير . ونبا السهم عن الهدف لم يعمل فيه . يقول : إنهم رقاق الوجوه من الحياء يصرعهم نظر الناظر أي يغلبهم الحياء عند نظرته احتشاماً ولكنهم إذا نازلوا العدو في الحرب ردوا بأوجههم السهام .

٣ القبيل الجماعة وهو خبر عن محذوف يرجع إلى الممدوحين . أي أنهم يحملون المعالي ويقومون بها كما تحمل العظام الجسد .

٤ قال الواحدي : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت في علو قدرك يعني إذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخراً . وقد أخر حرف العطف في قوله وأنت وهو قبيح جداً وهذا كما تقول قامت زيد وهند وأنت تريد قامت هند وزيد .

٥ الرغائب جمع رغيبة وهي العطية الكثيرة . والأنام ما على وجه الأرض من الخلق وقد يراد به الناس بخصوصهم. يقول متعجباً : لمن هذا المال الذي نراه عندك تفرقه عطاياك ويشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص .

٦ الحرمة . واسم أن محذوف ضمير الشأن . يقول : إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجب عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب .

٧ حايده جانبه . والسامري واحد السوامرة وهم طائفة من اليهود شديدة التنطس . والجذام داء

إذا ما العالِمُونَ عَرَوْكَ قالُوا أفِدْنا أيّها الحِبْرُ الإمامُ[1]

إذا ما المُعْلِمُونَ رأوْكَ قالوا بهَذا يُعْلَمُ الجيشُ اللُّهامُ[2]

لقد حَسُنتْ بكَ الأوقاتُ حتى كأنّكَ في فَمِ الزّمَنِ ابتِسامُ[3]

وأعطيتَ الذي لم يُعْطَ خَلْقٌ عَلَيْكَ صَلاةُ رَبّكَ والسّلامُ

سمت في الخير والشر كفه

يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي:

لجِنّيّةٍ أمْ غادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ لوَحْشِيّةٍ لا ما لوَحشيّةٍ شَنْفُ[4]

تتأكل به الأعضاء وتتساقط . يقول : إنك تتجنب هذا المال كما يتجنب السامري الأشياء النجسة فأنت تأمر بتوزيعه ولا تمسه .

١ عروك أي أتوك . والحبر ، بالكسر ويفتح، الرجل العالم . يعني أن العلماء يستفيدون منك ويتعلمون.

٢ المعلم البطل الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب . واللهام الكثير الذي يلتهم كل ما يمر به . أي إذا رآك الأبطال المعلمون قالوا هذا يصلح أن يكون علامة للجيش العظيم أي كما أن علامة الفارس تكون دليلا على شجاعته تكون أنت دليلا على قوة الجيش الذي تكون فيه .

٣ يقول : طابت بك أيام الدهر وظهرت بشاشتها حتى كأنه مبتسم بك .

٤ قوله لجنية أي ألجنية فحذف الهمزة . والغادة المرأة الناعمة . والسجف جانب الستر . ويريد بالوحشية الظبية من ظباء الصحراء . والشنف ما يعلق في أعلى الأذن . يتعجب من محاسن المحبوبة يقول: هذه التي رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء،والعرب إذا تعجبت من شيء نسبته إلى الجن . وقوله لوحشية يحتمل أن يكون استفهاماً كالأول ويحتمل أن يكون جواباً لنفسه أي بل لوحشية . ثم رجع عن ذلك فقال هي ذات شنف والوحشية لا شنف لها يعني هي غزالة إنسية .

نَفُورٌ عَرَتْها نَفرَةٌ فتَجاذَبَتْ   سَوالِفُها والحَلْيُ والخَصرُ والرِّدْفُ[1]

وخَيّلَ منها مِرْطُها فكأنّما   تَثَنّى لَنا خُوطٌ ولاحَظَنا خِشفُ[2]

زِيادَةُ شَيْبٍ وهيَ نَقصُ زِيادَتي   وقُوّةُ عِشقٍ وهيَ من قُوّتي ضُعْفُ[3]

أراقَتْ دَمي مَن بي منَ الوَجدِ ما بها   من الوَجدِ بي والشوْقُ لي ولها حِلْفُ[4]

أكَيداً لَنا يا بَينُ واصَلْتَ وَصْلَنَا   فلا دارُنا تَدنُو ولا عَيشُنا يَصفُو[5]

أُرَدّدُ وَيْلي لوْ قَضَى الوَيلُ حاجَةً   وأُكْثِرُ لَهفي لوْ شفى غُلّةً لَهْفُ[6]

ضَنًى في الهوَى كالسّمّ في الشّهدِ كامناً   لَذِذْتُ به جَهْلاً وفي اللّذّةِ الحَتفُ[7]

---

١ عرتها أي أصابتها . والسوالف جمع السالفة وهي ناحية مقدم العنق . والحلي ما عليها من الجواهر والمراد به هنا العقد . يقول : هي نفور بالطبع عرتها نفرة حادثة فتجاذبت سوالفها وعقدها وتجاذب خصرها وردفها .

٢ خيل أي مثل . والمرط كساء من خز . والجار من قوله منها زائد كما في قولهم جاء يهز من عطفه أي خيّلها مرطها . والخوط الغصن الناعم . والخشف ولد الظبية . يقول : إن ثوبها مثل لنا قامتها عند تلك النفرة فإذا هي كغصن يتثنى وغزال ينظر .

٣ زيادة شيب مبتدأ محذوف الخبر أي لي زيادة شيب . يقول : إن ما ازددته من الشيب مفض إلى نقص ما ازددته من الشباب وقوة ما بي من العشق مؤدية إلى ضعف البدن ونقص القوة .

٤ ويروى هراقت على الإبدال أي أسالت . وبي خبر مقدم عن ما والجملة صلة من . وبي الثانية متعلقة بالوجد . وكان أصل الكلام أن يقول بي من الوجد بها ما بها من الوجد بي فحذف لضيق المقام . والحلف الصديق المعاهد . يعني أنها تحبه وتشتاق إليه كما يحبها ويشتاق إليها .

٥ كيداً مفعول له . والبين البعد . يعاتب البعد يقول : ألكي تكيدنا أيها البعد واصلت وصلنا أي لازمته يعني كلما تواصلنا عرضت لنا فتفرقنا فلا تقرب لنا دار ولا يصفو لنا عيش .

٦ ويلي ولهفي حكاية أي اردد هاتين الكلمتين . واللهف التحسر على ما فات . والغلة العطش وحرارة الجوف .

٧ الضنى المرض الملازم وهو مبتدأ محذوف الخبر أي بي ضنى . وكامناً حال من السم . وجهلا مفعول له أو حال على تأويله بالوصف . والحتف الموت .

فأفنى وما أفنتْهُ نَفْسي كأنّمَا	أبو الفرَجِ القاضي له دونَها كَهفُ[1]
قليلُ الكرَى لوْ كانتِ البِيضُ والقنَا	كآرائِهِ ما أغنَتِ البَيضُ والزَّغْفُ[2]
يَقُومُ مَقامَ الجَيْشِ تَقطيبُ وَجهه	ويَستَغرِقُ الألفاظَ من لَفظِهِ حرْفُ[3]
وإنْ فَقَدَ الإعطاءَ حَنّتْ يَمينُهُ	إلَيْهِ حَنينَ الإلْفِ فارَقَهُ الإلْفُ[4]
أديبٌ رَسَتْ للعِلْمِ في أرضِ صَدْرِهِ	جِبالٌ جِبالُ الأرضِ في جنبها قُفُّ[5]

---

١ فاعل أفنى ضمير الضنى . وفي العبارة تنازع ، لك أن تجعل نفسي فاعل أفنت فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفاً لتأخر مرجعه لفظاً ونية أي فأفناها وما أفنته نفسي. ولك أن تجعلها مفعول أفنى فيكون فاعل أفنت ضميرها مستتراً . والكهف بمعنى الملجإ وهو خبر عن أبو الفرج . وله حال مقدمة عن كهف والضمير للضنى. ودونها صلة كهف. أي أفنى الضنى نفسي وما أفنته كأن الممدوح ملجأ له دونها فلم تقدر على إفنائه .

٢ الكرى النوم . والبيض السيوف . والقنا الرماح . والبيض في الشطر الثاني جمع بيضة وهي الخوذة من الحديد . والزغف جمع زغفة وهي الدرع اللينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الأمور وسياستها نافذ الآراء لو كان للسيوف والرماح نفاذ آرائه ما نفعت الخوذ والدروع لابسيها ولا أغنت عنهم شيئاً .

٣ التقطيب العبوس . واستغرقه أحاط به . يقول : هو مهيب السطوة بليغ الكلام إذا عبس خافت الناس عاقبة غضبه فانقلبوا إلى الطاعة فكأنه حاربهم بجيش وإذا نطق جمع باللفظ القليل ما يجمع غيره بالخطب المطولة فيكون كل حرف من لفظه قد قام مقام ألفاظ كثيرة .

٤ حنت اشتاقت . يقول : إنه قد ألف الإعطاء حتى انه لو لم يعط لاشتاقت يمينه إلى الإعطاء كما يشتاق الإلف إلى إلفه إذا فارقه .

٥ رست أي ثبتت . وفي جنبها أي بالنسبة إليها . والقف الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا استعار لعلمه اسم الجبال لزيادته على علم غيره وشدة رسوخه ومتانته ولما جعل علمه جبالا جعل صدره أرضاً استقرت فيها تلك الجبال . يقول : إن في صدره من جبال العلم ما تصغر جبال الأرض بالقياس إليه كالتلال في جنب الجبال .

جَوادٌ سَمَتْ في الخيرِ والشرّ كفُّهُ سُمُوّاً أوَدَّ الدَّهرَ أنَّ اسمَهُ كَفُّ[1]

وأضْحَى وبَيْنَ النّاسِ في كلّ سَيّدٍ مِنَ النّاسِ إلاّ في سِيادَتِهِ خُلْفُ[2]

يُفَدّونَهُ حتى كأنّ دِماءَهُمْ لجاري هَواهُ في عُروقِهِمِ تَقفُو[3]

وُقُوفَينِ في وَقْفَينِ شُكْرٍ ونَائِلٍ فنائِلُهُ وَقْفٌ وشُكرُهُمُ وَقْفُ[4]

ولمّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دامَ كَشْفُنَا عليهِ فدامَ الفَقدُ وانكشفَ الكَشْفُ[5]

وما حارَتِ الأوْهامُ في عُظْمِ شأنِهِ بأكثرَ ممّا حارَ في حُسْنِهِ الطّرْفُ[6]

---

١ الجواد الكريم المعطاء . وسمت علت وارتفعت . وأود الدهر جعله يود ويتمنى . أي أن كفه علت فوق الأكف في صنع الخير والشر فشرفت بذلك حتى تمنى الدهر لو أنه يسمى كفاً ليشارك كفه في ذلك الشرف .

٢ أضحى هنا تامة . والخلف الاختلاف وهو مبتدأ خبره بين الناس والجملة حال. أي أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يختلف فيها اثنان .

٣ يفدونه أي يقولون نفديه بأنفسنا لشدة محبتهم له . وتقفو تتبع . يعني أنهم يقدمون حبه على حب أنفسهم فكأن هواه سابق لدمائهم يجري أمامها في العروق وهي تجري وراءه .

٤ وقوفين حال من الضمير في يفدونه كما في قولك لقيته راكبين أي وأنا راكب وهو راكب. وأراد بالوقوف الواقف على وضع المصدر موضع الوصف والمصدر إذا وصف به استوى فيه الواحد وغيره . والوقف ما حبس على جهة مخصوصة . وشكر بدل تفصيل من وقفين . والنائل العطاء وهو تتمة التفصيل . أي أن الناس والممدوح فريقان قد وقفا في شيئين كل منهما وقف فنائله وقف على الناس لا ينصرف عنهم وشكرهم وقف عليه لا ينصرف عنه يعني أنه أبداً يعطي والناس أبداً يشكرونه .

٥ كشفنا أي بحثنا . والضمير في عليه للمثل . وقوله وانكشف الكشف أي افتضح من قولهم كشفته الكواشف أي فضحته الفواضح . يقول : لما لم نجد مثله في صفات المجد والكرم جعلنا نبحث عن أحد يماثله واستقرينا الكرام حتى فرغوا فلم نجد أحداً وحينئذ بقي هو منقطع النظير وافتضح بحثنا لأننا عدنا بالخيبة واليأس .

٦ النظر . أي أنه قد بلغ النهاية في الحسن كما بلغ النهاية في العظمة .

ولا نالَ مِنْ حُسّادِهِ الغَيظُ والأذَى بأعظَمَ ممّا نالَ من وَفرِهِ العُرْفُ[1]

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ ومَنْطِقُهُ حُكْمٌ وباطِنُهُ دِينٌ وظاهِرُهُ ظَرْفُ[2]

أماتَ رِياحَ اللّؤمِ وهْيَ عَواصِفٌ ومَغنى العُلى يودي ورَسْمُ النّدى يَعفُو[3]

فلَمْ نَرَ قَبلَ ابنِ الحُسَينِ أصابِعاً إذا ما هطَلْنَ استَحيَتِ الدِّيَمُ الوُطفُ[4]

ولا ساعِياً في قُلّةِ المَجْدِ مُدْرِكاً بأفعالِهِ ما لَيسَ يُدرِكُهُ الوَصْفُ[5]

ولم نَرَ شَيئاً يَحمِلُ العِبْءَ حَملَهُ ويَستَصغِرُ الدّنْيا ويَحمِلُهُ طِرْفُ[6]

ولا جَلَسَ البَحرُ المُحيطُ لِقاصِدٍ ومن تَحتِهِ فَرْشٌ ومن فوْقِه سقفُ[7]

---

١ الوفر المال الكثير . والعرف الجود واصطناع المعروف . يعني أن الحسد قد أثر في أعدائه نقصاً وهزالا ولكن ليس هذا الأثر فيهم بأعظم مما أثره جوده في المال .

٢ كياسة . وقد أخرج عروض هذا البيت تامة وعروض الطويل مقبوضة أبداً إلا مع التصريع فيجوز مطابقتها للضرب . قال الواحدي : ولو قال ومنطقه هدى أو تقى لصح الوزن .

٣ اللؤم الخسة . وعصف الريح شدة هبوبها . والمغنى المنزل والواو قبله للحال . ويودي أي يهلك . والرسم أثر الدار . والندى الجود . ويعفو ينمحي . أي أنه سكن رياح اللؤم عند اشتداد هبوبها على مغنى العلى ورسم الندى حتى كادت تذهب بهما فتلافاهما من الهلاك . والرياح والمغنى والرسم وما يتعلق بها استعارات .

٤ ويروى أناملا . وهطلن انسكبن أي سال منهن الجود وهو على إضمار تشبيههن بالسحب . والديم جمع ديمة وهي مطر يدوم أياماً والمراد السحائب ذات الديم . والوطف جمع وطفاء وهي المسترخية الجوانب لكثرة مائها .

٥ قلة الشيء أعلاه . يعني أنه بلغ بالفعل ما لا يبلغه غيره بالوصف .

٦ العبء الحمل الثقيل . وحمله مفعول مطلق . والطرف الفرس الكريم . يعني أنه عالي الهمة قوي النجدة يحمل من أثقال المهمات ما لا يحمله غيره ويرى الدنيا صغيرة يمكن أن يقلبها على كفه وهو مع ذلك يحمله فرس . يريد أن العظمة عظمة النفوس لا عظمة الأبدان .

٧ الفرش ما فرش من أثاث ونحوه تسمية بالمصدر . شبهه بالبحر المحيط لغزارة فضله وشمول كرمه. يقول : لم يجلس البحر قبله لمن يقصده وهو في غرفة ومن تحته الوسائد ومن فوقه الروافد .

فَـوا عَـجَبا مني أحاولُ نَعْتَـهُ وقد فنيَتْ فيه القراطيسُ والصُّحْفُ[1]

ومن كَثْرَةِ الأخبارِ عَن مَكْرُماتِهِ يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ ويأتي لهُ صِنْفُ[2]

وتَفْتَرُّ منهُ عَنْ خِصالٍ كأنّها ثَنَايا حَبيبٍ لا يُمَلُّ لَهَا رَشْفُ[3]

قصَدْتُكَ والرّاجونَ قَصدي إليهِمِ كثيرٌ ولكن ليسَ كالذّنَبِ الأنْفُ[4]

ولا الفِضّةُ البَيضاءُ والتّبرُ واحداً نَفوعانِ للمُكدي وبَيْنَهُما صَرْفُ[5]

ولَستَ بدونٍ يُرْتَجَى الغَيثُ دونَهُ ولا مُنتَهَى الجودِ الذي خلفَهُ خَلْفُ[6]

---

١ أحاول أطلب . والضمير من قوله فيه للنعت . والقراطيس الأوراق . والصحف جمع الصحيفة وهي الكتاب . يقول : أعجب من نفسي كيف ألتمس أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيري حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه .

٢ له في الموضعين حال مقدمة عن صنف . أي أن أخبار كرمه لا تزال تتجدد لكثرتها فيمر صنف منها ويأتي غيره فلا يمكن إحصاؤها .

٣ تفترّ تبتسم والضمير للاخبار . والثنايا الأسنان في مقدم الفم . والرشف الامتصاص . شبه خصال الممدوح بثنايا الحبيب لما توصف به من الحسن والنقاء وأن الأخبار تكشف عن تلك الخصال كما يكشف المفترّ عن ثناياه .

٤ الراجون مبتدأ خبره كثير . وقصدي مفعول به للراجون. يقول: قصدتك مع كثرة الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم ولكني اختصصتك دونهم لأنك مفضل عليهم تفضيل الأنف على الذنب . وفي البيت نظر إلى قول الحطيئة يمدح قوماً كانوا يلقبون بأنف الناقة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يقيس بأنف الناقة الذنبا

٥ البيضاء من النعت المراد به التأكيد كما في أمس الدابر . والتبر الذهب . وقوله نفوعان خبر عن محذوف أي هما نفوعان . والمكدي الفقير الذي لا خير عنده . والصرف الفضل يعني بينهما تفاوت . يقول: الفرق بينهم وبينك مثل الفرق بين الفضة والذهب فإنهما مع اجتماعهما في المنفعة يتفاوتان في مقدار النفع وكثرته .

٦ الدون الخسيس . والغيث المطر . وقوله خلفه خلف الأول خبر مقدم منصوب على الظرفية والثاني اسم مرفوع بالابتداء. يقول : لست بدون فيرتجى الغيث ولا ترتجى أنت أي أنت والغيث سواء

ولا واحداً في ذا الورى من جَماعَةٍ ولا البَعضَ من كلٍّ ولكنّكَ الضِّعْفُ[1]

ولا الضِّعْفَ حتى يَتبعَ الضِّعفَ ضِعفُه ولا ضِعفَ ضِعفِ الضِّعفِ بل مثله ألْفُ[2]

أقاضِينَا هذا الذي أنْتَ أهْلُهُ غَلِطْتُ ولا الثُّلثان هذا ولا النِّصْفُ[3]

وذَنْبِيَ تَقْصِيري وما جِئتُ مَادِحاً بذَنبي ولكنْ جِئتُ أسألُ أن تَعفُو[4]

....

في رجاء الخير ولا أنت منتهى الجود الذي بعده منتهى آخر ولكنك غايته القصوى التي من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها .

١ واحداً عطف على خبر ليس . والورى الخلق . وضعف الشيء أن يزاد عليه مثله . أي ولست واحداً من جماعة الخلق ولا بعضاً من كلهم ولكنك ضعف جميعهم أي مساوٍ لهم لأنك تغني غناءهم .

٢ الضعف معطوف على خبر ليس أيضاً . ومثله منصوب لأنه نعت ألف مقدم عليه ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال . والف خبر عن محذوف أي بل أنت ألف مثله. أي ولا تعدل بضعف الورى حتى يزيد الورى ضعفاً آخر فيصير ضعف ضعفه فتكون أنت ضعف ضعف الضعف . ثم رجع عن هذا فقال لا يكفي ذلك بل أنت ألف ضعف من مثل هذا الضعف . وفي هذا البيت من الثقل والتكلف ما لا يخفى ولو استغنى عنه المتنبي لكان أولى .

٣ الإشارة في الشطرين إلى المدح . وقوله ولا الثلثان عطف على محذوف دل عليه ما تقدم أي لا الذي أنت أهله هذا ولا الثلثان منه .

٤ يقول : إن تقصيري في مدحك ذنب لي فأنا لم أجيء مادحاً لك بهذا الذنب ولكن جئت أسأل أن تعفو عنه .

أسد فرائسها الأسود

يمدح علي بن منصور الحاجب * :

بأبي الشّموسُ الجانحاتُ غواربَا ... أللاّبساتُ منَ الحَريرِ جَلابِبَا[١]
ألمُنْهِباتُ عُقُولَنَا وقُلُوبَنَا ... وجَناتِهِنّ النّاهباتِ النّاهِبَا[٢]
ألنّاعِماتُ القاتِلاتُ المُحْيِيَا ... تُ المُبْدِياتُ منَ الدّلالِ غَرائِبَا[٣]
حاوَلْنَ تَفْدِيَتي وخِفْنَ مُراقِبا ... فوَضَعْنَ أيدِيَهُنّ فوْقَ تَرائِبَا[٤]
وبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشيتُ أُذيبُهُ ... من حَرّ أنْفاسي فكُنْتُ الذّائِبَا[٥]

* قيل إنه لم يجزه على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ولذلك سميت بالدينارية .

١ الباء للتفدية . والشموس يجوز فيها الرفع والنصب على ما مر في أول الكتاب . والجانحات المائلات . والجلابب جمع جلباب وهو ما يلتحف به من الثياب وأصله جلابيب فحذف الياء للضرورة . كنى بالشموس عن النساء وبغروبهن عن الارتحال .

٢ عقولنا مفعول ثان مقدم للمنهبات . وقلوبنا معطوف عليه . ووجناتهن مفعول أول . والناهبات نعت وجناتهن . أي اللواتي جعلن عقولنا وقلوبنا نهباً لوجناتهن يسبينها بمحاسنهن . ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب أي الرجل الشجاع الذي ينهب الناس .

٣ أي الناعمات الأبدان القاتلات بهجرهن المحييات بوصلهن . والمبديات أي المظهرات . والدلال جرأة المرأة على الرجل في تكسر وتغنج .

٤ حاولن أي أردن . والتفدية أن تقول للرجل بنفسي أفديك . والترائب جمع تريبة وهي العظم تحت الترقوة . يقول : أردن أن يقلن لي نفديك بأنفسنا فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوفاً من سمع الرقيب .

٥ أراد أن أذيبه فحذف لضيق المقام ، يريد بالبرد أسنانهن أي اني كنت أخاف على ثغورهن أن تذوب من حرارة أنفاسي فلما رحلن ذبت أنا من شوقي إليهن .

يا حَبّذا المُتَحَمّلُونَ وحَبّذا وَادٍ لَثَمْتُ بهِ الغَزالَةَ كاعِبَا[1]

كَيفَ الرّجاءُ منَ الخُطوبِ تخَلُّصاً منْ بَعْدِ ما أنْشَبنَ فيّ مَخالِبَا[2]

أوْحَدْنَني وَوَجَدْنَ حُزْناً واحداً مُتَناهِياً فجعَلْنَهُ لي صاحِبَا[3]

ونَصَبْنَني غَرَضَ الرّماةِ تُصيبُني مِحَنٌ أحَدُّ منَ السّيوفِ مَضارِبَا[4]

أظْمَتْنيَ الدّنْيا فَلَمّا جِئْتُها مُسْتَسْقِياً مَطَرَتْ عليّ مَصائِبَا[5]

وحُبِيتُ من خُوصِ الرِّكابِ بأسْوَدٍ من دارِشٍ فغَدَوْتُ أمشي راكِبَا[6]

حالٌ متى عَلِمَ ابنُ مَنصورٍ بهَا جاءَ الزّمانُ إليّ مِنْها تائِبَا[7]

---

١ المتحملون أي المرتحلون . والغزالة يمكن أن يراد بها الشمس أو الحيوان أي لثمت غزالة في صورة كاعب من النساء وهي الجارية التي بدا ثديها للنهود .

٢ الخطوب الأمور الثقال . وتخلصاً مفعول الرجاء أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف . وأنشبن علقن . والمخالب جمع المخلب ، بكسر الميم ، وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان . يقول : كيف أرجو أن أتخلص من الخطوب بعد تمكنها مني ونفاذ حكمها في .

٣ أوحدني أي صيرنني واحداً والضمير للخطوب . يقول : تركتني الخطوب وحيداً بعد تفريقها بيني وبين الأحبة وجعلت قريني بعدهم ما أجده من الحزن الوحيد المتناهي وهو حزن الفراق .

٤ الغرض الهدف يرمى بالسهام . ومضارباً تمييز وهي جمع مضرب ، بفتح الراء وكسرها ، وهو حد السيف .

٥ أظمتني أعطشتني وأصله أظمأتني بالهمز فخففه . والاستسقاء طلب السقي . يقول : إن حظه كان من الدنيا الحرمان فلما أقبل يلتمس جودها أفرغت عليه المصائب .

٦ حبيت أي أعطيت . والخوص جمع أخوص وهو الغائر العينين من الجهد والإعياء ومن الداخلة عليها للبدل . والركاب الإبل . والدارش جلد أسود . يقول : أعطيت بدلا من الإبل خفاً أسود فأنا راكب ماش .

٧ حال خبر عن محذوف أي هذه حال . ويروى حالا بالنصب على إضمار عامل محذوف أي أشكو أو أذم . والمعنى أن الممدوح متى علم بحالي التي ذكرتها فلا بد أن يتلافاها بإحسانه ويكف إساءة الزمان عني فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلي .

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وبَنَانُهُ يَتَبَارَيانِ دَماً وعُرْفاً سَاكِبَا[1]
يَستَصْغِرُ الخَطَرَ الكَبيرَ لوَفْدِهِ ويَظُنُّ دِجْلَةَ ليسَ تكفي شارِبَا[2]
كَرَماً فلَوْ حَدّثْتَهُ عن نَفْسِهِ بعَظيمِ ما صَنَعَتْ لظَنّكَ كاذِبَا[3]
سَلْ عَن شَجاعَتِهِ وزُرْهُ مُسالماً وَحَذارِ ثمّ حَذارِ منهُ مُحارِبَا[4]
فالمَوْتُ تُعرَفُ بالصّفاتِ طِباعُهُ لم تَلْقَ خَلْقاً ذاقَ مَوْتاً آئِبَا[5]
إنْ تَلْقَهُ لا تَلْقَ إلاّ جَحْفَلاً أوْ قَسطَلاً أو طاعِناً أو ضارِبَا[6]
أو هارِباً أو طالِباً أو راغِباً أو راهِباً أو هالِكاً أو نادِبَا[7]

---

١ السنان نصل الرمح . والبنان أطراف الأصابع والمراد بها الكف . ويتباريان يتعارضان وهو أن يفعل كل منهما مثل فعل صاحبه . ودماً تمييز أو منصوب على نزع الخافض أي في دم . والعرف المعروف أراد به الجود . والساكب المنسكب . أي أن سنان رمحه يقطر دماً من الأعداء وكفه تقطر جوداً على الأولياء .

٢ الخطر الأمر الخطير أي العظيم . واللام من قوله لوفده بمعنى عند أي عند وفده . ودجلة نهر ببغداد .

٣ كرماً مفعول له عامله يظن في البيت السابق . ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقاً أي كرم كرماً . يقول : لو قصصت عليه ما صنع من الأفعال العظيمة لظنك تحدثه بالكذب لخروج تلك الأفعال عن طوق المقدرة .

٤ حذار اسم فعل بمعنى احذر . ومسالماً ومحارباً حالان من ضمير المخاطب . يقول : استخبر عن شجاعته وتعرفها بالسؤال لا بالقتال فإنك إن قاتلته قتلت ولم تعلم شيئاً مما تريد أن تعلمه . ثم ضرب لذلك مثلا في البيت التالي .

٥ خلقاً أي مخلوقاً وهو مفعول أول لتلق . وآئباً راجعاً وهو مفعول ثان . أي أن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة إذ لم نجد أحداً مات ثم عاد فيخبر الناس عن حقيقة الموت .

٦ الجحفل الجيش الكثير . والقسطل غبار الحرب . أي أنه لا ينفك عن هذه المذكورات .

٧ تفصيل لأحوال الناس معه أي لا تجد إلا هارباً من أعدائه أو طالباً وراءه من أصحابه أو راغباً في إحسانه أو راهباً من بأسه أو هالكاً بسيفه أو نادباً من أسراه .

وإذا نَظَرْتَ إلى الجِبالِ رَأَيْتَهَا فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلاً وقَوَاضِبا[1]

وإذا نَظَرْتَ إلى السُّهُولِ رَأَيْتَها تَحْتَ الجِبالِ فَوارِساً وجَنَائِبا[2]

وعَجاجَةً تَرَكَ الحَديدُ سَوادَها زِنْجاً تَبَسَّمُ أوْ قَذالاً شائِبا[3]

فكأنَّما كُسِيَ النَّهارُ بها دُجَى لَيْلٍ وأطْلَعَتِ الرِّماحُ كَواكِبا[4]

قد عَسْكَرَتْ مَعَها الرَّزايا عَسْكَراً وتَكَتَّبَتْ فيها الرِّجالُ كَتائِبا[5]

أُسُدٌ فَرائِسُها الأُسُودُ يَقُودُها أَسَدٌ تَصيرُ لَهُ الأُسُودُ ثَعالِبا

في رُتْبَةٍ حَجَبَ الوَرَى عَن نَيْلِها وعَلا فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الحاجِبا[6]

ودَعَوْهُ من فَرْطِ السَّخاءِ مُبَذِّراً ودَعَوْهُ من غَصْبِ النُّفوسِ الغاصِبا[7]

---

١ فوق السهول حال من الضمير المنصوب في رأيتها . وكذا قوله تحت الجبال في البيت الثاني . والعواسل الرماح وهي مفعول ثان لرأيتها . والقواضب السيوف . يعني أن جيشه قد غطى الجبال فلا يرى فيها إلا الأسلحة حتى كأنها جبال من الرماح والسيوف .

٢ جمع الجنيبة من الخيل وهي التي تقاد إلى جنب الفارس .

٣ العجاجة الغبار تروى بالنصب عطفاً على ما تقدم وبالجر على إضمار رب . والزنج طائفة من السودان. تبسم أصله تتبسم فحذف إحدى التاءين . والقذال مؤخر الرأس . شبه بريق الأسلحة في سواد الغبار بتبسم الزنج وشيب القذال .

٤ الدجى جمع دجية وهي ظلمة الليل . واطلعت يروى بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح فيكون المعنى أن الرماح اطلعت من أسنتها كواكب . ويروى بصيغة المجهول لمشاكلة قوله كسي أي أن الرماح أُطلعت هي كواكب . وكواكب على الأول مفعول به وعلى الثاني حال أي منيرة كالكواكب. يقول : كأن الغبار كسا النهار ظلمة الليل فكانت الرماح كالكواكب في تلك الظلمة .

٥ عسكرت أي تجمعت . والضمير في معها للعجاجة . والرزايا المصائب . وتكتبت تجمعت كتائب وهي الطوائف من الجيش واحدتها كتيبة . وعسكراً وكتائب حالان . أي أن المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر ينصب على العدو وتكاثرت فيها رجال الممدوح حتى صارت كتائب .

٦ الورى الخلق . وقوله علي أراد علياً فمنع صرفه للوزن وهو جائز في الأعلام .

٧ الفرط اسم من الإفراط بمعنى المبالغة وتجاوز الحد . والغصب أخذ الشيء قهراً .

هذا الذي أفنى النُّضارَ مَواهِباً وعِداهُ قَتْلاً والزَّمانَ تَجارِبا[1]

ومُخَيِّبُ العُذّالِ مِمّا أمّلُوا مِنْهُ ولَيسَ يَرُدّ كَفّاً خائِبا[2]

هذا الذي أبصَرْتُ منهُ حاضِراً مِثْلَ الذي أبْصَرْتُ مِنْهُ غائِبا[3]

كالبَدْرِ من حَيثُ التَفَتَّ رَأيْتَهُ يُهْدي إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقِبا[4]

كالبَحْرِ يَقذِفُ للقَريبِ جَواهِراً جُوداً ويَبْعَثُ للبَعيدِ سَحائِبا

كالشّمسِ في كَبِدِ السّماءِ وضَوْؤها يَغْشَى البِلادَ مَشارِقاً ومَغارِبا[5]

أمُهَجِّنَ الكُرَماءِ والمُزْري بِهِمْ وتَرُوكَ كلَّ كَريمِ قَوْمٍ عاتِبا[6]

شادوا مَناقِبَهُمْ وشِدْتَ مَناقِباً وُجِدَتْ مَناقِبُهُمْ بِهِنّ مَثالِبا[7]

---

١ النضار الذهب . ومواهباً وما بعده تمييز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعطايا والأعداء بالقتل والزمان بالتجارب بمعنى أنه قد جرب من أحوال الزمان وغرائبه ما لم يدع عند الزمان شيئاً لم يعرفه فلا يقع له شيء لم يجرب بمثله .

٢ مخيب معطوف على الخبر في البيت السابق . والكف انثى في الفصيح ، وإنما ذكرها هنا قيل على معنى العضو وقيل على إرادة السائل. ويمكن أن يكون المراد خائباً صاحبها على رفع الوصف للسببي وحذف لضيق المقام .

٣ ويروى أبصرت على الخطاب . وحاضراً وغائباً على الوجهين حال من فاعل أبصرت .

٤ مضيئاً .

٥ كبد السماء وسطها . والمعنى في هذه الأبيات واحد يريد أنه عام النفع للقريب والبعيد .

٦ هجنه قبحه والهمزة للنداء . وأزرى به عابه. وتروك بمعنى تارك . وعاتباً مفعول ثان لتروك والمفعول الأول المضاف إليه . ويروى عائباً . يقول : إنك هجنت الكرام لتقصيرهم عن مبلغ كرمك وتركتهم عاتبين عليك لما أظهرت من نقصهم أو عائبين لك حسداً .

٧ شادوا بنوا ورفعوا . والمناقب المفاخر . والمثالب المعايب . أي لما قوبلت مناقبك بمناقبهم ظهرت مناقبهم أمامها كالعيوب .

لَبَّيْكَ غَيْظَ الحاسِدِينَ الرّاتِبَا إنّا لَنَخْبُرُ من يَدَيْكَ عَجَائِبَا[1]
تَدبيرَ ذي حُنَكٍ يُفَكِّرُ في غَدٍ وهُجُومَ غِرٍّ لا يَخافُ عَواقِبَا[2]
وعَطاءَ مالٍ لوْ عَدَاهُ طالِبٌ أنْفَقْتَهُ في أنْ تُلاقِيَ طالِبَا[3]
خُذْ مِنْ ثَنَايَ عَلَيْكَ ما أسطيعُهُ لا تُلْزِمَنّي في الثّناءِ الواجِبَا[4]
فلَقَدْ دَهِشْتُ لِما فَعَلْتَ ودونَهُ ما يُدهِشُ المَلَكَ الحَفِيظَ الكاتِبَا[5]

....

١ لبيك كلمة إجابة وطوع . وغيظ الحاسدين منادى . والراتب الثابت المقيم . ونخبر أي نشاهد ونعلم . أظهر الإجابة للممدوح كأن الممدوح يناديه بلسان جوده لصوغ الثناء عليه كما قال: لبي نداك لقد نادى فأسمعني ، وسماه غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك .

٢ التدبير النظر في عواقب الأمور وهو بدل من عجائب في البيت السابق أو مبتدأ محذوف الخبر أي لك تدبير . والحنك جمع حنكة وهي الخبرة والتجربة . والغر الجاهل الذي لم تحكمه التجارب . يقول : إنه يدبر ملكه تدبير حكيم مختبر ويهجم في الحرب هجوم جاهل لا ينظر في العواقب .

٣ عطاء معطوف على تدبير . وعداه أي فاته . يقول : إنه لو لم يجد طالباً يعطيه أمواله لأنفقها في البحث عن طالب يعطيه .

٤ أسطيعه أي أستطيعه فحذف التاء . يقول : إني أثني عليك بقدر ما أستطيع لا بقدر ما يجب لك علي لأنه فوق طاقتي .

٥ دهش تحير . ودونه خبر مقدم عن الموصول بعده . وقوله الملك الحفيظ يقولون إن لكل إنسان ملكاً موكلا به يكتب حسناته وسيئاته . يعتذر عما ذكره في البيت السابق يقول : كيف أستطيع أن أحصي ثناءك وقد تحيرت بأفعالك ومن دون إحصاء أفعالك ما يحير الملك الكاتب بكثرته .

لا تسلم الأعداء منه ويسلم

يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ
يتولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظَماً بالبَيْنِ والصّدُّ أعظَمُ ... ونَتّهِمُ الواشِينَ والدّمْعُ مِنْهُمُ [1]

ومَنْ لُبُّهُ مَع غَيرِهِ كَيفَ حالُهُ ... ومَنْ سِرّهُ في جَفْنِهِ كيفَ يُكتَمُ [2]

ولمّا التَقَيْنا والنّوَى ورَقيبُنا ... غَفُولانِ عَنّا ظِلْتُ أبكي وتَبسِمُ [3]

فلَمْ أرَ بَدراً ضاحِكاً قبلَ وجهِها ... ولم تَرَ قَبْلي مَيّتاً يتَكَلّمُ

ظَلومٌ كمَتنَيْها لِصَبٍّ كَخَصْرِها ... ضَعيفِ القُوَى مِن فِعلِها يَتَظَلّمُ [4]

بفَرْعٍ يُعيدُ اللّيْلَ والصّبْحُ نَيّرٌ ... ووَجهٍ يُعيدُ الصّبحَ واللّيلُ مُظلِمُ [5]

فلَوْ كانَ قَلبي دارَها كانَ خالِياً ... ولكنّ جَيشَ الشّوْقِ فيهِ عرَمرَمُ [6]

---

١ البين البعد . والواشي النمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه لأن مسافته لا تقطع بالمسير كما تقطع مسافة البين . ونتهم الوشاة بإفشاء اسرارنا والدمع واحد منهم لكشفه عما في الصدور فهو أولى بالتهمة .

٢ اللب العقل . وقوله يكتم يروى بالمعلوم والمجهول . يريد بكون السر في الجفن أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . والمعنى أن قلبه أسير غيره ودمعه دائم السيلان فهو سيء الحال دائم الافتضاح .

٣ النوى البعد والواو قبلها للحال . وظلت أي ظللت . وقوله أبكي وتبسم أي أبكي من الوجد وهي تضحك من التيه .

٤ المتنان ما على جانبي الصلب عن يمين وشمال . ويتظلم أي يتشكى . يصفها بدقة الخصر وامتلاء المتن ويشبه نفسه بخصرها في الضعف والنحول . يقول : إنها قد ظلمته بتكليفه ما لا يطيق حمله من ثقل الدلال كما ظلم متناها خصرها بتكليفه حملها .

٥ الفرع شعر الرأس والباء متعلقة بمحذوف تقديره تبدو ونحوه .

٦ العرمرم الكثير . يقول : إنها قد رحلت عن دارها وتركتها خالية ولكن قلبي لا يخلو مثلها

أثافٍ بها ما بالفؤادِ مِنَ الصِّلَى ... ورَسْمٌ كجسمي ناحِلٌ مُتَهَدِّمُ[1]

بَلَلْتُ بها رُدْنِيَّ والغَيمُ مُسْعِدي ... وعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وفي عَبْرَتي دَمُ[2]

ولَوْ لم يكُنْ ما انْهَلَّ في الخدِّ من دمي ... لما كانَ مُحْمَرّاً يَسيلُ فأسْقَمُ[3]

بنَفْسِي الخَيالُ الزّائري بعد هجعةٍ ... وقولَتُهُ لي بعدَنا الغُمضَ تَطعَمُ[4]

سَلامٌ فلَوْلا الخوْفُ والبُخلُ عندَهُ ... لقُلتُ أبو حَفْصٍ عَلَيْنا المُسَلِّمُ[5]

مُحِبُّ النّدَى الصّابي إلى بَذْلِ ماله ... صُبُوّاً كمَا يَصْبُو المُحبُّ المُتَيَّمُ[6]

وأُقْسِمُ لَوْلا أنّ في كلّ شَعْرَةٍ ... لَهُ ضَيغَماً قُلنا لهُ أنتَ ضَيغَمُ[7]

لأن فيه من الشوق جيشاً عظيماً .

١ الأثافي الحجارة تنصب تحت القدر واحدتها أثفية وهي مبتدأ محذوف الخبر أي فيها أو هناك أثاف . والصلى الحريق . والرسم أثر الدار . يشبه الأثافي بقلبه في الاحتراق ورسم دارها بجسمه في النحول والانهدام وهو على عكس التشبيه للمبالغة .

٢ بها أي فيها والضمير للدار . والردن أصل الكم . وأسعده أعانه . والعبرة الدمع . والصرف الخالص يستعمل للمذكر والمؤنث . يقول : بكيت في تلك الدار وجرى الغيث يساعدني في البكاء ولكن دموعه كانت ماء صرفاً ودموعي كانت ممزوجة بالدم .

٣ انهل سال . وقوله يسيل خبر آخر لكان . يقول : لو لم يكن دمعي من دمي لم يكن أحمر ولم أسقم بعد سيلانه .

٤ الباء للتفدية . والهجعة الرقدة . وقوله بعدنا أي أبعدنا بهمزة الإنكار فحذف لضيق المقام . وطعم الشيء ذاقه . يقول : عاتبني الخيال الزائر على المنام واتهمني بالسلو لأن من فارقته أحبته لا ينام .

٥ سلام من حكاية قول الخيال في البيت السابق وهو مبتدأ محذوف الخبر أي عليك سلام . ويروى سلاماً بالنصب أي اسلم سلاماً . وأبو حفص كنية الممدوح . يقول : لولا أن هذا الخيال جبان لا يزور مجاهراً وبخيل لا يجود بمطلوب لحملني الابتهاج به على أن أظنه أبا حفص يسلم علي .

٦ الندى الجود . والصابي المشتاق . والمتيم الذي تعبده الحب . يعني أنه يصبو إلى إنفاق ماله على السائلين كما يصبو المحب إلى محبوبه .

٧ له نعت شعرة . والضيغم الأسد . يقول : إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه

أَنَنْقُصُهُ من حَظِّهِ وهْوَ زائِدٌ ونَبْخَسُهُ والبَخْسُ شيءٌ مُحَرَّمُ[1]
يَجِلّ عنِ التّشبيهِ لا الكَفُّ لُجّةٌ ولا هوَ ضِرْغامٌ ولا الرّأيُ مِخذَمُ[2]
ولا جُرْحُهُ يُؤْسَى ولا غَوْرُهُ يُرَى ولا حَدُّهُ يَنْبُو ولا يَتَثَلّمُ[3]
ولا يُبْرَمُ الأمْرُ الذي هوَ حالِلٌ ولا يُحْلَلُ الأمْرُ الذي هوَ مُبْرِمُ[4]
ولا يَرْمَحُ الأذْيالَ مِنْ جَبَرِيّةٍ ولا يَخْدُمُ الدّنْيَا وإيّاهُ تَخدُمُ[5]
ولا يَشْتَهي يَبْقَى وتَفْنَى هِبَاتُهُ ولا تَسْلَمُ الأعداءُ منْهُ ويَسْلَمُ[6]
ألَذُّ مِنَ الصّهْبَاءِ بالماءِ ذِكْرُهُ وأحْسَنُ مِنْ يُسرٍ تَلَقّاهُ مُعدِمُ[7]
وأغْرَبُ من عَنقاءَ في الطّيرِ شكلُهُ وأعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ منه يُحرَمُ[8]

ولولا ذلك لقلنا إنه أسد .

١ يعني أنه زاد على الأسد فإن جعلناه كالأسد فقد نقصناه حظه وبخسناه حقه .

٢ اللجة معظم الماء . والضرغام الأسد . والمخذم السيف القاطع .

٣ يؤسى يداوى . والغور العمق والضمير المضاف إليه للجرح . ويحتمل أن يكون للممدوح على أنه يريد بالغور الرأي والتدبير أي أن تدبيره لا يدرك . وحده على المعنى الأول يراد به حد سيفه . وعلى الثاني حد عزيمته على تشبيهها بالسيف وهو من الاستعارة المكنية . وينبو أي يكل عن الضريبة .

٤ فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ضرورة وهو من التجوزات المكروهة .

٥ الرمح الرفس بالرجل يقال للمختال إنه ليرمح الأذيال وذلك إذا كان ذيله طويلا فلم يرفعه وضربه برجله . والجبرية الكبر . يقول : إنه على فخامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب عجباً واختيالا وليس من الذين يخدمون الدنيا ويجهدون في طلب حطامها ولكن الدنيا تخدمه وتسوق إليه أرزاقها بما يحمل إليه من جبايات الملك .

٦ أراد أن يبقى فحذف ان للضرورة . وتسلم معطوف على يبقى أي ولا أن تسلم . أي أنه لا يشتهي البقاء وهباته معدومة ولا السلامة وأعداؤه سالمون منه .

٧ الصهباء الخمر . واليسر الغنى . والمعدم الفقير .

٨ العنقاء طائر غريب المنظر يقال إنه موجود الاسم مفقود الجسم . والطير اسم جنس يقع على الواحد

وأكثرُ من بَعدِ الأيادي أياديًا	منَ القَطرِ بعد القَطْرِ والوَبلُ مُثجِمُ[1]
سَنيٌّ العَطايا لوْ رَأى نَوْمَ عَينِهِ	منَ اللّؤمِ آلى أنّهُ لا يُهَوِّمُ[2]
ولو قالَ هاتُوا دِرْهَماً لم أجُدْ بهِ	على سائلٍ أعيا على النّاسِ دِرْهَمُ[3]
ولَوْ ضَرّ مَرْأً قَبْلَهُ ما يَسُرّهُ	لأثّرَ فيهِ بأسُهُ والتّكَرّمُ[4]
يُرَوّي بكالفِرْصادِ في كلّ غارَةٍ	يَتامَى منَ الأغمادِ تُنضَى فتُوتِمُ[5]
إلى اليَوْمِ ما حَطّ الفِداءُ سُرُوجَهُ	مُذُ الغَزْوِ سارٍ مُسرَجُ الخيلِ مُلجَمُ[6]

والجمع . والشكل المثل والنظير . وأعوز تفضيل من قولهم عوز الشيء إذا لم يوجد . والمسترفد السائل . يقول : إن نظير هذا الممدوح أغرب من العنقاء وأقل وجوداً من سائله المحروم يريد المبالغة في كثرة عطائه حتى لا يوجد من يسأله فيرجع خائباً .

١ الأيادي النعم . وأيادياً تمييز . ومن القطر صلة أكثر . والوبل المطر الغزير والواو قبله للحال . وأثجم المطر كثر ودام . أي أن نعمه أكثر تتابعاً من قطر المطر حين يكون المطر كثير القطر دائم الهطلان .

٢ السني الشريف . واللؤم الخسة والجار والمجرور في موضع المفعول الثاني لرأى . وآلى أقسم . والتهويم هز الرأس من النعاس . يقول : لو كان النوم الذي لا بد منه للانسان يعد من اللؤم لحلف أنه لا ينام .

٣ أعيا عليه الأمر أعجزه . يقول : لو كلف الناس أن يأتوه بدرهم لم يكن من عطاياه لعجزوا عن وجدانه يعني أن كل ما في أيدي الناس من ماله .

٤ يقول : لو كان ما يسر الانسان يؤثر فيه ضرراً لكان أقرب شيء يؤثر في هذا الممدوح بأسه وكرمه لشدة ارتياحه إليهما وسروره بهما .

٥ الفرصاد ثمر التوت الأحمر . والكاف هنا اسم بمنزلة مثل أي بدم مثل الفرصاد . والغارة اسم من أغار على القوم إذا هجم عليهم في منازلهم . ويتامى مفعول يروي . والظرف بعده متعلق به . وكنى باليتامى عن سيوفه . وتنضى تسل . وتوتم مضارع أيتم . أي يروي بدم مثل الفرصاد سيوفاً قد فارقت أغمادها فصارت مثل اليتامى وتلك السيوف تيتم أبناء العدو بقتلها آباءهم .

٦ سار خبر عن محذوف أي هو سار . ومسرج يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه

يَشُقُّ بلادَ الرّومِ والنّقْعُ أبْلَقٌ ... بأسْيافِهِ والجَوُّ بالنّقْعِ أدْهَمُ[1]

إلى المَلِكِ الطّاغي فكَمْ من كَتيبَةٍ ... تُسايِرُ منهُ حَتْفَها وهيَ تَعْلَمُ[2]

ومِنْ عاتِقٍ نَصرانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ ... أسيلَةِ خَدٍّ عَنْ قَليلٍ سيُلْطَمُ[3]

صُفُوفاً للَيْثٍ في لُيُوثٍ حُصُونُها ... مُتُونُ المَذاكي والوَشيجُ المُقَوَّمُ[4]

تَغيبُ المَنَايا عَنْهُمُ وهْوَ غائِبٌ ... وتَقْدَمُ في ساحاتِهِمْ حينَ يَقْدَمُ[5]

أجِدَّكَ ما تَنفَكُّ عانٍ تَفُكُّهُ ... عُمَ بنَ سُلَيْمانٍ ومالٌ تُقَسِّمُ[6]

فيكون بفتح الراء أو إلى منصوبه فيكون بكسرها . وقوله ملجم أي ملجمها فحذف الضمير لضيق المقام وهو مثل مسرج في حكميه . يقول : إنه منذ الغزو إلى اليوم مشتغل بفداء أسارى المسلمين من أيدي الروم لم يحط هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا تنفك كذلك .

١ النقع الغبار . والأبلق ما فيه سواد وبياض . والأدهم الأسود . أي يخترق بلادهم وغبار جيشه أبلق ببياض السيوف والجو من فوقه أسود لارتفاع ذلك الغبار في العنان .

٢ يريد بالملك الطاغي ملك الروم . والكتيبة الفرقة من الجيش . وتساير تعارض في السير أي هو يسير إليها وهي تسير إليه . وقوله منه تجريد والضمير للممدوح . والحتف الموت . يقول : كم من كتيبة لهذا الملك تعارض الممدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنها تعارض حتفها .

٣ العاتق البكر . ونصرانة أي نصرانية . وخد أسيل أي ناعم طويل . يقول : وكم من عاتق من نسائهم برزت للممدوح أي خرجت من سترها مسبية وهي ذات خد ناعم ولكنه سيلطم بعد قليل .

٤ صفوفاً حال من ضمير برزت وإنما جمع لأن عاتق هنا في معنى الجماعة . والليث بدل من قوله له في البيت السابق . والمتون جمع متن وهو الظهر . والمذاكي الخيل المسنة . والوشيج شجر تتخذ منه الرماح . أي برزت هذه العواتق صفوفاً لليث قد قام بين ليوث تحصنت بالخيل والرماح .

٥ يعني أن الموت مصاحب له فيغيب عنهم عند غيبته لأنه يكف عن قتلهم ويقدم عند قدومه وعوده إلى القتال .

٦ قوله أجدك أي أجداً منك وهو مصدر نائب عن فعله منصوب به ولا يستعمل إلا مضافاً . والعاني الأسير وهو مبتدأ خبره الجملة بعده وهو مع خبره خبر تنفك . وإنما جاز الابتداء به لوروده في

مُكافيكَ مَنْ أولَيْتَ دينَ رَسولِهِ يداً لا تُؤدّي شُكرَها اليَدُ والفَمُ[1]

على مَهَلٍ إنْ كنتَ لَستَ براحِمٍ لنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فإنّكَ تُرْحَمُ[2]

مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وشانيكَ مُفحَمٌ ومِثْلُكَ مَفقودٌ ونَيلُكَ خِضرِمُ[3]

وزارَكَ بي دونَ المُلوكِ تَحَرُّجٌ إذا عَنَّ بَحْرٌ لم يَجُزْ لي التَيَمّمُ[4]

فعِشْ لوْ فدى المَملوكُ رَبّاً بنفسِهِ من الموْتِ لم تُفقَدْ وفي الأرضِ مُسلمُ[5]

مقام التقسيم . وعم ترخيم عمر جرى فيه على مذهب الكوفيين . وقوله ومال تقسم أي تقسمه فحذف الضمير للمقام .

١ مكافيك خبر مقدم عن الموصول بعده وأصله بالهمز فلينه للضرورة . وأوليت أي أعطيت . واليد الأولى بمعنى القوة وهي مفعول ثان لأوليت . يقول : إن مكافأتك عند الله الذي عززت دين رسوله بقوة لا تكافئها يد بنعمة ولا فم بحمد .

٢ يقول : ارفق بنفسك فإنك إن كنت لا ترحمها من بذلك إياها في الغزو فإن الناس يرحمونك.

٣ الشاني المبغض وهو مهموز في الأصل فلينه للوزن . والمفحم العاجز عن النطق . والنيل العطاء . والخضرم الكثير .

٤ الباء من قوله بي للتعدية . والتحرج تجنب الحرج وهو الاثم . وعن أي ظهر . والتيمم التوضؤ بالتراب . يقول : حملني على اختصاصك بالزيارة دون غيرك من الملوك تحرجي من قصدهم مع إمكان قصدك ، ثم مثله بالبحر ومثلهم بالتراب ولا يجوز استعمال التراب عند وجود الماء .

٥ يريد أن كل مسلم مملوك له فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكه لم يمت ما دام في الأرض واحد من المسلمين .

يا مغنياً أمل الفقير لقاؤه

يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب :

أرَكائِبَ الأحْبابِ إنّ الأدْمُعَا تَطِسُ الخُدودَ كما تَطِسْنَ اليرْمَعا[1]

فاعْرِفْنَ مَن حمَلْتْ عليكنّ النّوَى وامشينَ هَوْناً في الأزِمّةِ خُضَّعَا[2]

قد كانَ يَمنَعني الحَياءُ منَ البُكَا فاليَوْمَ يَمْنَعُهُ البُكا أنْ يَمْنَعَا[3]

حتّى كأنّ لكُلّ عَظْمٍ رَنّـةً في جِلْدِهِ ولكُلّ عِرْقٍ مَدْمَعَا[4]

وكَفَى بمَن فضَحَ الجَدايةَ فاضِحاً لمُحبّهِ وبمَصْرَعي ذا مَصْرَعَا[5]

سَفَرَتْ وبَرْقَعَها الفِراقُ بصُفْرَةٍ سَتَرَتْ مَحاجِرَها ولم تَكُ بُرْقُعَا[6]

---

١ الركائب جمع ركاب وهي الإبل والهمزة الداخلة عليها للنداء . والوطس الضرب الشديد . واليرمع حجارة رخوة . يعني أن الدموع تقرع الخدود بشدة انصبابها وتبريها من الهزال كما تفعل أخفاف الإبل بالحجارة التي تطأها .

٢ النوى البعد وهي فاعل حملت . والهون الرفق والتمهل وهو منصوب على المصدر أو الحال . والأزمة جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة . يخاطب الإبل يقول : اعرفن قدر الحبيبة التي تحملنها ولا تزعجنها بالسرعة والمرح ولكن امشين بها رويداً خاضعات .

٣ يعني أن الحياء كان غالباً على البكاء واليوم غلب البكاء على الحياء .

٤ الرنة صوت الباكي . والضمير في جلده للعظم ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع مجرى الدمع . يقول : إنه لكثرة بكائه وانتحابه صار كأن كل عظم من عظامه يرن وكل عرق يدمع .

٥ الجداية الغزال . وفاضحاً تمييز . والمصرع كناية عن المقتل وهو مصدر ميمي من صرعه أي طرحه على الأرض . يعني أن محبوبه متناه في الحسن وهو متناه في العشق .

٦ سفرت أي كشفت عن وجهها . والمحاجر ما حول العينين . يقول : سفرت عن وجهها للوداع فألبسها وجل الفراق صفرة غطت ما كان في لونها من البياض والحمرة حتى عادت كأنها مبرقعة .

فكأنّها والدّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَها ذَهَبٌ بِسِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ قد رُصّعَا[1]

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ من شَعْرِها في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا[2]

واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السّماءِ بوَجْهِها فأرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ في وقْتٍ مَعَا[3]

رُدّي الوِصالَ سقَى طُلُولَكِ عارِضٌ لوْ كانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ ما أقْشَعَا[4]

زَجِلٌ يُرِيكِ الجَوَّ ناراً والمَلا كالبَحْرِ والتّلَعاتِ رَوْضاً مُمْرِعَا[5]

كبَنَانِ عَبدِ الواحدِ الغَدِقِ الذي أرْوَى وأمّنَ مَن يَشاءُ وأجْزَعَا[6]

ألِفَ المُروءَةَ مُذْ نَشَا فَكَأنّهُ سُقِيَ اللِّبَانَ بهَا صَبِيّاً مُرْضَعَا[7]

نُظِمَتْ مَواهِبُهُ عَلَيْهِ تَمائِماً فاعْتادَها فإذا سَقَطْنَ تَفَزّعَا[8]

---

١ الضمير من كأنها للصفرة . والسمط خيط القلادة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط .

٢ ويروى كشفت . والذوائب جمع ذؤابة وهي الخصلة من الشعر والأصل ذآئب فأبدل من الهمزة الأولى واو تخفيفاً . يقول : صارت تلك الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها .

٣ القمر والشمس والمراد بالشمس وجهها .

٤ الطلول جمع طلل وهو رسم الدار . والعارض السحاب المعترض في الأفق . واقشع انكشف وزال . يدعو لطلولها بالسقيا ويقول : لو كان وصلك مثل العارض الذي أتمناه لها لكان دائماً لا ينقطع .

٥ الزجل المصوت يريد صوت رعده . والملا بالقصر الصحراء . والتلعات التلال . والممرع المخصب . يصف هذا العارض يقول : يملأ الجو ببرقه حتى يرى كأنه نار ويملأ الصحراء بمائه حتى ترى كالبحر ويخصب التلال حتى تصير كالروض الخصيب .

٦ البنان أطراف الأصابع . والغدق الكثير الماء . يشبه هذا السحاب بيد الممدوح في الجود .

٧ اللبان الرضاع أراد به اللبن مجازاً . وصبياً حال .

٨ التمائم جمع تميمة وهي خرز يعلق على المولود . وقوله نظمت يروى مجهولا أي أن مواهبه جعلت له بمنزلة التمائم التي تعلق على من يراد وقايته من سوء يصيبه فإذا تركها خاف على نفسه ما يخافه من

تَرَكَ الصَّنائِعَ كالقَواطِعِ بارِقا ... تِ والمَعاليَ كالعَوالي شُرَّعَا[1]

مُتَبَسِّماً لِعُفاتِهِ عَنْ واضِحٍ ... تَغْشَى لَوامِعُهُ البُروقَ اللُّمَّعَا[2]

مُتَكَشِّفاً لِعُداتِهِ عَنْ سَطْوَةٍ ... لَوْ حَكَّ مَنكِبُها السَّماءَ لَزَعزَعَا[3]

الحازِمَ اليَقِظَ الأغَرَّ العالِمَ الـ ... فَطِنَ الألَدَّ الأرْيَحيَّ الأرْوَعَا[4]

ألكاتِبَ اللَّبِقَ الخَطيبَ الواهِبَ الـ ... نَّدُسَ اللَّبيبَ الهِبْرِزِيَّ المِصْقَعَا[5]

نَفْسٌ لها خُلُقُ الزَّمانِ لأنَّهُ ... مُفْني النُّفُوسِ مُفَرِّقٌ ما جَمَّعَا[6]

ويَدٌ لهَا كَرَمُ الغَمَامِ لأنَّهُ ... يَسقي العِمارَةَ والمكانَ البَلقَعَا[7]

سقطت تمائمه . ويروى معلوماً ، قال ابن فورجة : إنما يعني ما حصلت له المواهب من الحمد والمدائح وأدعية الفقراء فهو إذا لم يسمع ما تعوده أنكر ذلك وكان كمن ألقى تمائمه فيفزع .

١ ترك بمعنى صير . والصنائع جمع صنيعة وهي النعمة والمعروف . والقواطع السيوف . والعوالي صدور الرماح . وشرعت الرمح فشرع أي سددته فتسدد لازم متعد ورماح شرع . يعني أنه جعل صنائعه مشرقة لامعة كسيوفه ومعاليه منتصبة مرتفعة كرماحه .

٢ متبسماً حال من فاعل ترك . والعفاة السؤال . والواضح أي الثغر . وتغشى تغطي . ويريد بلوامعه ثناياه . أي يغلب نور ابتسامه على لمعان ضوء البرق ويخفيه .

٣ التكشف الظهور . وحك أي زحم . ويروى صك بالصاد . والمنكب مجمع عظم العضد والكتف . أي أنه يجاهر أعداءه بالعداوة ولا يكاتمهم إياها وله سطوة لو زاحم بها السماء لزعزعها،وجعل لسطوته منكباً ، لأن الزحام يكون بالمناكب .

٤ الحازم الضابط للأمور ونصبه على إضمار عامل محذوف أي أمدح أو أعني . والأغر الشريف . ويروى الأعز . والألد الشديد الخصومة . والأريحي الواسع الصدر الذي يرتاح للمعروف والكرم . والأروع من يعجبك بجماله أو شجاعته .

٥ الندس الفطن . والهبرزي الجميل الوسيم وقيل السيد الكريم . والمصقع الخطيب البليغ .

٦ نفس مبتدأ محذوف الخبر أي له نفس . والجملة بعدها نعت لها . أي لنفسه أخلاق الزمان للمشابهة بينهما فيما ذكر .

٧ العمارة أي الأرض العامرة تسمية بالمصدر . والبلقع الخالي . يعني أن جوده لا يفوت فقيراً ولا

أبَداً يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفْرٍ وافرٍ ويَلُمّ شَعْبَ مكارمٍ مُتَصَدِّعَا[1]

يَهْتَزّ للجَدْوَى اهْتِزازَ مُهَنَّدٍ يَوْمَ الرّجاءِ هَزَزْتَهُ يومَ الوَغى[2]

يا مُغْنِياً أمَلَ الفَقيرِ لِقَاؤهُ ودُعاؤهُ بَعْدَ الصّلاةِ إذا دَعَا[3]

أقْصِرْ ولَستَ بمُقْصِرٍ جُزْتَ المدى وبلغتَ حيثُ النّجمُ تحتكَ فارْبَعَا[4]

وحَلَلْتَ من شرَفِ الفَعالِ مَواضعاً لم يَحْلُلِ الثّقَلانِ مِنْها مَوْضِعَا[5]

وحَوَيْتَ فَضْلَهُما وما طَمِعَ امرُؤٌ فيهِ ولا طَمِعَ امرُؤٌ أنْ يَطْمَعَا[6]

نَفَذَ القَضاءُ بمَا أرَدْتَ كأنّهُ لكَ كُلّما أزْمَعْتَ أمراً أزمَعَا[7]

موسراً فهو مثل الغمام الذي يسقي عامر الأرض وغامرها .

١ يصدع أي يفرق . والشعب الشمل . والوفر المال الكثير . ويلم يجمع . أي أن دأبه تفريق شمل الأموال وجمع شمل المكارم .

٢ الجدوى العطاء . والمهند السيف المطبوع من حديد الهند . ويوم الرجاء متعلق بيهتز . والوغى اختلاط الأصوات يعني جلبة الحرب . والجملة قبله نعت مهند . أي يهتز للجدوى يوم الرجاء كما يهتز السيف يوم الحرب .

٣ لقاؤه فاعل الصفة . ودعاؤه معطوف عليه . أي أن أمل الفقير يستغني بلقائه إياه ودعائه له بطول البقاء ودوام السعادة لما هو معروف به من فرط السخاء وإغاثة البائسين .

٤ أقصر عن الشيء تركه مع القدرة عليه . وقوله ولست بمقصر اعتراض أي ولست ممن يقصر وإن أمرتك بالإقصار . والمدى الغاية . وقوله فاربعا أصله فاربعن بالنون الخفيفة فأبدل منها ألفاً للوقف أي فتوقف .

٥ الفعال ، بالفتح ، اسم للفعل الحسن ، وبالكسر ، جمع فعل . والثقلان الإنس والجن .

٦ ضمير التثنية للثقلين . يقول : حويت فضل الخلائق انسها وجنها وما طمع غيرك أن يحويه ولا حدث نفسه بهذا المطمع لبعد مناله .

٧ لك خبر كأن . وأزمع الشيء عزم عليه . يقول : كأن القضاء مملوك لك فكلما أزمعت أمراً أزمعه فأنفذ مرادك . ويحتمل أن يكون لك صلة أزمع أي أن القضاء منفذ لما تريد فكلما أزمعت أمراً أزمع هو ذلك الأمر لأجلك .

وأطاعَكَ الدّهْرُ العَصِيُّ كأنّهُ عَبْدٌ إذا نادَيْتَ لَبّى مُسْرِعَا

أكَلَتْ مَفاخِرُكَ المَفاخرَ وانْثَنَتْ عن شأوِهنّ مَطيٌّ وَصْفي ظُلَّعَا[١]

وجَرَيْنَ جَرْيَ الشّمسِ في أفلاكِها فقَطَعْنَ مَغرِبَها وجُزْنَ المَطْلِعَا[٢]

لوْ نِيطَتِ الدّنْيا بأخْرَى مِثْلِها لَعَمَمْنَها وخَشينَ أنْ لا تَقْنَعَا[٣]

فمَتى يُكَذَّبُ مُدّعٍ لكَ فَوْقَ ذا واللهُ يَشْهَدُ أنّ حَقّاً ما ادّعَى[٤]

ومتى يُؤدّي شَرْحَ حالِكَ ناطِقٌ حَفِظَ القَليلَ النّزْرَ مِمّا ضَيّعَا[٥]

إنْ كانَ لا يُدْعَى الفَتى إلاّ كَذا رَجُلاً فَسَمِّ النّاسَ طُرّاً إصْبَعَا[٦]

---

١ انثنت رجعت . والشأو الغاية . والمطي جمع مطية وهي الركوبة . وظلعاً أي تخمع في مشيها . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حتّى أفنتها فلم يبق فخر لأحد منهم وانصرفت مطايا وصفي قاصرة عن غايتها فلم يبلغها ما أقوله فيك .

٢ ضمير الإناث للمفاخر . يقول : سارت مفاخرك في الأرض مسير الشمس في الفلك حتّى قطعت المغارب والمشارق .

٣ نيطت علقت . يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها لعمتها مفاخرك أيضاً وبقيت خائفة أن لا تقنع منها بذلك. ويروى لعممتها وخشيت بتاء المخاطب في الأول والمتكلم في الثاني أي لعممتها بسعة فضلك وبعد همتك وخفت أن لا تقنع بها لأن همتك تقتضي فوقها .

٤ جعل اسم أن نكرة وهو خاص بالضرورة وكان الوجه أن يقول إن ما ادعى حق فقدم وأخر . يريد بشهادة الله في الممدوح ما أظهره للناس من فضائله التي ابدعها فيه وإذا كان الله يشهد لمن يدعي له ذلك فلا يمكن تكذيب شهادته .

٥ النزر القليل وصفه به للتقرير . أي حفظ القليل من الصفات التي ضيعها لكثرتها فهو يذكر أقل مما يترك .

٦ رجلا مفعول ثان ليدعى . وطراً حال. أي إذا كان الفتى لا يدعى رجلا إلا إذا كان مثلك فالناس كلهم يسمون اصبعاً لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل .

إنْ كانَ لا يَسْعَى لجُودٍ ماجِدٌ إلاَّ كَذا فالغَيْثُ أبْخَلُ مَن سَعَى[1]

قَدْ خَلَّفَ العَبّاسُ غُرَّتَكَ ابْنَهُ مَرْأًى لَنا وإلى القِيامَةِ مَسْمَعَا[2]

ورائي وقدامي عداة

اجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قنسرين فسمع زئير الأسد فقال :

أجارُكِ يا أُسْدَ الفَراديسِ مُكْرَمُ فتَسكُنَ نَفسي أمْ مُهانٌ فمُسلَمُ[3]

ورائي وقُدّامي عُداةٌ كَثيرَةٌ أُحاذِرُ مِنْ لِصٍّ ومنكِ ومِنْهُمُ

فهَلْ لكِ في حِلفي على ما أُريدُهُ فإنّي بأسْبابِ المَعيشَةِ أعْلَمُ[4]

إذاً لأتاكِ الرِّزْقُ مِنْ كلِّ وِجْهَةٍ وأثْرَيْتِ مِمّا تَغْنَمينَ وأغْنَمُ[5]

---

١ أي إن كان لا يصح سعي ماجد لجود حتى يفعل مثل فعلك فالغيث أبخل الساعين لقصوره عن ذلك . وجعل الغيث أبخل الساعين مبالغة وبياناً لبعد التفاوت بينه وبينه .

٢ العباس أبو الممدوح . وغرة الشخص طلعته . وابنه منادى أي يا ابنه . ومرأى ومسمعاً حالان . أي أن أباك قد خلف لنا طلعتك نشاهد ما خصت به من الجمال والكرم ويبقى ذكرها من بعدنا إلى يوم القيامة .

٣ مخذول . يخاطب أسود هذا المكان يقول : هل يكون من جاورك مكرماً عزيزاً فأطمئن إلى جوارك أم يكون مهاناً مخذولا .

٤ الحلف المعاهدة . والجار متعلق بمحذوف مبتدإ مخبر عنه بالجار والمجرور قبله والتقدير هل لك رغبة ونحوه . يقول : هل ترغبين في معاهدتي على ما أريده من جوارك فإني أعلم منك بالتصرف في كسب المعاش كأنه يرغبها في مجاورته .

٥ اللام داخلة في جواب إذاً . والوجهة الناحية . وأثرى كثر ماله . يقول : إن رغبت في مصاحبتي أتاك الرزق من كل ناحية واستغنيت بالغنائم التي نغنمها .

إنما الناس حيث أنت

يمدح عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي :

صِلَةُ الهَجْرِ لي وهَجرُ الوِصالِ نَكَساني في السُّقمِ نُكسَ الهِلالِ[1]

فَغَدا الجِسْمُ ناقِصاً والذي يَنْـ قُصُ مِنْهُ يَزِيدُ في بَلْبَالي[2]

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ من رَيَّـ ا كَخالٍ في وجنةٍ جنبَ خالِ[3]

بطُلُولٍ كأنَّهُنَّ نُجُومٌ في عِراصٍ كأنَّهُنَّ لَيالِ[4]

ونُؤيٍّ كأنَّهُنَّ عَلَيْهِـ نَّ خِدامٌ خُرْسٌ بسُوقٍ خِدالِ[5]

---

١ اللام من قوله لي للتقوية متعلقة بصلة . والنكس رجوع المرض بعد زواله . يقول : إن مواصلة هجر الحبيب لي وهجر وصاله إياي قد أعاداني إلى السقم بعد صحتي كما يعود القمر إلى المحاق بعد تمامه .

٢ البلبال الهم والحزن . يقول : إن جسمه ينقص بالهزال وكلما نقص منه شيء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص .

٣ الدمنة ما تلبد من آثار الدار . والدو الفلاة . وريا اسم الحبيبة . ومن الداخلة عليه بيانية أي من دمن ريا . شبه الفلاة بالوجنة والدمنتين عليها بخالين أحدهما إلى جنب الآخر .

٤ الطلول جمع طلل وهو رسم الدار . والباء متعلقة بقف . والعراص جمع عرصة وهي ساحة الدار .

٥ النؤي جمع نؤي وهو الحفرة حول الخباء تمنع السيل . والضمير في كأنهن للنؤي . وفي عليهن للطلول . والخدام جمع خدمة ، بفتحتين ، وهي الخلخال . وخرس أي لا صوت لها . والسوق جمع ساق . والخدال الغلاظ جمع خدلة . شبه النؤي حول آثار الأخبية بالخلاخيل حول السوق ووصف الخلاخيل بالخرس والسوق بالغلظ لأن الساق إذا كانت غليظة ملأت الخلخال فلم يتحرك ولم يسمع له صوت .

لا تَلُمْني فإنّني أعْشَقُ العُشّـ ـاقِ فيها يا أعْذَلَ العُذّالِ[١]

ما تُريدُ النّوَى منَ الحَيّةِ الذوّ اقِ حَرَّ الفَلا وبَرْدَ الظّلالِ[٢]

فهوَ أمضَى في الرّوْعِ من مَلَكِ المَوْ تِ وأسرَى في ظُلمةٍ من خيالِ[٣]

ولحَتْفٍ في العِزّ يَدْنُو مُحِبٌّ ولعُمْرٍ يَطُولُ في الذّلّ قالِ[٤]

نحنُ رَكْبٌ مِلْجِنّ في زِيّ ناسٍ فوْقَ طَيرٍ لها شخوصُ الجِمالِ[٥]

من بَنَاتِ الجَديلِ تَمشي بنا في الـ ـبِيدِ مَشْيَ الأيّامِ في الآجالِ[٦]

كُلُّ هَوْجاءَ للدّياميمِ فيها أثَرُ النّارِ في سَليطِ الذُّبَالِ[٧]

....

١ الضمير من قوله فيها للمحبوبة والحرف متعلق بتلمني . أي لا تلمني في هواها فإنني أعشق العشاق وإن كنت أنت أعذل العذال .

٢ النوى البعد . والحية تطلق على الذكر والأنثى . والفلا القفار . عنى بالحية نفسه يريد أنه متعود السير في الحر والبرد فلا تؤثر فيه الأسفار .

٣ أمضى أي أنفذ . والروع المخافة . وأسرى من السرى وهو مشي الليل . شبه نفسه بملك الموت لأنه يخوض معامع الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف . ويريد بالخيال الطيف الذي يأتي في النوم فإنه لا يبالي ببعد المسافات .

٤ الحتف الموت . واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب . ويدنو نعت حتف . ومحب معطوف على الخبر في البيت السابق . والقالي المبغض . يقول : إنه محب للحتف القريب إذا كان في العز ومبغض للعمر الطويل إذا كان في الذل .

٥ الركب جمع الراكب . وقوله ملجن أي من الجن فحذف النون لالتقاء الساكنين حملا على حروف العلة لمناسبتها لها في الغنة . والزي الهيئة . يريد أنهم كالجن في ألفة المجاهل والفلوات وركائبهم كالطير في سرعة قطع المسافات .

٦ الجديل فحل كريم تنسب إليه الإبل . والبيد جمع بيداء وهي الصحراء . يريد أنها تقطع المفاوز قطع الأيام للآجال حتى تفنيها .

٧ الهوجاء الناقة التي لا تستوي في سيرها لخفتها ونشاطها. والدياميم جمع ديمومة وهي المفازة لا ماء

عامِداتٍ للبَدْرِ والبَحْرِ والضِّرْ غامَةِ ابنِ المُبارَكِ المِفْضالِ[1]

مَنْ يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيْمانَ في المُلْ كِ جَلالاً ويُوسُفاً في الجَمَالِ[2]

ورَبيعاً يُضاحِكُ الغَيْثُ فيهِ زَهَرَ الشُّكْرِ من رِياضِ المَعالي[3]

نَفَحَتْنَا منهُ الصَّبَا بنَسيمٍ رَدَّ روحاً في مَيِّتِ الآمَالِ[4]

هَمُّ عَبدِ الرَّحمَنِ نَفعُ المَوالي وبَوارُ الأعْداءِ والأمْوالِ[5]

أكبرُ العَيبِ عندَهُ البُخلُ والطّعْ نُ علَيْهِ التّشْبيهُ بالرِّئْبَالِ[6]

والجِراحاتُ عِندَهُ نِعِمَاتٌ سُبِقَتْ قَبلَ سَيْبِهِ بِسُؤالِ[7]

بها . والسليط الزيت . والذبال جمع ذبالة وهي الفتيلة . أي أن المفاوز قد ألهبتها بالظماء والحر فأثرت فيها أثر النار في دهن الفتيلة .

١ عامدات أي قاصدات . والضرغامة الأسد . يشبه الممدوح بهذه المذكورات .

٢ الجلال العظمة . ونصب على التمييز .

٣ ربيعاً معطوف على مفعول يزر في البيت السابق . والغيث المطر . شبه الممدوح بالربيع وهو الزمن المعروف وعطاياه بالمطر وشكر الشاكرين بالزهر والمعالي بالرياض . يقول : إن جوده يمطر على السائلين فتبتسم له ثغور الثناء ابتسام الزهر بعد المطر .

٤ نفحت الريح هبت وهو خاص بالريح الباردة . والصبا ريح الشرق وهي توصف بالعذوبة واللين . لما شبه الممدوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذي يهب في الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه حيي بها ما مات من آمالنا .

٥ الموالي الأصدقاء . والبوار الهلاك .

٦ عنده أي في رأيه واعتقاده . والرئبال الأسد . يقول : إن أكبر العيوب عنده البخل فهو يتجنبه ويتحاماه وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه لأنه تشبيه له بما هو دونه .

٧ يجوز في نعمات كسر العين على الاتباع وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم فتكون جمع الجمع . والسيب العطاء . والسؤال الطلب والباء متعلقة بسبقت . يريد أن عادته سبق عطائه للسؤال فإذا سبق السؤال عطاءه كان ذلك مؤلماً له كالجراحة عند المجروح .

ذا السِّراجُ المُنيرُ هذا النَّقيُّ الـ جَيْبِ هذا بَقيّةُ الأبْدالِ[1]

فَخُذا ماءَ رِجْلِهِ وانْضِحا في الـ مُدْنِ تأمَنْ بَوائقَ الزِّلْزالِ[2]

وامْسَحا ثَوْبَهُ البَقيرَ على دا ئِكُما تُشْفَيا منَ الإعْلالِ[3]

مالِئاً منْ نَوالِهِ الشّرْقَ والغرْ بَ ومن خوْفِهِ قُلوبَ الرِّجالِ[4]

قابِضاً كَفَّهُ اليَمينَ على الدّنْ يَا ولَوْ شاءَ حازَها بالشِّمالِ

نَفْسُهُ جَيْشُهُ وتَدْبيرُهُ النّصْ رُ وألحاظُهُ الظُّبَى والعَوالي[5]

ولَهُ في جَماجِمِ المالِ ضَرْبٌ وَقْعُهُ في جَماجِمِ الأبْطالِ[6]

فَهُمُ لاتّقائِهِ الدّهْرَ في يَوْ مِ نِزالٍ ولَيسَ يَوْمُ نِزالِ[7]

---

١ الجيب ما انفتح من القميص على النحر . والنقي الجيب كناية عن الطاهر من العيب أي أن ثوبه لا يشتمل على دنس . والأبدال الأولياء والعباد لأنهم بدل من الأنبياء وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

٢ النضح الرش . والبوائق جمع بائقة وهي الداهية . والزلزال ، بالفتح ، اسم ، وبالكسر مصدر . يخاطب صاحبيه يقول : خذا ماء رجل هذا الممدوح إذا توضأ ورشاه على المدن فتأمن وقوع الزلازل فيها ببركة صلاحه .

٣ البقير قميص يشق بلا كمين وهو بيان للثوب . والاعلال مصدر أعله الله إذا أصابه بعلة وهي المرض .

٤ مالئاً حال مضمرة العامل أي هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه .

٥ يقول : إنه لشجاعته يقوم بنفسه مقام الجيش ونصره قائم بتدبيره لا بقوة السلاح والرجال وهيبته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح .

٦ استعار للمال جماجم للمشاكلة بينه وبين الأبطال في عجز البيت . قال الواحدي : المعنى أنه يفرق ماله بالعطاء فإذا فني المال أتى أعداءه فضرب جماجمهم وأغار على أموالهم فوقع ضربه في رؤوس أمواله يكون في الحقيقة في رؤوس الأبطال لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم .

٧ الاتقاء الحذر والمخافة . وفي يوم نزال خبر والظرفان قبله متعلقان به . وخبر ليس في آخر البيت

رَجُلٌ طِينُهُ منَ العَنبَرِ الوَرْ دِ وطِينُ العِبادِ مِنْ صَلْصَالِ[1]

فَبَقِيّاتُ طِينِهِ لاقَتِ المَا ءَ فَصارَتْ عُذُوبَةً في الزُّلالِ[2]

وبَقايا وقارِهِ عافَتِ النّا سَ فصارَتْ رَكانَةً في الجِبالِ[3]

لَستُ ممّنْ يَغُرُّهُ حُبُّكَ السّلْ مَ وأنْ لا تَرَى شُهودَ القِتالِ[4]

ذاكَ شيءٌ كَفاكَهُ عَيشُ شانِيـ ـكَ ذَليلاً وقِلّةُ الأشْكالِ[5]

واغْتِفارٌ لَوْ غَيّرَ السُّخطُ منْهُ جُعِلَتْ هامُهُمْ نِعالَ النّعالِ[6]

لجِيادٍ يَدْخُلْنَ في الحَرْبِ أعرا ءً ويَخرُجنَ مِن دَمٍ في جِلالِ[7]

محذوف أي ليس هناك يوم نزال ونحو ذلك . وهذا البيت مفرع على الذي قبله يقول : فهم لذلك أبداً يخافونه حتى كأنهم لا يزالون معه في يوم حرب ولا حرب عليهم .

١ الورد الذي يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال الطين الذي يعمل منه الفخار .

٢ الماء الصافي السهل المرور في الحلق . يقول : إن ما بقي من طينة خلقه اجتمع مع الماء فصار زلالا عذباً .

٣ الوقار الحلم والرزانة . وعاف الشيء كرهه . والركانة الرسوخ والسكون . أي أن ما بقي من الوقار الذي جعله الله فيه كره أن يحل في الناس فحل في الجبال فاستفادت بذلك ثباتها وسكونها .

٤ يغره أي يخدعه . والسلم خلاف الحرب . وترى من الرأي . والشهود مصدر بمعنى الحضور . وتتمة الكلام في البيت التالي .

٥ ذاك إشارة إلى القتال . وكفاكه بمعنى أغناك عنه . والشاني المبغض وأصله الهمز فلينه للوزن . والأشكال الأمثال . يقول : لا يغرني ما أراه من محبتك للسلم وأنك لا رأي لك في القتال فأنسب ذلك إلى الجبن فإنما كان ذلك منك لعدم الحاجة إليه والاستغناء عنه بذلة عدوك وقلة الأكفاء الذين يستحقون أن تنازلهم في الحرب .

٦ الاغتفار بمعنى المغفرة وهو معطوف على فاعل كفاك . والجار من قوله منه زائد أي لو غيره السخط . والهام الرؤوس والضمير المضافة إليه للأعداء المدلول عليهم بقوله شانيك . أي لو غير سخطك عليهم ما عندك من العفو والتجاوز عنهم لدست رؤوسهم بحوافر خيلك حتى تصير نعالا لنعالها .

٧ الجياد الخيل والحرف متعلق بمحذوف حال من نعال في آخر البيت السابق وهو تضمين. والأعراء

واستَعارَ الحَديدُ لَوْناً وألْقى ... لَوْنَهُ في ذَوائِبِ الأطْفالِ[1]

أنتَ طَوراً أمَرُّ مِنْ ناقِعِ السّمّ ... وطَوْراً أحْلى مِنَ السّلْسالِ[2]

إنّما النّاسُ حَيثُ أنْتَ وما النّا ... سُ بناسٍ في مَوْضِعٍ منكَ خالِ[3]

وعقاب لبنان

يمدح أبا علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب وكان يذهب إلى التصوف :

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجى الرُّقَبَاءُ ... إذْ حَيثُ كنتِ مِنَ الظّلامِ ضِياءُ[4]

قَلَقُ المَليحَةِ وهْيَ مِسْكٌ هَتكُها ... ومَسيرُها في اللّيلِ وهيَ ذُكاءُ[5]

جمع عري ، بالضم ، وهو الذي لا سرج عليه . والجلال جمع جل وهو ما تلبسه الدابة . أي يدخلن في الحرب ولا جلال عليهن ويخرجن وقد غطاهن دم الأبطال حتى صار عليهن كالجلال .

١ استعار معطوف على جواب لو . والذوائب جمع ذؤابة وهي خصلة الشعر . كنى بالحديد عن السيوف . والمراد باللون الذي تستعيره حمرة الدم وباللون الذي تلقيه في ذوائب الأطفال بياض الشيب .

٢ الطور التارة ونصب على الظرف . والناقع من السم البالغ الثابت . والسلسال الماء العذب .

٣ يقول : أنت الناس فهم يوجدون حيث توجد ويفقدون حيث تفقد .

٤ الازديار افتعال من الزيارة . والدجى جمع دجية وهي الظلمة . وإذ تعليلية . وحيث خبر مقدم عن ضياء مضاف إلى الجملة بعده . وكنت تامة بمعنى حصلت ووجدت . ويروى حيث أنت فيكون الضمير مبتدأ محذوف الخبر أي حيث أنت حاصلة ونحوه . ومن الظلام يجوز أن تكون من فيه للبدل أي بدل الظلام ضياء فيكون الظرف في موضع الحال من ضياء . ويجوز أن تكون للبيان أي في موضع كونك من الظلام فيكون الظرف في موضع الحال من حيث . والمعنى أن الرقباء قد أمنوا زيارتك لي لأن الظلام الذي تدخلين فيه يضيء بنورك فتفتضحين .

٥ القلق الاضطراب وهو مبتدأ خبره هتكها . ومسيرها معطوف على قلق . وذكاء علم للشمس .

أسَفي على أسَفي الذي دَلّهتَني عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَلَيّ خَفَاءُ[1]
وَشَكِيَّتي فَقْدُ السَّقامِ لأنّهُ قَدْ كانَ لمّا كانَ لي أعضاءُ
مَثّلْتِ عَيْنَكِ في حَشايَ جِراحَةً فتَشابَهَا كِلْتاهُمَا نَجْلاءُ[2]
نَفَذَتْ عَلَيّ السّابِرِيَّ ورُبّما تَنْدَقّ فيهِ الصَّعْدَةُ السّمْراءُ[3]
أنا صَخْرَةُ الوادي إذا ما زُوحِمَتْ وإذا نَطَقْتُ فإنّني الجَوْزاءُ[4]
وإذا خَفِيتُ على الغَبيّ فَعَاذِرٌ أنْ لا تَرانيَ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ[5]

يقول : إن المليحة مسك فمتى تحركت انهتك سترها بسطوع رائحتها وكذلك هي شمس فمتى سارت بالليل رآها الناس .

١ أسفي مبتدأ خبره الظرف بعده . ودلهه العشق ونحوه أذهب عقله وأذهله . يريد أنه كان قبل ذلك يتأسف على زمان وصالها فلما ألحت عليه بالهجر ذهب عقله حتى لم يعد يعرف الأسف فصار يتأسف على ذلك الأسف الذي كان له لأنه كان حينئذ عاقلا . وعلى هذا الأسلوب يجري البيت الذي يليه .

٢ مثلت أي صورت . والجراحة الجرح وهي مفعول ثان لمثلت أو تمييز . وقوله فتشابها يريد العين والجراحة وإنما ذكر الضمير حملا على المعنى كأنه قال فتشابه الفريقان ونحوه . والنجلاء الواسعة . يقول : لما نظرت إلي صورت في قلبي مثال عينك جرحاً واسعاً فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .

٣ ضمير نفذت للعين . والسابري الدرع المحكمة الدقيقة النسج . وتندق تنكسر . والصعدة القناة المستوية من منبتها . أي أن نظرتها نفذت الدرع إلى قلبه فلم تحصنه الدرع منها مع أنها تحصنه من الرماح .

٤ صخرة الوادي مثل في الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تقدر على اقتلاعها . والجوزاء من أبراج الفلك . يقول: إذا زوحمت لم يقدر أحد على إزالتي فأنا مثل هذه الصخرة وإذا نطقت لم يبلغ أحد طبقتي فأنا في علو المنطق مثل الجوزاء .

٥ عاذر خبر عن محذوف أي فأنا عاذر . يقول : إذا خفي مكاني على الغبي فلم يعرف فضلي ولم يعترف بعلو قدري فأنا عاذر له على ذلك لأنه كالأعمى الذي لا يرى الأشباح وهو معذور على ذلك لعجزه عن رؤيتها .

شِيَمُ اللّيالي أنْ تُشكّكَ ناقتي صَدْري بها أفضَى أمِ البَيداءُ[1]
فتَبيتُ تُسئِدُ مُسْئِداً في نَيّها إسْآدَها في المَهْمَهِ الإنْضاءُ[2]
بَيْني وبَينَ أبي عَليٍّ مِثْلُهُ شُمُّ الجِبالِ ومِثْلَهُنّ رَجاءُ[3]
وعِقابُ لُبنانٍ وكيفَ بقَطْعِها وهُوَ الشّتاءُ وصَيفُهُنّ شِتاءُ[4]
لَبَسَ الثّلُوجُ بها عَليّ مَسَالِكي فكأنّها ببَيَاضِها سَوْداءُ[5]
وكَذا الكَريمُ إذا أقامَ ببَلْدَةٍ سَالَ النُّضارُ بها وقامَ الماءُ[6]

---

١ الشيم جمع شيمة وهي الطبيعة والخلق . وشككه حمله على الشك . وقوله صدري أراد أصدري فحذف لضيق المقام . وأفضى من الفضاء وهو الاتساع . والبيداء الفلاة . يقول : من طبع الليالي أن تبعد علي مطالبي وترميني بالنصب وطول الأسفار حتى توقع الشك عند ناقتي هل يكون صدري أفضى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفضى وذلك لما ترى من سعة صدري وطول تجلدي على المشقات والأسفار .

٢ الإسآد إدمان السير أو سير الليل بلا تعريس . ومسئداً حال من فاعل تسئد مرفوعه الإنضاء في آخر البيت . والني الشحم . وإسآدها مفعول مطلق عامله مسئداً . والمهمه الصحراء . والإنضاء مصدر أنضى الدابة إذا هزلها . والمعنى أن ناقته تبيت سائرة والهزال يسير في شحمها كما تسير هي في الفلاة.

٣ شم الجبال بدل من قوله مثله والأشم المرتفع . ومثلهن منصوب على الحال لأنه نعت نكرة قدم عليها . يقول : بيني وبين هذا الممدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم مثل هذه الجبال .

٤ العقاب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب من الجبل . وقوله بقطعها متعلق بمحذوف أي كيف الظن ونحوه . وقوله وهو الشتاء الواو للحال والضمير بعدها للشأن أخبر عنه بمفرد وقد مر مثله . أي وبيني وبينه أيضاً عقاب هذا الجبل وكيف الظن بقطعها والوقت شتاء وصيف هذه الجبال مثل الشتاء .

٥ لبس الأمر عليه عماه . وبها حال من الثلوج والضمير للعقاب . والضمير في كأنها الثلوج أو للمسالك . والباء من قوله ببياضها متعلقة بمعنى التشبيه . يقول : إن الثلوج في هذه الجبال قد أخفت علي مسالكي فضللت فيها كما يضل السالك في سواد الليل .

٦ النضار الذهب . وقام السائل جمد. أي أن الكريم إذا أقام بمكان بدل العادات وغير المطبوعات فيسيل

جَمَدَ القِطارُ ولَوْ رَأتْهُ كَمَا تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الأنْواءُ[1]

في خَطِّهِ مِن كلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ حتى كأنَّ مِدادَهُ الأهْواءُ[2]

ولِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ في قُرْبِهِ حتى كأنَّ مَغيبَهُ الأقْذاءُ[3]

مَنْ يَهتَدي في الفِعْلِ ما لا تَهْتَدي في القَوْلِ حتى يَفعَلَ الشّعراءُ[4]

في كلِّ يَوْمٍ للقَوافي جَوْلَةٌ في قَلْبِهِ ولأُذْنِهِ إصْغَاءُ[5]

وإغارَةٌ في ما احتَوَاهُ كأنّمَا في كُلِّ بَيْتٍ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ[6]

الذهب يعني بالعطايا والهبات ويجمد الماء . ومعنى البيت متصل بالبيت السابق يشير إلى ما ذكره من الثلوج وقد أوضح طريق ذلك في البيت التالي .

١ القطار جمع القطرة من المطر . وفاعل ترى ضمير القطار . وبهتت دهشت وتحيرت . وتتبجس تتفجر . والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من الشرق والعرب تنسب المطر إلى ذلك . وفي الكلام تنازع بين رأت وبهتت وتتبجس لك أن تجعل أيها شئت رافعاً للأنواء وتضمر في الآخرين . يقول : إن قطرات المطر جمدت تعجباً من جوده ولو رأته الأنواء كما تراه قطرات المطر لتحيرت فلم تأت بمطر .

٢ المداد الحبر . والأهواء جمع هوى وهو صبوة القلب . يصفه بحسن الخط يقول : كأن حبره من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون بقلوبهم إليه .

٣ قرة العين كناية عن السرور . والأقذاء جمع قذى وهو ما يقع في العين من غبار ونحوه .

٤ من اسم موصول خبر عن ضمير محذوف يعود إلى الممدوح وضمير يفعل يعود إلى من . والشعراء فاعل تهتدي . أي هو الذي يهتدي في الأفعال العظيمة إلى ما لا تهتدي الشعراء إليه في القول حتى يفعله هو فيحكون ما فعله .

٥ يريد بالقوافي القصائد من الشعر تسمية للكل باسم البعض . يصفه بكثرة ورود المدائح عليه واستلذاذه الشعر وميله إلى استماعه .

٦ إغارة معطوف على جولة . والفيلق الكتيبة من الجيش أنثه باعتبار معنى الجمع . والشهباء التي غلب بياضها على سوادها يعني صافية الحديد . أي وللقوافي كل يوم إغارة على ماله حتى كأن في كل بيت عسكراً ينهب ماله.

مَنْ يَظلِمُ اللّؤماءَ في تَكليفِهِمْ   أنْ يُصْبِحُوا وَهُمُ لَهُ أكْفاءُ[1]

ونَذيمُهُمْ وبِهِمْ عرَفْنَا فَضْلَهُ   وبِضِدّها تَتَبَيّنُ الأشْيَاءُ[2]

مَنْ نَفْعُهُ في أنْ يُهاجَ وضَرُّهُ   في تَرْكِهِ لَوْ تَفْطَنُ الأعداءُ[3]

فالسّلمُ يَكسِرُ من جَناحَيْ مالهِ   بنَوالِهِ ما تَجْبُرُ الهَيْجاءُ[4]

يُعطي فتُعطَى من لُهَى يدِهِ اللُّهَى   وتُرَى بِرُؤيَةِ رَأيِهِ الآراءُ[5]

مُتَفَرّقُ الطّعْمَينِ مُجْتَمعُ القُوَى   فكأنّهُ السّرّاءُ والضّرّاءُ[6]

---

١ اللؤماء الأخساء . ويصبحوا هنا تامة والجملة بعدها حال. والأكفاء الأمثال . أي أن اللئام يجهدون في التشبه به حسداً له فكأنه كلفهم أن يماثلوه ثم ظلمهم بإضاعة هذا الجهد سدى لأنهم لا يقدرون على ذلك . قال الواحدي: وليس في هذا مدح ولو قال الكرماء لكان مدحاً . وروى الخوارزمي من نظلم بالنون .

٢ ذامه ذمه وعابه . يقول : نذم اللئام وهم الذين عرفونا فضله لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كراماً مثله لم نعرف فضله .

٣ يقول : إذا هاجه العدو واستثاره للحرب كان ذلك سبباً في نفعه بما يستبيح من الغنائم وإذا تركه كان ذلك ضرراً عليه بفوات هذه الغنائم فلو فطن أعداؤه لسالموه فتوصلوا بذلك إلى أذيته .

٤ السلم ضد الحرب . والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره للمال لأنه محل القوة . والنوال العطاء . وما مفعول يكسر . والهيجاء من أسماء الحرب. أي أنه في السلم يفرق ما غنمه في الحرب من أموال الأعداء فيكون السلم سبباً في نقص أمواله والحرب سبباً في توفرها . ومعنى البيت مفرع على البيت السابق .

٥ اللهى جمع لهوة وهي العطية الجزيلة . يقول : إنه يجزل العطايا للسائلين حتى يعطوا غيرهم من عطاياه وفي رأيه من الحكمة والرشاد ما تستجلي به الآراء حتى إذا نظر الإنسان إلى رأيه وحزمه تعلم منه بناء الرأي وسداده .

٦ قوله متفرق الطعمين أي مختلفهما يريد أنه حلو على أوليائه مر على أعدائه ولكنه غير متفرق العزائم فأفعاله تصدر عن عزم مجتمع ورأي مستوسق. والتشبيه بالسراء والضراء يرجع إلى المعنى الأول .

وكأنّهُ ما لا تَشاءُ عُداتُــهُ مُتَمَثّلاً لوُفُودِهِ ما شاؤوا[1]

يا أيّها المُجدَى عليْهِ رُوحُــهُ إذْ لَيسَ يأتيهِ لها استِجداءُ[2]

إحْمَدْ عُفاتَكَ لا فُجِعتَ بفَقدِهم فلَتَرْكُ ما لم يأخُذوا إعْطاءُ[3]

لا تَكثُرُ الأمواتُ كَثرَةَ قِلّــةٍ إلاّ إذا شَقِيَتْ بكَ الأحْياءُ[4]

والقَلْبُ لا يَنْشَقّ عَمّا تَحتَهُ حتى تَحِلّ بهِ لَكَ الشّحْناءُ[5]

لمْ تُسْمَ يا هَرُونُ إلاّ بَعدَما اقْتَرَعَتْ ونازَعتِ اسمَكَ الأسماءُ[6]

فغَدَوْتَ واسمُكَ فيكَ غيرُ مُشارِكٍ والنّاسُ في ما في يَدَيْكَ سَواءُ[7]

---

١ ما في الشطرين موصولة . ومتمثلا حال من الضمير في كأنه والعامل فيها معنى التشبيه . يقول : كأنه صور على ما تكرهه أعداؤه من الإرغام لهم وإنشاء الحسد فيهم حالة كونه متمثلا لوفوده على ما يريدون من تحقيق آمالهم وإسعاد أحوالهم .

٢ المجدى عليه الموهوب له وروحه نائب فاعل. وإذ تعليل . ولها متعلق باستجداء واللام للتقوية . والاستجداء الاستعطاء. يقول: إن روحه موهوبة له من العفاة لأنهم لم يطلبوها منه فكأنهم قد أعطوه إياها إذ تركوها له بناء على أنهم لو طلبوها منه لأعطاهم إياها لشدة كرمه .

٣ العفاة جمع العافي وهو قاصد المعروف . وقوله لا فجعت دعاء . واللام من قوله لترك لام الابتداء وهذا البيت إتمام للمعنى وتأكيد له . يقول: اشكر سائليك على ذلك،ودعا له أن لا يفجع بفقدهم لشدة حبه للعطاء . ويروى بحمدهم أي لا قطع الله شكرهم عنك .

٤ أي لا يكثر عدد الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شقي الأحياء بغضبك وصلوا نار حربك لكثرة ما يقع فيهم من الفناء حتى يقل عدد الأحياء في جنب عدد المقتولين . وقد أكثر الشراح من الكلام على هذا البيت ولعل هذا المعنى هوالمراد بدليل ما بعده،وهو تفسير الواحدي .

٥ قوله عما تحته أي عما وراءه وفي ضمنه . والشحناء العداوة . أي لا يتبطن القلب أمراً يتصدع به حتى تحل عداوتك فيه فيضيق بها وينشق عنها لشدة ما يناله من الخوف والجزع .

٦ اقترعت أي تساهمت . يقول : لم تسم بهذا الاسم إلا بعدما تقارعت عليك الأسماء وأراد كل واحد منها أن تسمى به افتخاراً بك .

٧ فيك صلة مشارك . أي لم يشارك اسمك فيك اسماً آخر إذ لا يكون للإنسان أكثر من اسم ولكن

لَعَمَمْتَ حتى المُدْنُ منكَ مِلاءُ ولَفُتَّ حتى ذا الثَّناءُ لَفَاءُ[1]

وبِجُدْتَ حتى كِدْتَ تَبخَلُ حائِلاً للمُنْتَهَى ومنَ السّرورِ بُكاءُ[2]

أبْدَأتَ شَيْئاً ليسَ يُعرَفُ بَدْوُهُ وأعَدْتَ حتى أُنْكِرَ الإبْداءُ[3]

فالفَخْرُ عَن تَقصيرِهِ بكَ ناكِبٌ والمَجْدُ مِنْ أنْ يُسْتَزادَ بَراءُ[4]

فإذا سُئِلْتَ فَلا لأنّكَ مُحوِجٌ وإذا كُتِمتَ وشَتْ بكَ الآلاءُ[5]

وإذا مُدِحتَ فلا لتَكسِبَ رِفْعَةً للشّاكِرينَ على الإلَـهِ ثَنَـاءُ[6]

اشترك الناس في أموالك فتساووا فيها لأنك تعطي كل واحد منهم لا تخص أحداً دون غيره .

١ اللام زائدة أو واقعة في جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها وكلاهما من شواذ الاستعمال . وملاء جمع ملأى مؤنث ملآن . ومنك متعلق بملاء . وفت أي تجاوزت . واللفاء القليل الخسيس . يقول : قد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وتجاوزت قدر ما تثني عليك حتى لا يعد هذا المدح في جنب ما تستحقه إلا شيئاً خسيساً .

٢ حائلا أي متغيراً . والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء واللام متعلقة بكدت . وقوله ومن السرور بكاء مبتدأ وخبر . يقول : قد جدت حتى لم تترك في الجود غاية إلا انتهيت إليها وحينئذ كدت تحول إلى البخل لأنك قد بلغت منتهى الجود كما يحول السرور عند اشتداده إلى البكاء .

٣ أبدأ الشيء أحدثه وجدده . وأعدت أي كررت . وأنكر الشيء ضد عرفه . يقول : أحدثت من أفعال الكرم ما لا يعرف له بدء من قبلك لعظمته ثم كررته بما هو أعظم منه حتى نسي ذلك البدء وصار كأنه لم يكن شيئاً معروفاً .

٤ نكب عنه عدل . والباء متعلقة بناكب أو بتقصير . وبراء بمعنى بريء . يقول : إن الفخر قد أركبك ذروته وجرى بك حتى لا يتوقف ولا يعدل إلى التقصير والمجد بريء من أن تستزيده لأنه لم يترك من نفسه بقية إلا بلغك إياها .

٥ كتمت أي احتجبت . وأصل الوشي النميمة والسعاية والمراد هنا أظهرتك ودلت عليك . والآلاء النعم . أي إذا سألك السائل فلا لأنك تحوجه إلى السؤال ولكن لكي تعلم تفاصيل حاجته أو لكي يتشرف بسؤالك وإذا استترت بالحجاب فإن كرمك لا يخفى على السائلين لدلالة مواهبك عليه فيقصدونك .

٦ الرفعة الاسم من الارتفاع . والشكر معرفة الجميل بالقلب . والثناء إظهار هذه المعرفة باللسان

وإذا مُطِرْتَ فَلا لأنَّكَ مُجْدِبٌ يُسْقَى الخَصِيبُ ويُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ[1]

لم تَحْكِ نائِلَكَ السَّحابُ وإنَّما حُمَّتْ بهِ فَصَبِيبُها الرُّحَضاءُ[2]

لم تَلْقَ هَذا الوَجْهَ شَمسُ نَهارِنَا إلاَّ بوَجْهٍ لَيسَ فيهِ حَيَاءُ[3]

فَبِأَيِّما قَدَمٍ سَعَيْتَ إلى العُلَى أُدُمُ الهِلالِ لأخمَصَيكَ حِذاءُ[4]

ولَكَ الزّمانُ مِنَ الزّمانِ وِقايَةٌ ولَكَ الحِمامُ مِنَ الحِمامِ فِداءُ[5]

لوْ لم تكنْ من ذا الوَرَى اللّذْ منكَ هُوْ عَقِمَتْ بمَوْلِدِ نَسْلِها حَوّاءُ[6]

بما تستحقه من المدح . وقوله للشاكرين خبر مقدم عن ثناء . والظرف بعده متعلق بالثناء . يقول : إنك قد بلغت منزلة لا يزيدها المدح رفعة ولكنك تمدح لقصد الجائزة وليعد الشاعر من جملة مداحك كالشاكر لله فإنه يثني عليه وهو غير محتاج إلى ثنائه ولكن ليكسب بذلك مثوبة .

١ البحر . أي إذا أصاب المطر أرضك فليس لجدبها ولكن كما يقع المطر على الأراضي المخصبة وعلى البحر وهما لا يحتاجان إليه .

٢ حكاه فعل مثل فعله . والنائل العطاء . والسحاب إسم جنس يذكر ويؤنث . والصبيب الماء المصبوب . والرحضاء عرق الحمى . يقول : إن السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن عطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت حسداً لك فالماء الذي ينصب منها هو عرق تلك الحمى .

٣ الإشارة بقوله هذا إلى وجه الممدوح . واستعار للشمس وجهاً للمشاكلة . يعني أن وجهه أشرق من الشمس وأتم نوراً فكان ينبغي أن تستحيي من ظهورها أمامه .

٤ ما زائدة والاستفهام تعجب . والأدم ، بضمتين ، جمع أديم وهو ظاهر كل شيء ، وبفتحتين اسم للجمع . والأخمص ما لا يصيب الأرض من باطن القدم . والحذاء النعل . يتعجب من سعيه إلى العلى وبلوغه منها منزلة لم يبلغها غيره . ثم يدعو له بأن يكون وجه الهلال نعلا لأخمصيه لأن القدم التي يبلغ سعيها هذه المنزلة تستحق أن يكون الهلال نعلا لها .

٥ الحمام الموت . والبيت دعاء أيضاً . يقول : ليكن الزمان وقاية لك من عواديه أي ليهلك بها دونك وليمت الموت فداء لك من نفسه .

٦ اللذ ، بسكون الذال وكسرها ، لغة في الذي . وسكن الواو من هو ضرورة أو على لغة . والعقم

الملك لله العزيز

دخل عليه يوماً فقال له : وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا ، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك فطردنا به ظبياً ولم يكن لنا صقر فاستحسنت صيده . فقال : أنا قليل الرغبة في مثل هذا . فقال أبو علي : إنما اشتهيت أن تراه فتستحسنه فتقول فيه شيئاً من الشعر . قال : أنا أفعل ، أفتحب أن يكون الآن ؟ قال : أيمكن مثل هذا ؟ قال : نعم وقد حكمتك في الوزن والقافية . قال : لا بل الأمر فيهما إليك . فأخذ أبو الطيب درجاً وأخذ أبو علي درجاً آخر يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وأنشد :

ومَنْزِلٍ لَيسَ لَنَا بمَنْزِلِ ... ولا لغَيرِ الغَادِياتِ الهُطَّلِ [1]

نَدِيْ الخُزامَى أذْفَرِ القَرَنْفُلِ ... مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لم يُحَلَّلِ [2]

عَنَّ لَنَا فيهِ مُراعي مُغْزِلِ ... مُحَيَّنُ النَّفسِ بَعيدُ المَوْئِلِ [3]

أغناهُ حُسنُ الجيدِ عن لُبسِ الحلي ... وعادَةُ العُرْيِ عَنِ التَّفَضُّلِ [4]

عدم الولد . أي لو لم تكن من هذا الخلق الذي كأنه منك لأنك جماله وشرفه حتى كأنه ساقط بدونك لكانت حواء في حكم العقيم لعدم الاعتداد بغيرك من أولادها .

١ الواو واو رب . والغاديات السحائب المنتشرة صباحاً . والهطل الكثيرات الماء . يريد أن هذا المكان روضة لا يحل بها غير المطر .

٢ الندي الرطب . والخزامى والقرنفل نبتان طيبان . والأذفر الذكي الرائحة . والمحلل الذي يحل كثيراً . وقوله ملوحش أي من الوحش والحرف متعلق بمحال. أي يحله الوحوش دون الناس.

٣ عنّ ظهر . والمراعي الذي يرعى مع غيره . والمغزل الظبية لها ولد أي ظبي يراعي ظبية مغزلا. والمحين الذي وفق الهلكة . والموئل المنجى . يقول: ظهر لنا في هذا الموضع غزال قد حان أجله وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حيثما ذهب .

٤ الجيد العنق . والحلي ، بضم فكسر وبكسرتين ، جمع حلي ، بفتح فسكون ، وأصله بتشديد الياء

كأنّــهُ مُـضَمّــخٌ بصَنْدَلِ مُعْتَرِضاً بمِثْلِ قَرْنِ الأيّلِ[1]

يَحُولُ بَيْنَ الكَلْبِ والتأمّلِ فَحَلَّ كَلاّبي وِثاقَ الأحْبُلِ[2]

عَنْ أشْدَقٍ مُسَوْجَرٍ مُسَلْسَلِ أقَبَّ ساطٍ شَرِسٍ شَمَرْدَلِ[3]

مِنْها إذا يُثْغَ لَهُ لا يَغْزَلِ مُوَجَّدِ الفِقْرَةِ رِخْوِ المَفْصِلِ[4]

لَهُ إذا أدْبَرَ لَحْظُ المُقْبِـلِ كأنّما يَنظُرُ مِنْ سَجَنْجَلِ[5]

على فعول فخفف القافية . والتفضل لبس المفضل ، بكسر الميم، وهو ثوب يبتذل في المنزل . يقول : إن هذا الغزال قد استغنى بجمال عنقه عن تزيينه بالقلائد وقد تعود العري فاستغنى بهذه العادة عن اتخاذ اللباس .

١ ضمخه بالطيب لطخه . والصندل طيب لونه كلون الظباء . ومعترضاً حال مضمرة العامل أي أصفه بما ذكر في حال كونه معترضاً . والأيل الذكر من الأوعال . أي معترضاً لنا بقرن طويل مثل قرن الأيل .

٢ حال بينهما اعترض . أي أنه سريع العدو لا يمكن الكلب من التفرس فيه لسرعته . والكلاب الذي يسوس الكلاب . والوثاق ما يشد به . والأحبل جمع حبل وهو الرباط .

٣ الأشدق الواسع الشدق أي عن كلب أشدق والحرف متعلق بحل . والمسوجر الذي في عنقه ساجور وهو القلادة أو الطوق من حديد . والمسلسل الذي في عنقه سلسلة . والأقب الضامر . والساطي من السطوة أي الصائل . والشرس الصعب الخلق . والشمردل الفتي السريع .

٤ الضمير من قوله منها للكلاب المفهومة من قوله كلابي أي صاحب كلابي . ويثغ من الثغاء وهو صوت الشاة ونحوها. ويغزل أي يفتر عن الطلب، وجزم الفعلين بإذا على تضمينها معنى الشرط وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يعني إذا طلب الغزال فثغا في وجهه لا يفرق من صوته ولا يكف عن طلبه . والموجد الشديد الموثق . والفقرة الخرزة من خرزات الصلب . يصفه بقوة الظهر ولين الحركة .

٥ السجنجل المرآة . يقول : إنه شديد التيقظ سريع الالتفات يرى ما أدبر عنه كما يرى ما أقبل عليه. ثم يصفه بصفاء الحدقة وبريقها كأنها صفحة المرآة . ويروى في سجنجل أي كأن أمامه مرآة ينظر فيها فتريه ما خلفه أمامه .

يَعْدو إذا أحْزَنَ عَدْوَ المُسْهِلِ   إذا تَلا جاءَ المَدى وقَدْ تُلي[1]

يُقْعي جُلُوسَ البَدَويِّ المُصْطَلي   بأرْبَعٍ مَجْدولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ[2]

فُتْلِ الأيادي رَبِذاتِ الأرْجُلِ   آثارُها أمْثالُها في الجَنْدَلِ[3]

يَكادُ في الوَثْبِ مِنَ التَّفَتُّلِ   يَجْمَعُ بينَ مَتْنِهِ والكَلْكَلِ[4]

وبَيْنَ أعْلاهُ وبَيْنَ الأسْفَلِ   شَبيهُ وسْمِيِّ الحِضارِ بالوَلِي[5]

كأنَّهُ مُضَبَّرٌ مِنْ جَرْوَلِ   مُوَثَّقٌ على رِماحٍ ذُبَّلِ[6]

---

١ يعدو يركض . وأحزن سلك في الحزن وهو الوعر . والمسهل السالك في السهل . وتلا تبع . والمدى الغاية وهو مفعول جاء. أي إذا تبع سائر الكلاب في طلب صيد بلغ الغاية التي يريدها وقد سبق فصارت الكلاب خلفه .

٢ أقعى جلس على أليتيه . وجلوس مفعول مطلق معنوي. والمصطلي المتدفىء بالنار. وقوله بأربع أي بأربع قوائم والحرف متعلق بيقعي . ومجدولة مفتولة. وقوله لم تجدل أي لم يجدلها أحد لأنها كذلك خلقة .

٣ فتل الأيادي نعت أربع يقال يد فتلاء إذا تباعد مرفقها عن الجنب . وأراد فتل اليدين فذكرها بلفظ الجمع وكذلك الأرجل. والربذات الخفيفات . والجندل الحجارة . يقول : قوائمه مفتولة سريعة في العدو شديدة الوطء تؤثر في الحجارة آثاراً مثل صورتها .

٤ المتن جانب الظهر عند الصلب . والكلكل الصدر . أي أنه لسرعته ولين أعضائه يكاد إذا انفتل للوثوب يلتوي بعضه على بعض حتى يجتمع صدره وظهره في آن واحد .

٥ شبيه مبتدأ مؤخر خبره الظرف قبله . والوسمي أول المطر . والولي ما يليه . والحضار مصدر حاضره إذا جاراه في الحضر وهو العدو . يريد بأعلاه رأسه وبأسفله قوائمه كنى بما بينهما عن جسمه . وشبه تتابع حركته في الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يعني أن عدوه الأخير مثل عدوه الأول كناية عن عدم تقصيره .

٦ المضبر والموثق بمعنى المشدود الخلق المحكمه . والجرول الحجر . يقول : كأنه مخلوق من حجارة لقوته واجتماعه ، وكنى بالرماح عن قوائمه .

ذي ذَنَبٍ أجْرَدَ غيرِ أعزَلِ   يخطّ في الأرْضِ حسابَ الجُمَّلِ[1]

كأنّهُ مِنْ جِسْمِهِ بمَعْزِلِ   لوْ كانَ يُبْلي السّوْطَ تحريكٌ بَلي[2]

نَيلُ المُنى وحُكمُ نَفسِ المُرْسِلِ   وعُقْلَةُ الظّبي وحَتفُ التّتفُلِ[3]

فانْبَرَيا فَذَّيْنِ تحتَ القَسطَلِ   قَد ضَمِنَ الآخِرُ قَتلَ الأوّلِ[4]

في هَبوَةٍ كِلاهُما لم يَذْهَلِ   لا يأتَلي في تَرْكِ أنْ لا يأتَلي[5]

مُقْتَحِماً على المَكانِ الأهْوَلِ   يخالُ طُولَ البحرِ عَرْضَ الجدولِ[6]

حتّى إذا قيلَ لهُ نِلْتَ افعَلِ   إفْتَرّ عن مَذرُوبَةٍ كالأنْصُلِ[7]

---

١ الأجرد القليل الشعر . والأعزل الذي يكون ذنبه غير مستو مع فقاره وهو عيب في الكلاب والخيل . وحساب الجمل معروف ، يشبه به آثار ذنبه في الأرض .

٢ الضمير من كأنه للذنب . والسوط شبه المقرعة من جلد . يقول : كأن ذنبه منفصل عن جسمه لكثرة تلويه وحركته حتى لو كان السوط يبلى من التحريك لبلي ذنبه لكثرة ما يحركه .

٣ نيل خبر عن ضمير الكلب محذوفاً . والعقلة ما يعقل به الشيء كالقيد ونحوه . والحتف الموت . والتتفل ولد الثعلب . يقول : به تنال منية الصائد ويدرك ما في نفس مرسله على الصيد فيعقل به الظبي عن الإفلات ولا ينجو الثعلب من بين يديه .

٤ انبريا اعترضا والضمير للظبي والكلب . وفذين أي فردين . والقسطل الغبار . وضمن أي كفل . ويريد بالآخر الكلب لأنه تابع للظبي وبالأول الظبي لأنه سابق بالعدو فراراً .

٥ الهبوة الغبرة . وذهل عنه غفل . والائتلاء التقصير . ولا من قوله لا يأتلي زائدة . يقول : إن كل واحد من الكلب والظبي لم يغفل عن صاحبه ولم يقصر في ترك التقصير والإقبال على الجد فالكلب جاد في الطلب والظبي جاد في الهرب .

٦ مقتحماً حال من ضمير يأتلي . ويخال يظن . والجدول النهر الصغير . أي لا يبالي في وثوبه بما يستقبله من الأمكنة الهائلة حتى لو اعترضه البحر لظنه جدولا فوثب إلى الجانب الآخر كما يثب إذا قطع عرض النهر .

٧ الضمير من له للكلب . وافتر أي كشر . ومذروبة محددة يعني أنيابه . والأنصل جمع نصل .

لا تَعْرِفُ العَهدَ بصَقلِ الصَّيقلِ مُرَكَّباتٍ في العَذابِ المُنْزَلِ[1]

كأنّها من سُرْعَةٍ في الشَّمْأَلِ كأنّها مِنْ ثِقَلٍ في يَذْبُلِ[2]

كأنّها مِن سَعَةٍ في هَوْجَلِ كأنّهُ مِنْ عِلْمِهِ بالمَقتَلِ[3]

عَلّمَ بُقْراطَ فِصادَ الأكْحَلِ فَحالَ ما للقَفْزِ للتّجَدّلِ[4]

وصارَ ما في جِلْدِهِ في المِرْجَلِ ، فلم يَضِرْنا مَعْهُ فَقْدُ الأجدَلِ[5]

إذا بَقيتَ سالماً أبَا عَلي فالمُلْكُ للهِ العَزيزِ ثُمّ لي[6]

أي إذا دنا من صيده وقيل له بلسان الحال أدركت فافعل ما تريد فعله كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .

١ لما شبه أنيابه بالنصال قال إنها لا عهد لها بصقل الصيقل كالسيوف المصنوعة لأنها محددة مصقولة خلقة . وكنى بالعذاب المنزل عن خطمه لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .

٢ اسم جبل . أي كأن أنيابه مركبة في ريح الشمال من خفته وسرعة أخذه وكأنها من ثقله على الصيد مركبة في جبل .

٣ الهوجل الفلاة . أي كأن أنيابه من سعة شدقه في فلاة من الأرض . والمقتل الموضع الذي إذا أصيب قتل صاحبه . وخبر كأن في الشطر التالي .

٤ الأكحل عرق في اليد . لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالماً بغيرها أيضاً وإلا لم تتميز له فصار في دعواه عالماً بتشريح الأعضاء وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى . ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كهذا العرق . وحال انقلب . والقفز الوثوب . والتجدل السقوط على الأرض . يريد بما للقفز قوائمه أي أن قوائم هذا الظبي التي كانت للوثوب صارت للتمرغ في التراب عند سقوطه .

٥ الضمير من جلده للظبي . والمرجل القدر من نحاس . كنى بما في جلده عن لحمه أي أن لحمه الذي كان في جلده صار في القدر . وضاره الأمر يضيره مثل ضره . والضمير من قوله معه الكلب . والأجدل الصقر . أي لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر لأنه فعل فعله فأغنانا عنه .

٦ يلتفت إلى الممدوح يقول : إذا بقيت سالماً سدت بك على الناس كلهم فيكون الملك بعد الله لي .

وحيد بني آدم

يمدح أبا الحسين بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي الطبرستاني وهـو يومئذ يتولى حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨ هـ ٩٣٩ م :

أَحُلْماً نَرَى أَمْ زَمَاناً جَدِيدَا ... أَمِ الخَلْقُ فِي شَخْصِ حَيٍّ أُعِيدَا[١]

تَجَلَّى لَنَا فَأَضَأْنَا بِهِ ... كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَ سُعُودَا[٢]

رَأَيْنَا بِبَدْرٍ وَآبَائِهِ ... لِبَدْرٍ وَلُوداً وَبَدْراً وَلِيدَا[٣]

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِي ... رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السُّجُودَا[٤]

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى ... جَوَادٌ بَخِيلٌ بِأَنْ لَا يَجُودَا[٥]

---

١ أم الأولى متصلة والثانية منقطعة وهي هنا للاضراب مع الاستفهام . والخلق بعدها مبتدأ خبره أعيد . يتعجب من حسن زمان الممدوح يقول : أحلم ما نراه منه أم زمان جديد غير ما نعهده من زماننا . ثم أضرب عن ذلك إلى استفهام آخر فقال : أم الخلق الذين ماتوا من قبل أعيدوا في شخص رجل حي يعني الممدوح لأنه جمع ما كان لهم من الفضائل والمكارم فكأنهم أعيدوا إلى الدنيا بعد انقضائهم .

٢ ويروى لقينا على الخبر الموطىء .

٣ الولود بمعنى الوالد . والوليد المولود . أي رأينا برؤية آبائه من يلد بدراً وبرؤيته بدراً مولوداً والمراد ببدر الأول اسم الممدوح وبالبدرين الآخرين معناها الوضعي يعني أنهم بدور يلدون البدور .

٤ يقول : إنه قد استحق منا غاية الخضوع حتى رضينا أن نسجد له ولكنه لم يرض منا بالسجود فتركناه طلباً لرضاه .

٥ أمير خبر عن محذوف يعود إلى الممدوح . وأمير الثاني نعت سببي رافع الندى أو خبر مقدم عنه والجملة نعت . والندى الجود . وبخيل نعت جواد . يقول : هو أمير على الناس ولكن الكرم أمير

يُحَدَّثُ عَن فَضْلِهِ مُكْرَهاً كأنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْباً حَسُودَا[1]
ويُقْدِمُ إلاَّ عَلى أنْ يَفِرَّ ويَقْدِرُ إلاَّ عَلى أنْ يَزِيدَا[2]
كأنَّ نَوالَكَ بَعضُ القَضاءِ فَما تُعْطِ منهُ نجِدْهُ جُدودَا[3]
ورُبَّتَما حَمْلَةٍ في الوَغَى رَدَدتَ بها الذُّبَّلَ السُّمرَ سُودَا[4]
وهَوْلٍ كَشَفْتَ ونَصلٍ قصَفْتَ ورُمْحٍ تركْتَ مُباداً مُبيدَا[5]
ومَالٍ وهَبْتَ بِــلا مَوْعِدٍ وقِرْنٍ سَبَقْتَ إلَيْهِ الوَعِيدَا[6]
بهَجْرِ سُيُوفِكَ أغْمادَهَــا تَمَنّى الطُّلَى أن تكونَ الغُمودَا[7]
إلى الهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِــهِ تَرَى صَدَراً عَنْ وُرُودٍ وُرُودَا[8]

عليه أي مسلط غالب . وهو جواد سخي بكل شيء إلا بأن يترك السخاء فإنه لا يسخو بهذا الترك.

١ مكرها أي عن غير طيب نفس . يعني أنه لا يحب نشر فضائله بين الناس كما لا يحب الحاسد نشر فضائل المحسود فكأنه يحسد نفسه .

٢ الإقدام الجرأة . يقول : هو يقدم على كل عظيم إلا على الفرار في الحرب فإنه أهول عليه من كل هول . ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ما هو فيه من علو الشأن وجلالة القدر فإنه لا يقدر على ذلك إذ لم يترك وراءه مزيداً .

٣ النوال العطاء . والجدود جمع جد وهو البخت والسعد . يقول : كأن نوالك مأخوذ من قضاء الله فمن وصلته بشيء منه سعد به كما يسعد بقسمة القدر .

٤ التاء وما زائدتان أي ورب حملة وهي الكرة في الحرب . والذبل جمع ذابل . يريد بالذبل السمر الرماح أي رددتها وقد يبس عليها الدم فصارت به سمرتها سواداً .

٥ هول معطوف على حملة في البيت السابق . ومباداً مبيداً حالان . أي ورب هول كشفته بنجدتك وسيف كسرته بقوة ضربتك ورمح أتلفته في الضلوع وقد أتلف نفس المطعون .

٦ القرن الكفؤ في الحرب . والوعيد التهديد .

٧ الطلى الأعناق . يقول : إن سيوفه لا تزال هاجرة أغمادها لكثرة استعمالها في الحروب وملازمتها لأعناق الأبطال فلذلك تتمنى أعناقهم أن تكون أغمادها لتكون هاجرة لها .

٨ الهام الرؤوس وهو اسم جمع يذكر ويؤنث . وتصدر ترجع وغلب في صدور الشاربة عن الماء

قَتَلْتَ نُفُوسَ العِدَى بالحَدِيـ ـدِ حتى قَتَلْتَ بهنَّ الحَدِيدَا[1]

فأنْفَدْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ البَقاءَ وأبْقَيْتَ ممّا ملَكْتَ النّفُودَا[2]

كأنّكَ بالفَقْرِ تَبْغِي الغِنى وبالموْتِ في الحرْبِ تَبغي الخلودَا[3]

خَلائِقُ تَهْدي إلى رَبّهَـا وآيَةُ مَجْدٍ أراها العَبيدَا[4]

مُهَذَّبَـةٌ حُلْوَةٌ مُـرّةٌ حَقَرْنَا البِحارَ بها والأسُودَا[5]

بَعيدٌ عَلى قُرْبِهَـا وَصْفُهَـا تغولُ الظّنونَ وتُنضِي القَصيدَا[6]

فأنْتَ وَحيـدُ بَـني آدَمٍ ولَسْتَ لفَقْدِ نَظيرٍ وَحيـدَا[7]

بعد الري . والصدر اسم منه والورود عكسه وهما مفعولان لترى . وعن ورود صلة صدر . أي أن سيوفه لا تزال في الرؤوس فمتى صدرت عن رأس وردت غيره فيكون صدورها عما وردت عليه وروداً على مثل ما صدرت عنه .

١ يريد بالحديد السيوف ومعنى قتل الحديد في نفوسهم كسرها فيهم من شدة الضرب .

٢ أنفدت أي أفنيت . يقول : أفنيت بقاء هذه النفوس بإحلال آجالها وأبقيت من مالك الذي كنت تملكه الفناء لأنك أتلفته بالعطايا فلم يبق لك منه إلا العدم .

٣ يقول : إنه يجتهد في تفريق ماله حتى يؤول إلى النفاد ويلقي بنفسه في الحروب غير مبال بالموت فكأن نفاد ماله غنى يطلبه وكأن الموت في الحروب خلود يطمع فيه فهو لا يفتر عن السعي في بلوغهما .

٤ خلائق خبر عن محذوف أي هذه خلائق . وفاعل أراها ضمير الرب . والضمير المنصوب مفعول ثان مقدم . والعبيد مفعول أول . أي أن خلائق الممدوح تدل على قدرة خالقها فتعرفه للناس وهي آية مجد أراها الله عباده لتكون وسيلة إلى الإيمان بقدرته .

٥ يصف أخلاقه يقول : هي مهذبة من العيوب حلوة للأولياء بما تفيض عليهم من النعم مرة على الأعداء بما تسكب عليهم من النقم فقد حقرنا بجودها البحار وببأسها الأسود .

٦ بعيد خبر مقدم عن وصفها . وعلى بمعنى مع . وغاله أهلكه . وأنضاه هزله . أي أن وصفها بعيد مع قربها منا فدون بلوغها مسافة تهلك الظنون قبل إدراك غايتها وتهزل القصائد من الإعياء قبل الوصول إلى كنهها .

٧ يقول : إنك توصف بالوحيد لأنه لم يوجد في بني آدم نظير لك لا لأنه وجد لك نظير في الزمن الماضي ثم فقد لأن وجود نظير لك محال .

وقال فيه وقد فصده الطبيب فغاص المبضع
فوق حقه فأضر به ذلك :

أبْعَدُ نأيِ المَليحةِ البَخَلُ   في البُعْدِ ما لا تُكَلَّفُ الإبلُ[1]

مَلُولَةٌ ما يَدومُ لَيسَ لهَا   مِنْ مَلَلٍ دائِمٍ بهَا مَلَلُ[2]

كأنّمَا قَدُّها إذا انْفَتَلَتْ   سكرانُ من خمرِ طَرْفِها ثَمِلُ[3]

بي حَرُّ شَوْقٍ إلى تَرَشّفِها   يَنفَصِلُ الصّبرُ حينَ يَتّصِلُ[4]

ألثّغْرُ والنّحْرُ والمُخَلْخَلُ والـ   ـمِعْصَمُ دائي والفاحِمُ الرّجِلُ[5]

ومَهْمَهٍ جُبْتُهُ على قَدَمي   تَعجزُ عَنهُ العَرامِسُ الذُّلُلُ[6]

---

١ أبعد تفضيل . والنأي البعد . وما نكرة موصوفة بمعنى شيء . أي أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلها لأن مسافته لا تقطع بالسير كمسافة المكان البعيد فهذا نوع من البعد لا تكلف الإبل قطعه .

٢ التاء في ملولة للمبالغة لا للتأنيث لأنه يوصف به المؤنث والمذكر . وما مفعول به . ومن ملل متعلق بملل . يقول : إنها تمل ما يدوم إلا نفس الملل فإنه دائم عندها ولكنها لا تمله ولا تتركه .

٣ الطرف اللحظ . والثمل الذي أخذ منه الشراب . يقول : إنها تمايل في مشيها تمايل السكران فكأن قدها نظر إلى طرفها فسكر به .

٤ يريد ترشف فمها أي امتصاصه . يقول : إذا اتصل بي ذلك الشوق انفصل الصبر .

٥ الثغر مقدم الأسنان . والنحر أعلى الصدر . والمخلخل مكان الخلخال من الساق . والمعصم مكان السوار من اليد . والفاحم الشديد السواد يريد به الشعر . والرجل ، بفتح فكسر وبفتحتين ، ما بين السبط والجعد . يعني أنه يحب هذه الأشياء منها وهي داؤه .

٦ المهمه الفلاة وهو مجرور بإضمار رب . وجبته قطعته . والعرامس النوق الصلاب واحدتها عرمس ، بالكسر . والذلل جمع ذلول وهو خلاف الصعب من الدواب يستوي فيه المذكر والمؤنث .

بصارمي مُرْتَدٍ ، بمَخْبُرَتي مُجْتَزِىءٌ ، بالظّلام مُشْتَمِلُ[1]

إذا صَديقٌ نَكِرْتُ جانبَهُ لم تُعْيِني في فِراقِهِ الحِيَلُ[2]

في سَعَةِ الخافِقَينِ مُضْطَرَبٌ وفي بِلادٍ مِنْ أُخْتِها بَـدَلُ[3]

وفي اعْتِمارِ الأميرِ بَدْرِ بنِ عَمّـ ـارٍ عَنِ الشّغلِ بالوَرَى شُغُلُ[4]

أصْبَحَ مالٌ كَمَالِهِ لِذَوي الـ ـحاجَةِ لا يُبْتَدَا ولا يُسَلُ[5]

هَانَ عَلى قَلْبِهِ الزّمانُ فَمَا يَبِينُ فيهِ غَمٌّ ولا جَـذَلُ[6]

---

١ مرتد والمرفوعان بعده إخبار عن محذوف أي أنا مرتد . والصارم السيف . ومرتد أي متقلد . والمخبرة المعرفة . واجتزأ به اكتفى . يقول : قطعت هذا المهمه وأنا متقلد بسيفي مكتف بخبرتي في الأرض عن الدليل متبطن الظلام كأنه ثوب ألبسه .

٢ صديق فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم ما بعده أي إذا تغير صديق علي ونحو ذلك . ونكر الشيء وأنكره استغربه . وأعياه الأمر أعجزه . يقول : إذا حال الصديق عن مودته وشعرت منه بشيء أنكره لم أعجز عن وجدان حيلة تسهل لي فراقه والاستغناء عنه .

٣ الخافقان الشرق والغرب . والمضطرب موضع الاضطراب وهو الذهاب والمجيء . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة فإذا لم يطب لي موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسي على مكان بعينه .

٤ الاعتمار الزيارة والجار والمجرور خبر مقدم عن قوله شغل في آخر البيت . أي أن في قصدي له من جلائل الآمال ما يشغلني عن قصد غيره . ويروى اعتماد بالدال أي الاعتماد إليه بالسير .

٥ كماله نعت مال . ولذوي الحاجة خبر أصبح . ويسل أي يسأل حذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى السين . ونائب يبتدأ ويسل ضمير المصدر . أي أن المال المبذول مثل ماله قد صار ملكاً للعفاة يأخذونه متى شاؤوا فلا هو يبتدئهم بالعطاء ولا هم يسألونه لأنه مالهم لا ماله . ويروى أصبح مالا بالنصب أي أن الممدوح قد صار لهم مثل ماله يستعينون به وكما لا يستأذنونه في أخذ ماله لا يستأذنونه في الدخول عليه متى شاؤوا . كذا يروي الشراح هذا البيت ويفسرونه بما ذكروفيه تعسف لا يخفى.

٦ سرور . يصفه برزانة العقل ورحب الصدر فلا يجزع عند الغم ولا يبطر عند السرور لعلمه بأن كلتا الحالتين لا دوام لها .

يَكادُ مِنْ طاعةِ الحِمامِ لَهُ	يَقْتُلُ مَن ما دَنَا لهُ الأجَلُ[1]

يَكادُ مِنْ صِحّةِ العَزيمةِ مَا	يَفْعَلُ قَبْلَ الفِعالِ يَنْفَعِلُ[2]

تُعْرَفُ في عَيْنِهِ حَقائِقُهُ	كأنّهُ بالذّكاءِ مُكْتَحِلُ[3]

أُشْفِقُ عِندَ اتّقادِ فِكرَتِهِ	عَلَيْهِ مِنها أخافُ يَشْتَعِلُ[4]

أغَرُّ ، أعْداؤهُ إذا سَلِمُوا	بالهَرَبِ استَكبَرُوا الذي فَعَلُوا[5]

يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سابِحَةٍ	أرْبَعُها قَبلَ طَرْفِها تَصِلُ[6]

جَرْداءَ مِلْءِ الحِزامِ مُجْفَرَةٍ	تكونُ مِثْلَيْ عَسيبِها الخُصَلُ[7]

---

١ الحمام الموت . ودنا قرب . والأجل منتهى الحياة . أي أنه لطاعة الموت له لو شاء قتل من لم يتم أجله لوافقه الموت على ذلك وإن كان فيه خرق للمقدور .

٢ ما موصولة اسم يكاد وخبرها ينفعل . والحرف متعلق بيكاد . والظرف متعلق بينفعل . يقول : إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها لأنه لا يعزم على شيء إلا بعد التّروي فيه والقطع بقضائه .

٣ أي أن حقائق ما طبع عليه من حدة الذهن وذكاء النفس تعرف من نظرة عينه حتّى كأن عينه مكتحلة بالذكاء فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .

٤ الإشفاق الخوف . والظرف والحرفان متعلقة بأشفق . وأخاف بدل من أشفق . وقوله يشتعل أراد أن يشتعل فحذف أن ورفع الفعل . يقول : إذا توقدت نار فكرته عند التّروية أشفقت عليه أن يشتعل بها لشدة اتقادها وذكاء حدّتها .

٥ الأغر السيد الشريف وهو خبر عن محذوف يعود إلى الممدوح . وأعداؤه مبتدأ خبره ما بعده . يقول : إن أعداءه إذا سلموا منه رأوا ذلك كثيراً منهم، وقيد سلامتهم بالهرب إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات .

٦ أقبلته الشيء جعلته قبالته . والسابحة الفرس . وأربعها أي قوائمها الأربع . والطرف البصر . أي يستقبلهم بوجه كل فرس تضع قوائمها وراء منتهى بصرها وهو حد المبالغة في السرعة .

٧ الجرداء القليلة الشعر . وملء الشيء مقدار ما يملأه . والمجفرة الواسعة الجنبين . والعسيب عظم

إنْ أدْبَرَتْ قُلْتَ لا تَليلَ لها أو أقبلَتْ قلتَ ما لها كَفَلُ[1]

والطّعنُ شَزْرٌ والأرْضُ واجفةٌ كأنّما في فُؤادِها وَهَلُ[2]

قَدْ صَبَغَتْ خَدَّها الدِّماءُ كمَا يَصبُغُ خَدّ الخَريدَةِ الخَجَلُ[3]

والخَيْلُ تَبكي جُلُودُها عَرَقاً بأدْمُعٍ ما تَسُحّها مُقَلُ[4]

سارٍ ولا قَفْرَ مِنْ مَواكِبِهِ كأنّما كلّ سَبْسَبٍ جَبَلُ[5]

يَمْنَعُهَا أن يُصيبَهَا مَطَرٌ شِدّةُ ما قَدْ تَضايَقَ الأسَلُ[6]

يا بَدْرُ يا بَحْرُ يا غَمامَةُ يا لَيثَ الشّرَى يا حِمامُ يا رَجُلُ[7]

الذنب. والخصل جمع الخصلة من الشعر. يريد أنها قصيرة العسيب طويلة الذيل وهو من الأوصاف المستحبة في الخيل .

١ التليل العنق . يقول : إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها .

٢ الشزر ما كان عن اليمين والشمال والجملة حال من فاعل يقبلهم . وواجفة أي مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدباراً حتى كأنها تمور بهم . والوهل الفزع .

٣ الضمير من خدها للأرض استعار لها خداً لمشاكلة ما في الشطر الثاني . والخريدة المرأة الحيية .

٤ السح السكب . والمقل جمع مقلة وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد . جعل عرق الخيل بكاء إشارة إلى تتابع سيلانه وشدة ما هي فيه من هول الحرب فشبهه بالدمع إلا أنه جارٍ من الجلود لا من الجفون .

٥ يروى سار بكسر فتنوين اسم فاعل من السرى ، وبالفتح فعلا ماضياً . والمواكب الجيوش . والسبسب الفلاة الواسعة : يعني أن مواكبه عمت القفار حتى لم يبق قفر وتراكمت في السهول على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

٦ شدة فاعل يمنع . والأسل الرماح . أي أن رماحهم اشتبكت وتضايق ما بينها حتى لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها والتحامها .

٧ الغمامة السحابة . والليث الأسد . والشرى مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام الموت . شبهه

إنَّ البَنَانَ الذي تُقَلِّبُهُ عِندَكَ في كلّ مَوْضِعٍ مَثَلُ[1]

إنّكَ مِنْ مَعشَرٍ إذا وَهَبُوا ما دونَ أعمارِهِمْ فَقَد بَخِلُوا[2]

قُلُوبُهُمْ في مَضاءِ ما امتَشَقُوا قاماتُهُمْ في تَمامِ ما اعْتَقَلُوا[3]

أنتَ نَقيضُ اسمِهِ إذا اختَلَفَتْ قَواضِبُ الهِنْدِ والقَنَا الذُّبُلُ[4]

أنتَ لَعَمري البَدْرُ المُنيرُ ولكِ نّكَ في حَوْمَةِ الوَغى زُحَلُ[5]

كَتيبَةٌ لَسْتَ رَبَّها نَفَلُ وبَلْدَةٌ لَستَ حَلْيَها عُطُلُ[6]

بهذه الأشياء لمعان تصدق عليه منها فهو بدر في المحاسن بحر في سعة المكارم سحابة في كثرة العطاء أسد في الشجاعة موت على الأعداء . وقوله يا رجل أي أنه جمع هذه الصفات كلها وهو في حقيقته رجل .

١ البنان أطراف الأصابع . وعندك صلة تقلبه . وفي كل موضع صلة مثل . يقول : إن يدك التي تقلبها في منزلك وتصرفها في العطايا والهبات قد اشتهر ذكرها في كل موضع حتى صارت مثلا في الجود . ويروى نقبله بتقديم الباء وبنون المتكلمين والرواية الأولى أجود .

٢ أي عند أنفسهم . يعني أن مقتضى جودهم أن لا يبقوا على شيء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرئوا أنفسهم من البخل .

٣ امتشق السيف استله . واعتقل الرمح جعله بين ساقه وركابه . يقول : إن لقلوبهم مضاء سيوفهم ولقاماتهم طول رماحهم .

٤ القواضب القواطع وهو من صفات السيوف . والقنا الرماح. والذبل الدقاق جمع ذابل على غير قياس . أي أنت رجل نقيض اسمه في الحرب وذلك لأنهم يعدون القمر من كواكب السعد وقد أوضح ذلك في البيت التالي .

٥ حومة كل شيء معظمه . والوغى جلبة الحرب . وزحل من أنجم النحس .

٦ الكتيبة الفرقة من الجيش وهي مبتدأ خبره نفل . وكذا في المصراع الثاني . والنفل الغنيمة . والحلي الزينة . والعطل التي لا حلي عليها . يقول : إن الجيش الذي لست صاحبه يكون غنيمة للأعداء والبلدة التي لست زينتها لا زينة لها .

قَصَدْتَ مِنْ شَرْقِها ومَغْرِبِها حتى اشتكَتكَ الرِّكابُ والسُّبُلُ[١]

لم تُبْقِ إلاّ قَليلَ عافيَةٍ قد وَفَدَتْ تَجتَديكَها العِلَلُ[٢]

عُذْرُ المَلُومَينِ فيكَ أنّهُمَا آسٍ جَبَانٌ ومِبْضَعٌ بَطَلُ[٣]

مَدَدْتَ في راحَةِ الطّبيبِ يَداً فَما درَى كيفَ يُقطَعُ الأمَلُ[٤]

إنْ يَكُنِ البَضْعُ ضَرّ باطِنَهَا فَرُبّما ضَرّ ظَهْرَها القُبَلُ[٥]

يَشُقّ في عِرْقِها الفِصادُ ولا يَشُقّ في عِرْقِ جُودِها العَذَلُ[٦]

خامَرَهُ إذ مَدَدْتَها جَزَعٌ كأنّهُ مِنْ حَذاقَةٍ عَجِلُ[٧]

---

١ الضمير من شرقها ومغربها للأرض استغنى عن تقدم ذكرها بدلالة القرينة . والركاب الإبل . والسبل الطرق . يقول : كثر قصد القاصدين لك من كل وجه طمعاً في مواهبك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما قطعت إليك من المسافات والطرق لكثرة ما وطئتها الرواحل .

٢ قليل عافية من إضافة الوصف إلى الموصوف أي عافية قليلة . وتجتديكها أي تستوهبك إياها . والعلل الأمراض . يقول : أنفقت كل ما عندك ولم تبق لنفسك إلا بقية من العافية فقدمت العلل تستوهبها منك .

٣ الآسي الطبيب . والمبضع حديدة الفاصد . يريد بالملومين ما ذكره بعد من الآسي والمبضع. يقول: عذرهما في ذلك الخطاء أن الطبيب كان جباناً فارتعدت يده من هيبتك والمبضع كان شجاعاً أي حاداً فغلب الطبيب عن ضبطه .

٤ يقول : مددت في راحة الطبيب يدك التي هي أمل العباد وهو قد تعود قطع العروق لا قطع الآمال فلم يدر كيف يقطع الأمل .

٥ البضع الفصد . والقبل جمع قبلة وهي الاسم من التقبيل . قال الواحدي: وقد أكثر الشعراء من ذكر تقبيل اليد ولم يذكر أحد أنها استضرت بالقبل غير أبي الطيب وهو من مبالغاته .

٦ الملام . يقول : إن يده يؤثر فيها الفصد ولكن جودها لا يؤثر فيه الملام . وذكر العرق للجود على سبيل المشاكلة لعرق اليد .

٧ خامره خالطه . والجزع فقد الصبر من خوف ونحوه . والعجل المستعجل . يقول : اعتراه جزع من هيبتك فعجل في الفصد فكان الناظر يتوهم عجلته من الحذق وهو إنما عجل من الخوف .

جازَ حُدودَ اجتِهادِهِ فأتَى   غَيرَ اجتِهادٍ ، لأمّهِ الهَبَلُ[1]

أبْلَغُ ما يُطْلَبُ النّجاحُ به الـ   طّبْعُ وعندَ التّعَمّقِ الزّلَلُ[2]

إرْثِ لهَا إنّها بمَا ملَكَتْ   وبالذي قَدْ أسلْتَ تَنْهَمِلُ[3]

مِثْلُكَ يا بَدْرُ لا يَكونُ ولا   تَصْلُحُ إلاّ لِمثْلِكَ الدّوَلُ

ومن يك ذا فم مر مريض

يمدحه أيضاً :

بَقائي شاءَ لَيسَ هُمُ ارْتحَالا   وحُسْنَ الصّبرِ زَمّوا لا الجِمالا[4]

تَوَلّوْا بَغْتَةً فَكَأنّ بَيْناً   تَهَيّبَني فَفاجَأني اغْتِيالا[5]

---

١ جاز الشيء تعداه . وغير اجتهاد مفعول أتى . والهبل الثكل . يقول : بالغ في الاجتهاد حتى تجاوز حده ففعل ما هو خلاف الاجتهاد لأن الخطاء من فعل المقصر المتهاون . وقوله لأمه الهبل دعاء .

٢ يقول : إن النجاح يكون فيما يفعله الانسان بحسب مقتضى طبعه. إذا أرسل نفسه على سجيتها فإذا تكلف حتى يخرج عن مقتضى طبعه أفضى به ذلك إلى الزلل .

٣ رثى له رق . وتنهمل تسيل . والباء في الشطرين متعلقة بتنهمل . يخاطب الطبيب يقول : ارفق بهذه اليد فإنها ليد تسيل بما ملكته أي تجود بأموالها على السائلين وتسيل بمثل ما أسلته منها أي بالدم الذي تسفكه من الأعداء .

٤ اسم ليس ضمير الشأن . وهم مبتدأ خبره محذوف أي ليس هم شاؤوا والجملة خبر ليس . ويجوز أن تكون ليس هنا حرفاً عاطفاً بمنزلة لا فلا يكون لها اسم ولا خبر . وزم البعير خطمه بالزمام . يقول : لما ارتحل الأحبة ارتحلت حياته لأنه غير باق بعدهم فبقاؤه هو الذي أراد الارتحال لا هم . ولما جعل حياته راحلة جعل مطيتها حسن الصبر لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب . وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن حياته والأحبة شيء واحد فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال وإنما هم الحياة عينها ومطيهم الصبر نفسه .

٥ تولوا أدبروا. والبين الفراق. وتهيبني بمعنى هابني . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدري .

فكانَ مَسيرُ عيسِهِمِ ذَميلاً وسَيْرُ الدَمْعِ إثْرَهُمُ انهِمالا[1]

كأنّ العيسَ كانَتْ فَوْقَ جفني مُناخاتٍ فلَمّا ثُرْنَ سالا[2]

وحَجّبَتِ النّوَى الظّبَبيّاتِ عني فَساعدَتِ البراقِعَ والحِجالا[3]

لَبِسْنَ الوَشْيَ لا مُتَجَمّلاتٍ ولكِنْ كَيْ يَصنّ به الجَمالا[4]

وضَفّرْنَ الغَدائِرَ لا لحُسْنٍ ولكنْ خِفنَ في الشّعَرِ الضّلالا[5]

بجِسْمي مَن برَتْه فلَوْ أصارَتْ وِشاحي ثَقْبَ لُؤلُؤةٍ لجَالا[6]

ولَوْلا أنّني في غَيرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أظُنّني مني خَيالا[7]

---

١ العيس الكرام من الإبل ؛ ويروى عيرهم وهي الإبل التي تحمل الميرة . والذميل السير اللين . والانهمال الانسكاب . يصف سير إبلهم وسيل دمعه يقول : كانت إبلهم تسير الذميل ودمعي ينصب في أثرهم انصباباً .

٢ أناخ البعير أبركه . وثرن أي نهضن للمسير . والبيت مبني على ما قبله ، يقول: كنت لا أبكي قبل فراقهم فكأن مطاياهم كانت باركة فوق جفني تمسك دمعي عن السيلان فلما رحلوا سال دمعي فكأنها ثارت من فوق جفني . قال ابن جني : ما قيل في سبب بكاء أظرف من هذا البيت .

٣ النوى البعد . والحجال الخدور .

٤ الوشي الثياب المنقوشة . والتجمل التزين. يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بالوشي ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين .

٥ الغدائر جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر . يقول : نسجن شعرهن ضفائر لا طلباً للحسن ولكن خفن أن يضللن به لو أرسلنه لأنه يغشاهن كالليل .

٦ الباء للتفدية . وبرته أنحلته . والوشاح شبه قلادة تشده المرأة بين العاتق والكشح . يقول : أفدي بجسمي التي أنحلته حتى لو جعلت وشاحي ثقب لؤلؤة لوسعني حتى يدور علي إذا شئت أن أديره .

٧ أظنني أي أظن نفسي . ومني حال من خيال . يقول : لولا أنني في اليقظة لظننت من شدة النحول أنني خيال من نفسي لكن الخيال لا يرى في اليقظة .

بَدَتْ قَمَراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عَنْبَراً ورَنَت غَزالا[1]

وجارَتْ في الحُكومَةِ ثمّ أبْدَتْ لَنا من حُسنِ قامَتِها اعتِدالا[2]

كأنّ الحُزْنَ مَشْغُوفٌ بقَلبي فَساعَةَ هَجرِها يَجِدُ الوِصالا[3]

كَذا الدّنْيا على مَن كانَ قَبْلي صُروفٌ لم يُدِمْنَ عَلَيْهِ حالا[4]

أشَدُّ الغَمّ عِنْدي في سُرورٍ تَيَقّنَ عَنهُ صاحِبُهُ انْتِقالا[5]

ألِفْتُ تَرَحّلي وجَعَلْتُ أرضي قُتُودي والغُرَيْرِيَّ الجُلالا[6]

فَما حاوَلْتُ في أرْضٍ مُقاماً ولا أزْمَعْتُ عَن أرْضٍ زَوالا[7]

---

١ بدت ظهرت . والخوط الغصن الناعم . ورنت نظرت . والمنصوبات في البيت أسماء وضعت موضع الحال على معنى التشبيه .

٢ جار عن الطريق مال وكثر استعماله في الظلم لأنه جور عن الحق . يقول : هي في حكمها جائرة ولكن قدها معتدل لا جور فيه .

٣ يقول : كأن الحزن يعشق قلبي وهي رقيبة عليه فمتى هجرتني زار الحزن قلبي .

٤ كذا خبر مقدم عن الدنيا . والصروف الأحداث وهي خبر عن محذوف أي هي صروف . يقول : الدنيا كانت على من كان قبلي كما هي علي اليوم فهي صروف لم تدم عليه حالا حتى تبدلها . ويروى لا يدمن .

٥ في سرور خبر أشد . والجملة بعده نعت سرور . يقول : إن السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندي أشد الغم لأنه يراقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور .

٦ القتود جمع قتد ، بفتحتين ، وهو خشب الرحل . والغريري بلفظ التصغير المنسوب إلى غرير وهو فحل كريم من الإبل . والجلال ، بالضم ، بمعنى الجليل أي العظيم . يقول : إنه تعود الرحيل حتى صارت الرحال أرضاً له لأنه لا يزال عليها كما لا تزال الناس على الأرض .

٧ حاولت طلبت . والمقام مصدر ميمي بمعنى الإقامة . وأزمع الأمر عزم عليه . والزوال البراح . يقول : ما طلبت الإقامة في أرض لأني أبداً على سفر ولا عزمت على الرحيل عنها لأن الرحيل إنما يكون بعد الإقامة ولا إقامة لي .

على قَلَقٍ كأنَّ الرّيحَ تَحتي أُوَجّهُها جَنُوباً أوْ شَمَالا[1]

إلى البَدْرِ بنِ عَمّارَ الذي لَمْ يكُنْ في غُرّةِ الشّهْرِ الهِلالا[2]

ولم يَعْظُمْ لنَقْصٍ كانَ فيهِ ولم يَزَلِ الأميرَ ولَنْ يَزالا[3]

بلا مِثْلٍ وإنْ أبْصَرْتَ فيهِ لكُلّ مُغَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالا[4]

حُسَامٌ لابنِ رائِقٍ المُرَجّى حُسامِ المُتّقي أيّامَ صالا[5]

سِنانٌ في قَناةِ بَني مَعَدٍّ بَني أسَدٍ إذا دَعَوا النّزالا[6]

---

١ القلق الاضطراب والجار والمجرور في موضع الحال من التاء في ألفت . ويروى على قلق ، بكسر اللام ، أي على بعير قلق . يقول : لا أستقر في مقام كأني على ظهر الريح أوجهها مرة جنوباً ومرة شمالا . ويروى يميناً أو شمالا وعلى هذا تكون شمال بكسر الشين .

٢ حرف الجر متعلق بأوجهها . وأدخل أل على بدر الممدوح معنى المنقول عنه الذي هو بدر السماء . ومنع صرف عمار للضرورة وهو جائز في الاعلام وقد مر مثله . ويروى بدر بدون أل والرواية الأولى أجود لموافقة عجز البيت .

٣ اللام من قوله لنقص بمعنى بعد كما في قوله: لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً . والبيت معطوف على ما قبله مفسر له .

٤ أي هو منقطع النظير وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ما غاب عنك من المستحسنات وذلك كالشجاعة مثلا والحسن والكرم فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والبدر والغيث ولكن هذه المذكورات مع كونه يشبهها في بعض صفاته لا شيء منها يشبهه في جميع صفاته .

٥ الحسام السيف القاطع وهو خبر عن محذوف يرجع إلى الممدوح . وحسام الثاني بدل من ابن رائق . أي هو سيف لابن رائق الذي كان سيفاً للمتقي لله العباسي حين سطا على بني البريدي في خبر ليس هنا محله .

٦ القناة عود الرمح . وبني أسد بدل من قناة . يريد ببني معد العرب لأن نسبهم ينتهي إلى معد بن عدنان . وبنو أسد رهط الممدوح . جعل بني أسد قناة لبني معد وجعل الممدوح سناناً لهذه القناة يعني أن الممدوح عزة لقومه وهم عزة لسائر العرب .

أعَزُّ مُغالِبٍ كَفّاً وسَيْفاً ومَقْدِرَةً ومَحْمِيَةً وآلا[1]

وأشرَفُ فاخِرٍ نَفْساً وقَوْماً وأكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمّاً وخالا[2]

يكونُ أخَفُّ إثْنَاءٍ عَلَيْهِ على الدّنْيا وأهْلِيها مُحَالا[3]

ويَبْقَى ضِعْفُ ما قَدْ قيلَ فيهِ إذا لم يَتَّرِكْ أحَدٌ مَقَالا[4]

فيا ابنَ الطّاعِنينَ بكُلّ لَدْنٍ مَواضِعَ يَشتَكي البَطَلُ السُّعالا[5]

ويا ابنَ الضّارِبينَ بكُلّ عَضْبٍ منَ العَرَبِ الأسافِلَ والقِلالا[6]

أرَى المُتَشاعِرِينَ غَرُوا بذَمّي ومَن ذا يَحمَدُ الدّاءَ العُضالا[7]

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ يَجدْ مُرّاً بهِ المَاءَ الزُّلالا[8]

---

١ المحمية بمعنى الحماية أي صيانة الجار والحليف ومن يحق الذود عنه . وتحتمل أن تكون بمعنى الحمية أي الأنفة وعزة النفس . ونصب هذه المذكورات على التمييز .

٢ منتم منتسب .

٣ الإثناء مصدر أثنى عليه إذا مدحه . يقول : إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان بالنسبة إليهم محالا . يعني أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء.

٤ ضعف الشيء أن يزاد عليه مثله . ويترك يفتعل من الترك . أي إذا مدحه الناس غاية ما استطاعوا حتى لم يتركوا مقالا بقي من صفاته التي لم يقولوها ضعف ما قالوه .

٥ اللدن اللين وهو صفة للرمح . ومواضع منصوب على الظرفية مضاف إلى الجملة بعده . كنى بهذه المواضع عن الصدور .

٦ العضب القاطع من السيوف . ومن العرب حال عما بعده . والقلال جمع قلة ، بالضم ، وهي أعلى كل شيء . يريد بالأسافل الأدنياء وبالقلال الأشراف أي أنهم لا يهابون خسيساً ولا شريفاً .

٧ المتشاعر الذي يدعي الشعر وليس من أهله . وغري بالشيء أولع به . والعضال الذي لا يطمع في برئه . يعني أنه داء لهم يسقمون به حسداً ولذلك لا يمكن أن يحمدوه .

٨ الصافي العذب . يقول : إنهم لقصورهم عن مبلغي وحسدهم لفضلي يعيبونني كما يعيب المريض الماء العذب والعيب من جهة المريض لا من جهة الماء .

وقالوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثّرَيّا ؟ فقُلت نَعَمْ إذا شئتُ استِفالا[١]

هوَ المُفْني المَذاكي والأعادي وبيضَ الهِنْدِ والسُّمْرَ الطّوالا[٢]

وقائِدُها مُسَوَّمَةً خِفافاً على حَيٍّ تُصَبّحُهُ ثِقالا[٣]

جَوائِلَ بالقُنيّ مُثَقَّفاتٍ كأنَّ على عَوامِلِها ذُبالا[٤]

إذا وَطِئَتْ بأيْديها صُخُوراً يَفِئْنَ لوَطْءِ أرْجُلِها رِمالا[٥]

جَوابُ مُسائِلي ألَهُ نَظيرٌ ؟ ولا لكَ في سُؤالكَ لا ألاَ لا[٦]

لَقَدْ أمِنَتْ بكَ الإعدامَ نَفْسٌ تَعُدّ رَجاءَها إيّاكَ مالا[٧]

---

١ كأنه يقول : إن الحساد قالوا له هل يبلغك الممدوح الثريا أي هل يرفعك بخدمته إلى هذه المنزلة فقال نعم إذا أردت أن أنحط عن منزلتي، إشارة إلى أنه قد رفعه إلى ما فوق الثريا فإذا رجع إلى أن يبلغ الثريا فقد انحط عن مبلغه الذي هو أعلى منها .

٢ المذاكي الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة . أي أنه يفني هذه المذكورات بكثرة حروبه .

٣ قائدها معطوف على المفني والضمير للمذاكي . والمسومة المعلمة . أي وهو قائد الخيل خفافاً في الركض وثقالا على الحي الذي تغير عليه صباحاً .

٤ جوائل جمع جائلة أي مترددة . والقني جمع قنا . ومثقفات أي مقومات . والعوامل ما يلي الأسنة . والذبال جمع ذبالة وهي الفتيلة شبه بها أسنة الرماح .

٥ يفئن يعدن . ويروى يقين . يصف هذه الخيل يقول : إذا وطئت الصخور بأيديها تفتتت من شدة وطئها فلا تطؤها أرجلها إلا وقد صارت رمالا .

٦ جواب مبتدأ خبره عجز البيت . وقوله أله نظير في محل نصب حكاية السؤال . أي إذا سألني سائل هل لهذا الممدوح نظير فجوابي له لا ولا لك أيضاً نظير في هذا السؤال الذي لا يسأله عاقل . وأراد لا ولا لك فأخر المعطوف عليه ضرورة . وقوله ألا لا تكرار للجواب أراد به تأكيد النفي تنبيهاً على شدة بطلان السؤال .

٧ الإعدام الفقر . يقول : إن النفس التي ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالا لها لا تخاف الفقر لأن رجاءها لا يخيب .

وقد وَجِلَتْ قُلُوبٌ منكَ حتّى ... غَدَتْ أوجالُها فيها وِجَالا[1]

سُرورُكَ أنْ تَسُرَّ النّاسَ طُرّاً ... تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ به الدّلالا[2]

إذا سألُوا شكَرْتَهُمُ عَلَيْهِ ... وإنْ سكَتُوا سألْتَهُمُ السّؤالا[3]

وأسعَدُ مَنْ رأيْنا مُسْتَميحٌ ... يُنيلُ المُسْتَمَاحَ بأنْ يُنَالا[4]

يُفارِقُ سَهمُكَ الرّجلَ المُلاقي ... فِراقَ القَوْسِ ما لاقَى الرّجالا[5]

فَما تَقِفُ السّهامُ على قَرارٍ ... كأنّ الرّيشَ يَطّلِبُ النّصالا[6]

سَبَقْتَ السّابقينَ فَما تُجارَى ... وجاوَزْتَ العُلُوّ فَما تُعَالَى[7]

---

١ وجلت خافت . والوجال جمع وجل ، بكسر الجيم ، أي خائف . يقول : خافتك القلوب حتى صار خوفها أيضاً خائفاً وهذا كما قيل :

جنونك مجنون ولست بواجد ... طبيباً يداوي من جنون جنون

٢ يقول : لا يتم سرورك حتى تسر الناس كلهم فصار كل من علم منك هذا جاءك يطلب أن تسره فكنت بذلك تعلمهم الدلال عليك .

٣ يقول : إذا سألوا عطاءك شكرتهم على هذا السؤال وعددته منة عليك لاستلذاذك العطاء وإن سكتوا سألتهم أن يسألوك حتى لا تفوتك هذه اللذة .

٤ الاستماحة طلب العطاء . يقول : أسعد الناس سائل إذا أخذ من المسؤول شيئاً كان كأنه قد أعطاه . ومعنى البيت مرتب على الذي قبله .

٥ ما نافية والجملة بعدها حال من ضمير السهم محذوفاً والتقدير فراقه للقوس وهو ما لاقى الرجال . يصفه بشدة النزع في القوس وقوة انطلاق السهم يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذي يلاقيه نافذاً منه وفيه نفس القوة التي فارق بها القوس حين لم يلاق أحداً بعد .

٦ يقول : إن سهامك إذا رميتها لا تقف عن مسيرها فكأن ريشها يطلب نصالها ليدركها والنصال لا تزال سابقة للريش لأنها أمامه فلا يزال سائراً وراءها .

٧ جاراه جرى معه . وعالاه غالبه في العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا في مراحل المجد حتى انفردت أمامهم فما يجاريك أحد وارتفعت حتى جاوزت الارتفاع المألوف فما يعاليك أحد إذ لا يصل أحد إلى مكانك .

وأقْسِمُ لوْ صَلَحْتَ يَمينَ شيءٍ   لمَا صَلَحَ العِبَادُ لَه شِمَالا[1]
أقَلّبُ مِنكَ طَرْفي في سَمَاءٍ   وإنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُها خِصالا[2]
وأعجبُ منكَ كيفَ قدَرْتَ تنشا   وقد أُعطِيتَ في المَهدِ الكَمالا[3]

بدر رزايا وعطايا

وقال فيه ارتجالا وهو على الشراب وقد صفت الفاكهة والنرجس :

إنّما بَدْرُ بنُ عَمّارٍ سَحَابُ   هَطِلٌ فيهِ ثَوَابٌ وعِقَابُ[4]
إنّما بَدْرٌ رَزَايا وعَطَايَا   ومَنَايا وطِعانٌ وضِرابُ[5]

---

١ يقول : لو اعتبر قدره وقدر سائر الناس لفضل عليهم ولم يصلحوا أن يكونوا شمالا لما يصلح هو أن يكون له يميناً .

٢ يشبهه بسماء في الرفعة ويشبه خصاله في الشهرة والحسن بكواكب طالعة في تلك السماء .

٣ أعجب فعل مضارع عطفه على قوله أقلب . وقوله تنشا أصله بالهمز فلينه للوزن . وأراد أن تنشأ فحذف أن وقد مرت له نظائر . والمهد مضجع الطفل . يقول : إنك قد ولدت كاملا فكيف استطعت أن تزداد بعد الكمال .

٤ في هذه الأبيات تجوز في الوزن لأنه استعمل كل أعاريضها تامة وهي لا تستعمل إلا محذوفة ما لم يكن البيت مصرعاً كهذا البيت . يقول: هو مجمع النفع والضرر كالسحاب الذي ينهل بالمطر وتنقض منه الصواعق ففيه حياة لقوم وهلاك لآخرين .

٥ جعله هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صار وإياها كالشيء الواحد .

ما يُجيلُ الطَّرْفَ إلاّ حَمِدَتْهُ   جُهْدَها الأيدي وذَمّتهُ الرّقابُ[1]

ما بهِ قَتْلُ أعاديهِ ولكنْ   يتّقي إخلافَ ما ترْجو الذّئابُ[2]

فَلَهُ هَيْبَةُ مَنْ لا يُتَرَجّى   ولَهُ جُودُ مُرَجًّى لا يُهابُ[3]

طاعنُ الفرْسانِ في الأحداقِ شزْراً   وعَجاجُ الحرْبِ للشّمسِ نِقابُ[4]

باعِثُ النّفسِ على الهوْلِ الذي لَيْـ   ـسَ لنَفْسٍ وَقَعَتْ فيه إيَابُ[5]

بأبي رِيحُكَ لا نَرْجِسُنَا ذا   وأحاديثُكَ لا هَذا الشّرابُ[6]

لَيسَ بالمُنكَرِ إنْ برّزْتَ سَبقاً ،   غيرُ مدفوعٍ عنِ السّبقِ العِرابُ[7]

---

١ الطرف ، بالكسر ، الفرس الكريم . والجهد ، بالضم ، الطاقة والوسع . ونصبه على الحال على تقدير جاهدة جهدها فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه . يقول : إنه ما أجال فرسه في الحرب إلا ملأ أيدي أوليائه من الغنائم فحمدته جهدها وضرب رقاب أعدائه فذمته . والشراح يروون هذا البيت بفتح الطاء من الطرف. قال الواحدي: أي أنه لا يجيل طرفه إلا على إحسان أو إساءة فله في كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدي جهدها لأنه يملأها بالعطاء وإساءة تذمها الرقاب لأنه يوسعها قطعاً. انتهى. ولعل ما ذكرناه أولى لأن العطاء وقطع الرقاب ليسا من لوازم النظر فتأمل .

٢ يتقي أي يحذر . يقول : ليس همه قتل أعدائه لأنهم قاصرون عن أذاه فلا يضره بقاؤهم لكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم القتلى فصارت ترجو قوتها منه فهو إنما يقتل الأعداء حذراً من أن يخلف رجاء الذئاب لأنه لم يتعود أن يخيب راجياً .

٣ أي أن له هيبة جبار عنيف لا يرجى عنده الصفح وجود سمح كريم يرجى إحسانه ولا تحذر مهابته .

٤ الشزر من الطعن ما كان عن اليمين والشمال . والعجاج الغبار . والنقاب ما تستّر به المرأة وجهها . يصفه بالحذق في الطعن يقول : إنه يصيب أحداق الفرسان والجو مظلم بغبار الحرب حتى تستتر به الشمس كالنقاب .

٥ قوله النفس أي نفسه . والهول شدة المخافة . والإياب الرجوع . أي أنه يحمل نفسه على ركوب العظائم المخيفة التي ليس لمن وقع فيها خلاص .

٦ بأبي تفدية . وهذا البيت اقتضاب يلتفت به إلى الممدوح وذكر مجلسه يقول : إن ريحه أطيب من النرجس الذي بين يديه وأحاديثه ألذ من الشراب . وهو من مخاطبة الممدوح بما يخاطب به المحبوب.

٧ برز سبق أصحابه . وسبقاً مفعول مطلق معنوي أو حال على تأويله بالوصف . والعراب الخيل

ورد إذا ورد البحيرة شارباً

خرج بدر بن عمار إلى أسد فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

في الخَدِّ أنْ عَزَمَ الخَليطُ رَحيلا مَطَرٌ تَزيدُ بهِ الخُدودُ مُحُولا[1]

يا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقادَ وغادَرَتْ في حَدِّ قَلْبي ما حَيِيتُ فُلُولا[2]

كَانَتْ مِنَ الكَحْلاءِ سُؤْلي إنّما أجَلي تَمَثّلَ في فُؤادي سُولا[3]

أجِدُ الجَفَاءَ على سِواكِ مُرُوءَةً والصّبرَ إلاّ في نَوَاكِ جَميلا[4]

وأرَى تَدَلُّلَكِ الكَثيرَ مُحَبَّباً وأرَى قَليلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولا[5]

العربية . أي لا ينكر سبقك الناس فإن كرام الخيل لا يدفعها مانع عن السبق .

١ في الخد خبر مقدم عن مطر . وقوله أن عزم يريد لأن عزم فحذف اللام . والخليط العشير . يقول : إن في خده لفراق أحبته مطراً من الدمع تزيد به الخدود محلا لا خصباً كما هو شأن المطر المعهود . ويريد بمحل الخدود شحوبها وذهاب نضرتها من الحزن .

٢ غادرت تركت . والفلول الثلوم . يقول : إن نظرته للحبيبة عند الفراق ذهبت بنومه وتركت قلبه كالسيف المفلول لا يقوى على مقاومة النوائب واتقائها .

٣ اسم كانت ضمير النظرة . والكحلاء صفة الحبيبة وهي السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما تسأله وتتمناه وهو خبر كانت والحرف قبله متعلق به . ولين السؤل في آخر البيت للقافية يقول : كانت هذه النظرة بغية لي أتمناها من الحبيبة ولكني قتلت بها لأنها كانت نظرة الفراق فكأن أجلي تصور في قلبي بصورة البغية .

٤ الجفاء الإعراض وصله بعلى على تضمينه معنى الامتناع ونحوه . والنوى البعد . يقول : إني أجد إعراضي عن النساء مروءة إلا عنك والصبر على كل نازلة جميلا إلا على بعادك .

٥ حببه إليه جعله يحبه . يقول : إن دلالك على كثرته محبوب عندي مع أن القليل من دلال غيرك يمل .

حَدَقُ الحِسانِ من الغواني هِجنَ لي يَوْمَ الفِراقِ صَبابَةً وغَليلا[1]

حَدَقٌ يُذِمّ مِنَ القَواتِلِ غيرَها بَدْرُ بنُ عَمّارَ بنِ إسْماعيلا[2]

ألفَارِجُ الكُرَبَ العِظامَ بمِثْلِها والتّارِكُ المَلِكَ العزيزَ ذَليلا[3]

مَحِكٌ إذا مَطَلَ الغَريمُ بدَيْنِهِ جَعَلَ الحُسامَ بمَا أرَادَ كَفيلا[4]

نَطِقٌ إذا حَطّ الكَلامُ لِثامَهُ أعْطَى بمَنْطِقِهِ القُلُوبَ عُقُولا[5]

أعْدَى الزّمانَ سَخاؤهُ فَسَخا بهِ ولَقَدْ يكونُ بهِ الزّمانُ بَخيلا[6]

وكأنّ بَرْقاً في مُتُونِ غَمامَةٍ هِنْدِيُّهُ في كَفّهِ مَسْلُولا[7]

---

١ الحدق جمع حدقة وهي سواد العين الأعظم . والغواني جمع غانية وهي التي غنيت بحسنها عن الزينة . والصبابة رقة الشوق . والغليل حرارة العطش يراد به لاعج الوجد .

٢ حدق خبر عن محذوف يرجع إلى حدق الأولى . ويذم من الذمام أي يجير . وغيرها يجوز فيه النصب على الاستثناء أو الحال والجر على التبعية . وبدر بن عمار فاعل يذم . أي أنه يجير من كل ما يقتل إلا من أحداق الحسان فإنه لا يستطيع الإجارة منها .

٣ أي أنه يفرج الكرب العظام عن أوليائه بإنزال مثلها على أعدائه يعني أنه يهلكهم ليدفع شرهم عن أوليائه .

٤ المحك اللجوج . وبما أراد صلة كفيل . أي أنه لجوج في تقاضي ما له على الناس من حق الطاعة والخضوع فإذا مطلوه بهذا الدين طالب به سيفه كما يطالب الكفيل بدين الغريم . يعني إذا لم يخضعوا له طوعاً أخضعهم قهراً .

٥ النَّطِق فَعِل من النطق يريد اللسن البليغ . والضمير في لثامه للممدوح. قال الواحدي: كانت العرب تتلثم بعمائمها فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن أفواههم. يقول: إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطقه قلوب السامعين عقولا يعني أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .

٦ قال ابن فورجة : يعني سخا به علي وكان بخيلا به فلما أعداه سخاؤه أسعدني الزمان بضمي إليه وهدايتي نحوه .

٧ في البيت شذوذ لأنه جعل اسم كأن نكرة وخبرها معرفة . والمتون جمع متن وهو الظهر . والهندي

ومَحَلُّ قائِمِهِ يَسيلُ مَواهِباً لَوْ كُنَّ سَيْلاً ما وَجَدْنَ مَسيلا[1]

رَقّتْ مَضارِبُهُ فَهُنَّ كأنّمَا يُبْدينَ مِنْ عِشقِ الرّقابِ نُحُولا[2]

أمُعَفِّرَ اللّيْثِ الهِزَبْرِ بسَوْطِهِ لمَنِ ادّخَرْتَ الصّارِمَ المَصْقُولا[3]

وَقَعَتْ على الأُرْدُنّ مِنْهُ بَلِيّةٌ نُضِدَتْ بها هامُ الرِّفاقِ تُلُولا[4]

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَيرَةَ شارِباً وَرَدَ الفُراتَ زَئِيرُهُ والنّيلا[5]

مُتَخَضّبٌ بدَمِ الفَوارِسِ لابِسٌ في غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلا[6]

السيف المصنوع من حديد الهند . وفي كفه ومسلولا حالان . عكس التشبيه في هذا البيت لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق فشبه البرق بالسيف مبالغة في بريقه ولمعانه .

١ قائم السيف مقبضه كنى بمحله عن راحة الممدوح . ومواهباً تمييز . أي أن كفه تسيل نعماً لو كانت مطراً لم تجد مكاناً يكفي لمجراها .

٢ المضارب جمع مضرب ، بفتح الراء وكسرها، وهو طرف السيف أو حده . ويبدين يظهرن . يصف هذا السيف بالرقة والمضاء يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولا فرقتها من ذلك النحول .

٣ عفره مرغه في التراب . والليث الأسد . والهزبر الشديد . والصارم السيف القاطع . يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط وهو أشد الحيوان خلقة وأهوله بأساً فلمن خبأت سيفك .

٤ نضدت أي جمع بعضها فوق بعض . والهام الرؤوس . والرفاق جمع الرفقة وهي الجماعة في السفر . وتلولا حال أي مماثلة للتلول . يقول : إنه كان بلية وقعت على هذا النهر فقد أكثر القتل من المسافرين حتى اجتمعت رؤوسهم هناك مثل التلول .

٥ الورد الذي يضرب لونه إلى الحمرة . والمراد بالبحيرة بحيرة طبرية . والزئير صوت الأسد . يعني أنه يزأر في طبرية فيبلغ زئيره العراق ومصر .

٦ الغيل الغابة . واللبدة الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول: إنه قد تلطخ بدم الفوارس لكثرة ما قتل منهم . وشبه لبدتيه بالغابة لكثافتها فقال إنه إذا كان في غابته من الشجر فهو في غابة أخرى من لبدتيه .

ما قُوبِلَتْ عَيْناهُ إلاّ ظُنّتَا تَحْتَ الدُّجَى نارَ الفَرِيقِ حُلُولا[1]

في وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ إلاّ أنّهُ لا يَعْرِفُ التّحْرِيمَ والتّحْليلا

يَطَأُ الثّرَى مُتَرَفّقاً مِنْ تِيهِهِ فكأنّهُ آسٍ يَجُسّ عَليلا[2]

ويَرُدّ عُفْرَتَهُ إلى يَأفُوخِهِ حتى تَصيرَ لرَأسِهِ إكْليلا[3]

وتَظُنّهُ مِمّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ عَنْها لِشِدّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولا[4]

قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الخُطَى فكأنّما رَكِبَ الكَمِيُّ جَوادَهُ مَشْكُولا[5]

ألْقَى فَرِيسَتَهُ وبَرْبَرَ دونَهَا وقَرُبْتَ قُرْباً خالَهُ تَطْفيلا[6]

فتَشابَهَ الخُلُقانِ في إقْدامِهِ وتَخالَفَا في بَذْلِكَ المأكُولا[7]

---

١ الدجى جمع دجية وهي الظلمة والظرف في موضع الحال من نائب ظنتا . والفريق الجماعة . وحلولا أي نازلين وهو حال من الفريق .

٢ الثرى الأرض . والتيه الكبرياء . والآسي الطبيب . يشبه تأنيه في الوطء بجس الطبيب ليد العليل وذلك أنه لعزة نفسه لا يسرع في الخطو لأنه لا يخاف شيئاً .

٣ العفرة شعر القفا إذا غضب ردها إلى يأفوخه فتنتصب كالإكليل .

٤ زمجر الأسد ردد زئيره . ونفسه فاعل تظنه . ومشغولا مفعول ثان للظن أي أن نفسه تظنه مشغولا عنها لكثرة ما يزمجر من شدة غضبه وتغيظه .

٥ القصر هنا ضد التطويل . والخطى جمع خطوة وهي مسافة ما بين القدمين . والكمي لابس السلاح . والجواد الفرس الكريم . والمشكول المقيد بالشكال . يقول : إن خوفه تمكن من القلوب فأحجمت به قوائم الخيل وقصرت خطاها حتى كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله .

٦ يريد بفريسته البقرة التي هاجه عنها . والبربرة كلام المغضب استعارها لزمجرة الأسد . وخاله ظنه . والتطفيل الدخول على الآكلين من غير دعوة . أي لما رآك مقبلا عليه ألقى فريسته وزمجر غضباً لأنه ظنك تتطفل على صيده .

٧ الخلق الطبيعة ويريد بالخلقين خلق الأسد وخلق الممدوح . والضمير من إقدامه للأسد . يقول : تشابهتما في الإقدام والجرأة لكن تخالفتما في أنه حريص على طعامه وأنت كريم به باذل له .

أسَدٌ يرَى عُضْوَيهِ فيكَ كِلَيْهِما مَتْناً أزَلَّ وساعداً مَفْتُولا[1]

في سَرْجِ ظامِئةِ الفُصوصِ طِمِرَّةٍ يأبَى تَفَرُّدُها لها التَّمْثِيلا[2]

نَيَّالةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلا أنَّها تُعْطي مَكانَ لِجامِها مَا نِيلا[3]

تَنْدَى سَوالِفُها إذا استَحضَرْتَها ويُظَنّ عَقْدُ عِنانِها مَحْلُولا[4]

ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ حتى حَسِبْتَ العَرْضَ منه الطّولا[5]

ويَدُقّ بالصّدْرِ الحِجارَ كأنّه يَبْغي إلى ما في الحَضِيضِ سَبيلا[6]

وكأنّهُ غَرّتْهُ عَيْنٌ فادّنَى لا يُبْصِرُ الخَطْبَ الجَليلَ جَليلا[7]

---

١ يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد . والمتن جانب الصلب . والأزل القليل اللحم . والمفتول المندمج الشديد . أي أنك تشبه في هذين العضوين .

٢ ظامئة الفصوص أي دقيقة المفاصل والظرف حال من التاء في قربت . والطمرة الوثابة . يقول : قربت منه وأنت في سرج فرس هذه صفتها وقد تفردت في الكمال فلا تمثل بغيرها من الخيل .

٣ نيالة فعالة من النيل . والطلبات جمع طلبة ، بفتح فكسر ، وهي الشيء المطلوب . ومكان لجامها كناية عن رأسها ، وقوله ما نيل نفي . أي أنها شديدة الحضر لا يفوتها مطلب وهي طويلة العنق لولا أنها تحط رأسها للجام لم ينله فارسها لارتفاعه .

٤ السوالف جمع سالفة وهي جانب العنق . واستحضرتها أي ركضتها . والعنان سير اللجام . يقول : إذا حثثتها على الركض جدت حتى يعرق عنقها وما حوله فإذا جذبت عنانها طاوعت وانثنت عند أول شعورها بالجذب غير مجاذبة بعنانها حتى تظن أن عقد عنانها محلول .

٥ الزور وسط الصدر حيث تلتقي عظامه . يقول : إنه جمع نفسه للوثوب وجمل قواه كلها عند صدره حتى صار عرضه في قدر طوله .

٦ الدق : الكسر . ويبغي يطلب . والحضيض القرار من الأرض . أي أنه لشدة غيظه يضرب الحجارة بصدره فيدقها كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ سبيلا إلى قرارها .

٧ ادنى افتعل من الدنو أي اقترب . والخطب الأمر . أي غره نظره إليك رجلا وهو أسد فاستهان بشجاعتك وأقدم عليك يطلب قتالك وهو لا يرى ما في ذلك من الخطب العظيم .

أنَفُ الكَريمِ مِنَ الدّنيئةِ تارِكٌ   في عَينِهِ العَدَدَ الكَثيرَ قَليلا[1]

والعارُ مَضّاضٌ ولَيسَ بخائِفٍ   مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خافَ ممّا قيلا[2]

سَبَقَ التِقاءَكَهُ بوَثْبَةِ هاجِمٍ   لَوْ لم تُصادِمْهُ لجازَكَ ميلا[3]

خَذَلَتْهُ قُوّتُهُ وقَدْ كافَحْتَهُ   فاستَنْصَرَ التّسْليمَ والتّجْديلا[4]

قَبَضَتْ مَنيّتُهُ يَدَيْهِ وعُنْقَهُ   فَكَأنّما صادَفْتَهُ مَغْلُولا[5]

سَمِعَ ابنُ عَمّتِهِ بهِ وبحالِهِ   فنَجا يُهَرْوِلُ أمسِ منكَ مَهُولا[6]

وأمَرُّ ممّا فَرّ منهُ فِرارُهُ   وكَقَتْلِهِ أنْ لا يَمُوتَ قَتيلا[7]

---

١ الأنف والأنفة الاستنكاف . والدنيئة النقيصة . يقول : إن أنفة الكريم من أن يعاب بالجبن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلا. يشير إلى ثبات الممدوح وإقدامه على الأسد خوفاً من عار الهزيمة .

٢ مضه الأمر آلمه . والحتف الموت . يقول : إن العار مؤلم فمن كان يخاف من كلام الناس فيه فإنه لا يخاف من الموت .

٣ يقول : إنه أعجلك عن التقائك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند وثبها لجاوزك مسافة ميل من شدتها . والميل ثلث فرسخ .

٤ خذله خانه وترك نصرته . وكافحه استقبله في الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة . والتجديل مصدر جدله إذا صرعه على الجدالة وهي الأرض . يقول : خانته قوته أي ضعفت فلم تنجده فطلب نصرته من التسليم إليك والسقوط أمامك على الأرض وهو من باب التهكم .

٥ مقيداً بالغل وهو طوق من حديد تجمع به اليدان إلى العنق . يقول : إن منيته حانت على يدك فقبضت على يديه وعنقه لا يستطيع وثوباً ولا فراراً فكأنك لقيته مقيداً .

٦ الهرولة بين المشي والعدو . ومهولا أي مذعوراً . يريد بابن عمته الأسد الذي هرب بعد ذلك ولم يرد تحقيق النسب بينهما بل أراد أسداً آخر من جنسه .

٧ قوله مما فر منه أي من الهلاك . وكقتله خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل لأنه إنما سلم بالهرب وهو والقتل على الشجاع سيان .

تَلَفُ الذي اتَّخَذَ الجراءَةَ خُلَّةً   وعَظَ الذي اتَّخَذَ الفِرارَ خَليلا[1]

لَوْ كانَ عِلْمُكَ بالإلَهِ مُقَسَّماً   في النّاسِ ما بَعَثَ الإلَهُ رَسُولا[2]

لَوْ كانَ لَفْظُكَ فيهِم ما أنزَلَ الـ   ـفُرْقانَ والتَّوْراةَ والإنْجيلا[3]

لَوْ كانَ ما تُعطيهِم من قبلِ أنْ   تُعْطيهِم لَمْ يَعرِفُوا التّأميلا[4]

فلَقَدْ عُرِفْتَ وما عُرِفتَ حَقيقَةً   ولقد جُهِلْتَ وما جُهِلْتَ خُمُولا[5]

نَطَقَتْ بسُؤدُدِكَ الحَمامُ تَغَنّياً   وبما تُجَشّمُها الجِيادُ صَهيلا[6]

ما كلّ مَنْ طَلَبَ المَعاليَ نافِذاً   فيها ولا كُلّ الرّجالِ فُحُولا

---

١ تلف مبتدأ خبره وعظ . والخلة الخليلة . يقول : إن تلف الأسد الذي اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذي فر منك فسلم .

٢ يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله رسولا يدعوهم إلى معرفته لعدم الحاجة إليه .

٣ ويروى القرآن . والفرقان اسم جامع للكتب المنزلة لفرقها بين الحق والباطل . وقد يراد به القرآن بخصوصه وهو المقصود هنا .

٤ الجار والمجرور في موضع نصب خبر كان . يقول : لو كان ما تعطيه للناس سابقاً لوقته لكانوا لا يعرفون الأمل لأنك تغنيهم به ولا تترك في نفوسهم حاجة يؤملونها .

٥ حقيقة الشيء ما ثبت من أمره وهي منصوبة على التمييز . والخمول سقوط الشهرة وهو مفعول لأجله . يقول : إن الناس عرفوك بما ظهر من كرمك وأريحيتك ولكن لم يعرفوا حقيقة ما أنت عليه لقصورهم عن إدراك كنهك فإذا جهلوا قدرك فهم إنما يجهلونه لذلك لا لكونك خامل الذكر .

٦ السؤدد السيادة . وتجشمها تكلفها . وتغنياً وصهيلا حالان . يقول : قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلا عن العاقل . فالحمام إذا تغنت نطقت بسيادتك والخيل إذا صهلت نطقت بغزواتك التي تكلفها إليها . والبيت تتميم وتأكيد للبيت السابق .

تحاسدت البلدان !

ورد كتاب من ابن رائق على بدر بإضافة
الساحل إلى عمله ، فقال أبو الطيب :

تُهَنّا بصُورٍ أمْ نُهَنّئُها بِكَا ... وقَلّ الذي صُورٌ وأنْتَ لَهُ لَكَا[1]

وما صَغُرَ الأرْدُنُّ والسّاحلُ الذي ... حُبِيتَ به إلاّ إلى جَنْبِ قَدْرِكَا[2]

تَحَاسَدَتِ البُلْدانُ حتى لوَ انها ... نُفوسٌ لَسارَ الشّرْقُ والغرْبُ نحوَكا[3]

وأصْبَحَ مِصْرٌ لا تكونُ أميرَهُ ... ولَوْ أنّهُ ذو مُقْلَةٍ وفَمٍ بَكَى[4]

....

١ قوله تهنا أي أتهنأ فحذف همزة الاستفهام ولين همزة تهنأ للوزن . وصور في الشطر الثاني مبتدأ . وأنت معطوف عليها . وله خبر والضمير للموصول . ولك متعلق بقل . وتحرير العبارة وقل لك الذي صور له وأنت له أي أنت من أصحابه يعني ابن رائق . كأنه يريد أن يقول : لو كنت أنت ابن رائق أي لو كنت في منزلته وملكه لكان ذلك قليلا بالنسبة إلى ما تستحقه .

٢ حبيت به أي أعطيته . وقوله إلى جنب قدرك أي بالنسبة إليه . يعني أن هذه الولاية عظيمة في نفسها وإنما صغر قدرها بالنسبة إلى عظم قدرك .

٣ أي أن البلدان يحسد بعضها بعضاً على ولايتك لها فلو كانت نفوساً تعقل لسعى إليك الشرق والغرب مغالاة بك وتشاحاً عليك .

٤ أصبح هنا تامة . والمصر المدينة الجامعة . والواو من قوله ولو للحال . وبكى جواب لو . أي لو كانت له مقلة تدمع وفم يفصح عن شكواه لبكى أسفاً على فوات إمارتك .

أنت النهاية في الكمال

نظر إلى جانبه ثياباً مطوية فسأل عنها فقيل هي خلع الولاية، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلا فقال :

أرَى حُلَلاً مُطَــوَّاةً حِسَاناً ... عَداني أنْ أراكَ بها اعْتِلالي[1]

وهَبْكَ طَوَيْتَها وخرَجتَ عنها ... أتَطوي ما عَلَيكَ من الجَمالِ[2]

لَقَدْ ظَلّتْ أواخِرُها الأعالي ... مَعَ الأولى بجِسْمِكَ في قِتالِ[3]

تُلاحِظُكَ العُيُونُ وأنتَ فيها ... كأنّ عَلَيكَ أفْئِدَةَ الرِّجالِ[4]

متى أحصَيْتُ فَضلَكَ في كَلامٍ ... فقَدْ أحصَيتُ حَبّاتِ الرِّمالِ

وإنّ بها وإنّ بهِ لَنَقْصــاً ... وأنتَ لها النّهايةُ في الكَمالِ[5]

---

١ عداني أي منعني . وبها في موضع الحال من الكاف أي أراك وهي عليك . واعتلالي فاعل عداني .

٢ يعني أنه لا يتجمل بثيابه وإنما يتجمل بجماله فإذا طواها بقي عليه من الجمال ما لا يطوى .

٣ يصفه حين كانت الخلع عليه . أراد بأعالي الثياب الظواهر منها للأعين أي أنها ظلت من الحسد في قتال مع الذي يلي جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله .

٤ أي أن العيون تنظر إليك نظر المحبة والسرور وأنت في هذه الحلل كأنك في قلوب أصحاب العيون وهي لباس عليك مكان تلك الحلل .

٥ الضمير من قوله بها للخلع . ومن قوله به للكلام . أي أن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال في نفسها كما أن كلامي لا يزال ناقصاً عن استيفاء فضلك وإنما تستوفي نهاية الكمال في الحسن بلبسك لها لأنها تتزين بك .

مكايد السفهاء واقعة بهم

سار بدر إلى الساحل ولم يسر أبو الطيب معه ثم بلغه أن ابن كروس الأعور كتب إلى بدر يقول له : إن أبا الطيب إنما تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك . ولما عاد بدر إلى طبرية ضربت له قباب عليها أمثلة من تصاوير ، فقال أبو الطيب :

الحُبُّ ما مَنَعَ الكَلامَ الألْسُنَا ... وألَذُّ شَكْوَى عاشِقٍ ما أعْلَنَا[1]

ليتَ الحَبيبَ الهاجري هَجْرَ الكَرَى ... من غيرِ جُرْمٍ واصِلي صِلَةَ الضَّنَى[2]

بِتْنَا ولَوْ حَلّيْتَنا لمْ تَدْرِ مَا ... ألْوانُنَا ممّا اسْتُفِعْنَ تَلَوُّنَا[3]

وتَوَقّدَتْ أنْفاسُنا حتى لَقَدْ ... أشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ العَواذِلُ بَيْنَنَا[4]

---

١ ما في الشطرين موصولة خبر عن المرفوع قبلها . والألسن يروى بفتح السين ، أي الذليق اللسان ، وبضمها جمع لسان على لغة تأنيثه وهو الأجود . يقول : حق الحب ما غلب على اللسان حتى لا يقدر على وصف ما في قلب صاحبه وألذ الشكوى ما كانت جهراً لأنها تخفف عن الشاكي فقد وقع المحب في بلاء بين هذين النقيضين .

٢ هجر وصلة مفعولان مطلقان . والكرى النوم . والجرم الذنب . وواصلي خبر ليت . والضنى المرض الملازم . يقول : ليت الحبيب الذي هجرني كهجر النوم لأجفاني يواصلني كمواصلة الضنى لجسدي .

٣ بتنا تامة والواو بعدها حالية . ويروى بنا فلو حليتنا أي افترقنا . وحليتنا أي وصفت حليتنا وهي هيئة الشخص وما يتميز به . وما من قوله مما مصدرية . واستفع لونه تغير من حزن ونحوه . ويروى امتقعن وهو بمعناه . وتلوناً حال أو مفعول له . أي لو أردت أن تتبين حليتنا لم تعرف ما هي لتغير ألواننا من الحزن فلا تدري بأي لون تصفنا .

٤ الإشفاق الخوف . وقوله تحترق أراد أن تحترق فحذف أن وقد مرت له نظائر . والعواذل جمع العاذلة .

أفْدي المُوَدِّعَةَ الّتي أتْبَعْتُهـَـا   نَظَراً فُرادَى بَيْنَ زَفْراتٍ ثُنَا[1]

أنْكَرْتُ طارِقَةَ الحَوادِثِ مَرَّةً   ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بها فصارَتْ دَيْدَنَا[2]

وقَطَعْتُ في الدّنْيا الفَلا ورَكائِبي   فيها وَوَقْـتَيَّ الضّحَى والمَوْهِنَا[3]

فوَقَفْتُ منها حيثُ أوْقَفَني النّدَى   وبَلَغْتُ من بَدْرِ بنِ عَمّارَ المُنَى[4]

لأبي الحُسَيْنِ جَدَاً يَضيقُ وِعاؤهُ   عَنْهُ ولَوْ كانَ الوِعاءُ الأزْمُنَا[5]

وشَجاعَةٌ أغْناهُ عَنْها ذِكْرُها   ونَهَى الجَبَانَ حَديثُها أن يجبُنَا[6]

نِيطَتْ حَمائِلُهُ بعاتِقِ مِحْرَبٍ   ما كَرّ قَطُّ وهَلْ يكُرّ وما انثَنَى[7]

---

١ ويروى المودعيّ . وفرادى اسم جمع للفرد . والزفرات جمع زفرة وهي النفس الحار سكن فاءها ضرورة . وثنا من قولهم جاء القوم ثناء أي اثنين اثنين وإنما قصرها للقافية . أي كلما نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين لشدة ما في صدري من حرارة الوجد .

٢ قوله مرة أي مرة واحدة . والديدن العادة . يقول : لما طرقته حوادث الدهر أول مرة استغربها لعدم سبق عهده بها فلما عاودته وكثر طروقها له اعترف بألفتها وصارت عادة لازمة له .

٣ الفلا جمع فلاة وهي المفازة البعيدة . والركائب جمع ركاب وهي الإبل . والضمير من قوله فيها للفلا . والموهن نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وطول احتماله المشقات يقول : إنه قطع الفلوات بالمسير وأفنى الإبل في الفلوات بالتعب ونهاره وليله بقطع المسافات .

٤ الضمير من قوله منها للدنيا . والندى الجود . والمنى جمع منية وهي الشيء الذي تتمناه . يقول : وقفت من الدنيا حيث حبسني الجود يريد عند الممدوح أي لما انتهى إليه انقطع عن السفر لبلوغه عنده حاجة نفسه .

٥ الجدا العطاء . يقول: إن عطاءه لا يسعه وعاء ولو كان ذلك الوعاء الزمان مع سعته للعوالم بما فيها .

٦ أي أن ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها لأن كل أحد يهابه لما يسمع من ذكرها وصار الجبان إذا سمع بحديثها يتشجع اقتداء به .

٧ نيطت علقت . والحمائل علائق السيف . والعاتق ما بين المنكب والعنق . والمحرب الشجاع الشديد الحرب يعني به الممدوح على جهة التجريد . وكر عليه في الحرب عطف . وانثنى رجع والواو

فكأنَّهُ والطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِهِ   مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أنْ يُطْعَنَا[1]

نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذِهْنِهِ   فقَضَى على غَيْبِ الأمورِ تَيَقُّنَا[2]

يَتَفَزَّعُ الجَبَّارُ مِنْ بَغَتَاتِهِ   فَيَظَلُّ في خَلَواتِهِ مُتَكَفِّنَا[3]

أمْضَى إرادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌ   واستَقْرَبَ الأقصَى فَثَمَّ لهُ هُنَا[4]

يَجِدُ الحَديدَ على بَضَاضةِ جِلْدِهِ   ثَوْباً أخَفَّ مِنَ الحَريرِ وألْيَنَا[5]

وأمَرُّ مِنْ فَقْدِ الأحِبَّةِ عِندَهُ   فَقْدُ السُّيُوفِ الفاقِداتِ الأجْفُنَا[6]

قبله الحال . أي أنه لم يكر على الأعداء لأن الكر إنما يكون بعد الفر وهو يهجم ولا ينثني حتى يبلغ مراده .

١ أي أنه لشدة إقدامه في الحرب لا يرجع ولا يلتفت حتى كأنه يخاف أن يطعنه أحد من خلفه . ومعنى البيت مبني على الذي قبله .

٢ التوهم خلاف التيقن . وقضى أي حكم . وتيقناً حال . قال الواحدي: هذا كأنه اعتذار له مما ذكر من إقدامه فذكر أن فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها يقيناً لا وهماً .

٣ يقول : إن الجبار لشدة خوفه منه لا يأمن أن يأتيه بغتة في منزله وهو يخلو بنفسه فلا يزال لابساً كفنه تأهباً للموت .

٤ سوف مبتدأ خبره قد . وكذا ثم وهنا. استعمل هذه الكلمات استعمال الأسماء ولذلك رفع قد منونة . والأقصى الأبعد . وثم بمعنى هنالك . يقول : إنه ماضي الإرادة نافذ العزم فما يقال عنه سوف يكون يقول عنه قد كان وما يشار إليه بهنالك يشير إليه بهنا . يعني أن ما يكون من العزائم مستقبلا عند غيره يعده ماضياً لأنه سيقع لا محالة فكأنه قد وقع وما يكون من المطالب بعيداً على غيره يعده حاصلا بين يديه لعلمه بأنه لا يفوته .

٥ يريد بالحديد الدرع . والبضاضة رقة الجلد ونعومته ، يعني أنه متعود لبس الدروع حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير .

٦ الأغماد. يعني أن السيوف أعز عليه من الأحبة، ووصفها بفقد الأغماد إشارة إلى كونها مجردة وقت الحرب .

لا يَستَكِنَّ الرّعبُ بَينَ ضُلُوعِهِ يَوْماً ولا الإحسانُ أنْ لا يُحْسِنَا[1]

مُسْتَنْبِطٌ من عِلْمِهِ ما في غَدٍ فكأنّ ما سيَكونُ فيهِ دُوِّنَا[2]

تَتَقاصَرُ الأفهامُ عَنْ إدْراكِهِ مِثْلَ الذي الأفْلاكُ فيهِ والدُّنَى[3]

مَنْ لَيسَ مِنْ قَتْلاهُ من طُلَقائِهِ مَنْ لَيسَ ممّنْ دانَ ممّنْ حُيِّنَا[4]

لمّا قَفَلْتَ مِنَ السّواحِلِ نَحوَنَا قَفَلَتْ إليْها وَحْشَةٌ من عِندِنا[5]

أرِجَ الطّريقُ فَما مَرَرْتَ بمَوْضِعٍ إلاّ أقامَ بهِ الشّذا مُسْتَوْطِنَا[6]

---

١ استكن توارى في الكن وهو السترة والمأوى . والإحسان الأول مصدر أحسن الشيء إذا عرفه وأحكم صنعه . والثاني ضد الإساءة وهو مفعول الإحسان الأول أعمله مع أل كما في قوله ضعيف النكاية أعداءه وهو ضعيف . يقول : ليس في قلبه مأوى للرعب ولا لمعرفة ترك الإحسان وهذا على حد قول الآخر :

يحسن ان يحسن حتى إذا رام سوى الإحسان لم يحسن

٢ استنبطه استخرجه وأصله من استنباط الماء . وما في غد مفعول الاستنباط . والضمير من قوله فيه لعلمه . أي أنه يعرف بعلمه ما سيكون في غد فكأن علمه صحيفة قد كتبت فيها الحوادث المستقبلة . ويروى من يومه أي أنه يستدل بما يقع في يومه على ما يقع في غده فيعرفه .

٣ الإضافة في إدراكه معنوية . ومثل نعت لمصدر محذوف أي تقاصراً مثل تقاصرها عن إدراك الذي إلى آخره . واختار بعضهم رفع مثل على أنه خبر عن محذوف أي فهو مثل وهو أقل تكلفاً . والدنى جمع دنيا . يقول : إن أفهام الناس تتقاصر عن الإحاطة بسعة إدراكه وفسحة علمه كما تتقاصر عن الإحاطة بما استقرت فيه الأفلاك والأرضون فإن ما وراءها لا يعرفه أحد .

٤ الطلقاء جمع طليق وهو الأسير أطلق عنه إساره . ودان خضع . وحين أي أهلك . ويروى بالمعلوم أي ممن أهلكه . يقول : من نجا من سيفه ولم يقتله فهو ممن أطلقه ومنّ عليه بالعفو ومن لم يكن من أهل طاعته فهو من الهالكين .

٥ قفل رجع . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل غشينا ما كان فيها من الوحشة قبل قدومك عليها فلما عدت إلينا عادت تلك الوحشة من عندنا إليها .

٦ أرج الطيب فاح . والشذا حدة ذكاء الرائحة .

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قابلْتَها مَدَّتْ مُحَيِّيَةً إِلَيْكَ الأَغْصُنَا

سَلَكَتْ تَماثِيلَ القِبابِ الجِنُّ من شَوْقٍ بها فأَدَرْنَ فيكَ الأَعْيُنَا[1]

طَرِبَتْ مَراكِبُنَا فَخِلْنَا أَنَّها لَوْلا حَيَاءٌ عاقَها رَقَصَتْ بنا[2]

أَقْبَلْتَ تَبْسِمُ والجِيادُ عَوَابِسٌ يَخْبُبْنَ بالحَلَقِ المُضاعَفِ والقَنَا[3]

عَقَدَتْ سَنَابِكُها عَلَيْها عِثْيَراً لوْ تَبْتَغِي عَنَقاً عَلَيْهِ لأَمْكَنَا[4]

والأَمْرُ أَمرُكَ والقُلُوبُ خَوافِقٌ في مَوْقِفٍ بَيْنَ المَنِيَّةِ والمُنَى[5]

فعَجِبْتُ حتى ما عَجِبتُ من الظُّبَى ورأَيْتُ حتى ما رأَيْتُ منَ السَّنَى[6]

---

١ القباب جمع قبة وهي الخيمة أو البيت المستدير من بيوت العرب . أي أن الجن من الشوق الذي بها إلى رؤيتك دخلت في الصور المنقوشة على القباب التي فوقك لتراك . ويمكن أن يكون فاعل الإدارة هو التماثيل أي أن أرواح الجن تخللت هذه التماثيل فأدارت أعينها فيك لأنها صارت ذات أرواح ، يشير إلى صحة التصوير وإحكامه . قال ابن جني : ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا .

٢ المراكب جمع مركب بمعنى المركوب يريد الخيل . وخلنا حسبنا .

٣ الجياد الخيل . والخبب ضرب من العدو . ويريد بالحلق المضاعف الدروع . والقنا الرماح . أي أقبلت باسماً والجياد من حولك عابسة لما نالها من طول السير وعليها الفرسان بالدروع الثقيلة والرماح .

٤ السنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر . والعثير الغبار . والعنق ضرب من السير سريع فسيح الخطو . يقول : إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غباراً كثيفاً حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها كالأرض لشدة كثافته .

٥ في موقف صلة خوافق والجملة حال . وبين صلة موقف . والمنية الموت . والمنى جمع منية وهي ما تتمناه من خير . يقول : أمرك مطاع حتى في حال الحرب حيث كل قلب يضطرب بين خوف القتل ورجاء الظفر بالعدو فإن كنت في هذه الحال مطاعاً فما ظنك بغيرها .

٦ الظبى جمع ظبة وهي حد السيف وتطلق على السيف نفسه . والسنى النور . يصف يوم قدومه يقول : تعجبت من كثرة السيوف في ذلك اليوم حتى ذهلت فعجزت عن إدراك العجب ورأيت من كثرة الضوء وتألق الحديد ما خطف بصري حتى كل عن الرؤية .

إنّي أراكَ منَ المَكارِمِ عَسكَراً في عَسكَرٍ ومنَ المَعالي مَعْدِنَا[1]

فَطَنَ الفُؤادُ لِما أتَيْتُ على النّوَى ولِمَا تَرَكْتُ مَخافَةً أنْ تَفْطُنَا[2]

أضحَى فِراقُكَ لي عَلَيْهِ عُقُوبَةً لَيسَ الذي قاسَيْتُ منهُ هَيّنَا[3]

فاغْفِرْ فِدًى لكَ واحبُني مِنْ بعدها لتَخُصّني بِعَطِيّةٍ منْها أنَا[4]

وَانْهَ المُشيرَ عَلَيكَ فيّ بضِلّةٍ فالحُرُّ مُمْتَحَنٌ بأوْلادِ الزّنَى[5]

وإذا الفتى طَرَحَ الكَلامَ مُعَرِّضاً في مَجْلِسٍ أخذَ الكَلامَ اللّذْ عَنَى[6]

---

١ تقديره أني أراك عسكراً في عسكر من المكارم أي أنت في نفسك عسكر وحولك عسكر آخر منها . ومعدن كل شيء أصله ومنبته .

٢ أل من قوله الفؤاد نائبة عن ضمير المتكلم . وأتيت بمعنى فعلت . يشير إلى ما وشي به عليه يقول : إن فؤادي لم يغفل عما فعلته في حال بعدك من التقصير في خدمتك وما أهملته من المسير معك لأني كنت خائفاً أن تفطن له فتعاتبني عليه . يعني أني لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك .

٣ الضمير من قوله عليه للموصول في البيت السابق . ومن قوله منه للفراق . يقول : إن فراقك كان عقوبة لي على ذلك التقصير فما بك حاجة إلى عقوبة غيرها .

٤ فدى خبر عن محذوف أي أنا فدى لك . وحباه أنعم عليه . وقوله من بعدها أي من بعد هذه المرة أو من بعد المغفرة . ومنها خبر مقدم عن الضمير بعده والجملة نعت عطية . أي فاغفر لي هذا التقصير وانعم علي بعد ذلك لأكون مخصوصاً بعطية منها نفسي ، يريد أنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

٥ الضلة بمعنى الضلال . أراد بالمشير عليه الأعور بن كروس كان قد أغراه بالمتنبي حين تخلف عن المسير معه . يقول : إنه أشار عليك بمقاطعتي وحرماني وقبول هذه المشورة منه ضلة لأني غير مستوجب لهذه العقوبة . ويريد بالحر نفسه وبأولاد الزنى الوشاة وهو تعريض بابن كروس كما سيشير إليه في البيت التالي .

٦ أي الذي عناه وهو فاعل أخذ . يريد أنه عرض في البيت السابق بذكر أولاد الزنى وقد فهم هذا التعريض من يعنيه به فهو يأخذه لنفسه .

ومَكايِدُ السُّفَهاءِ واقِعَةٌ بِهِمْ وعَداوَةُ الشُّعَراءِ بِئْسَ المُقْتَنَى

لَعِنَتْ مُقارَنَةُ اللَّئيمِ فإنَّهَا ضَيْفٌ يَجرُّ منَ النَّدامةِ ضَيْفَنَا[1]

غَضَبُ الحَسُودِ إذا لَقيتُكَ راضياً رُزْءٌ أخَفُّ عليَّ مِنْ أنْ يُوزَنَا[2]

أمسَى الذي أمْسَى برَبِّكَ كافِراً مِنْ غَيرِنا مَعَنا بفَضْلِكَ مُؤْمِنَا[3]

خَلَتِ البِلادُ منَ الغَزالَةِ لَيْلَها فأعاضَهاكَ اللهُ كَيْ لا تَحْزَنَا[4]

لست على الحجاب بقادر

دخل على بدر يوماً فوجده خالياً وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشرب ، فقال ارتجالا :

أصْبَحْتَ تأمُرُ بالحِجابِ لخَلْوَةٍ هَيْهاتِ لَسْتَ على الحِجابِ بقادِرِ

مَنْ كانَ ضَوْءُ جَبينِهِ ونَوالُهُ لم يُحْجَبَا لم يَحْتَجِبْ عن ناظِرِ

فإذا احتَجَبْتَ فأنْتَ غيرُ مُحَجَّبِ وإذا بَطَنْتَ فأنْتَ عَينُ الظّاهِرِ

---

١ الضيفن الذي يتبع الضيف . يقول : إن معاشرة اللئيم مذمومة لما تجر وراءها من الندامة فهي كضيف يليه ضيف من الندم .

٢ راضياً حال من الكاف في لقيتك. والرزء المصيبة . يقول : إذا رضيت عني لم أبال بعد ذلك بغضب الحسود لأنه يكون من أهون المصائب علي حتى لو كان له جرم لم يستحق أن يوزن لخفته .

٣ كافراً خبر أمسى الثانية . ومن غيرنا حال من مرفوع أمسى . ومعنا متعلق بمؤمن . ومؤمناً خبر أمسى الأولى . أي من كان من غيرنا كافراً بالله فإنه مؤمن معنا بفضلك أي موافق لنا في الإقرار به وإن كان مخالفاً لنا في الإيمان بالله .

٤ الغزالة اسم الشمس. وأعاضهاك أي جعلك لها عوضاً من الشمس والضمير للبلاد. وكان الوجه أن يقول أعاضها إياك لتقدم ضمير الغائب على المخاطب فعدل عنه لاقامة الوزن وهو ضرورة في الصحيح .

أرجوك وأخشاك

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة في الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إلاّكَا   لا لِسِوَى وُدِّكَ لي ذاكَا[1]
ولا لِحُبِّيهَا ولَكِنَّني   أمسَيْتُ أرْجوكَ وأخْشاكَا[2]

متى أقوم بالشكر

وقال أيضاً :

عَذَلَتْ مُنادَمَةُ الأميرِ عَوَاذِلِي   في شُرْبِها وكَفَتْ جَوابَ السَّائِلِ[3]

---

١ من هنا نكرة بمنزلة أحد والجملة بعدها صفة لها . والمنادمة المحادثة على الشراب . وقوله إلاك فيه تجوز والوجه إلا إياك لأن الضمير لا يتصل إلا بعامله . أي لم تجد أحداً غيرك نادمته وليس ذلك إلا لمودتك لي .

٢ الضمير من قوله بحبيها للخمر ولم يجر لها ذكراً للعلم بها . أي ولم أنادمك لأني أحب الخمر ولكن لأنك مرجو مهيب فلا يسعني إلا طاعتك .

٣ العذل الملام . وكفيته الأمر أغنيته عنه وأول مفعولي كفت محذوف أي كفتني . يقول : إن منادمتي للأمير تلوم من يلومني على شرب الخمر لأن منادمته شرف وليس فيما يعقب الشرف ملام وبذلك أستغني عن الجواب لمن يقول لي لماذا تشرب الخمر .

مَطَرَتْ سَحابُ يَدَيكَ رِيَّ جَوانحي		وحملتُ شكرَكَ واصطناعُكَ حاملي[1]
فمَتَى أقُومُ بشُكرِ ما أوْلَيْتَني		والقَوْلُ فيكَ عُلُوُّ قَدْرِ القائلِ[2]

الصدق من شيم الكرام

وكان بدر قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ثم رآه أبو الطيب يشرب فقال ارتجالا :

يا أيّها المَلِكُ الذي نُدَماؤهُ		شُرَكاؤهُ في مِلْكِهِ لا مُلْكِهِ[3]
في كلّ يَوْمٍ بَيْنَنا دَمُ كَرْمَةٍ		لكَ تَوْبَةٌ من تَوْبَةٍ من سَفْكِهِ[4]
والصّدقُ من شِيَمِ الكرام فقلْ لنا		أمنَ الشّرابِ تَتوبُ أم من تركِهِ ؟[5]

---

١ الجوانح الضلوع . والاصطناع الاحسان . والمعنى أن جودك قد أغناني فحملني شكرك وحمل أثقالي .

٢ متى استفهام إنكار . وأوليتني أي أعطيتني . ويريد بالقائل نفسه . يقول : إن شكري لا يكافىء نعمك لأنك تعطي بحسب علو قدرك وأنا أتكلم بحسب علو قدري فشكري لا يزال منحطاً عن إحسانك .

٣ الملك الأول بمعنى ما يملك والثاني السلطان .

٤ أراد بدم الكرمة الخمر على التشبيه . وكنى بسفكه عن شربها . يقول : كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة والتوبة من التوبة ترك التوبة .

٥ ويروى فتبنا أي فنبئنا فترك همزه .

يزول الدهر قبل زواله

فقال بدر : بل من تركه . فقال أبو الطيب :

بَدْرٌ فَتًى لوْ كانَ مِنْ سؤّالِهِ ... يَوْماً تَوَفّرَ حَظُّهُ مِنْ مالِهِ[1]

تَتَحَيّرُ الأفْعالُ في أفْعالِهِ ... ويَقِلُّ ما يأتيهِ في إقْبالِهِ[2]

قَمَراً نَرَى وسَحابتَينِ بمَوْضعٍ ... مِنْ وَجْهِهِ ويَمينِهِ وشِمالِهِ

سَفَكَ الدّماءَ بجُودِهِ لا بأسِهِ ... كَرَماً لأنّ الطّيرَ بعضُ عِيالِهِ[3]

إنْ يَفنَ ما يحوي فَقَدْ أبْقَى لهُ ... ذِكْراً يَزولُ الدّهرُ قَبلَ زَوالِهِ[4]

---

١ يقول : إنه فرق جميع أمواله على السائلين ولم يترك لنفسه شيئاً فلو جعل نفسه واحداً من أولئك السائلين لبقي له حصة من ماله كحصة واحد منهم .

٢ يأتيه أي يفعله . يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عن مبلغه وما يفعله قليل بالنسبة إلى دولته لاقتضائها أعظم من ذلك .

٣ يقول : إنه سفك الدماء ليرزق الطير من لحم القتلى لا لينكل بأعدائه لأن الطير قد صارت عيالا له لما عودها من إطعامها اللحوم فالحامل له على قتلهم هو الجود لا الشجاعة .

٤ الضمير في أبقى للموصول قبله . وفي له للممدوح . ويروى إن يفن بلفظ المتعدي أي الممدوح . وأبقى به بالباء مكان اللام فينعكس مرجع الضميرين .

أبت بالحاجة مقضية

وسأله أبو الطيب حاجة فقضاها فنهض وقال :

قَدْ أبْتُ بالحَاجَةِ مَقضيّـةً ... وعِفْـتُ في الجَلسَةِ تَطويلَها[1]

أنتَ الذي طُولُ بَقاءٍ لَـهُ ... خَيرٌ لنَفسِي مِنْ بَقائي لَهَا

كل فوق دون

فسأله بدر الجلوس فقال :

يا بَـدْرُ إنّكَ والحَديثُ شُجُونُ ... مَنْ لمْ يَـكُنْ لِمِثَالِه تَـكْوِينُ[2]

لَعَظُمْتَ حتى لوْ تَـكُونُ أمَانَةً ... ما كانَ مُؤتَمَناً بها جِبْرِينُ[3]

بَعْضُ البرِيّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خالياً ... فإذا حضَرْتَ فكُلُّ فَوْقٍ دُونُ[4]

---

١ أبت رجعت .. وعاف الشيء كرهه.

٢ قوله الحديث شجون مثل أي ذو فنون وطرائق والجملة اعتراض . يقول : إنك الرجل الذي لم يخلق له مثال .

٣ قوله لعظمت اللام زائدة أو رابطة لقسم مضمر على تقدير قد بعدها أي لقد عظمت . وجبرين لغة في جبريل. أي لو كنت أمانة لكانت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن بتأديتها جبريل الذي هو أمين الوحي لنفاستها وكرمها.

٤ البرية الخليقة . وخالياً حال من ضمير الخبر قبله . وقوله فكل فوق دون أجرى فوق ودون مجرى الأسماء المتمكنة فأعربهما إعرابها .. يقول : إذا خلا الناس عنك كانوا درجات يعلو بعضها بعضاً فإذا حضرت بينهم تساووا في الانحطاط عنك وصار كل شريف بالنسبة إليك وضيعاً .

فدتك الخيل

قال فيه مرتجلا :

فَدَتْكَ الخَيلُ وهيَ مُسَوَّماتُ   وبيضُ الهِنْدِ وهيَ مُجَرَّداتُ[1]

وَصَفْتُكَ في قَوافٍ سائِراتٍ   وقَدْ بَقِيَتْ وإنْ كَثُرَتْ صِفاتُ[2]

أفاعِيلُ الوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهْمٌ   وفِعْلُكَ في فِعالِهِم شِيَاتُ[3]

أحلى في العيون من الغمض

وقام منصرفاً في الليل فقال :

مضَى اللّيلُ والفضْلُ الذي لك لا يمضِي   ورُؤياكَ أحلى في العيونِ من الغُمضِ[4]

---

١ المسومات المعلمات بعلامات تعرف بها . يقول : فدتك الخيل والسيوف في الحرب حتى تفنى هي وتبقى أنت .

٢ يريد بالقوافي القصائد . وفاعل بقيت قوله صفات . وفاعل كثرت ضمير القوافي . أي وصفتك بقصائد كثيرة ولكن مع كثرتها بقيت صفات لك لم أحط بها .

٣ أفاعيل جمع أفعال جمع فعل . والدهم السود . والشيات جمع شية وهي لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال الناس من قبلك سود بالنسبة إلى فعلك وفعلك ظاهر بينها ظهور الشية في اللون الأسود . أو هي تتزين بفعلك كما يتزين الأدهم بالغرة ونحوها .

٤ ويروى في الجفون . والرؤيا خاصة بالمنام لكنه استعملها مكان الرؤية تجوزاً ولو قال ومرآك لكان أولى .

على أنّني طُوّقْتُ مِنْكَ بنِعْمَةٍ شَهيدٌ بها بعضِي لغيري على بَعضِي[1]
سَلامُ الذي فَوْقَ السّماواتِ عرْشُهُ تُخَصّ بهِ يا خيرَ ماشٍ على الأرْضِ

السلام عليك مني

جلس بدر يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب:

ألَمْ تَرَ أيّهَا المَلِكُ المُرَجّى عَجائِبَ ما رأيْتُ منَ السّحابِ
تَشَكّى الأرْضُ غَيبَتَهُ إلَيْهِ وتَرْشُفُ ماءَهُ رَشْفَ الرُّضابِ[2]
وأوهِمُ أنّ في الشِّطْرَنْجِ هَمّي وفيكَ تأمُّلي ولَكَ انْتِصابي[3]
سأمْضِي والسّلامُ علَيكَ منّي مَغيبي لَيْلَتي وغَداً إيابي[4]

---

١ يجوز في شهيد الجر على أنه نعت سببي لنعمة وبعضي فاعل. والرفع على أنه خبر مقدم عن بعضي. والمعنى أنك قد قلدتني نعمة لا أستطيع إنكارها لظهور أثرها علي فإن أنكرها قلبي شهد جلدي بما عليه من الخلع التي أنعمت بها.

٢ تشكى أي تتشكى فحذف إحدى التاءين. وإليه صلة تشكى والضمير ان للسحاب. وترشف تمتص. والرضاب الريق. والبيت تفسير لما ذكره من العجائب يقول: إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها وعند لقائه لها ترشف ماءه كما يرشف العاشق رضاب المعشوق.

٣ يقول: إن تأملي إنما هو فيك لا في الشطرنج وانتصابي جالساً لكي أراك لا لكي أراه.

٤ رجوعي.

نال الشراب مني

سقاه بدر ليلة فأخذ الشراب منه ثم أراد الانصراف فلم يقدر على الكلام فقال هذين البيتين وهو لا يدري فأنشده إياها ابن الخراساني وهما قوله :

نَالَ الذي نِلْتُ مِنْهُ مِنّي   للهِ ما تَصْنَعُ الخُمُورُ[١]
وفي انصِرافي إلى مَحَلّي   أآذِنٌ أيّهـا الأمِيرُ ؟[٢]

أنفس ما للفتى لبه

وعرض عليه الصبحة في غد فقال :

وَجَدْتُ المُدامَةَ غَلاّبَةً   تُهَيِّجُ للقَلْبِ أشْواقَهُ[٣]
تُسِيءُ مِنَ المَرْءِ تأديبَـهُ   ولَـكِنْ تُحَسِّنُ أخْلاقَهُ[٤]

---

١ يقول : إن الشراب الذي نلت حصة منه قد نال حصة مني أيضاً لأنه أخذ شيئاً من عقلي وقوتي . ثم تعجب من فعله فقال : لله ما تصنع الخمور .

٢ أي أآذن أنت . وفي انصرافي صلة آذن وهو ضرورة لأن ما بعد الهمزة لا يعمل في ما قبلها .

٣ المدامة الخمر . وقوله غلابة أي تغلب العقول فلا تستطاع مقاومتها .

٤ أي تسيء أدبه في اللفظ والحركات فلا يتقيد بآداب المجلس وتحسن أخلاقه بما تظهر فيه من حب السماحة وطيب المفاكهة .

وأنْفَسُ ما للفتى لُبُّهُ وذو اللبّ يَكْرَهُ إنْفاقَهُ[1]
وقَدْ مُتُّ أمْسِ بها مَوْتَةً ولا يَشْتَهي المَوْتَ مَنْ ذاقَهُ[2]

جارية شعرها شطرها

كان لبدر بن عمار جليس أعور يعرف بابن كروس ، وكان يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره لأنه لم يكن يجري في المجلس شيء إلا ارتجل فيه شعراً، فقال لبدر: أظنه يعمل هذا قبل حضوره ويعده . فقال له بدر : مثل هذا لا يجوز أن يكون وأنا أمتحنه بشيء أحضره للوقت . فلما كمل المجلس ودارت الكؤوس أخرج لعبة قد أعدها ، لها شعر في طولها تدور على لولب وإحدى رجليها مرفوعة وفي يدها باقة ريحان ، وهي تدار على الجلاس فإذا وقفت حذاء الإنسان نقرها فدارت . فقال أبو الطيب فيها مرتجلا :

وجاريةٍ شَعْرُها شَطْرُها مُحَكَّمَةٍ نافذٍ أمْرُهَا[3]
تَدورُ وفي كَفّها طاقَةٌ تَضَمّنَها مُكْرَهاً شبرُهَا[4]
فإنْ أسكَرَتْنا فَفي جَهْلِها بما فَعَلَتْهُ بِنَا عُذْرُهَا[5]

١ أنفس أي أشرف وأثمن . واللب العقل .

٢ جعل ذهاب عقله بها موتاً فقال ومن مات مرة لا يشتهي أن يعود إلى الموت .

٣ شطرها نصفها . وقوله نافذ أمرها يجوز في نافذ الجر على أنه نعت سببي وأمرها فاعل والرفع على أنه خبر مقدم عن أمرها والجملة نعت . يصف هذه اللعبة يقول إن شعرها قد جلل نصف بدنها فكأنه شطر لها وقد حكمت في أهل المجلس فمن وقفت أمامه شرب فكأنها أمرته أن يشرب فنفذ أمرها فيه .

٤ أكرهه على الأمر حمله عليه اضطراراً . يقول إن هذه الطاقة من الريحان وضعت في يدها عن غير اختيار منها لأنها لا تعقل .

٥ في جهلها خبر مقدم عن عذرها . أي إن أسكرتنا بسبب وقوفها أمامنا لنشرب فهي معذورة لأنها لا تعلم ما فعلت .

جارية بلا روح

وأديرت فوقفت حذاء أبي الطيب فقال :

جاريَةٌ ما لجِسْمِها رُوحُ　　بالقَلْبِ مِنْ حُبّها تَباريحُ[1]

في كَفّها طاقَةٌ تُشيرُ بهَا　　لكُلّ طيبٍ مِنْ طيبِها رِيحُ[2]

سأشرَبُ الكأسَ عن إشارَتِها　　ودَمعُ عَيْني في الخَدّ مَسفوحُ[3]

رفعت رجلها من التعب

وشرب وأدارها فوقفت حذاء بدر فقال :

يا ذا المَعالي ومَعْدِنَ الأدَبِ　　سَيّدَنا وابنَ سَيّدِ العَرَبِ

أنْتَ عَليمٌ بكُلّ مُعْجِزَةٍ　　ولَوْ سألْنا سِواكَ لمْ يُجِبِ[4]

أهذِهِ قابَلَتْكَ راقِصَةً　　أمْ رَفَعَتْ رِجْلَها منَ التّعَبِ[5]

---

١ جمع تبريح وهو الشدة .

٢ الضمير للطاقة . أي أن كل طيب يستفيد رائحته منها لأنها أطيب الأشياء ريحاً .

٣ مسكوب . يريد أنه يبكي لكراهته الشراب ولكنه إنما يشرب امتثالا لاشارتها .

٤ أي بكل مسئلة معجزة .

٥ كان الوجه أن يقول : أقابلتك هذه بتقديم الفعل للموافقة بين طرفي الاستفهام فعدل عنه للضرورة .

على فرد رجل !

وقال أيضاً :

إنّ الأميرَ أدامَ اللهُ دَوْلَتَـهُ لَفاخِرٌ كُسِيَتْ فَخْراً به مُضَرُ[1]

في الشَّرْبِ جارِيَةٌ من تَحتِها خَشَبٌ ما كانَ والِدَها جِنٌّ ولا بَشَرُ[2]

قامَتْ على فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهابَتِهِ ولَيسَ تَعقِلُ ما تأتي وما تَذَرُ[3]

لا تلمها

وأديرت فسقطت فقال :

ما نَقَلَتْ عِندَ مَشيَةٍ قَدَمَا ولا اشتَكَتْ مِنْ دُوارِها ألَمَا[4]

لم أرَ شَخْصاً مِنْ قَبلِ رُؤيَتِها يَفْعَلُ أفْعالَها وما عَزَمَا[5]

فَلا تَلُمْها على تَواقُعِها أطْرَبَها أنْ رأتْكَ مُبْتَسِمَا

---

١ القبيلة المشهورة . ويروى كسبت .

٢ في الشرب أي بينهم والشرب جمع شارب أو اسم للجمع . ووالدها خبر كان والإضافة فيه لفظية بناء على أنه حكاية حال ماضية أي ما كان والداً إياها وهو أولى من حمله على الضرورة .

٣ أي ما تفعله وما تتركه .

٤ الدوار شبه الدوران يأخذ في الرأس . يقول : إنها لم تتعمد نقل قدمها في المشي لأنها لا تتحرك بالإرادة ولم يأخذها في دورانها دوار فتتألم به لأنها لا تشعر . وأثبت لها الدوار من باب نفي الشيء بإيجابه . ويروى عن مشيئة بمعنى الإرادة وفي مُشية تصغير مشية .

٥ أي وهو لا يقصد هذه الأفعال .

ليس تصلح للعناق

ووصفها بشعر كثير وهجاها بمثله لكنه لم يحفظ فخجل ابن كروس وأمر بدر برفعها فرفعت فقال :

وذاتِ غَدائرٍ لا عَيْبَ فيها سوَى أنْ لَيسَ تَصْلُحُ للعِناقِ[1]

إذا هَجرَتْ فَعَنْ غيرِ اختيارٍ وإنْ زارَتْ فَعَنْ غيرِ اشْتياقِ

أمَرْتَ بأنْ تُشالَ فَفارَقَتْنَا وما ألِمَتْ لحادِثَةِ الفِراقِ[2]

أنا الذهب

ثم التفت إلى بدر وقال : ما حملك أيها الأمير على ما فعلت ؟ فقال : أردت نفي الظنة عن أدبك ، فقال :

زَعَمْتَ أنّكَ تَنفي الظّنّ عَن أدَبي وأنتَ أعْظَمُ أهلِ الأرْضِ مِقدارَا[3]

إنّي أنا الذّهَبُ المَعرُوفُ مَخْبَرُهُ يَزِيدُ في السّبكِ للدّينار دينَارَا[4]

---

١ الواو واو رب . والغدائر جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر .

٢ تشال من الإشالة وهي الرفع .

٣ ويروى أهل العصر . والمراد بالظن المقصود نفيه عن المتنبي ما اتّهم به من عدم المقدرة على ارتجال الشعر . وقوله زعمت يريد أنه أبعد من أن يظن به مثل ذلك فلا حاجة إلى نفي هذا الظن عنه .

٤ المعروف نعت الذهب . ومخبره مبتدأ خبره ما بعده والمراد بالمخبر الخبرة . يقول : إنه بالامتحان

جود يطرد الفقر

فقال بدر : بل للدينار قنطارا ، فقال :

بِرَجاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الفَقْرُ ... وبأنْ تُعادَى يَنْفَدُ العُمْرُ[1]

فَخَرَ الزُّجاجُ بأنْ شرِبْتَ بِـهِ ... وزَرَتْ على مَنْ عافَهَا الخَمْرُ[2]

وسَلِمْتَ مِنها وهْيَ تُسكِرُنَا ... حتى كأنَّكَ هابَكَ السُّكْرُ

ما يُرْتَجَى أحَدٌ لِمَكْرُمَةٍ ... إلاّ الإلَهُ وأنْتَ يا بَدْرُ

ترتفع منزلته ويتضاعف فضله كالذهب الخالص إذا اختبر بالسبك فإن ما يسوى منه ديناراً في بادي الرأي قد تزيد قيمته ديناراً آخر .

١ ينفد يفرغ .

٢ زرى عليه عابه . وعافها كرهها . يقول : افتخر الزجاج لأنك شربت الخمر به وعابت الخمر من يكرهها لأنها تشرفت بشربك إياها فلم يبق فيها ما يعاب .

هابك الليل والنهار

خرج أبو الطيب إلى جبل جرس فنزل بأبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني وكان بينهما مودة بطبرية فقال يمدحه :

لا افْتِخارٌ إلاّ لِمَنْ لا يُضامُ ... مُدْرِكٍ أوْ مُحارِبٍ لا يَنَامُ [١]

لَيسَ عَزْماً مَا مَرّضَ المَرْءُ فيهِ ... لَيسَ هَمّاً ما عاقَ عنهُ الظّلامُ [٢]

واحتِمالُ الأذَى ورُؤيَةُ جانيـ ... ـهِ غِذاءٌ تَضْوَى بهِ الأجسامُ [٣]

ذَلّ مَنْ يَغْبِطُ الذّليلَ بعَيشٍ ... رُبّ عَيشٍ أخَفُّ منْهُ الحِمامُ [٤]

كُلُّ حِلْمٍ أتَى بغَيرِ اقْتِـدارٍ ... حُجّةٌ لاجىءٌ إلَيها اللّئَامُ [٥]

---

١ لا هنا مشبهة بليس ولكن لا عمل لها لانتقاض نفي خبرها فالرفع بعدها بالتجرد . ومن نكرة تامة والجملة بعدها في محل جر نعت لها . ومدرك نعت آخر . يقول : لا فخر إلا لمن لا يُظلم لامتناعه وقوته على دفع الظلم عن نفسه وهو إما مدرك ما طلب أو محارب لا ينام عن مطلوبه حتى يناله .

٢ التمريض التقصير . والهم ما هممت به في نفسك . يقول : إن ما قصر الانسان فيه لا يعد عزماً وما عاقه الليل عن طلبه لا يعد همة لأن حق العازم أن لا يقصر وحق ذي الهمة أن لا يعوقه شيء .

٣ تضوى تهزل . يقول : إن الصبر على الإساءة والإقامة على رؤية المسيء يورثان دوام المشقة والكمد فيكونان غذاء للأجسام تهزل به كما تهزل بالأطعمة الخبيثة .

٤ غبطه تمنى مثل حاله . والحمام الموت وهو مبتدأ خبره أخف . ولا يجوز رفع الحمام بالفاعلية لأن أفعل التفضيل لا يرفع الظاهر إلا في مسئلة الكحل . يقول : لا يغبط الذليل على حياته إلا من كان ذليلا لأن الحياة إنما هي في العز فإذا فقده الإنسان كان الموت أخف محملا عليه لخلوه عما في الذل من غصص المشقة والهوان .

٥ يقول : إن الحلم الذي لا يصدر عن مقدرة لا يسمى حلماً وإنما هو حجة يحتج بها اللئام ستراً لعجزهم .

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ... ما لجُرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ[١]

ضاقَ ذَرْعاً بأنْ أضيقَ بهِ ذَرْ ... عاً زَماني واستَكرَمتْني الكِرامُ[٢]

واقِفاً تحتَ أخمَصَيْ قَدْرِ نَفسي ... واقِفاً تحتَ أخْمَصَيَ الأنَامُ[٣]

أقَراراً ألَذُّ فَوْقَ شَرارٍ ... ومَراماً أبْغي وظُلْمي يُرامُ[٤]

دونَ أنْ يَشرَقَ الحِجازُ ونَجْدٌ ... والعِراقانِ بالقَنَا والشّامُ[٥]

شَرَقَ الجَوِّ بالغُبَارِ إذا سَا ... رَ عَليُّ بنُ أحْمَدَ القَمْقامُ[٦]

---

١ يقول : من كان هيناً في نفسه لا يستصعب ورود الهوان عليه فهو كالميت الذي لا يتألم بالجراحة .

٢ ضاق فعل الزمان والضمير المجرور عائد إليه . وذرعاً تمييز وهو في الأصل مصدر ذرعت الشيء إذا قسته بذراعك . يقال ضاق ذرعه بكذا وضاق به ذرعاً يكنون بذلك عن قصر اليد كما يكنون بضيق الخطى عن قصر الرجلين ثم استعمل بمعنى العجز عن احتمال الشيء . يقول : عجز الزمان عن أن يبتليني بأمر لا أحتمله ولا أطيقه وقد وجدني الكرام كريماً صبوراً على نوازل الدهر .

٣ واقفاً الأولى حال عن ضمير المتكلم في البيت السابق . والثانية حال عن الضمير المستتر في واقفاً الأولى . والأخمص باطن القدم . والأنام الخلق . يقول : إنه قد وقف تحت أخمص همته وقدر نفسه في الحال التي وقف الناس فيها تحت أخمصيه . أي أنه وإن بلغ هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته لأنها تقتضي ما هو أسمى من ذلك .

٤ الاستفهام للانكار . وقراراً مفعول به لألذ . والظرف بعده حال عن المتكلم أو صلة قرار . وظلمي يرام حال .

٥ يشرق يغص . والمراد بالعراقين العراق العربي والعراق العجمي . والقنا الرماح . والشام أصلها بالهمز وتلين تخفيفاً .

٦ شرق مفعول مطلق عامله يشرق في البيت المتقدم . والقمقام السيد . يقول : أيطيب قلبي بالقرار وأنا على مثل شرار النار من المذلة والخسف وأبغي مطلباً ما دام أعدائي يطلبون ظلمي . أي لا أصبر على الذل ولا أطلب بغية من الدنيا ما لم أدفع الظلم عن نفسي وأترك الحجاز وما يليها غاصة بالرماح كما يغص الجو بالغبار عند ركوب هذا الأمير .

الأديبُ المُهَذَّبُ الأصْيَدُ الضّرْ بُ الذّكيُّ الجَعدُ السّريُّ الهُمامُ [1]

والذي رَيْبُ دَهْرِهِ مِنْ أسَارَا هُ ومِنْ حاسدي يَدَيْهِ الغَمامُ [2]

يتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ المَالِ بالإقْ لالِ جُوداً كأنّ مَالاً سَقَامُ [3]

حَسَنٌ في عُيُونِ أعْدائِهِ أقْ بَحُ من ضَيْفِهِ رأتْهُ السّوامُ [4]

لوْ حَمَى سَيّداً منَ المَوتِ حامٍ لحَمَاهُ الإجْلالُ والإعْظامُ [5]

وعَوارٍ لَوامِعٌ دِينُهَا الحِ لُّ ولَكِنّ زِيّها الإحْرامُ [6]

كُتبَتْ في صَحائِفِ المَجدِ : بِسْمٌ ثمّ قَيسٌ وبعدَ قَيسَ السّلامُ [7]

---

١ الأصيد الملك الرزين . والضرب الماضي في الأمور . والجعد الكريم . والسري الشريف . والهام الملك العظيم الهمة .

٢ ريب الدهر صروفه . وأساراه ، بفتح الهمزة وضمها، جمع أسرى جمع أسير . أي أنه حبس صروف الدهر على مراده فلا تحل إلا بمن سلط عليه بأسه . وأطلق يديه بالبذل حتى صار الغمام حاسداً لهما لقصوره عن مبلغهما في الجود .

٣ الإقلال قلة المال . وجوداً مفعول له عامله الإقلال أو الفعل قبله . يقول : كأنه يحسب المال سقاماً فيتداوى ببذله ليقل عنده فيشفى .

٤ حسن خبر عن محذوف يعود إلى الممدوح . وأقبح خبر ثان . وفي عيون أعدائه صلة أقبح . والسوام الماشية والجملة حال من ضيفه . يقول : هو حسن لكنه في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون مواشيه لعلمها أنها ستنحر له .

٥ أي لحماه من الموت إجلال الموت له وإعظامه إياه فلم يجسر عليه تهيباً . ويروى لحماك .

٦ عوار معطوف على الإجلال أي وسيوف مجردة من أغمادها . والحل عدم التحرج من شيء يعني أنها تستحل الدماء . وقوله زيها الإحرام يريد به العري كالمحرم في الحج .

٧ يروى بسم بالرفع على الإعراب وبالجر على الحكاية . يقول : كتب في صحائف المجد بسم الله وهو افتتاح الكلام . ثم قيس وهي قبيلة الممدوح . ثم السلام وهو ختام الكتاب . كناية عن تفرد بني قيس بالمجد حتى لا يذكر غيرهم .

إنّما مُرّةُ بنُ عوْفِ بنِ سَعْدٍ جَمَراتٌ لا تَشْتَهيها النّعامُ[1]

لَيلُها صُبْحُها مِنَ النّارِ والإصْ بَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدّخانِ تِمامُ[2]

هِمَمٌ بَلّغَتْكُمُ رُتَبَاتٍ قَصُرَتْ عَنْ بُلُوغِها الأوْهامُ

ونُفُوسٌ إذا انْبَرَتْ لِقِتالٍ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدُ الإقْدامُ[3]

وقُلُوبٌ مُوَطَّناتٌ على الرّوْ عِ كأنّ اقْتِحامَهَا استِسْلامُ[4]

قائدو كُلّ شَطْبَةٍ وحِصانٍ قَدْ بَراها الإسْراجُ والإلجامُ[5]

يَتَعَثّرْنَ بالرّؤوسِ كَما مَرّ بتاءاتِ نُطْقِهِ التّمتَامُ[6]

---

١ الجمرة كل قبيل انضموا فصاروا يداً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . وجمرات العرب بنو عبس وبنو ضبة وبنو ذبيان . وقوله لا تشتهيها النعام أي أنها أشد ذكاء من جمر النار فلا تشتهيها النعام ولا تستطيع الإقدام عليها لأنها لا تطاق .

٢ الإصباح مصدر بمعنى الصبح . وليل التمام ، بالكسر ، أطول ليالي الشتاء خصه لاشتداد ظلمته . وهو مسموع عنهم بالإضافة ولكنه أتبعه للضرورة . والمعنى أنهم يوقدون نار القرى ليلا ونهاراً فيصير ليلهم صبحاً بضوء النار ونهارهم ظلمة بسواد الدخان .

٣ انبرى له تعرض . ونفد الشيء فني . أي أن نفوسهم لا تزال مقدمة في الحرب حتى تفنى وإقدامها باق لأنها لا تتأخر .

٤ وطن نفسه على الأمر مهدها لفعله . والروع الفزع يريد به أهوال الحرب . والاستسلام الانقياد . يقول : إنهم وطنوا قلوبهم على الحرب واعتادوا أهوالها فهانت عليهم حتى كأن اقتحامهم العدو استسلام له لا حرب فيه ولا جلاد .

٥ الشطبة الفرس الطويلة . وبراها هزلها وأنحلها . وأراد براها بضمير التثنية فاكتفى بضمير الأول كما في قوله والله ورسوله أحق أن ترضوه .

٦ ضمير يتعثرن للخيل دل عليها ما تقدم في البيت السابق . والتمتام الذي يتردد لسانه بالتاء . يقول : إن خيلهم تمر برؤوس القتلى فتعثر بها في العدو كما يمر لسان التمتام بالتاءات فيتردد في النطق .

طالَ غِشْيانُكَ الكَريهَةَ حتى قالَ فيكَ الذي أقولُ الحُسامُ[1]

وكَفَتْكَ الصَّفائِحُ النّاسَ حتى قد كَفَتْكَ الصَّفائحَ الأقْلامُ[2]

وكَفَتْكَ التّجارِبُ الفِكْرَ حتى قَدْ كَفاكَ التّجارِبَ الإلْهامُ[3]

فارِسٌ يَشتَري بِرازَكَ للفَخْـ ـرِ بقَتْلٍ مُعَجَّلٍ لا يُلامُ[4]

نائِلٌ منكَ نَظْرَةً ساقَهُ الفَقْـ ـرُ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ إنْعَامُ[5]

خَيْرُ أعضائِنا الرّؤوسُ ولَكِنْ فَضَلَتْها بقَصْدِكَ الأقْدامُ[6]

قَد لَعَمري أقْصَرْتُ عَنكَ وللوَفْـ ـدِ ازْدِحامٌ وللعَطايا ازْدِحامُ[7]

خِفْتُ إن صرْتُ في يَمينِكَ أن تأ خُذَني في هِباتِكَ الأقوامُ[8]

---

١ الغشيان بمعنى الاتيان . والكريهة من أسماء الحرب . ويروى الكرائه بالجمع . والحسام السيف القاطع وهو فاعل قال . يقول : طال إتيانك الحروب حتى شهد لك السيف بما أصفك به من الشجاعة والإقدام . يريد بشهادة السيف ما به من الفلول الدالة على كثرة الضرب وشدته .

٢ كفيته الشيء أغنيته عنه . والصفائح السيوف العريضة . يعني أن سيوفك أغنتك عن الجيش حتى وقعت هيبتك في قلوب الناس فصارت الأقلام تغنيك عن السيوف .

٣ أي أنك قد جربت الأمور وعرفتها حتى لا تحتاج إلى التفكر فيها ثم صار الصواب دأباً لك حتى صرت لا تلهم سواه فاستغنيت به عن التجارب .

٤ يريد من جعل نفسه قريناً لك وبارزك في الحرب فقد نال فخراً عظيماً وإذا قتلته كان قد اشترى الفخر بنفسه غير ملوم عليه .

٥ أي الذي ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر إليك أي دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منة عليه لأنه كان سبباً لهذه النظرة .

٦ أي أن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرؤوس لأنها كانت آلة للسعي إليك .

٧ أقصر عن الشيء تركه مع القدرة عليه . ويروى أحجمت أي تأخرت . والوفد القوم الوافدون والواو قبله للحال . وتتمة المعنى في البيت التالي .

٨ ذكر في هذا البيت سبب تأخره عن زيارة الممدوح وهو خوفه أن يأخذه الوفد من جملة هباته،

ومنَ الرُّشْدِ لم أزُرْكَ على القُرْ ب ، على البُعدِ يُعرَفُ الإلمامُ[1]

ومِنَ الخَيرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عني أسرَعُ السُّحبِ في المَسيرِ الجَهامُ[2]

قُلْ فَكَمْ مِنْ جَواهرٍ بنِظامٍ وُدُّها أنّها بفيكَ كَلامُ[3]

هابَكَ اللّيْلُ والنّهارُ فَلَوْ تَنْ هاهُما لم تَجزْ بكَ الأيّامُ[4]

حَسْبُكَ اللهُ ما تَضِلّ عَنِ الحَ قّ ولا يَهْتَدي إلَيكَ أثَامُ[5]

لِمَ لا تَحْذَرُ العَواقِبَ في غَيْ رِ الدّنَايا ، أمَا عَلَيْكَ حَرامُ[6]

يشير إلى أنه يهب كل ما عنده حتى خاف شاعره وزائره أن يجعله من جملة تلك الهبات .

١ قوله على البعد إلى آخره كلام مستأنف . والإلمام الزيارة . يقول : من الإصابة أني لم أزرك وأنا قريب منك لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا كانت من موضع بعيد .

٢ السيب العطاء . والجهام الذي لا ماء فيه . يقول : تأخر عطائك عني أي تأخر وصوله إلي بسبب تأخر زيارتي لك يدل على كثرة ذلك العطاء لأن أسرع السحائب سيراً أقلها ماء .

٣ النظام خيط العقد . وودها مبتدأ خبره المصدر المتصيد مما بعده . يطلب منه أن يتكلم فإن كلامه أنفس من الجواهر المنظومة حتى إنها تتمنى أن تكون كلاماً في فيه لحسن لفظه وانتظام كلماته .

٤ تجز تمر . أي هابك الدهر لما تجري فيه من البأس وعظائم الأمور حتى لو أمرته أن يقف عن مسيره لوقف .

٥ الأثام الإثم . يقول : كافيك الله أي هو الذي يكفيك في توقي الضلال والإثم فأنت لا تضل عن الحق فيما تأتيه ولا يجد الاثم سبيلا إليك لعصمته إياك عما يخالف رضاه .

٦ الدنايا النقائص . وقوله أما عليك حرام هذه رواية ابن جني . يقول : ما بالك لا تحذر عاقبة شيء سوى الدنايا أما عليك شيء محرم تتقي عاقبته . وكأن هذا تأكيد لما ذكره في البيت السابق يعني أن المحرمات مصروفة عنه بعصمة الله له فلا يتاح له إتيانها فلم يبق عليه ما يحذر عاقبته إلا الدنايا . وروى غيره أوما عليك بأو العاطفة وجعل ما موصولة معطوفة على الدنايا أي ما هو حرام . قال الواحدي : يعني أنه يقدم على المهالك وكل شيء لا يتفكر في عاقبة شيء إلا ما كان من دنيئة أو شيء حرام فإنه لا يقدم عليه فيقول لم تفعل ذلك. انتهى. وهذا يصح لولا هذا الاستفهام وإلا فهو تعجب في غير محله وحاصله الإنكار لا المدح كما يظهر بالتأمل .

كَمْ حَبيبٍ لا عُذْرَ للَوْمِ فيهِ لكَ فيهِ مِنَ التُّقى لُوّامُ[1]

رَفَعَتْ قَدْرَكَ النّزاهَةُ عَنْهُ وثَنَتْ قَلْبَكَ المَساعي الجِسامُ[2]

إنّ بَعضاً مِنَ القَريضِ هُذاءٌ لَيسَ شَيئاً وبَعضَهُ أحْكامُ[3]

مِنْهُ ما يَجْلُبُ البَراعَةُ والفَضْ لُ ومِنْهُ ما يَجْلُبُ البِرْسامُ[4]

منيت بحساد أحاربهم

قال فيه وقد أراد الارتحال عنه :

لا تُنكِرَنّ رَحيلي عَنكَ في عَجَلٍ فإنّني لرَحيلي غَيرُ مُختارِ

ورُبّمَا فارَقَ الإنْسانُ مُهْجَتَهُ يَوْمَ الوَغَى غَيرَ قالٍ خَشيَةَ العارِ[5]

وقَدْ مُنيتُ بحُسّادٍ أُحارِبُهُمْ فاجعلْ نَداكَ عليهم بعضَ أنصاري[6]

---

١ يقول : كم حبيب لا يعذر اللائم فيه أي لا يلوم بحق لأنه يستحق المحبة لكنك تتركه لتقوى الله فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لواماً يلومونك فيها لا يوافق مقتضاها .

٢ العظام .

٣ القريض الشعر . والهذاء الهذيان . والأحكام جمع حكم بمعنى حكمة .

٤ الضمير للقريض . وما نكرة موصوفة بما بعدها والعائد إليها محذوف أي يجلبه . والبرسام علة يهذى فيها . والبيت تفسير لما قبله .

٥ المهجة الروح . والقالي المبغض . وخشية مفعول لأجله عامله فارق . شبه فراقه للممدوح بفراق الانسان لروحه . يقول : قد يعرض للمرء أن يفارق روحه ولكن ذلك عن غير كراهية لصحبتها .

٦ منيت أي بليت . ونداك جودك . والأنصار جمع نصير بمعنى ناصر . يقول قد ابتليت بحساد أعاديهم فانصرني عليهم بجودك حتى يهلكوا كمداً بما يرون من نعمتك علي .

حسدت على حياتي

يصف مسيره في البوادي وما لقي في
أسفاره ويذم الأعور بن كروس :

عَذيري مِنْ عَذارَى من أُمورِ ... سَكَنَّ جَوانحي بَدَلَ الخُدورِ[1]

ومُبْتَسِماتِ هَيْجاواتِ عصرٍ ... عنِ الأسيافِ لَيسَ عنِ الثُّغُورِ[2]

رَكِبتُ مُشَمِّراً قَدَمي إليها ... وكُلَّ عُذافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ[3]

أواناً في بُيُوتِ البَدْوِ رَحْلي ... وآوِنَةً عَلى قَتَدِ البَعيرِ[4]

---

١ عذيري مبتدأ محذوف الخبر أي من عذيري. وهي كلمة تقال عند الشكاية يقولون عذيري من فلان ومَن عذيري منه أي من يعذرني إذا جازيته بصنعه. ومن الأولى صلة عذيري . والثانية بيانية وهي مع مجرورها في موضع النعت لعذارى . والجوانح الضلوع . أراد بالعذارى من الأمور الخطوب العظيمة التي لم يسبق العهد بمثلها . ولما سماها عذارى قال انها اتخذت ضلوعه خدوراً لها أي أنها نزلت على قلبه واستكنت بين ضلوعه .

٢ مبتسمات عطف على عذارى . والهيجاوات الحروب وإضافة مبتسمات إليها بيانية . وعن الأسياف صلة مبتسمات . وليس هنا حرف بمنزلة لا . والثغور جمع ثغر وهو مقدم الأسنان . أي ومن حروب عصر تبتسم عن بريق السيوف لا عن الثغور .

٣ التشمير كناية عن الجد والأسراع. وقدمي مفعول ركبت . وإليها متعلق بركبت أيضاً والضمير للهيجاوات . والعذافر العظيم الشديد من الإبل . والضفور جمع ضفر وهو النسع تشد به الرحال . يقول : قصدتها راجلا وراكباً أي قاسيتها في كل حال. وكنى بقلق الضفور عن الهزال وشدةالسير.

٤ الرحل كل ما يستصحبه الراحل من أثاث ونحوه . والآونة جمع أوان . والقتد خشب الرحل . يصف طول ارتحاله وكثرة تردده في البوادي . وأفرد الأوان في الأول وجمعه في الثاني إشارة إلى أن ارتحاله كان أكثر من نزوله .

أُعَرِّضُ للرِّماحِ الصُّمِّ نَحرِي ... وأنْصِبُ حُرَّ وَجْهي للهَجيرِ[1]

وأسري في ظَلامِ اللّيلِ وَحْدي ... كأنّي مِنْهُ في قَمَرٍ مُنيرِ[2]

فَقُلْ في حاجةٍ لم أقْضِ مِنها ... على شَغَفي بها شَرْوَى نَقيرِ[3]

ونَفْسٍ لا تُجيبُ إلى خَسيسٍ ... وعَينٍ لا تُدارُ على نَظيرِ[4]

وكَفٍّ لا تُنازِعُ مَنْ أتَاني ... يُنازِعُني سِوَى شَرَفي وخِيري[5]

وقِلّةِ ناصِرٍ جُوزيتَ عَنّي ... بشَرٍّ مِنكَ يا شَرَّ الدّهورِ[6]

عَدُوّي كُلُّ شيءٍ فيكَ حتّى ... لخِلْتُ الأُكْمَ مُوغَرَةَ الصُّدورِ[7]

---

١ الصم الصلاب . ويروى السمر . وحر الوجه ما بدا منه . والهجير حر منتصف النهار .

٢ السرى والإسراء مشي الليل . ومنه في موضع الحال من الضمير المستتر في الظرف بعده . ويريد بالقمر ضوءه . يصف معرفته بالطرق واهتداءه فيها .

٣ مفعول القول محذوف أي فقل ما شئت أو ما يقال في مثل هذا . وعلى بمعنى مع والظرف في موضع الحال من فاعل أقض . وشروى بمعنى مثل . والنقير نكتة في ظهر النواة يكون منها منبت النخلة وهو مثل للشيء الحقير . يصف كثرة تعبه وقلة نيله يقول : كم من حاجة سعيت إليها هذا السعي وأنا مشغوف بها ثم لم أنل منها شيئاً .

٤ نفس معطوف على حاجة يريد نفسه . أي وقل ما شئت في نفس لا تطاوعني على أمر دنيء وعين لا تقع على نظير لي .

٥ ينازعني حال من فاعل أتاني . وسوى مفعول تنازع . والخير ، بالكسر ، الكرم . يقول : إن كفه كف سخي تترك لمن ينازعه كل شيء إلا الشرف والكرم فإنها لا تجود بهما .

٦ قلة ناصر معطوف على ما سبق . وما بعده كلام مستأنف . وشر أصله أشر تركوا همزته لكثرة الاستعمال . أي وقل ما شئت في قلة من ينصرني على ما أطلبه. ثم دعا على الدهر فقال: رماك الله بدهر شر منك يجني عليك كما جنيت علي وأنت شر الدهور .

٧ عدوي خبر مقدم عما بعده . وخلت بمعنى ظننت واللام للتوكيد أدخلها على الماضي على إضمار قد . والأكم التلال . وقوله موغرة الصدور أي متوقدة من الغيظ . يقول : إن كل شيء في الدهر صار عدواً له حتى حسب التلال التي لا تعقل من جملة من يعاديه .

فلَوْ أنّي حُسِدْتُ عَلى نَفيسٍ   لجُدْتُ بهِ لِذي الجَدِّ العَثُورِ[١]

ولكِنّي حُسِدْتُ على حَياتي   وما خَيرُ الحَياةِ بِلا سُرُورِ[٢]

فيا ابنَ كَرَوَّسٍ يا نِصْفَ أعمى   وإن تَفخَرْ فيا نِصْفَ البَصيرِ[٣]

تُعادينا لأنّا غَيرُ لُكْنٍ   وتُبْغِضُنا لأنّا غَيرُ عُورِ[٤]

فلَوْ كنتَ امرأً يُهْجَى هَجَوْنا   ولكِنْ ضاقَ فِتْرٌ عَن مَسيرِ[٥]

---

١ قوله على نفيس أي على شيء نفيس وهو ضد الخسيس . والجد الحظ والبخت . والعثور التعس . يقول : لو حسدني الناس على مال نفيس لجدت به على المحروم منهم لأني سخي جواد . وتتمة المعنى في البيت التالي .

٢ يقول : لكنهم إنما يحسدونني على حياتي ويسعون في إتلافها وليست بالشيء الذي يحسد عليه لأنها خالية عن السرور فلم يبق فيها خير ولا رغبة ولو كانت مما يرغب فيه وأمكن انتفاعهم بها لجدت بها عليهم .

٣ يقول له ذلك لأنه كان أعور فهو باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى وباعتبار الباقية نصف بصير .

٤ أي أنت إنما تعادينا حسداً لأنا فصحاء وأنت ألكن أي ثقيل اللسان ونحن أصحاء البصر وأنت أعور .

٥ يقول : لو كنت ممن يعبأ به ويتكلف هجاؤه بالشعر لفعلنا ولكنك أخس قدراً من أن تستحق هذه العناية كما أن مسافة الفتر تضيق عن المسير فيها .

يخلو من الهم اخلاهم من الفطن

يمدح أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ يتقلد القضاء بانطاكية :

أفاضِلُ النّاسِ أغراضٌ لَدى الزّمَنِ ... يَخلُو مِنَ الهَمّ أخلاهم منَ الفِطَنِ [1]

وإنّما نَحْنُ في جيلٍ سَواسِيَةٍ ... شَرٍّ على الحُرّ من سُقْمٍ على بدَنِ [2]

حَوْلي بكُلّ مكانٍ مِنهُمُ خِلَقٌ ... تُخطي إذا جِئتَ في استِفهامِها بمَنِ [3]

لا أقْتَري بَلَداً إلاّ على غَرَرٍ ... ولا أمُرّ بخَلْقٍ غيرِ مُضْطَغِنِ [4]

ولا أُعاشِرُ من أملاكِهِمْ مَلِكاً ... إلاّ أحَقَّ بضَرْبِ الرّأسِ من وَثَنِ [5]

---

١ الأغراض جمع غرض وهو الهدف يرمى بالسهام . ويروى لذا الزمن . والضمير من أخلاهم للناس . يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يصيبهم بنوائبه وآفاته إذ هم أشد اهتماماً بها من سواهم فكأنهم هم المقصودون بها . ولذلك كلما خلا الانسان من الفطنة كان أخلى من الهم لأنه لا يبالي بالنوائب ولا يفكر في العواقب .

٢ الجيل الصنف من الناس . وسواسية بمعنى متساوين قيل وهو خاص بالذم ولا يقال في المدح أي متساوين في اللؤم والخسة . وشر تفضيل بمعنى أشر . والحر خلاف العبد والمراد به هنا الكريم .

٣ خلق ، بكسر ففتح ، جمع خلقة وهي الصورة التي يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح . ويروى حلق ، بفتحتين بالحاء المهملة ، جمع حلقة ، بالإسكان ، وهي القوم يجتمعون مستديرين . يقول : حولي جماعة منهم لا تعقل فإذا أردت الاستفهام عن أحدها لا يجوز أن تقول من هذا لأن من تختص بالعقلاء .

٤ أقتري أتتبع . والغرر الاسم من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة . والخلق المخلوق مسمى بالمصدر . ومضطغن حاقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر من أعدائي وحسادي ولا أمر بأحد لا يكون حاقداً علي . يعني أنهم لئام جهلاء ومثلهم لا بد أن يكون عدواً لمثله .

٥ ويروى أحداً . وأحق أي أجدر وهو نعت ملكاً والحرفان بعده متعلقان به . وضرب الرأس

إنّي لأعْذِرُهُمْ مِمّا أُعَنِّفُهُمْ حتى أُعَنِّفُ نَفْسِي فيهِمِ وأَنِي[1]

فَقْرُ الجَهُولِ بِلا قَلْبٍ إلى أدَبٍ فَقْرُ الحِمارِ بلا رَأسٍ إلى رَسَنِ[2]

ومُدْقِعينَ بِسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ عارِينَ من حُلَلٍ كاسِينَ من دَرَنِ[3]

خُرّابِ بادِيَةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ مَكْنُ الضِّبابِ لهمْ زادٌ بلا ثَمَنِ[4]

يَسْتَخْبِرُونَ فَلا أُعْطِيهِمِ خَبَرِي وما يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ منَ الظِّنَنِ[5]

وخَلّةٍ في جَلِيسٍ أتَّقِيهِ بِهَا كَيما يرَى أنّنا مِثْلانِ في الوَهَنِ[6]

يحتمل الضرب بالسيف أو بالعصا ونحوها ولعل الثاني هو المراد . يقول : إنه لم يعاشر أحداً من ملوكهم إلا وجده في صورة الإنسان دون عقله فهو كالصنم الذي يعمل على هيئة الانسان وينصب للعبادة والتعظيم وهو حقيق بالكسر والإهانة لأنه لا يضر ولا ينفع .

١ التعنيف التعيير والملام . والعائد على الموصول محذوف أي مما أعنفهم عليه . وحتى ابتدائية . وأني بمعنى أفتر وأقصر . يقول : ألومهم على ما بهم من خسة النفس وسقوط الهمة ثم أعذرهم من هذه الحال لما أجد بهم من الغفلة والجهل حتى أعود باللوم على نفسي وأقصر عن لومهم .

٢ هذا البيت بيان لعذرهم عنده يقول : إن الإنسان إنما يتأدب بعقله وهؤلاء لا عقل لهم فهم لا يفتقرون إلى الأدب كما أن الحمار إذا كان بلا رأس لا يفتقر إلى الرسن .

٣ الواو واو رب . والمدقع اللاصق بالأرض ذلا . والسبروت القفر لا نبات به . والدرن الوسخ . أي رب صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب صحبتهم وهم عارون من الثياب مكتسون بما عليهم من الأقذار .

٤ الخراب جمع خارب وهو الذي يسرق الإبل خاصة ثم سمي به كل لص . والبادية الصحراء . وغرثى ضامرة جوعاً وهو خبر مقدم عما بعده . والضباب جمع ضب وهو دويبة معروفة . ومكنها بيضها . يقول : هم لصوص وليس لهم زاد إلا بيض الضباب يأخذونه بلا ثمن .

٥ طاش السهم إذا انحرف عن الرمية . والظنن جمع ظنة ، بالكسر ، وهي ما تظنه بالانسان من سوء . أي يسألونني عن خبري فأكتم نفسي عنهم خوفاً من غدرهم لكنهم يظنون أني أنا فلان الذي يسمعون بذكره فلا يخطئون .

٦ الخلة الخصلة . والوهن الضعف . أي رب خصلة في جليس لي أجاريه عليها وأستقبله بمثلها ليظن

وكِلْمَةٍ في طَريقٍ خِفْتُ أُعْرِبُها فيُهْتَدَى لي فلَمْ أقدِرْ على اللَّحَنِ[1]
قد هَوَّنَ الصَّبرُ عِندي كلَّ نازِلَةٍ ولَيَّنَ العَزْمُ حَدَّ المَرْكَبِ الخشنِ[2]
كم مَخلَصٍ وعُلًى في خوضِ مهلكةٍ وقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بالذَّمِّ في الجُبُنِ[3]
لا يُعْجِبَنَّ مَضيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ وهَلْ تَرُوقُ دَفيناً جُودَةُ الكفَنِ[4]
للهِ حَالٌ أُرَجِّيها وتُخْلِفُنِي وأقْتَضِي كَوْنَها دَهْري ويَمطُلُني[5]
مَدَحْتُ قَوْماً وإنْ عِشنا نَظَمتُ لهم قَصائِداً مِنْ إناثِ الخَيلِ والحُصُنِ[6]
تَحْتَ العَجاجِ قَوافيها مُضَمَّرَةٌ إذا تُنُوشِدْنَ لم يَدْخُلْنَ في أُذُنِ[7]

أني مماثل له في ضعف الرأي. يريد أنه يخفي نفسه وفضله خوفاً من الحسد .

١ أراد أن أعربها فحذف وقد مرت له نظائر أي آتي بها معربة . واللحن الخطأ في الإعراب . أي ورب كلمة أردت ترك إعرابها لئلا يهتدي سامعها إلى معرفتي ولكني لم أقدر على ارتكاب اللحن لأني مطبوع على الفصاحة والإعراب .

٢ النازلة الحادثة من حوادث الدهر . ويريد بالمركب ما يركبه من الأمور الشاقة .

٣ العلى جمع عليا وهي اسم للمكان العالي ثم استعملت في معنى الرفعة والشرف . والقتلة المرة من القتل . يقول : إن الإقدام على المهالك كثيراً ما يكون سبباً في التخلص منها مع كسب الرفعة والمجد والجبن عن الإقدام كثيراً ما يكون سبباً لقتل الجبان مع المذمة والعار .

٤ المضيم المظلوم. والبزة اللباس . وراقه الشيء أعجبه . يريد بحسن بزته اليسر وسعة الرزق، يقول: لا ينبغي له أن يفرح بذلك على ما هو فيه من الذل فإنه كالميت الذي عليه أكفان حسنة .

٥ يقال عند التعجب من الشيء لله هو . والإخلاف ضد الوفاء . وأقتضي أطالب . وكونها بمعنى حصولها وهو مفعول ثان لأقتضي . ودهري مفعول أول . يقول: إنه يرجي أن يصل إلى حال ترضيه وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ويطالب دهره بحصولها فيماطله في تبليغه إياها .

٦ جمع حصان وهو الفحل العتيق من الخيل . يقول : مدحت قوماً لا يستحقون المدح للؤمهم وجهلهم وإن عشت فسأغزوهم بخيل إناث وذكور . وسمى تلك الخيل قصائد على الاستعارة طلباً للمشاكلة يعني سأجعلها لهم بدلا من القصائد التي مدحتهم بها .

٧ العجاج الغبار . والمضمرة من الخيل المعدة للسباق . يقول : قوافي هذه القصائد خيل مضمرة إذا

فلا أُحارِبُ مَدْفُوعاً إلى جُـدُرٍ ولا أُصالِـحُ مَغروراً على دَخَنِ[1]

مُخَيِّمُ الجَمْعِ بالبَيداءِ يَصْهَرُهُ حَرُّ الهَواجِرِ في صُمٍّ من الفِتَنِ[2]

أَلقَى الكِرامُ الأُلى بادوا مكارِمَهُمْ على الخَصيبيِّ عندَ الفَرْضِ والسُّنَنِ[3]

فَهُنَّ في الحَجْرِ منهُ كلّما عرَضَتْ لَهُ اليَتَامَى بَدا بالمَجْدِ و المِنَنِ[4]

قاضٍ إذا التَبَسَ الأمرانِ عَنَّ لَهُ رأيٌ يُخَلِّصُ بَيْنَ الماءِ واللَّبَنِ[5]

غَضٌّ الشَّبابِ بَعيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ مُجانِبُ العَيْنِ للفَحْشاءِ والوَسَنِ[6]

أنشدت لم تدخل في الاذن بخلاف قوافي الشعر .

١ مدفوعاً ومغروراً حالان . والجدر جمع جدار وهو الحائط . والدخن الفساد يقال صالحه على دخن أي لعلة لا للصلح . يقول : لا أعتصم في الحرب بالأبنية والأسوار ولا أصالح أعدائي إذا غروني ونافقوني أي لا أصالحهم إلا على بذل الرضى .

٢ مخيم خبر عن محذوف أي أنا . والجمع الجيش وهو فاعل التخييم في المعنى . والبيداء الصحراء . وصهره الحر أحرق دماغه . والهواجر جمع هاجرة وهي منتصف النهار . والصم جمع صماء وهي الشديدة . يقول : إن عسكره قد ضربوا خيامهم في الفلاة تحت حر الشمس وهو توكيد لما ذكره في البيت السابق .

٣ الألى بمعنى الذين . ومكارمهم مفعول ألقى. أي أن الكرام الذين هلكوا ألقوا مكارمهم على هذا الممدوح أي فوضوها إلى عهدته فهي عنده بجانب فروض الدين وسننه يحافظ عليها كما يحافظ على هذه .

٤ يقال هو في حجر فلان أي في كنفه والضمير للمكارم . ومنه حال من الحجر . وعرضت ظهرت . وقوله بدا ملين من المهموز أي ابتدأ . والمنن النعم . يقول : لما استخلف على المكارم بعد هلاك ذويها جعلها في حجره وكفلها في جملة اليتامى الذين يكفلهم فكان كلما عرضت له اليتامى تتوقع عنايته وبره بدأ بالمجد والمنن التي هي من جملة المكارم المكفولة عنده فأفاضها عليهم .

٥ أل من قوله الأمران للجنس . وعن بمعنى ظهر . أي إذا التبس الأمران واشتبه بعضهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو امتزجا امتزاج الماء باللبن .

٦ الغض الناعم . والفحشاء ما لا يحل . والوسن النوم . كنى ببعد فجر ليلته عن كونه يسهر الليل

شَرابُهُ النَّشْحُ لا للرّيِّ يَطْلُبُهُ وطُعْمُهُ لِقَوامِ الجِسْمِ لا السِّمَنِ [1]

ألقائِلُ الصّدْقَ فيهِ ما يُضِرّ بهِ والواحِدُ الحالَتَينِ السِّرِّ والعَلَنِ [2]

ألفاصِلُ الحُكْمَ عَيَّ الأوّلونَ بهِ والمُظْهِرُ الحَقَّ للسّاهي على الذِّهِنِ [3]

أفْعالُهُ نَسَبٌ لَوْ لم يَقُلْ مَعَهـا جَدّيَ الخَصيبُ عَرَفْنا العِرْقَ بالغُصُنِ [4]

العارِضُ الهَتِنُ ابنُ العارِضِ الهَتِنِ ابـ ـنِ العارِضِ الهَتِنِ ابنِ العارِضِ الهَتِنِ [5]

قد صَيّرَتْ أوّلَ الدّنْيا وآخِرَهـا آباؤهُ مِنْ مُغارِ العِلْمِ في قَرَنِ [6]

في درس العلوم والعبادات فيرى ليله طويلا كما يراه الساهر دون النائم .

١ النشح الشرب القليل . والطعم الطعام . والقوام ما يعاش به . يقول : هو على أخلاق العلماء والزهاد لا ينال من الطعام والشراب إلا القدر الذي يقوم به جسمه فهو إنما يأكل ويشرب لبقاء حياته لا لخصب البدن وقوته .

٢ يجوز في الصدق النصب على المفعولية والجر على الإضافة تشبيهاً بالحسن الوجه . والضمير من قوله فيه للصدق والجملة حال منه . يقول : هو لا ينطق إلا بالصدق ولو كان فيه ما يضره ولا يتظاهر بغير ما في ضميره رئاء وإنما سره وعلنه سواء .

٣ فصل الحكم قضاه وقطع به . وعي بالأمر عجز عنه . والساهي الغافل . والذهن الفطن الذكي والجار والمجرور صلة الحق . أي يظهر حق الخصم الغبي على الخصم الذكي .

٤ جدي الخصيب مبتدأ وخبر . والجملة مفعول القول . وعرفنا جواب لو . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب حتى لو لم يقل جدي فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه كما يستدل بالغصن على الأصل .

٥ العارض السحاب المعترض في الأفق . والهتن فعل من الهتن وهو كثرة الانصباب . وقد عيب هذا اللفظ على المتنبي لأنه يقال سحاب هاتن ولا يقال هتن ولكن جاء به قياساً على هطل وهو من النوادر . والمعنى هو جواد ابن آباء أجواد .

٦ المغار الحبل المحكم الفتل . والقرن حبل يجمع به البعيران . والجار الأول مع مجروره في موضع حال مقدمة من قرن . والثاني في موضع المفعول الثاني لصيرت . يعني أن آباءه قد أحاطوا علماً بحوادث الدنيا ماضيها وغابرها حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها .

كأنَّهُمْ وُلِدوا مِنْ قبلِ أنْ وُلِدوا ... أو كانَ فَهْمُهُمُ أيّامَ لم يَكُنِ[1]

الخاطِرينَ على أعْدائِهِمْ أبداً ... منَ المَحامِدِ في أوقَى من الجُنَنِ[2]

للنّاظِرينَ إلى إقْبالِهِ فَرَحٌ ... يُزيلُ ما بجِباهِ القَوْمِ مِنْ غَضَنِ[3]

كأنَّ مالَ ابنِ عبدِ اللهِ مُغْتَرَفٌ ... من راحَتَيْه بأرْضِ الرّومِ واليَمَنِ[4]

لم نَفْتَقِدْ بكَ من مُزْنٍ سوَى لَثَقٍ ... ولا منَ البَحرِ غيرَ الرّيحِ والسُّفُنِ[5]

ولا مِنَ اللّيْثِ إلاّ قُبحَ مَنْظَرِهِ ... ومِنْ سِواهُ سوَى ما لَيسَ بالحَسَنِ[6]

....

١ هذا تأكيد لما في البيت السابق يقول : إنهم لعلمهم بما سلف من أحوال الأزمنة المتقدمة كأنهم وجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه أو كأن فهمهم كان موجوداً في الأيام التي لم يكن موجوداً فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الأيام .

٢ خطر الرجل مشى متبختراً وهو أن يرفع يديه في المشي ويضعهما . ونصب الخاطرين بمضمر أي اذكر أو امدح ونحو ذلك . والجنن جمع جنة وهي كل ما استترت به من سلاح ونحوه . يقول: إنهم يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من المحامد ما يصون أعراضهم من الذم فيكون أوقى لهم من السلاح .

٣ يريد إقباله على الوافدين وهشاشته إليهم . والغضن انكسار الجلد .

٤ أي أن عطاياه تعم القريب والبعيد حتى كأنها تؤخذ من راحتيه في أرض الروم واليمن كما تؤخذ في داره .

٥ افتقده طلبه عند غيبته . والمزن جمع مزنة وهي السحابة البيضاء أو ذات الماء . واللثق الندوة تعلق بالأرض فتصير وحلا . يقول : لم يفتنا من السحاب بوجودك إلا الوحل ولم نعدم من البحر إلا ركوب السفن والتعرض لعواصف الرياح . يريد أنه سحاب وبحر ولكن منفعته خالصة عن المشقة والتنغيص .

٦ الليث الأسد . والضمير من قوله سواه لليث . أي ولم يفتنا من الأسد إلا قبح منظره ولا من بقية الأشياء إلا كل وصف غير مستحسن . يعني أن جميع محاسن الموصوفات مجتمعة فيه وجميع مقابحها منفية عنه .

مُنذُ احتَبَيْتَ بإنطاكيّةَ اعتدَلَتْ حتى كأنّ ذَوي الأوْتارِ في هُدَنِ[1]

ومُذْ مَرَرْتَ على أطْوَادِها قَرِعَتْ منَ السّجودِ فلا نَبْتٌ على القُنَنِ[2]

أخلَتْ مَواهبُكَ الأسواقَ من صَنَعٍ أغنى نَداكَ عنِ الأعمالِ والمِهَنِ[3]

ذا جُودُ مَن لَيسَ مِنْ دَهرٍ على ثقةٍ وزُهْدُ مَنْ ليسَ من دُنياهُ في وَطَنِ[4]

وهَذِهِ هِمّةٌ لم يُؤتَهَا بَشَرٌ وذا اقْتِدارُ لِسانٍ لَيسَ في المُنَنِ[5]

فمُرْ وأومىءْ تُطَعْ قُدّستَ من جبلٍ تَبارَكَ اللهُ مُجْرِي الرّوحِ في حَضَنِ[6]

---

١ الاحتباء أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . والأوتار جمع وتر وهو الثأر . والهدن جمع هدنة وهي المتاركة والصلح . يقول : منذ جلست محتبياً للحكم في هذه البلدة اعتدل ما فيها من الخلاف وسكن الشر حتى كأن أصحاب الأحقاد قد تهادنوا وزال من بينهم الشقاق .

٢ الأطواد الجبال . وقوله قرعت من قرع الرأس وهو ذهاب شعره . ولا عاملة عمل ليس . والقنن جمع قنة وهي أعلى موضع في الجبل . يقول : لما مررت على هذه الجبال خضعت هيبة لك وسمى خضوعها سجوداً لما بينهما من الملابسة فقال إن سجودها له توالى حتى ذهب ما عليها من النبت فصارت قرعاء .

٣ الصنع الصانع الحاذق . والندى الجود . والمهن جمع مهنة وهي الخدمة . يقول : إن مواهبك قد كثرت وعمت حتى أصاب منها أهل الأسواق ما استغنوا به عن العمل .

٤ يقول : هذا الجود الذي تراه منك جود من لا يثق بدهره ولا يأمن حوادثه فهو يجود بالمال اغتناماً للأجر والمحمدة وهذا الزهد زهد من لم يتخذ الدنيا وطناً لعلمه بأنها دار قلعة وأن كل من عليها فانٍ .

٥ ضمير ليس للاقتدار . والمنن جمع منة ، بالضم ، وهي القوة والجار والمجرور خبر ليس . أي وهذه قوة منطق ليس مثلها في القوى .

٦ أومىء أي أشر وأكثرهم يرويه أوم بترك الهمز . وقوله قدست دعاء . وجبل تمييز والجار قبله زائد . وحضن جبل عظيم بأعلى نجد . جعله كجبل ذي روح لعظمته ووقاره .

ولا قابلاً إلا لخالقه حكما

ورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك فانحدر إلى بغداد . وكانت جدته قد يئست منه فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه فقبلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

ألا لا أُري الأحداثَ مَدحاً ولا ذَمّا	فَما بَطشُها جَهلاً ولا كَفُّها حِلما[1]
إلى مثلِ ما كانَ الفَتى مرْجعُ الفَتى	يَعُودُ كَمَا أُبْدي ويُكري كَما أَرْمَى[2]
لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بحَبيبِها	قَتيلَةِ شَوْقٍ غَيرِ مُلحِقِها وَصْمَا[3]
أحِنّ إلى الكأسِ التي شرِبَتْ بها	وأهوى لمَثواها التّرابَ وما ضَمّا[4]

---

١ الأحداث نوب الدهر . يريد أن الحوادث لا تستحق مدحاً على إحسان ولا ذماً على إساءة لأنها إذا بطشت لم يكن ذلك جهلا منها وإذا كفت عن البطش لم يكن حلماً إذ الفعل في ذلك لله وإنما ينسب إليها مجازاً .

٢ الإبداء الخلق وأصله الهمز فلينه للضرورة . وأكرى الشيء نقص . وأرمى زاد . يقول : إن كل احد يرجع إلى مثل حالته التي كان عليها قبل وجوده فيعود إلى عناصره الأولى كما خلق منها وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد .

٣ لك الله دعاء لها . ومفجوعة في موضع نصب على التمييز والحرف زائد . والوصم العيب وهو مفعول ثان لملحقها والمفعول الأول الضمير المضاف إليه . عنى بحبيبها نفسه يقول : إنها قتلت بفعل الشوق ولكن هذا الشوق ليس مما يعاب به لأنه شوق الأم إلى ولدها .

٤ الحنين الشوق. وعنى بالكأس كأس الموت وهي استعارة . والمثوى المقام أراد به القبر . يقول : إني لأجل موتها أحن إلى الموت لأني لا أحب البقاء بعدها ولأجل مدفنها أهوى التراب وكل مدفون فيه .

بَكَيْتُ عَلَيها خِيفَةً في حَياتِها ... وذاقَ كِلانا ثُكْلَ صاحِبِهِ قِدْمَا[1]

ولَوْ قَتَلَ الهَجْرُ المُحبّينَ كُلَّهُمْ ... مضَى بَلَدٌ باقٍ أجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا[2]

عرَفْتُ اللّيالي قَبلَ ما صَنَعَتْ بنا ... فلَمّا دَهَتْني لم تَزِدْني بها عِلْمَا

مَنافِعُها ما ضَرّ في نَفْعِ غَيرِها ... تغذّى وتَرْوَى أن تجوعَ وأن تَظْمَا[3]

أتاها كِتابي بَعدَ يأسٍ وتَرْحَةٍ ... فَماتَتْ سُرُوراً بي فَمُتُّ بها غَمّا[4]

حَرامٌ على قَلبي السّرُورُ فإنّني ... أعُدّ الذي ماتَتْ بهِ بَعْدَها سُمّا

تَعَجَّبُ مِنْ لَفْظي وخَطّي كأنّما ... ترَى بحُرُوفِ السّطرِ أغرِبةً عُصْمَا[5]

---

١ الثكل : الفقد . وقدماً بمعنى قديماً . يقول : كنت أبكي عليها في حياتها خوف فقدها وفرقت الأيام بيني وبينها فذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت .

٢ أجدت بمعنى جددت . والصرم القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب كما قتلها هجري لقتل بلدها أيضاً يعني أن بلدها كان ممن يحبها لما لها فيه من آثار الكرم والمبرة .

٣ من رد الضمير إلى المرثية وهو الأجود روى تجوع وتظما ، بالتاء . ومن رده إلى الليالي وهو الأقرب رواها بالتاء وبالنون. وقوله أن تجوع أي بأن تجوع فحذف الحرف على قياس حذفه قبل أن المصدرية . وتظما تعطش وأصله بالهمز فلينه للقافية . وقوله ما ضر ،ان جعلت الضمائر للمرثية فالتقدير ما ضرها والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل ضر. وان جعلتها لليالي فالتقدير ما هو ضار والجار والمجرور صلة ضر . والمعنى على الأول أن هذه المرثية كانت تنتفع بما يضرها في سبيل نفع الناس فهي تؤثرهم بطعامها وشرابها فتجوع وتعطش وتحسب غذاءها وريها في ذلك. والجوع والعطش مثل أراد به ما هو أعم منهما . وعلى الثاني يكون المعنى أن الليالي تنتفع بما يكون ضرراً في نفع أهلها لولوعها بأذاهم فكأنها تتغذى وتروى بأن تجوع أيها المخاطب وتعطش أو بأن نجوع نحن ونعطش .

٤ الترحة الاسم من الترح وهو الحزن والهم . نسب الموت إلى نفسه مبالغة قصد بها المشاكلة .

٥ تعجب أي تتعجب فحذف إحدى التاءين . والباء من قوله بحروف للتجريد . والأغربة جمع غراب . والعصم جمع أعصم وهو الذي في جناحه بياض . أي أنها عند رؤية خطه كانت تتعجب من سلامته

وتَلْثِمُهُ حتى أصارَ مِدادُهُ مَحاجِرَ عَيْنَيْها وأنيابَها سُحْمَا[1]

رَقَا دَمْعُها الجاري وجَفَّتْ جفونُها وفارَقَ حُبّي قَلْبَها بَعدَما أدمَى[2]

ولم يُسْلِها إلاّ المَنَايا وإنّمَا أشَدُّ منَ السُّقمِ الذي أذهَبَ السُّقْما[3]

طَلَبْتُ لها حَظّاً فَفاتَتْ وفاتَني وقد رَضِيَتْ بي لوْ رَضِيتُ بها قِسمَا[4]

فأصْبَحتُ أسْتَسقي الغَمامَ لقَبرِها وقد كنتُ أستَسقي الوَغى والقنا الصُّمّا[5]

وكنتُ قُبَيلَ الموْتِ أستَعظِمُ النّوَى فقد صارَتِ الصّغرَى التي كانتِ العظمى[6]

هَبيني أخذتُ الثأرَ فيكِ منَ العِدَى فكيفَ بأخذِ الثّأرِ فيكِ من الحُمّى[7]

لأنها كانت قد يئست منه فكأن كل حرف منه كان غراباً أعصم وهو عندهم مثل في الغرابة لعزة وجوده .

١ تلثمه أي تقبله والضمير للكتاب . وأصار بمعنى صير . والمداد الحبر . والمحاجر ما حول العينين. والسحم جمع أسحم وهو الأسود .

٢ رقا الدمع انقطع وأصله الهمز فلينه للوزن . يقول : لما ماتت انقطع دمعها الذي كان يجري على فراقي وزال حبي من قلبها بعدما كان قد أدماه في حياتها .

٣ المنايا جمع المنية وهي الموت . يقول : لم يسلها عني إلا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعاً علي ولكن الذي أذهب عنها ذلك السقم كان أشد عليها من السقم .

٤ يقول : إنما فارقتها لأطلب لها حظاً من الرزق ففاتتني هي وفاتني هذا الحظ لأني لم أدركه وقد كانت راضية أن أكون قسماً لها من الدنيا لو رضيتها قسماً لي .

٥ أستسقي أطلب السقيا . والوغى الحرب . والقنا الرماح . والصم الصلاب . يقول : إنه كان يطلب من الرماح أن تسقيه دم الأعداء فلما ماتت ترك الحرب وجداً عليها وصار يطلب من السحاب أن يسقي قبرها .

٦ قبيل تصغير قبل . والنوى البعد . يقول : إنه كان قبل موتها يستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة بالنسبة إلى الموت .

٧ هبيني أي احسبيني . وبأخذ متعلق بمحذوف أي فكيف أصنع . يقول : احسبيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلوك فكيف آخذ ثأرك من الحمى وهي العدو الذي لا سبيل إليه .

وما انسدّت الدّنيا عليّ لضيقها ولكنّ طرْفاً لا أراك به أعمى[1]

فوَا أسفا ألاّ أكبّ مقبّلاً لرأسك والصّدرِ اللّذيْ مُلِئا حزْما[2]

وألاّ ألاقي روحكِ الطيّبَ الذي كأنّ ذكيّ المسك كانَ له جسما[3]

ولوْ لمْ تكوني بِنْتَ أكرَمِ والدٍ لكانَ أباكِ الضّخْمَ كونُكِ لي أمّا[4]

لئِنْ لذّ يوْمُ الشامتينَ بيوْمِها لقَدْ وَلَدَتْ مني لأنْفِهِم رَغْما[5]

تغَرّبَ لا مُسْتَعْظِماً غيرَ نفْسِهِ ولا قابلاً إلاّ لخالقِهِ حُكْما[6]

ولا سالكاً إلاّ فُؤادَ عَجاجَةٍ ولا واجداً إلاّ لمَكْرُمَةٍ طَعْما[7]

يقُولونَ لي ما أنتَ في كلّ بلدَةٍ وما تبتَغي؟ما أبتَغي جَلّ أن يُسمى[8]

---

١ الطرف النظر ويطلق على الباصرة . يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك لا لأن الأرض قد ضاقت .

٢ الألف من قوله أسفا للندبة . وأكب انحنى على وجهه. وقوله اللذي أراد اللذين فحذف النون لطول الاسم بالصلة وقيل هي لغة لبعض العرب . يتأسف لغيبته عند وفاتها وأنه لم يودعها قبل مواراتها في التراب .

٣ أي ووا أسفا أني لم أدركك في الحياة قبل انفصال روحك .

٤ الضخم أي العظيم . يقول : لو لم يكن أبوك أكرم والد لقامت ولادتك إياي مقام أب عظيم تنسبين إليه أي إذا قيل لك أم أبي الطيب استغنيت بذلك عن نسب الأب لو لم يكن لك نسب .

٥ مني تجريد . ورغم أنفه ألصقه بالرغام أي التراب وهو كناية عن الإذلال والقهر . يقول : إن كان يوم موتها قد صار يوم لذة للشامتين فقد ولدت بولادتها إياي من يعاقبهم برغم الأنوف .

٦ أي أن هذا الرجل الذي ولدته يعني نفسه تغرب عن بلاده أنفة من تعظم غيره عليه لأنه لا يستعظم على نفسه أحداً وفراراً من أن يحكم عليه أحد إلا الله الذي خلقه .

٧ العجاجة الغبار يريد غبار الحرب . أي لا يسلك إلا في قلب غبار الحرب يستعين بها على بلوغ ما في نفسه من العظائم ولا يجد طعماً يستلذه إلا طعم المكارم .

٨ قوله ما أنت أي ما أنت صانع على حذف الخبر أو ما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير .

كأنَّ بَنيهِمْ عالِمُونَ بأنّني جَلُوبٌ إليهِمْ منْ مَعادِنه اليُتْمَا[1]

وما الجَمْعُ بَيْنَ الماءِ والنّارِ في يدي بأصعَبَ من أنْ أجمعَ الجَدَّ والفهمَا[2]

ولكنّني مُسْتَنْصِرٌ بذُبَابِهِ ومُرْتكِبٌ في كلِّ حالٍ به الغَشْمَا[3]

وجاعِلُهُ يَوْمَ اللّقاءِ تَحيّتي وإلاّ فلَسْتُ السيّدَ البَطَلَ القَرْمَا[4]

إذا فَلَّ عَزْمي عن مدًى خوفُ بُعده فأبْعَدُ شيءٍ ممكِنٌ لم يَجِدْ عزْمَا[5]

وإنّي لمِنْ قَوْمٍ كأنَّ نُفُوسَهُمْ بها أنَفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعَظمَا[6]

وتبتغي تطلب . ومصدر ان يسمى مجرور بعن محذوفة صلة جل . أي أن الناس يسألونني لما يرون من كثرة ترددي في البلاد ما تصنع في كل بلدة وماذا تطلب فأقول لهم ما أطلبه أجل من أن يذكر باسمه يعني قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

١ الضمير من معادنه لليتم . أي أن الناس يكرهونني خوفاً مني فكأن أولادهم قد علموا أنني سأقتل آباءهم وأصيرهم يتامى . يريد حساده الذين لا يزالون يسألونه عن أسفاره .

٢ الجد الحظ والبخت . يقول : إن الحظ من الدنيا لا يجتمع مع الفهم لأن العاقل قلما يرى إلا محروماً فهما كالماء والنار لا يمكن الجمع بينهما حتى يمكن الجمع بين هذين .

٣ ذباب السيف حده . وأضمر السيف بدون تقدم ذكره للعلم به . والغشم من قولهم رجل مغشم بكسر الميم إذا كان يركب هواه فلا يثنيه شيء عن مراده . يقول : لكنني مع عدم استطاعتي أن أجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بحد سيفي لا تثنيني حال من الأحوال عما أطلبه حتى أفوز به .

٤ الضمير من جاعله للسيف . والقرم بمعنى السيد . أي وأحيي أعدائي يوم لقائهم بسيفي أي أستقبلهم به وأجعله لهم بدل التحية .

٥ فل السيف ثلمه استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف وهو من الاستعارة بالكناية . والمدى الغاية . وأبعد مبتدأ خبره ممكن . يقول : إذا أضعف عزمي عن غاية خوف بعدها فإن الغاية الممكنة أيضاً لا تنال إذا لم يكن عند طالبها عزم إذ لا يدرك شيء بغير عزم وإذا وجد العزم جاز أن يدرك البعيد به كما يدرك القريب .

٦ الأنف الاستكبار والاستنكاف . يقول : أنا من قوم دأبهم خوض الغمرات والتطوح في الحروب حتى كأن نفوسهم ترى السكنى في أجسادها عاراً تأنف منه فهم يختارون القتل على الحياة للتخلص من هذا العار .

كذا أنا يا دُنْيا إذا شِئْتِ فاذْهَبِي ويا نَفس زيدي في كرائهِها قُدْمَا[1]

فلا عَبَرَتْ بي ساعَةٌ لا تُعِزّني ولا صَحِبَتْنِي مُهجَةٌ تقبلُ الظُّلْمَا[2]

وجعل قوم يستعظمون ما قاله في آخر هذه القصيدة فقال :

يَسْتَعْظِمُونَ أُبَيّاتاً نَأَمْتُ بهَا لا تَحْسُدُنَّ على أنْ يَنْأمَ الأسَدَا[3]

لَوْ أنّ ثَمّ قُلُوباً يَعْقِلُونَ بهَا أنْساهُمُ الذّعْرُ ممّا تحتَها الحَسَدَا[4]

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله ابن الحسين الانطاكي :

لَكِ يا مَنازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ أقفَرْتِ أنْتِ وهنّ منكِ أواهِلُ[5]

---

١ الكرائه جمع كريهة وهي النازلة . والقدم التقدم. يقول للدنيا : أنا على ما وصفت نفسي فاذهبي إن شئت فما أنا من يبالي بك. ثم يقول لنفسه. امضي على عزمك ولا تثنك نوازل الدنيا وشدائدها عما أنت عليه من العزة والإقدام .

٢ أي تقبل أن يظلمها أحد .

٣ الأبيات تصغير أبيات وإنما صغرها تحقيراً لها يعني أنهم يستعظمونها وهي عندي حقيرة . والنئيم زئير الأسد وهو من الاستعارة بالكناية . والأسد مفعول تحسدن .

٤ ثم بمعنى هناك والإشارة إلى حيث هم أي لو أن لهم أو معهم قلوباً . والذعر الخوف . والضمير من قوله تحتها للأبيات . والجار قبله متعلق بالذعر . والحسد مفعول أنساهم . أي لو كان لهم عقول يفهمون بها ما تضمنته أبياتي من الوعيد لأخذهم من الخوف ما يذهبون به عن الحسد .

٥ ذوات أهل . يخاطب منازل الأحبة يقول لها : قد تمثل خيالك في قلوب العاشقين فكانت لك فيها منازل غير أنك أنت قد أقفرت من أهلك والقلوب ما برحت آهلة بك لأن مثالك لا يبرح منها .

يَعْلَمْنَ ذاكِ وما عَلِمْتِ وإنَّمَا أوْلاكُمَا يُبْكَى عَلَيْهِ العاقِلُ[1]

وأنَا الذي اجتَلَبَ المَنيّةَ طَرْفُهُ فَمَنِ المُطالَبُ والقَتيلُ القاتِلُ[2]

تَخْلُو الدّيارُ منَ الظّباءِ وعِنْدَهُ من كُلّ تابِعَةٍ خَيالٌ خاذِلُ[3]

أللاءِ أفْتَكُهَا الجَبانُ بمُهْجَتي وأحَبُّهَا قُرْباً إليّ البَاخِلُ[4]

ألرّامياتُ لَنَا وهُنّ نَوافِرٌ والخاتِلاتُ لَنَا وهُنّ غَوافِلُ[5]

كافأنَنَا عَنْ شِبْهِهِنّ منَ المَهَا فَلَهُنّ في غَيرِ التّرابِ حَبَائِلُ[6]

---

١ ذاك خطاب للمنازل . وأولاكما مبتدأ خبره العاقل . وقوله يبكى أي بأن يبكى فحذف الجار على قياس حذفه ثم حذف أن . ويروى يبكى بلفظ المصدر مجروراً بالباء . يقول : إن القلوب التي هي منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا وتركوها خالية ولكن الديار لا تعلم ذلك فالذي يعلمه هو الأولى بالبكاء عليه لعلمه بما أصابه .

٢ المنية الموت. والطرف النظر . وقوله والقتيل القاتل حال. يقول: أنا جلبت الموت لنفسي بنظرة عيني فأنا القتيل وأنا القاتل وإذا كان القتيل هو القاتل فمن يطالب بدمه .

٣ الضمير من قوله عنده للموصول في البيت السابق يعني به نفسه . والظباء الغزلان يريد بها الحبائب . والتابعة الظبية الصغيرة تتبع أمها . والخاذل الذي تخلف عن أصحابه فلم يلحق . يقول : تخلو الديار من أشخاص الحبائب ولا يزال عندي من كل صغيرة منهن خيال يأتيني كأنه قد تخلف عنهن .

٤ اللاء بمعنى اللواتي وهو بدل من الظباء أو من كل تابعة . وأفتكها مبتدأ خبره الجبان . وبمهجتي صلة أقحم الخبر بينهما ضرورة . والجبان والباخل خلف عن موصوف يريد به الظبي . يقول : أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي الجبان أي الذي ينفر من الرجال خوفاً وحياء وأحبهن إلي قرباً البخيل بالوصل .

٥ يجوز في الراميات والخاتلات الجر على التبعية والرفع على الإخبار . والختل أخذ الصيد من حيث لا يدري . أي يرميننا بسهام لحاظهن وهن نافرات عنا غير مقبلات علينا ويصدننا وهن غير قاصدات لذلك ولا عالمات به .

٦ المها بقر الوحش تشبه به النساء لحسن عيونها . والحبائل جمع حبالة وهي الشرك ينصب للصيد . يقول : جازيننا عما نصيده من بقر الوحش الشبيهة بهن لكن حبائلهن التي يصدننا بها منصوبة في غير التراب لأنهن يصدننا بعيونهن .

مِنْ طاعِني ثُغَرِ الرِّجالِ جآذِرٌ ومِنَ الرِّماحِ دَمالِجٌ وخَلاخِلُ[1]

ولِذا اسمُ أغطيَةِ العُيُونِ جُفُونُها مِنْ أنّها عَمَلَ السُّيُوفِ عَوامِلُ[2]

كم وقْفَةٍ سَجَرَتْكَ شوْقاً بَعدَما غَرِيَ الرَّقيبُ بنا ولَجَّ العاذِلُ[3]

دونَ التّعانُقِ ناحِلَينِ كشَكْلَتَيْ نَصْبٍ أدَقَّهُمَا وضَمَّ الشّاكِلُ[4]

إنْعَمْ ولَذَّ فَلِلأُمورِ أواخِرٌ أبَداً إذا كانَتْ لَهُنّ أوائِلُ[5]

ما دُمْتَ مِنْ أرَبِ الحِسانِ فإنّما رَوْقُ الشّبابِ علَيكَ ظِلٌّ زائِلُ[6]

---

١ الثغر جمع ثغرة وهي نقرة النحر بين الترقوتين . والجآذر الصغار من بقر الوحش واحدها جؤذر . والدمالج جمع دملج وهو حلي يلبس في العضد . والخلاخل جمع خلخل ، بالفتح ، لغة في الخلخال . وجآذر وخلاخل مبتدآن خبرها الظرف قبلهما . يريد أن الحسان يفعلن بالعشاق فعل الأبطال المقاتلين فهن من جملة الطاعنين ورماحهن الحلي الذي عليهن .

٢ من بيان لذا . والضمير من قوله أنها للعيون . وعمل مفعول مطلق . وعوامل خبر أن . يقول : إنما سميت أغطية العيون جفوناً لأن ضمنها أحداقاً تفعل فعل السيوف فسمي غطاؤها باسم غمد السيف وهو الجفن .

٣ سجرتك أي ملأتك أو ألهبتك . ويروى شجرتك بالشين المعجمة أي حبستك عن الكلام من قولهم شجر الدابة إذا جذب لجامها ليكفها . ويروى سحرتك بالسين والحاء المهملتين أي تركتك مسحوراً. وغري به أولع . واللجاج التمادي في المماحكة . يخاطب نفسه يقول : كم وقفة لك مع الحبيبة تركتك على تلك الحال . وتمام الكلام في البيت التالي .

٤ دون التعانق متعلق بوقفة . وناحلين حال من محذوف بعد وقفة أي كم وقفة لنا . والشاكل الذي يرسم شكل الكتاب وهو فاعل أدق أو ضم ففي الكلام تنازع . أي مع ما نحن فيه من شدة الشوق لم نتعانق في تلك الوقفة خوفاً من الرقيب والعاذل ولكن وقفنا متقاربين فكنا ونحولنا كأننا شكلتا نصب أي فتحتان قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداهما من الأخرى .

٥ يقول : تمتع بنعيم العيش ولذته ما دام لك الشباب فإنه عن قليل سينقضي لأن كل ما له أول له آخر .

٦ ما مصدرية زمانية والظرف المتأول منها صلة انعم . وقوله فإنما إلى آخره تعليل . والأرب الحاجة . وروق الشباب أوله وأفضله. أي ما دام للحسان أرب فيك يعني ما دمت شاباً فإن روق الشباب يزول

للّهْـــوِ آونَـــةٌ تَمُـــرُّ كأنّهَا قُبَلٌ يُزَوِّدُهَا حَبيبٌ راحِلُ[١]

جَمَحَ الزّمانُ فَلا لَذيذٌ خالِصٌ ممّا يَشُوبُ ولا سُرُورٌ كامِلُ[٢]

حتّى أبو الفَضْلِ ابنُ عَبْدِ اللهِ رُؤْ يَتُهُ المُنى وهيَ المَقامُ الهَائلُ[٣]

مَمْطُورَةٌ طُرُقي إليهَا دونَهَا مِنْ جُودِهِ في كلّ فَجٍّ وابِلُ[٤]

مَحْجُوبَةٌ بسُرادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَثْني الأزِمّةَ والمَطيُّ ذَوامِلُ[٥]

للشّمسِ فيهِ وللسّحابِ وللبِحَا رِ وللأُسُودِ وللرّياحِ شَمَائِلُ[٦]

عنك زوال الظل . ويروى مائل .

١ الآونة جمع أوان . يقول : إن ساعات اللهو مع لذتها قصيرة سريعة المرور كأنها القبل التي يزودها الراحل فإن لذتها في غاية القصر ثم تفوت إلى ما شاء الله .

٢ جمح ركب هواه فلا يمكن رده . وما من قوله مما يشوب نكرة موصوفة بمعنى شيء . ويشوب يخالط .

٣ أبو الفضل كنية الممدوح . والمنى جمع منية وهي الشيء الذي تتمناه . يقول : لا لذة في الدنيا تخلص من كدر يشوبها حتى إن هذا الممدوح رؤيته منية كل احد ولكن فيها من المهابة ما يغض عنها أبصار الناظرين وينغص عليهم هذه المنية . قال ابن جني : هذا خروج أي مخلص ما روي أغرب منه .

٤ ممطورة خبر مقدم عن طرقي . وإليها صلة طرقي . ودونها خبر مقدم عن وابل والضمير فيها للرؤية . والفج الطريق الواسع بين جبلين . والوابل المطر الغزير . يقول: طرقي إلى رؤيته ممطورة بكرمه يعني أن إحسانه وصل إليه قبل وصوله إلى داره ودون الوصول إلى رؤيته أي بيني وبينها وابل من جوده قد ملأ كل فج .

٥ محجوبة خبر عن محذوف يرجع إلى الرؤية . والسرادق الخباء . والأزمة جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة . والمطي جمع مطية وهي الركوبة . وذوامل مسرعات. أي أن رؤيته محجوبة بما يغشاها من الهيبة التي ترد الأبصار عن النظر إليه حتى لو أن مطياً أسرعت في سيرها واعترضتها هذه الهيبة لارتدت عن مسيرها وهابت الإقدام .

٦ جمع شمال ، بالكسر ، وهو الخلق والطبيعة . يريد كثرة محامده وأنه قد أوتي من كل شيء بأحسن ما فيه فإن فيه نور الشمس ومنفعتها وجود السحاب والبحار وبأس الأسود وتصرف الرياح في إحياء البلاد وسوق الأمطار .

وَلَدَيْهِ مِلْعِقْيَانِ والأدَبِ المُفَا ... دِ ومِلْحَيَاةِ ومِلْمَمَاتِ مَنَاهِلُ[1]
لَوْ لم يَهَبْ لجَبَ الوُفُودِ حَوَالَهُ ... لَسَرَى إلَيْهِ قَطَا الفَلاةِ النّاهِلُ[2]
يَدْرِي بمَا بِكَ قَبْلَ تُظْهِرُهُ لَهُ ... مِن ذِهْنِهِ ويُجيبُ قَبْلَ تُسائِلُ[3]
وتَراهُ مُعْتَرِضاً لَهَا ومُوَلّياً ... أحْداقُنا وتَحارُ حينَ يُقابِلُ[4]
كَلِماتُهُ قُضُبٌ وهُنّ فَوَاصِلٌ ... كلُّ الضّرائبِ تَحتَهُنّ مَفاصِلُ[5]
هزَمَتْ مَكارِمُهُ المَكارِمَ كُلّهَا ... حتى كأنّ المَكْرُماتِ قَنَابِلُ[6]
وقَتَلْنَ دَفْراً والدُّهَيْمَ فَمَا تَرَى ... أُمُّ الدُّهَيْمِ وأُمُّ دَفْرٍ ثَاكِلُ[7]

---

١ قوله ملعقيان أي من العقيان فحذف النون لالتقاء الساكنين. وكذا ما يليه. والعقيان الذهب . والمناهل الموارد . أي أن لهذه الأشياء عنده موارد يردها الناس منه كما يردون مناهل الماء .

٢ اللجب الضجيج . والوفود الزوار يريد الوافدين عليه لطلب العطاء . وحواله بمعنى حوله . والقطا طائر وهو فاعل يهب أو سرى ففي الكلام تنازع. والفلاة الصحراء . والناهل الوارد على الماء . يقول : إنه منهل لكل عطشان فلو لم تخف القطا ضجيج الوفود ببابه لسرت إليه لتنقع غلتها منه .

٣ أراد قبل أن في الموضعين فحذف أن وارتفع الفعل . ومن ذهنه صلة يدري . يصفه بحدة الذهن وقوة الذكاء .

٤ معترضاً حال . وأحداقنا فاعل ترى. وضمير لها للأحداق والجار متعلق بمعترضاً . أي أن أحداقنا تراه إذا مر من أمامها معترضاً أو أدبر عنها لانحرافه حينئذ عن مواجهتها فإذا قابلها حارت ولم تستطع أن تتمكن من رؤيته لما يغشاها من الهيبة والخشوع .

٥ القضب جمع قضيب وهو السيف . وفواصل قواطع . والضرائب جمع ضريبة وهي المضروب بالسيف . والمفاصل جمع مفصل وهو ملتقى العظمين . يقول : كلماته سيوف قاطعة أينما أصابت فصلت فكأن كل موضع تقع عليه مفصل . يعني أنها تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

٦ جمع قنبلة ، بالفتح ، وهي الطائفة من الخيل من الثلاثين إلى الأربعين . أي أن مكارمه غالبت مكارم الناس فهزمتها فكأنها قنابل خيل يهزمها في الحرب .

٧ يقال للداهية أم دفر وأم الدهيم . ومعنى الدفر النتن كنيت الداهية به لخبثها . والدهيم ناقة كانت

عَلاّمَةُ العُلَمَاءِ واللُّجُّ الّــذي	لا يَنْتَهي ولِكُلِّ لُجٍّ ساحِلُ[1]

لَوْ طابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ	وَلَدَ النّساءُ وما لَهنّ قَوابِلُ[2]

لَوْ بانَ بالكَرَمِ الجَنينُ بَيانَــهُ	لَدَرَتْ به ذَكَرٌ أمُ انثى الحامِلُ[3]

لِيَزِدْ بَنُو الحَسَنِ الشّرافُ تَواضُعاً	هَيهاتِ تُكْتَمُ في الظّلامِ مشاعِلُ[4]

....

لعمرو بن الريان الذهلي قتل هو وإخوته وحملت رؤوسهم عليها فصارت مثلا في الشؤم وسميت الداهية بها لشؤمها . والثاكل الفاقدة ولدها . ويروى هابل وهي بمعناها . كنى بقتل ولدَي الداهية عن قهرها وإذلالها يريد لو كان للداهية أولاد على الحقيقة لقتلتهم مكارمه بإفنائها البؤسى والمفاقر فارتدت الداهية ثاكلا . وقد أطال الشراح في قوله ترى وإعراب الشطر الثاني بما لا فائدة من ذكره . ولعل الصحيح في ذلك أن الكلام انتهى عند قوله ترى والضمير فيه للخطاب أي أن مكارمه أثكلت الداهية فما ترى من حالها بعد ذلك . والشطر الثاني تفسير لما في الأول وتأكيد له . وأم الدهيم مبتدأ خبره ثاكل وأم دفر معطوفة عليها . وإنما أفرد الخبر لأن أم الدهيم وأم دفر كلتيهما واحدة لا اثنتان إذ هما اسمان لمسمى واحد أي الداهية. فكأنه قال الداهية التي تكنى بأم الدهيم وبأم دفر ثاكل وإنما كرر إشارة إلى أنها ثكلتهما جميعاً .

١ اللج معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذي يرجعون إليه في مشاكلهم وبحر الجود الذي لكل بحر ساحل من دونه .

٢ مثله نعت لمصدر محذوف أي طيباً مثل طيب مولده . يعني أنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً حتى لو ولد كل أحد مثل ولادته لاستغنت النساء عن القوابل .

٣ الجنين الولد في بطن أمه . وبيانه مفعول مطلق أي كبيانه . وضمير به للجنين . وقوله ذكر ام أنثى أراد أذكر هو فحذف لضيق المقام ووصل همزة أنثى بعد نقل حركتها إلى الميم . والحامل فاعل درت . وقد كان وجه الكلام أن يقول لو بان الجنين بيانه بالكرم أي لو بان كل جنين بشيء يدل عليه كما بان هذا الممدوح بالكرم أي كما دل عليه كرمه حين كان جنيناً لعرفت الحامل ما في بطنها أذكر هو أم أنثى .

٤ جمع مشعل وهو القنديل . يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً فإن تواضعهم لا يخفي شيئاً من شرفهم كما أن الظلام لا يكتم نور المصابيح بل يزيدها ظهوراً وتألقاً .

جَفَخَتْ وهم لا يجفَخونَ بها بهِمْ   شِيَمٌ على الحَسَبِ الأغرِّ دَلائِلُ[١]

مُتَشابِهو وَرَعِ النّفوسِ كَبيرُهم   وصَغيرُهمْ عَفُّ الإزارِ حُلاحِلُ[٢]

يا افخَرْ فإنّ النّاسَ فيكَ ثَلاثَةٌ   مُسْتَعْظِمٌ أو حاسِدٌ أو جاهِلُ[٣]

ولَقَدْ عَلَوْتَ فَما تُبالي بَعدَ ما   عَرَفوا أيَحْمَدُ أمْ يَذُمّ القائِلُ[٤]

أُثْني عَلَيْكَ ولَوْ تَشاءُ لقُلْتَ لي   قَصّرْتَ فالإمْساكُ عنّي نائِلُ[٥]

لا تَجْسُرُ الفُصَحاءُ تُنشِدُ ههُنا   بَيْتاً ولكِنّي الهِزَبْرُ الباسِلُ[٦]

ما نالَ أهْلُ الجاهِلِيّةِ كُلُّهُمْ   شِعْري ولا سمعتْ بسحري بابِلُ[٧]

---

١ جفخت فخرت وتكبرت وفاعله شيم . وبهم متعلق بجفخت والجملة قبل معترضة . والشيم جمع شيمة وهي الخلق والطبيعة . والحسب ما تعده من مفاخر آبائك . والأغر الشريف . يقول : إن لهم شيماً كريمة تدل على ما لهم من الحسب الشريف وهذه الشيم تفتخر بهم وهم لا يفتخرون بها لما بهم من الورع والبعد عن الزهو والخيلاء .

٢ ويروى متشابهي كأن نصبه على الحال من ضمير يجفخون . والورع التقوى . وعف الإزار وعفيفه أي متنزه عن الفحشاء . والحلاحل السيد الركين . يقول : هم سواء في الورع والتدين وكل من شيخهم وشابهم عفيف الذيل رزين .

٣ يا تنبيه أو نداء لمحذوف أي يا هذا ونحوه . ويروى فافخر . يعني فخرك ثابت وإن أنكر الجاحدون عظمة شأنك فإن من لم يعترف باستعظامك فهو حاسد لفضلك أو جاهل لقدرك .

٤ ضمير عرفوا للناس والعائد إلى ما محذوف أي بعد ما عرفوه . يقول : قد عرف الناس من علو قدرك ما لا تبالي بعده بذم الحاسد لأنه لا يحط منزلتك ولا بحمد الحامد لأنه لا يزيدك علواً .

٥ النائل العطاء . يقول : إني قد قصرت في ثنائي عليك فكان حقك أن تؤاخذني بهذا التقصير ولكنك أمسكت عني حلماً وتكرماً فعددت ذلك جائزة منك لو لم تتجاوزها كفتني .

٦ أراد أن تنشد فحذف أن . والهزبر الأسد . والباسل الشجاع . أي أن الفصحاء لهيبتك وعلمك بالشعر لا يجسرون على الإنشاد بين يديك ولكني أقدمت على ذلك لاقتداري وجرأتي .

٧ أي أهل بابل وهي المدينة المشهورة يقولون إنه كان بها ملكان يعلمان السحر .

وإذا أتتْكَ مَذَمَّتي من نَاقِصٍ فَهيَ الشَّهادَةُ لي بأنّي كامِلُ[١]

مَنْ لي بفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعي أنْ يَحْسُبَ الهِنديَّ فيهِمْ باقِلُ[٢]

وأمَا وحَقّكَ وهْوَ غايَةُ مُقْسِمٍ لَلْحَقُّ أنتَ وما سِواكَ الباطِلُ[٣]

ألطِّيبُ أنْتَ إذا أصابَكَ طِيبُهُ والماءُ أنتَ إذا اغتَسَلْتَ الغاسِلُ[٤]

ما دارَ في الحَنَكِ اللّسانُ وقَلّبَتْ قَلَماً بأحْسَنَ مِنْ ثَنَاكَ أنامِلُ[٥]

---

١ يقول : إذا ذمني ناقص فمذمته تشهد لي بالكمال لأن الناقص لا يمدح الكامل لما بينهما من تنافي الطباع . ويروى من جاهل وبأني فاضل .

٢ من لي بكذا كلمة تقال عند افتقاد الشيء أي من يكفل لي به ونحو ذلك . وأُهيل تصغير أهل أراد به التحقير . وباقل رجل يضرب به المثل في البلاهة وهو فاعل يدعي . يقول : من لي بفهم أهل هذا العصر الذين لا يميزون الحق من الباطل ولا يفرقون بين العالم والجاهل حتّى لو ادعى باقل بينهم معرفة حساب الهند لم يجد فيهم من يكذب دعواه .

٣ غاية الشيء منتهاه . ومقسم ، يروى بكسر السين وفتحها ، على أنه اسم فاعل أو مصدر ميمي .

٤ الطيب مبتدأ . وأنت مبتدأ آخر . وطيبه خبر أنت والجملة خبر الطيب . وكذا في الشطر الثاني والعائد إلى الماء محذوف أي أنت الغاسل له . أي إذا أصابك الطيب فأنت طيب له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . والمعنى أنه أطيب من الطيب وأطهر من الماء .

٥ ويروى نثاك بتقديم النون وهو ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . والأنامل أطراف الأصابع . أي ما روى اللسان ولا خط القلم كلاماً أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

النفيس غريب حيثما كان

يمدح أخاه أبا سهل سعيد بن عبيد الله بن الحسن الانطاكي :

قَدْ عَلَّمَ البَيْنُ مِنّا البَيْنَ أجْفانَا ... تَدْمَى وألَّفَ في ذا القَلبِ أحزانَا[1]

أمَّلْتُ ساعةَ ساروا كَشْفَ مِعصَمِها ... لِيَلْبَثَ الحَيُّ دونَ السَّيرِ حَيرانَا[2]

ولوْ بَدَتْ لأتاهَتْهُمْ فَحَجّبَهَا ... صَوْنٌ عُقُولَهُمُ من لحظِها صانَا[3]

بالواخِداتِ وحاديها وبي قَمَرٌ ... يَظَلّ من وَخْدِها في الخِدرِ خَشْيانَا[4]

---

١ البين البعد . ومنا حال من الأجفان مقدمة عليها . والبين مفعول ثان مقدم لعلم . وأجفاناً مفعول أول . وتدمى أي يسيل دمها وهو نعت للأجفان . يقول : إن بعد الأحبة علم أجفاننا الدامية من طول البكاء أن يبتعد بعضها عن بعض كناية عن إدامة السهر وكان باعثاً للجمع بين أحزان القلب فتألفت .

٢ ضمير ساروا للأحبة استغنى عن تقدم ذكرهم بدلالة المقام . والمعصم موضع السوار . ولبث أقام . يقول : رجوت حين ساروا أن تكشف معصمها أي تظهره عند ركوب الهودج ليراه الحي فيتحيروا بجماله ويدهشوا عن المسير فأغتنم الزيادة من إقامتها .

٣ أتاهتهم أي أضلتهم وحيرتهم . وعقولهم مفعول صان . يقول : لو ظهرت لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم ما عندها من الصيانة التي صانت عقولهم من لحظها يعني أن صيانتها لنفسها حجبتها عن البروز فكان في ذلك صون عقولهم عن أن تصاب بلحظها فتفتتن .

٤ الباء للتفدية . والواخدات المسرعات يريد النياق . والحادي الذي يسوق الإبل بالغناء . والخدر الستر . وخشيان خائفاً . يقول : يفدى بالنياق الواخدة في السفر وبحاديها وبي قمر يظل في خدره خائفاً من وخدها لأنه لم يتعود الأسفار . ويروى حشيان ، بالحاء المهملة ، من الحشى ، بفتحتين ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه يعني أن وخدها يزعجه لشدة ترفه فيتتابع نفسه .

أمّا الثّيابُ فتَتَعْرَى مِنْ مَحاسِنِهِ إذا نَضاها ويَكسَى الحُسنَ عُرْيانَا[1]

يَضُمُّهُ المِسكُ ضَمَّ المُسْتَهامِ بهِ حتى يَصيرَ على الأعكانِ أعكانَا[2]

قد كنتُ أُشفِقُ من دَمعي على بصري فاليَوْمَ كلُّ عزيزٍ بَعدَكمْ هَانَا[3]

تُهدي البَوارِقُ أخلافَ المِياهِ لكُمْ وللمُحِبّ مِنَ التّذكارِ نيرانَا[4]

إذا قَدِمْتُ على الأهوالِ شَيّعَني قَلْبٌ إذا شِئْتُ أنْ أسلاكُمُ خانَا[5]

أبدو فيَسجُدُ مَنْ بالسّوءِ يذكُرُني فَلا أُعاتِبُهُ صَفْحاً وإهْوَانَا[6]

وهكَذا كُنتُ في أهْلي وفي وَطَني إنّ النّفِيسَ غَريبٌ حَيثُمَا كَانَا[7]

---

١ نضاها ألقاها عنه . ويكسى بمعنى يكتسي، يقال كسوته الثوب فكسيه من باب علم. وعرياناً حال من فاعل يكسى . يقول : إذا خلع ثيابه عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه وإذا عري منها بقي مكتسياً بالحسن .

٢ الضمير من به للمحبوب . والأعكان مطاوي البطن وهي جمع عكن جمع عكنة . يقول : كأن المسك يحبه فهو يضمه ضم المستهام به حتى يصير على أعكانه كالاعكان .

٣ أشفق أخاف . يقول : كنت أخاف على بصري من البكاء وأما اليوم فقد هان علي بعد فرقتكم كل عزيز .

٤ البوارق السحائب ذات البرق . والاخلاف جمع خلف ، بالكسر ، وهو الضرع استعاره للمياه لأنها تغذو النبات . يقول : إذا برقت السحائب من نحوكم أهدت إليكم أخلاف المياه التي تغذو أرضكم وأهدت إلي نيراناً لتجديدها الشوق بتجديد ذكراكم .

٥ شيعني تبعني . وأسلاكم مثل أسلوكم . يقول : قلبي يتبعني ويطاوعني في كل هول إلا إذا أردت أن أسلوكم فإنه يخونني ولا يطيعني .

٦ الصفح الإعراض عن المسيء . والإهوان الإهانة أخرجه على الأصل ضرورة . يقول : إذا ظهرت لمن يذكرني بالسوء عظمني وخضع لي فأترك عتابه إعراضاً عنه واحتقاراً له .

٧ يقول : لما كنت بين أهلي وفي وطني كنت على ما أنا عليه اليوم أي غريباً قليل الأشكال والمساعدين. ثم قال: إن النفيس حيثما حل غريب لأن هذه الغربة وردت عليه من فقد النظير لا من فقد النسيب.

مُحَسَّدُ الفَضْلِ مكذوبٌ على أثَري   ألقَى الكَميَّ ويَلقاني إذا حَانَا[1]
لا أشرَئِبُّ إلى ما لم يَفُتْ طَمَعاً   ولا أبيتُ على ما فاتَ حَسرَانَا[2]
ولا أُسَرُّ بمَا غَيري الحَميدُ بهِ   ولَوْ حَمَلْتَ إليَّ الدَّهْرَ مَلآنَا[3]
لا يَجْذِبَنَّ رِكَابي نَحْوَهُ أحَدٌ   ما دُمتُ حَيّاً وما قَلقَلنَ كِيرانَا[4]
لوِ استَطَعْتُ رَكبتُ النّاسَ كلّهمُ   إلى سَعيدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بُعْرَانَا[5]
فالعِيسُ أعْقَلُ مِنْ قَوْمٍ رَأيْتُهُمُ   عَمّا يَرَاهُ منَ الإحسانِ عُمْيانَا[6]
ذاكَ الجَوادُ وإنْ قَلّ الجَوادُ لَهُ   ذاكَ الشّجاعُ وإنْ لم يرْضَ أقرانَا[7]

---

١ المحسد من يحسد كثيراً . والكمي البطل المغطى بالسلاح . وحان أي حضر أجله . يقول : أنا محسود الفضل في كل مكان يكذب أعدائي على أثري أي إذا وليت عنهم اختلقوا علي الأكاذيب فقالوا لقيناه بموضع كذا وفعلنا به كذا وأنا ألقى الكمي من الأبطال فلا يلقاني إلا وقد حان أجله .

٢ اشرأبَّ إلى الشيء تطلع نحوه متطاولا . يعني أنه لا يبالي بالدنيا فلا يتطاول إلى طلب ما لم يفت منها ولا يتحسر على زوال الفائت .

٣ أي لا أفرح بالشيء الذي أناله من غيري لأن الحمد يكون حينئذ له وأنا لا أرضى ذلك ولو ملأت الدهر لي عطايا .

٤ الركاب الإبل . وقلقلن حركن والضمير للركاب . والكيران جمع كور وهو الرحل . أي لا أقصد أحداً ما حييت وما حركت إبلي رحالها في السير . يعني أنه لا يجد من يقوم بحق وفادته لجهل الناس وبخلهم .

٥ جمع بعير وهو حال من الناس . يريد بالناس قوماً بخصوصهم كما بينه في البيت التالي أي أنهم في صورة الإنسان وعقل البهيمة فلو استطاع عاملهم معاملة البهائم لأنهم في منزلتها .

٦ العيس الإبل . وعما متعلق بقوله عمياناً وهو المفعول الثاني لرأيت . وفاعل يراه ضمير الممدوح . والبيت تفسير لما قبله . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عَمُوا عما رآه هذا الممدوح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله .

٧ الجواد السخي . والأقران جمع قرن ، بالكسر ، وهو الكفؤ في الحرب . يقول : نصفه بالجواد

ذاكَ المُعِدّ الذي تَقْنُو يَداهُ لَنَا فَلَوْ أُصيبَ بشيءٍ منهُ عَزّانَا[١]
خَفّ الزّمانُ على أطْرافِ أَنْمُلِهِ حتى تُوُهّمنَ للأزْمانِ أزْمانَا[٢]
يَلْقَى الوَغَى والقَنَا والنّازِلاتِ بهِ والسّيفَ والضّيفَ رَحبَ البالِ جذلانَا[٣]
تَخالُهُ من ذكاءِ القَلْبِ مُحْتَمِياً ومن تَكَرّمِهِ والبِشْرِ نَشْوانَا[٤]
وتَسْحَبُ الحِبَرَ القَيْناتُ رافِلَةً من جُودِهِ وتَجُرّ الخَيلُ أرْسَانَا[٥]
يُعْطي المُبَشّرَ بالقُصّادِ قَبْلَهُمُ كَمَنْ يُبَشّرُهُ بالمَاءِ عَطْشانَا[٦]
جزَتْ بني الحَسَنِ الحُسْنى فإنّهُمُ في قَوْمِهِمْ مثلُهُمْ في الغُرّ عَدْنانَا[٧]

وإن كان لفظ الجواد قليلا عليه ونسميه شجاعاً وإن كان لا يرضى له قريناً ممن يسمون شجعاناً . يعني أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع فلا يكفيه أن يوصف بما يوصف به غيره .

١ أعد الشيء هيأه لوقت الحاجة . وتقنو بمعنى تقتني . أي أنه يعد المال ويقتنيه ليفرقه على الوفد والشعراء فهو إنما يجمعه لهم فلو أصيب بذهاب شيء منه عزاهم عنه لأن ذلك المال لهم لا له .

٢ الأنمل رؤوس الأصابع . يقول : إن أنامله تقلب الزمان على أطرافها كيفما شاءت كما يقلب الزمان أحوال الناس حتى توهمت أنها أزمنة مسلطة على الأزمنة .

٣ الوغى الحرب . والقنا الرماح . والنازلات حوادث الدهر . ورحب البال أي واسع الصدر . وجذلان فرحان .

٤ تخاله تحسبه . ومحتمياً أي متوقداً . والبشر طلاقة الوجه وتهلله . والنشوان السكران . أي كأنه لذكاء قلبه وحدته متوقد وكأنه من إفراط كرمه وتهلل وجهه سكران .

٥ الحبر الحلل اليمانية واحدتها حبرة ، بكسر ففتح . والقينات الجواري . ورافلة متبخترة . يعني أن ملابس الجواري حتى أرسان الخيل من نعمته .

٦ قبلهم صلة يعطي والضمير للقصاد . أي إذا بشره مبشر بزوار يقصدونه أعطاه لبشارته كما يعطي من بشره بالماء عند العطش . يعني أنه يعطي القصاد ويعطي الذي بشر بهم من قبلهم أيضاً لشدة كرمه وارتياحه للبذل .

٧ الضمير من قوله مثلهم للقوم . والغر الأشراف . وعدنان القبيلة المشهورة وهي بيان للغر أو بدل .

ما شَيَّدَ اللهُ مِنْ مَجْدٍ لسالِفِهِمْ إلاّ ونَحْنُ نَراهُ فيهِمِ الآنَا[1]

إنْ كوتبوا أوْ لُقوا أو حوربوا وُجدوا في الخَطّ واللّفظِ والهَيجاءِ فُرْسانَا[2]

كأنّ ألسُنَهُمْ في النّطقِ قد جُعلَتْ على رِماحِهِمِ في الطّعنِ خِرْصانَا[3]

كأنّهُمْ يَرِدونَ المَوْتَ مِنْ ظَمَإٍ أو يَنْشَقُونَ مِنَ الخطّيّ رَيحَانَا[4]

الكائِنينَ لِمَنْ أبْغي عَداوَتَهُ أعدَى العِدى ولمن آخيتُ إخوانَا[5]

خَلائِقٌ لوْ حَوَاها الزِّنْجُ لانْقَلَبوا ظُمْيَ الشّفاهِ جِعادَ الشّعرِ غُرّانَا[6]

أي كانت الحسنى جزاء لهؤلاء الممدوحين فإنهم في قومهم مثل قومهم في بني عدنان، والمعنى هم خيار قومهم وقومهم خيار قبيلتهم .

١ أي أنهم ما برحوا محافظين على ما ورثوه من مجد آبائهم ولم يضيعوا شيئاً منه فهو فيهم الآن كما كان قديماً .

٢ أي إن كاتبهم أحد أو حاضرهم أو نازلهم في الحرب وجدهم في جميع ذلك فرسان مجالهم . والبيت مرتب على الطي والنشر .

٣ الخرصان جمع خرص وهو حلقة السنان والمراد هنا الأسنة نفسها . يقول : إن خرصانهم ماضية في الطعن كمضاء ألسنتهم في النطق فكأن ألسنتهم قد جعلت خرصاناً على رماحهم . وفي البيت عكس التشبيه لأنه أراد تشبيه الألسنة بالأسنة فحول وجه الكلام مبالغة في مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأسنة تشبه بها .

٤ الظمأ العطش . والنشق الإشمام . والخطي الرمح وأل فيه للجنس . والريحان كل نبت طيب الريح . أي أنهم لتعودهم الحرب وارتياحهم إليها صار الموت عندهم لذيذاً كالماء للظمآن والرماح شهية كأنها ريحان يشمونه .

٥ نصب الكائنين بمضمر أي أذكر أو أمدح . وأعدى العدى خبر الكائنين . وما بعد معطوف .

٦ الخلائق الأخلاق وهي خبر عن محذوف أي تلك خلائق والإشارة إلى ما سبق . والزنج جيل من السودان . والظمي من الشفاه الذابلة في سمرة . والغران جمع أغر وهو الأبيض المشرق . يقول : هذه الخلائق الشريفة لا تعرف إلا في كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على ما يعرفون به من الخسة والهمجية لصيرتهم كراماً بيض الجلود حسان الصور . ويؤخذ على المتنبي في هذا البيت

وأنْفُسٌ يَلْمَعِيّاتٌ تُحِبُّهُمُ   لها اضطراراً ولَوْ أقْصَوْكَ شَنآنا[1]

ألواضِحينَ أبُوّاتٍ وأجْبِنَةً   ووالداتٍ وألْباباً وأذْهانا[2]

يا صائِدَ الجَحْفَلِ المَرْهوبِ جانبُهُ   إنّ اللّيوثَ تَصيدُ النّاسَ أُحْدانا[3]

وواهِباً ، كلُّ وَقْتٍ وقْتُ نائِلِهِ   وإنّما يَهَبُ الوُهّابُ أحْيانا[4]

أنتَ الذي سَبَكَ الأموالَ مَكْرُمَةً   ثمّ اتّخَذْتَ لها السُّؤّالَ خُزّانا[5]

عَلَيْكَ منكَ إذا أُخليتَ مُرْتَقِبٌ   لم تأتِ في السّرّ ما لم تأتِ إعْلانا[6]

لا أسْتَزيدُكَ فيما فيكَ من كَرَمٍ   أنا الذي نامَ إنْ نَبّهْتُ يَقْظانا[7]

قوله جماد الشعر فإن الجعودة من الصفات اللازمة للزنج فكأنه قال لانقلبوا من الجعودة إلى الجمودة .

١ أنفس معطوف على خلائق . واليلمعي الذكي المتوقد . وضمير تحبهم للمخاطب . وقوله لها تعليل أي لأجلها . وأقصوك أبعدوك . والشنآن البغضة . يقول : أنفسهم أنفس ذكية تحببهم إليك ضرورة ولو نفوك وعادوك .

٢ نصب الواضحين على المدح أي أذكر أو أعني ونحوهما . والأبوة مصدر الأب يريد الآباء . والاجبنة جمع جبين . والألباب العقول. أي هم ظاهرو الآباء والأنساب متهللو الوجوه كرماً معروفو نسب الأمهات مشرقو العقول والأذهان .

٣ الجحفل الجيش الكثير . والليوث الأسود . وأحدان جمع واحد وأصله وحدان . يقول : أنت أشد بطشاً من الأسد لأن الأسد يصيد الناس واحداً واحداً وأنت تصيد الجيش برمته .

٤ كل مبتدأ خبره وقت نائله والجملة نعت واهباً . والوهاب يجوز أن يكون جمع واهب فيكون بضم الواو أو صفة مبالغة فيكون بفتحها .

٥ السبك الإذابة والإفراغ . والمكرمة فعل الكرم وهي مفعول ثان لسبك على تضمينه معنى التحويل . يقول : إنه سبك أمواله فصيرها مكارم تجلب له الحمد ثم جعلها في أيدي السائلين فكأنه اتخذهم خزنة لأمواله .

٦ أخليت أي وجدت خالياً . ويروى أخليت بالمعلوم أي وجدت مكاناً خالياً . يقول : إذا خلوت بنفسك كان لك من نفسك رقيب عليك فلا تفعل في السر ما لا تفعل في العلانية .

٧ يقول : لا أسألك الزيادة على الكرم الذي فيك وإلا فقد جهلت محلك من الكرم وكنت كمن

فإنَّ مِثْلَكَ باهَيْتُ الكِرامَ بِـهِ ... ورَدَّ سُخْطاً على الأيّامِ رِضْوانَا[1]
وأنْتَ أبعَدُهُمْ ذِكراً وأكْبَرُهُمْ ... قَدْراً وأرْفَعُهُمْ في المَجدِ بُنْيَانَا
قد شَرّفَ اللهُ أرْضاً أنْتَ ساكِنُها ... وشَرّفَ النّاسَ إذْ سَوّاكَ إنْسَانَا[2]

ولدوا على صهواتها

يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :

سِرْبٌ مَحاسِنُهُ حُرِمتُ ذَوَاتِها ... داني الصِّفاتِ بَعيدُ مَوْصوفاتِهَا[3]
أوْفَى فكُنْتُ إذا رَمَيْتُ بمُقلَتي ... بَشَراً رأيتُ أرَقَّ مِن عَبَرَاتِهَا[4]

ينبه يقظان ومن نبه اليقظان فهو النائم الذي لا يدرك ما في الوجود .

١ باهيت فاخرت . والسخط ضد الرضى . وعلى الأيام صلة السخط . أي مثلك من أفاخر الكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ومن إذا سخط الناس على الأيام بأنها قد ابتلتهم بالبؤس أو قرضت جيل الكرام منهم يدفع البؤس عنهم ويغمرهم بأنعامه فيرضون عن الأيام .

٢ شرف ويروى قدس .

٣ السرب القطيع من الظباء والنساء وغيرها . وهو خبر عن محذوف أي الذي أصفه أو أتشوقه ونحو ذلك . وذواتها جمع ذات مؤنث ذي الصاحبية . والداني القريب . يقول : هذا السرب قد حرمت ربات محاسنه لما حال بيني وبينهن من البعد فهو قريب الصفات مني لأن محاسنه لا تزال نصب عيني ولكن الموصوفات بهذه الصفات يعني أشخاص نسائه بعيدة عني .

٤ أوفى أشرف والضمير للسرب . والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد . والعبرات الدموع . أي أن هذا السرب أشرف في مسيره على مكان عال فكان بصري إذا وقع على بشرته رأى منها شيئاً أرق وألطف من الدموع .

يَسْتَاقُ عيسَهُمُ أنيني خَلفَها تَتَوَهَّمُ الزَّفَراتِ زَجرَ حُداتِها[1]

وكأنّها شَجَرٌ بَدَتْ لَكِنَّها شَجَرٌ جَنَيتُ المَوْتَ من ثمَراتِها[2]

لا سِرْتِ مِن إبِلٍ لوَ انّي فَوْقَها لمَحَتْ حرارَةُ مَدمَعيّ سِماتِها[3]

وحمَلتُ ما حُمّلتِ من هذي المَها وحَملتِ ما حُمّلتُ من حسراتِها[4]

إنّي على شَغَفي بِما في خُمرِها لأعِفُّ عَمّا في سَرابيلاتِها[5]

وتَرَى المُرُوّةَ والفُتُوّةَ والأبُوّ ةَ فيّ كُلُّ مَليحَةٍ ضَرّاتِها[6]

هُنّ الثّلاثُ المانِعاتي لَذّتي في خَلْوَتي لا الخَوْفُ من تَبِعاتِها[7]

---

١ يستاق بمعنى يسوق . والعيس الإبل . والزفرة إخراج النفس بعد مده . يقول : كانت الإبل تسمع أنيني خلفها فتسرع في سيرها لأنها تتوهم زفراتي أصوات الحداة تحثها على الإسراع .

٢ العرب تشبه الإبل تحت الأحمال بالشجر . يقول : كانت إبلهم كالشجر ولكنه جنى من ثمراتها الموت لأنها كانت واسطة لفراق أحبته . وروى ابن جني بلوت المر من ثمراتها . ومعنى بلوت اختبرت وذقت أي ذقت منها ثمراً مراً .

٣ لا سرت دعاء . وإبل تمييز والجار قبلها زائد . وقوله لمحت من المحو واللام داخلة في جواب لو . والمدامع مجرى الدمع من العين يطلق على الدمع مجازاً . والسمات جمع سمة وهي أثر الكي على الجلد . يقول : لو كنت من ركاب هذه الإبل لكانت حرارة دمعي تمحو ما بها من أثر الوسم .

٤ المها بقر الوحش تشبه بها النساء الحسان . والبيت دعاء أيضاً يدعو لنفسه أن يكون حاملا ما حملته هذه الإبل من الحبائب ويدعو على الإبل أن تحمل ما حمله من حسرات فراقهن .

٥ على بمعنى مع . والشغف بلوغ الحب شغاف القلب وهو غشاؤه . والخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها . والسرابيلات جمع سرابيل جمع سربال وهو القميص . والمعنى أنه يهوى وجوههن ويعف عن أبدانهن .

٦ فاعل ترى كل مليحة . والمروة وما عطف عليها في موضع المفعول الأول لترى . وضراتها مفعول ثان . والفتوة بمعنى السخاء والكرم . والأبوة يريد بها الأنفة وعزة النفس . يعني أن هذه الخصال تكفه عن الخلوة بالمرأة فكأنها عنده ضرائر لها .

٧ الخوف معطوف على هن في أول البيت . وتبعاتها عواقبها والضمير للذة . أي أن المروءة وما يليها

ومَطالِبٍ فيها الهَلاكُ أتَيْتُها ثَبْتَ الجَنانِ كأنّني لم آتِها[1]

ومَقانِبٍ بمَقانِبٍ غادَرْتُها أقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ من أقواتِها[2]

أقبَلْتُها غُرَرَ الجِيادِ كأنّما أيْدي بَني عِمرانَ في جَبَهاتِها[3]

ألثّابِتينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِها في ظَهْرِها والطّعنُ في لَبّاتِها[4]

ألعارِفينَ بها كَما عَرَفَتْهُمُ والرّاكِبينَ جُدودُهُمْ أمّاتِها[5]

هي التي تمنعه اللذة عند الخلوة لا خوفه من عواقبها . والمعنى أنه لو لم يكن للذة عواقب يخشاها لاجتنبها بما في طبعه من هذه الخصال .

١ الواو واو رب . وفيها الهلاك مبتدأ وخبر والجملة نعت مطالب . وأتيتها خبر . وثبت بمعنى ثابت . والجنان القلب . يصف نفسه بقوة القلب وعدم المبالاة بالأخطار . يقول : رب مطالب هذه صفتها أتيتها وقلبي لم يتغير عن شجاعته كأني لم آتها ولم أرَ أهوالها .

٢ المقانب جمع مقنب ، بالكسر ، وهو الطائفة من الخيل تجتمع للغارة . وغادرتها تركتها . وأقوات مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثله من أصحابي فتركته قوتاً للوحوش التي كانت قوتاً له .

٣ أقبلته الشيء أي جعلته يلي قبالته والضمير للمقانب الأولى . والغرر جمع غرة وهي البياض الذي في وجه الفرس . وكأنما إلى آخر البيت حال من الجياد . والأيدي بمعنى النعم . يشبه بياض غرر خيله بنعم الممدوحين ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً .

٤ الفروسة الحذق بركوب الخيل وهي مفعول له . وضمير جلودها للجياد . وفي ظهرها صلة الثابتين . وقوله والطعن الواو للحال . واللبات جمع لبة وهي المنحر . يقول : إنهم من حذقهم بركوب الخيل يثبتون في ظهورها كثبات جلودها عليها حالة كونهم في معمعة الحرب والطعن متواتر في صدورها .

٥ جدودهم فاعل الراكبين على لغة يتعاقبون . وأماتها جمع أم لما لا يعقل وتجمع للعاقل أمهات . قال الواحدي : والذي يذكره الناس في معنى هذا البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها لأنها من نتائجهم تناسلت عندهم فجدود الممدوحين كانت تركب هذه الخيل . وسياق الأبيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين وهو قوله أقبلتها غرر الجياد وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى إلا أن يدعي مدع أنه قاتل على خيل الممدوحين وأنهم يقودون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فوزجة : والذي عندي أنه يصف معرفتهم بالخيل ولا يعرفها إلا من طال مراسه لها والخيل

فكأنّها نُتِجَتْ قِياماً تَحْتَهُمْ وكأنّهُمْ وُلِدوا على صَهَواتِهَا[1]

إنّ الكِرامَ بِلا كِرامٍ مِنْهُمُ مِثْلُ القُلوبِ بلا سُوَيداواتِهَا[2]

تِلْكَ النّفُوسُ الغالِباتُ على العُلى والمَجْدُ يَغْلِبُها على شَهَواتِهَا[3]

سُقِيتْ مَنابِتُها التي سقَتِ الوَرَى بنَدَى أبي أيّوبَ خيرِ نَبَاتِهَا[4]

لَيسَ التّعَجّبُ من مَواهِبِ مالِهِ بَلْ مِنْ سَلامَتِها إلى أوْقاتِهَا[5]

تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه ولم يوضح أيضاً ما وقع به من الإشكال وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم للجنس ففي قوله غرر الجياد أراد جياد نفسه وفيما بعده أراد خيل الممدوحين والجياد تعم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أماتها يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل أي أنهم عريقون في الفروسية طالما ركبوا الخيل فهذه الخيل مما ركب جدودهم أماتها .

١ نتجت أي ولدت . وقياماً حال أي وهي قائمة . والصهوة مقعد الفارس من السرج . يصفهم بطول ألفتهم للخيل وملازمتهم الركوب يقول : كأنها ولدت تحتهم وهي قائمة مستعدة للعدو وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها .

٢ جمع سويداء وهي حبة القلب . يعني أنهم زبدة الكرم ولبابه فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

٣ تلك مبتدأ محذوف الخبر أي لهم تلك النفوس . يقول : إن نفوسهم تغلب الناس على العلى فتحرزها دونهم ولكن المجد يغلب نفوسهم على شهواتها فلا يمكنهم منها خوفاً مما يترتب عليها من الشين .

٤ ضمير منابتها للنفوس . والورى الخلق . والندى الجود والباء متعلقة بسقيت . ويروى بيدي تثنية يد . وأبو أيوب كنية الممدوح . وخير نباتها نعت والضمير للمنابت . أراد بمنابت هذه النفوس آباء الممدوحين وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك المنابت يعني أن نفسه أشرف تلك النفوس. ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض وجعل النبات يسقي المنابت على عكس العادة تفنناً وإغراباً في الصنعة . والمعنى أن آباء الممدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حيي مجدهم بجود هذا الممدوح الذي هو خير أبنائهم .

٥ يقول : لا نتعجب من كثرة مواهبه وإنما نتعجب كيف سلمت من التفريق إلى أوقات بذلها إذ ليس من عادته أن يمسك شيئاً .

عَجَباً لهُ حَفِظَ العِنانَ بأَنْمُلٍ　　ما حِفْظُها الأشياءَ مِنْ عاداتِها[1]

لوْ مرّ يَرْكضُ في سُطورِ كتابةٍ　　أحْصَى بحافِرِ مُهْرِهِ مِيماتِها[2]

يَضَعُ السِّنانَ بحيثُ شاءَ مُجاوِلاً　　حتى مِنَ الآذانِ في أخْراتِها[3]

تَكْبو وراءَكَ يا ابنَ أحمدَ قُرَّحٌ　　لَيْسَتْ قَوائِمُهُنّ مِنْ آلاتِها[4]

رِعَدُ الفَوارِسِ مِنكَ في أبْدانِها　　أجرَى من العَسَلانِ في قَنَواتِها[5]

لا خَلْقَ أسمَحُ منكَ إلاّ عارِفٌ　　بكَ راءَ نَفسَكَ لم يقلْ لكَ هاتِها[6]

غلِتَ الذي حَسَبَ العُشورَ بآيَةٍ　　تَرْتيلُكَ السُّوراتِ مِنْ آياتِها[7]

---

١ العنان سير اللجام . والأنمل رؤوس الأصابع . والبيت في معنى الذي سبقه .

٢ يصفه بالفروسية وأن مهره يطاوعه في جميع حركاته فلا يضع حافره إلا حيث شاء . وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من سائر الحروف .

٣ مجاولا مفاعلا من الجولان . ويروى محاولا ، بالحاء المهملة ، من المحاولة وهي الطلب . والأخرات جمع خرت ، بالضم ، وهو الثقب . يصفه بالحذق في الطعن حتى يضع رمحه في ثقب الأذن إذا شاء .

٤ تكبو أي تسقط . والقرح جمع القارح من الخيل وهو الذي بلغ خمس سنين . والضمير من آلاتها يعود إلى وراء وهي مؤنثة أي ليست قوائمهن من آلات الجري وراءك . ويحتمل أن يعود على القرح أي أنها لا تصلح أن تكون آلات لها في لحاقك. والبيت مثل يريد أنه سبق الناس في المكارم فإذا أرادت كبارهم وفحولهم اللحاق به كبت وراءه لوعورة مسلكه ولم تستطع اللحاق .

٥ الرعد جمع رعدة وهي الاضطراب . وأجرى تفضيل . والعسلان الاهتزاز . والقنوات جمع قناة الرمح والضمير للفوارس . يقول : قد اشتد خوفك في قلوب الفرسان حتى إن الاضطراب في أبدانهم أسرع جرياً من الاهتزاز في رماحهم .

٦ بك صلة عارف . وراء لغة في رأى . يقول : ليس أحد أسمح منك إلا من عرف بك وما أنت عليه من السخاء ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك . يعني أنه لو سأله إياها لم يتهالك عن بذلها فكان تركها له جوداً عليه بها .

٧ غلت بمعنى غلط يقال في الحساب خاصة . والعشور في اصطلاح القراء جمع عشر ، بالفتح ،

كَرَمٌ تَبَيَّنَ في كَلامِكَ مَاثِلاً   ويَبِينُ عِتْقُ الخَيْلِ في أصواتِهَا[1]

أعْيَا زَوالُكَ عَنْ مَحَلٍّ نِلْتَهُ   لا تَخْرُجُ الأقمارُ عن هالاتِهَا[2]

لا نَعذُلُ المَرَضَ الذي بكَ شائِقٌ   أنتَ الرِّجالَ وشائِقٌ عِلاَّتِهَا[3]

فإذا نَوَتْ سَفَراً إليْكَ سَبَقْنَهَا   فأضَفْتَ قَبلَ مُضافِهَا حالاتِهَا[4]

ومَنازِلُ الحُمّى الجُسومُ فقُلْ لنا   ما عُذرُها في تَرْكِها خَيراتِهَا[5]

أعْجَبْتَها شَرَفاً فَطالَ وُقُوفُها   لِتأمُّلِ الأعضاءِ لا لأذاتِهَا[6]

لطائفة معينة من القرآن تقرأ بمرة . وقوله بآية صلة غلت . والترتيل التبيين في القراءة وهو مبتدأ خبره من آياتها والجملة استئناف . يقول : الذي عد آيات القرآن قد غلط بآية لم يعدها وهي ترتيلك للسور فإنه معجزة في الإحكام ينبغي أن تلحق بتلك السور فتزيد آية .

١ الكرم صفة جامعة لطيب الفطرة ومحامد الأخلاق وهو مبتدأ خبره محذوف أي لك كرم . وماثلا أي ظاهراً . والعتق الكرم . يقول : من سمع كلامك عرف منه كرم فطرتك وأخلاقك كما يعرف الفرس العتيق من صهيله .

٢ أعيا الأمر أعجز طالبه . وزوالك براحك . يقول : قد بلغت مكاناً من الشرف لا تفارقه فأنت فيه كالقمر في علو المنزلة وهو لك كالهالة والقمر لا يخرج عن هالته . وإنما جمع القمر باعتبار ظهوره في كل شهر فكأن لكل شهر قمراً .

٣ العذل الملام . وبك صلة الذي . وشائق خبر مقدم عن ضمير الخطاب والجملة استئناف . والرجال مفعول شائق . يقول : المرض الذي بك لا يلام فإنك قد شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاتها أيضاً فهي تزورك مثلهم .

٤ ضمير نوت للرجال . ومضافها مصدر ميمي بمعنى إضافتها . يقول : إذا نوت الرجال قصدك سبقتها عللها إليك من شوقها فأضفت حالات الرجال يعني عللهم المذكورة قبل أن تضيفهم لوصولها إليك قبلهم . والمراد بهذه العلل ما بهم من مرض الشوق المذكور في البيت السابق .

٥ خيراتها جمع خيرة مؤنث خير بمعنى أفضل . والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل في الجسوم فإذا تركت جسمك الذي هو أفضل أجسام الناس ونزلت فيما هو دونه فما عذرها في ذلك .

٦ شرفاً تمييز . يقول : أعجبت الحمى بما رأت فيك من خصال الشرف والكرم فأطالت لبثها

وبَذَلْتَ ما عَشِقَتْهُ نَفسُكَ كلَّه	حتى بذَلْتَ لهَذِهِ صِحّاتِها[1]
حقٌّ الكواكبِ أن تعودَكَ من عَلٍ	وتَعُودَكَ الآسادُ مِنْ غاباتِها[2]
والجِنُّ من سُتُرَاتِها والوَحشُ من	فَلَواتِها والطَّيرُ منْ وُكُناتِها[3]
ذُكِرَ الأنامُ لَنا فكانَ قَصيدَةً	كُنتَ البَديعَ الفَرْدَ مِنْ أبياتِها[4]
في النّاسِ أمثِلَةٌ تَدورُ حَياتُها	كَمَاتِها ومَماتُها كَحَيَاتِها[5]
فاليَوْمَ صِرْتُ إلى الذي لوْ أنّهُ	مَلَكَ البَرِيّةَ لاستَقَلّ هِباتِها[6]
مُستَرْخَصٌ نَظَرٌ إلَيهِ بما بهِ	نَظَرَتْ وعَثْرَةُ رِجْلِهِ بدِياتِها[7]

في جسمك لتتألم أعضاءك المشتملة على تلك الخصال لا لتؤذيها . والأذاة مصدر أذي مثل الأنفة من أنف فيكون من إضافة المصدر إلى فاعله أي لتتألم الأعضاء لا لتتأذى بها الأعضاء .

١ الإشارة بهذه إلى الحمى . وضمير صحاتها للنفس . أي أنك بذلت كل شيء تحبه حتى بذلت صحتك للحمى وهي غاية الغايات في الجود .

٢ عاده زاره وهو خاص بزيارة المريض . وعل بمعنى فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك لأنك مماثل لها في العلو وكذلك الآساد لأنك مماثل لها في الشجاعة .

٣ الجن عطف على الآساد. ووكنة الطير عشه . أي أن هذه المذكورات كلها تتألم لعلتك لعموم نفعك فكان حقها لو استطاعت أن تأتي لزيارتك .

٤ الأنام الخلق . والبديع صفة لمحذوف أي البيت البديع وهو المبتكر . يقول : قد انفردت عن سائر الناس بحسن المآثر ومحامد الخصال فكنت منهم بمنزلة البيت المبتكر من القصيدة .

٥ أمثلة جمع مثال بمعنى صورة . وتدور صفة أمثلة . وحياتها مبتدأ خبره كماتها . وكذا ما يلي . أي هم صور ناس لا ناس في الحقيقة تدور بين الوجود والعدم وحياتها كماتها في عدم انتفاع الناس بها ومماتها كحياتها في عدم المبالاة به .

٦ أي لو كانت الخليقة ملكاً له وفرقها هبات لوجدها قليلة بالنسبة إلى كرمه . ويروى وهب البرية أي جعلها هبات أو عمها بالهبات .

٧ مسترخص خبر مقدم عن نظر . وبما نعت نظر والباء للمقابلة . وبه صلة نظرت . والديات جمع

ما المجد إلا السيف والفتكة البكر

يمدح علي بن أحمد بن عامر الانطاكي :

أُطاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوارِسِها الدَّهْرُ ... وَحيداً وما قَوْلي كذا ومَعي الصَّبْرُ[1]

وأشْجَعُ مني كلَّ يومٍ سَلامَتي ... وما ثَبَتَتْ إلاّ وفي نَفْسِها أمْرُ[2]

تَمَرَّسْتُ بالآفاتِ حتى تركْتُها ... تَقولُ أماتَ المَوْتُ أم ذُعِرَ الذُّعْرُ[3]

وأقْدَمْتُ إقْدامَ الأتيِّ كأنَّ لي ... سوَى مُهجَتي أو كان لي عندها وِتْرُ[4]

ذَرِ النّفْسَ تأخذْ وُسعَها قبلَ بَينِها ... فمُفْتَرِقٌ جاران دارُهُما العُمْرُ[5]

دية وهي ثمن الدم . أي لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التي تنظر بها وفدت عثرة رجله بمثل أثمان دمائها لكان ذلك رخيصاً .

١ ما قولي استفهام . وكذا مفعول قولي . أراد بالخيل حوادث الدهر يقول : أقاتل فرساناً بعضهم الدهر وأنا وحيد لا ناصر لي. ثم رجع فقال: لست بوحيد فإن الصبر يقاتل معي أي ينجدني على نوائب الدهر فلا تغلبني .

٢ يقول : إن كل يوم تحت خطر الهلكة ولكني مع ذلك سلمت منها فكانت سلامتي أشجع مني في ثباتها إذ لولا ثباتها لم أثبت أنا . ثم يقول : وما بقيت لي هذه السلامة إلا لأمر عظيم ستجريه الأقدار على يدي . وفي البيت مجاز لا يخفى .

٣ تمرس به تحكك . والذعر الخوف. يقول : تحككت بالآفات في الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتي وثباتي بينها وقالت هل مات الموت أم خافت المخاوف فإن هذا الرجل لم يصب بعطب ولا جبن عن الإقدام .

٤ الأتي السيل يأتي من موضع بعيد . والوتر الثأر . يقول : أقدمت على الأهوال إقدام السيل الذي لا يرده شيء حتى كأن لي نفساً أخرى أعتاضها إذا هلكت نفسي أو كان لي عند نفسي ثأراً فأنا أطلب إهلاكها .

٥ ذر بمعنى دع . والوسع الجدة والطاقة . ومفترق مبتدأ سد المرفوع بعده مسد الخبر جرى فيه على

ولا تَحْسَبَنَّ المَجْدَ زِقّاً وقَيْنَةً فما المَجدُ إلاّ السَّيفُ والفتكةُ البِكرُ[1]

وتَضريبُ أعناقِ المُلوكِ وأن تُرَى لكَ الهَبَواتُ السُّودُ والعسكرُ المَجْرُ[2]

وتَرْكُكَ في الدُّنْيا دَوِيّاً كأنَّما تَداوَلَ سَمْعَ المَرْءِ أنْمُلُهُ العَشْرُ[3]

إذا الفضْلُ لم يَرْفَعكَ عن شكرِ ناقصٍ على هِبَةٍ فالفَضْلُ فيمَن له الشُّكْرُ[4]

ومَنْ يُنفِقِ السّاعاتِ في جمعِ مالِهِ مَخافَةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ[5]

عَلَيّ لأهْلِ الجَوْرِ كُلُّ طِمِرَّةٍ عَلَيْها غُلامٌ مِلْءُ حَيزُومِهِ غِمرُ[6]

يُديرُ بأطْرافِ الرِّماحِ عَلَيْهِمِ كُؤوسَ المَنايا حيثُ لا تُشتهَى الخمرُ[7]

مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف يريد بالجارين الروح والبدن يجتمعان مدة العمر فإذا فرغ افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما يمكنها أخذه من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد .

١ الزق السقاء يجعل فيه الخمر . والقينة الجارية . والفتكة المرة من الفتك وهو البطش والاغتيال . والبكر التي لم يسبق إليها أحد . يقول : لا تحسب المجد الاشتغال بشرب الخمر ومغازلة النساء فإن المجد لا يكتسب إلا بضرب السيف وإتيان أفعال من الفتك لم يسمع بمثلها .

٢ الهبوات الغبرات . والمجر الكثير .

٣ الدوي صوت الريح ونحوه. والأنمل رؤوس الأصابع. أي وأن تكثر في الدنيا الوقائع والغارات حتى يسمع فيها دوي من صلصلة السلاح وجلبة المقاتلين كما يسمع المرء إذا سد أذنيه بأنامله .

٤ يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها فالفضل حينئذ له لا لك لأنه قد استوجب شكرك فصار له عليك فضل المشكور على الشاكر .

٥ الفقر خبر الذي والعائد محذوف أي فالذي فعله . يقول : من أفنى عمره في جمع المال ولم ينفقه خوفاً من الفقر فصنيعه هو الفقر لأن عيشه وعيش الفقير سيان .

٦ الجور الظلم . والطمرة الفرس الوثابة . والحيزوم الصدر . والغمر الحقد . يقول : قد حق لهم علي أن أقود إليهم جيشاً فيه كل فرس نشيطة وفارس شديد قد امتلأ من الحنق عليهم فلا تأخذه بهم رأفة .

٧ ضمير يدير للغلام . يقول : إنه يدير عليهم كؤوس الموت حيث لا يشتهي أحد الخمر ولا تخطر بباله لشدة ما هم فيه من أهوال القتال .

وكم من جِبالٍ جُبتُ تَشهَدُ أنّني الـ ... جِبالُ وبَحْرٍ شاهِدٍ أنّني البَحْرُ[1]

وخَرْقٍ مكانُ العِيسِ منهُ مكانُنَا ... من العِيسِ فيهِ واسطُ الكورِ والظّهرُ[2]

يَخِدْنَ بنَا في جَوْزِهِ وكأنّنَا ... على كُرَةٍ أوْ أرْضُهُ مَعنا سَفْرُ[3]

ويَوْمٍ وَصَلْناهُ بلَيْلٍ كأنّمَا ... على أُفْقِهِ من بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ[4]

ولَيْلٍ وصَلْناهُ بيَوْمٍ كأنّمَا ... على مَتْنِهِ من دَجْنِهِ حُلَلٌ خُضْرُ[5]

وغَيْثٍ ظَنَنّا تَحْتَهُ أنّ عامِراً ... عَلا لم يَمُتْ أو في السّحابِ لهُ قَبرُ[6]

أوِ ابنَ ابنِهِ الباقي عَلِيَّ بنَ أحْمَدٍ ... يَجُودُ بهِ لوْ لم أجُزْ ويدي صِفْرُ[7]

---

١ جبت أي قطعت . يريد أن الجبال تشهد له بالثبات والبحار تشهد له بسعة الصدر .

٢ الخرق الفلاة الواسعة وهو معطوف على جبال . ومكان العيس مبتدأ خبره مكاننا . والعيس الإبل . والضمير من قوله منه وفيه للخرق . وواسط الكور أي مقدم الرحل وهو بيان لمكاننا . أي كما أننا كنا على ظهور إبلنا لا ننتقل عنها كانت إبلنا كأنها لا تنتقل عن ظهر هذه الفلاة لطول مسافتها فهي لا تزال متوسطة لها كما لا نزال نحن متوسطين ظهورها .

٣ يخدن أي يسرعن . وجوزه وسطه والضمير للخرق . وسفر أي مسافرة . يقول : كانت إبلنا تسرع في وسط هذه الفلاة ولا تبلغ آخرها فكأننا نسير على كرة لا يبلغ لها طرف أو كأن الأرض مسافرة معنا فلا نجتازها .

٤ يوم معطوف على ما سبق . والأفق الناحية من السماء . وقوله كأنما إلى آخر البيت نعت ليل .

٥ المتن الظهر . والدجن إلباس الغيم السماء . وقوله حلل خضر أي سود والعرب ترادف بين الأخضر والأسود فتطلق كلا منهما على الآخر .

٦ الغيث المطر . وتحته حال من ضمير المتكلمين . وعامر جد الممدوح . يقول : كأنه ارتفع إلى السحاب ولم يمت فهذا الغيث من جوده أو دفن في السحاب فأعداه بسخائه .

٧ ابن عطف على عامراً . والباقي نعت ابن سكنه ضرورة أو على لغة . وصفر بتثليث الصاد أي فارغة يستعمل للمذكر والمؤنث . يقول : أو كأن ابن ابنه يعني الممدوح هو الذي يجود بذلك الغيث لو لم أعبر عنه ويدي فارغة لأن عادته أن يملأ يدي بالعطايا .

وإنَّ سَحاباً جَوْدُهُ مِثْلُ جُودِهِ سَحابٌ على كلِّ السَّحابِ له فَخرُ[1]

فَتًى لا يضُمُّ القلبُ هِمّاتِ قَلبِهِ ولَوْ ضَمّها قَلْبٌ لمَا ضَمّهُ صَدرُ[2]

ولا يَنْفَعُ الإمكانُ لَوْلا سَخاؤهُ وهل نافعٌ لوْلا الأكفُّ القنا السُّمْرُ[3]

قِرانٌ تَلاقَى الصَّلْتُ فيهِ وعامِرٌ كمَا يَتَلاقَى الهِنْدُوَانيُّ والنّصرُ[4]

فَجاءَ بهِ صَلْتَ الجَبينِ مُعَظَّماً ترَى النّاسَ قُلاًّ حَوْلَهُ وهُمُ كُثْرُ[5]

مُفَدًّى بآباءِ الرّجالِ سَمَيْذَعاً هُوَ الكَرَمُ المَدُّ الذي ما لهُ جَزْرُ[6]

---

١ الجود ، بالفتح ، المطر . أي أن السحاب الذي يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفتخر على جميع السحب .

٢ يقول : إن ما اجتمع في قلبه من الهمم لا يمكن أن يجتمع في قلب غيره ولو اجتمع في قلب أحد لم يسع ذلك القلب صدر لعظمته . قال الواحدي: وهذا مما أجرى فيه المجاز مجرى الحقيقة لأن عظم الهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعاً لسعتها .

٣ يريد بالإمكان اليسر والجدة . والقنا الرماح . يقول : لولا سخاؤه ما انتفع الناس بإمكانه لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذي يصرفه في المنافع كما أن الرماح لا تنفع بدون الأيدي الطاعنة بها.

٤ القران مقارنة الكوكبين استعاره لاجتماع جديه في نسبه . وهو مبتدأ محذوف الخبر أي لنسبه قران ونحو ذلك . والصلت جد الممدوح لأمه . وعامر جده لأبيه . والهندواني السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : تلاقى جداه في هذا القران كما يتلاقى السيف والنصر فإنهما إذا اجتمعا علا شأنهما وبلغا منتهى العزة والشرف .

٥ ضمير جاء للقران ويروى جاءا بضمير التثنية أي جداه المذكوران . وصلت الجبين واضحه وهو حال . والقل والكثر بمعنى القلة والكثرة وهو على حذف مضاف أي تراهم ذوي قل وهم ذوو كثر أي هم حوله كثيرون في العدد ولكنهم في المعنى قليلون بالنسبة إليه لأنك إذا عدلت أحسابهم بحسبه لم تجدهم إلا نفراً قليلا .

٦ مفدى حال أخرى أي يقول له الرجال فديناك بآبائنا . والسميذع الكريم . وقوله الكرم المد أي ذو الكرم ذي المد فحذف المضافين ووصف بالمصدر للمبالغة .

وما زِلْتُ حتى قادَني الشّوْقُ نحوَهُ يُسايرُني في كُلِّ رَكْبٍ لهُ ذِكْرُ[1]

وأستَكْبِرُ الأخبارَ قَبلَ لِقائِـهِ فلَمّا التَقَيْنَا صَغّرَ الخَبَرَ الخُبرُ[2]

إليكَ طَعَنّا في مَدَى كلّ صَفْصَفٍ بكُلّ وَآةٍ ، كلُّ ما لَقِيَتْ نَحرُ[3]

إذا وَرِمَتْ من لَسعَةٍ مَرِحَتْ لهَا كأنّ نَوالاً صَرّ في جِلدِها النِّبرُ[4]

فجِئْناكَ دونَ الشّمسِ والبدرِ في النّوَى ودونَكَ في أحوالِكَ الشّمسُ والبدرُ[5]

كَأنّكَ بَرْدُ الماءِ لا عَيشَ دونَهُ ولوْ كنتَ بَرْدَ الماءِ لم يكُنِ العِشرُ[6]

---

١ خبر زلت يسايرني . والركب جماعة الراكبين . أي ما زلت أسمع ذكره في كل ركب صحبته حتى قادني الشوق إلى زيارته .

٢ استكبر معطوف على يسايرني . والخبر ، بالضم والكسر ، الاختبار . أي ما زلت أستعظم ما يذكر لي من أخباره حتى لقيته فصغرت عندي تلك الأخبار بالنسبة إليه لأني وجدته أعظم مما وصفوا .

٣ المدى الغاية . والصفصف الأرض المستوية والوآة السريعة الشديدة وهو خلف من موصوف أي بكل ناقة هذه صفتها . جعل سيرها طعناً لاختراقها الفلوات وجعل كل أرض قدامها نحراً لأن النحر موضع الطعن لاستقباله الطاعن. والمعنى أن هذه النياق كانت تقطع إليه كل أرض استقبلتها لا تبالي بسهل ولا وعر .

٤ المرح النشاط . والنوال العطاء . والنبر دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعها . أي إذا ورمت هذه الناقة من لسع النبر نشطت في سيرها فكأنه صر في جلدها نوالا . يشبه مكان اللسعة المتورم بالصرة . والبيت في معنى الذي سبقه يريد أنها لم تكن تبالي في قصده بشيء ينالها حتى كأن الشدائد تزيدها مرحاً ونشاطاً .

٥ دون الشمس حال من المخاطب . والنوى البعد . يقول : جئناك وأنت دون الشمس والبدر في البعد أي أنت أقرب إلينا منهما وهما دونك في سائر أحوالك . والمعنى أنه أشرف من الشمس والبدر ولكن الانتفاع به أيسر لقربه وإمكان الوصول إليه .

٦ العشر أن تورد الإبل كل عشرة أيام . يقول: لو كنت برد الماء لأطفأت كل غلة فاستغنت الإبل عن معاودة الشرب . وخص العشر لأنه أطول الأظماء فتكون الإبل إذ ذاك في حدة عطشها .

دَعاني إليكَ العِلمُ والحِلمُ والحِجَى ... وهذا الكلامُ النَّظمُ والنّائلُ النَّثْرُ[1]

وما قُلْتُ من شِعرٍ تكادُ بُيُوتُهُ ... إذا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ من نورِها الحِبرُ[2]

كأنّ المَعاني في فَصاحَةِ لَفْظِهَا ... نُجُومُ الثّرَيّا أو خلائقُكَ الزُّهرُ[3]

وجَنّبَني قُرْبَ السّلاطِينِ مَقْتُهَا ... وما يَقْتَضِيني مِن جَماجِمِها النَّسرُ[4]

وإنّي رأيتُ الضُّرّ أحسَنَ مَنظراً ... وأهْوَنَ مِنْ مَرْأى صَغيرٍ بهِ كِبْرُ[5]

لِساني وعَيْني والفُؤادُ وهِمّتي ... أوُدُّ اللّواتي ذا اسمُها منكَ والشَّطرُ[6]

---

١ الحجى العقل . والنائل العطاء . والنثر والنظم بيان لما قبلهما أو نعت على تأويلهما بالوصف . أي دعاني إلى زيارتك ما عندك من هذه الفضائل وما لك من الشعر المنظوم والعطايا المنثورة . كذا فسر الشراح هذا البيت ولعل الأقرب أن مراده بالنظم شعر نفسه بدليل الإشارة أي وما أعددته للقائك من هذا المدح وما عندك من العطايا التي تنثرها على القصاد . ويؤيد هذا المعنى إحدى الروايتين في البيت التالي .

٢ يروى قلت ، بفتح التاء وضمها ، فمن روى بالفتح فهو وصف للممدوح بالشعر حتى يكاد يبيض الحبر من نور معانيه . ومن روى بالضم فالمعنى ما قلته فيك من الشعر الذي يكاد يبيض حبره بنور ما تضمنه من فضائلك وذكر محاسن صفاتك .

٣ الخلائق الأخلاق . والزهر جمع أزهر وهو المضيء المشرق . شبه المعاني في انتساقها وحسن لفظها بنجوم الثريا وفي بهجتها وإشراقها بأخلاق الممدوح .

٤ يقتضيني أي يطالبني . يقول : نحاني عن زيارة السلاطين ما عندي من شدة الكراهة لهم وما في نفسي من قتلهم وإطعام لحومهم للنسور فإنها تطالبني بجماجمهم التي عودتها أكلها .

٥ الضر ، بالضم ، الفقر وسوء الحال . يقول : احتمال الضر والفاقة أهون عندي من أن أرى صغيراً متكبراً . ويروى من لقيا .

٦ أود جمع ود ، بتثليث الواو ، بمعنى ودود . وقوله اللواتي ذا اسمها منك أي الأشياء التي تسمى منك بهذه الأسماء أي باسم اللسان وما يليه في صدر البيت . يعني أن هذه المذكورات مني تود أمثالها منك . والمراد بالشطر شطر الجسم لانقسامه إلى نصفين متقابلين . وهو معطوف على لساني وأل فيه نائبة عن ضمير المتكلم مثلها في الفؤاد . وتحرير البيت كأنه يقول : لساني يود لسانك وعيني

وما أنا وَحدي قلتُ ذا الشّعرَ كُلّهُ ولكنْ لشعري فيكَ من نَفسه شعرُ[1]

وما ذا الذي فيهِ منَ الحُسنِ رَوْنَقاً ولكنْ بَدا في وجهِهِ نحوَكَ البِشْرُ[2]

وإنّي ولوْ نِلْتَ السّماءَ لَعالِمٌ بأنّكَ ما نِلتَ الذي يوجبُ القَدْرُ[3]

أزالَتْ بكَ الأيّامُ عَتْبي كأنّمَا بَنُوها لهَا ذَنْبٌ وأنتَ لهَا عُذْرُ[4]

تود عينك وهلم جراً ثم قال: وكل شطر مني يود شطراً منك يعني كلي يود كلك. وقد أكثر الشراح في هذا البيت بما لا فائدة من نقله ولعل ما ذكرناه أقرب ما يقال فيه . قال الواحدي: والغرض في هذا البيت التعمية فقط وإلا فما الفائدة منه مع ما فيه من الاضطراب .

١ يقول : لم أنفرد فيما نظمته فيك من الشعر ولكن شعري كان يساعدني في النظم يريد كان يطاوعني في مدحك حتى كأنه كان ينظم معي .

٢ ما نافية. وذا إشارة . ورونق السيف والوجه وغيرهما ماؤه ونضرته . والبشر طلاقة الوجه وتهلله . يقول : ما يرى في شعري من الحسن والرونق ليس رونقاً ذاتياً له ولكنه تهلل سروراً بلقائك فاكتسب الرونق من ذلك .

٣ أي الذي يستحقه قدرك .

٤ يقول: لما أسعدتني الأيام بلقائك أزالت عتبي عليها لأني رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها فكأنهم كانوا ذنباً لها فجعلتك عذراً عن ذلك الذنب .

فتى ترمي الحروب به الحروب

يمدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه وكان له وكيل يتعرض للشعر فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده، فتلقاه وأجلسه في مجلسه ثم كتب إلى علي يقول :

ضُرُوبُ النّاسِ عُشّاقٌ ضُرُوبَا　　فأعذَرُهُمْ أشَفُّهُمُ حَبِيبَا[1]

وما سَكَني سِوَى قَتْلِ الأعادي　　فهَلْ من زَوْرَةٍ تَشفي القُلُوبَا[2]

تَظَلّ الطّيرُ منها في حَديثٍ　　تَرُدّ بهِ الصّراصِرَ والنّعيبَا[3]

وقد لَبِسَتْ دِماءَهُمُ عَلَيْهِمْ　　حِداداً لم تَشُقّ لَهُ جُيُوبَا[4]

---

١ الضرب الصنف . وأشفهم بمعنى أفضلهم . وحبيباً تمييز. أي كل صنف من الناس يعشق صنفاً مما يحب فأحقهم بالعذر من كان محبوبه أفضل .

٢ السكن ما تحبه وتسكن نفسك إليه . يقول : الذي أحبه أنا هو قتل أعدائي فهل أظفر بزورة لهذا المحبوب أي هل أمكن من ذلك فأشتفي به كما يشتفي المحب بزيارة الحبيب .

٣ ضمير منها للزيارة . وترد بمعنى تردد . والصراصر جمع صرصرة وهي صوت البازي ونحوه . والنعيب صوت الغراب . جعل أصوات الطيور على جثث القتلى بمنزلة حديث يتحدثن به يقول : هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتلى وتجتمع الطيور من فوقها .

٤ ضمير لبست للطير . وعليهم صلة حداداً . والجيوب جمع جيب وهو منفتح القميص على النحر . يقول : تغوص الطير في دمائهم فتتلطخ بها وتجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد عليهم ولكنها لا تشق جيوبها كما تفعل ربات الحداد لأنها لكثرة الدم تتلطخ به بجملتها فيتصل السواد على جسمها برمته .

أدَمْنا طَعْنَهُمْ والقَتْلَ حتى خَلَطْنا في عِظامِهِمِ الكُعُوبَا[1]

كأنّ خيُولَنا كانتْ قَديماً تُسقّى في قُحُوفِهِمِ الحَليبَا[2]

فَمَرّتْ غيرَ نافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدوسُ بنا الجَماجِمَ والتّرِيبَا[3]

يُقَدّمُها وقد خُضِبَتْ شَواهَا فَتًى تَرْمي الحُرُوبُ به الحُرُوبَا[4]

شَديدُ الخُنْزُوانَةِ لا يُبَالي أصابَ إذا تَنَمّرَ أمْ أُصِيبَا[5]

أعَزْمي طالَ هذا اللّيلُ فانْظُرْ أمِنْكَ الصّبْحُ يَفْرَقُ أنْ يَؤوبَا[6]

كأنّ الفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزارٌ يُراعي مِنْ دُجُنّتِهِ رَقيبَا[7]

---

١ جمع كعب وهو ما بين الأنبوبتين من القناة . أي لم نزل نطعنهم حتّى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلطت بعظامهم .

٢ القحوف جمع قحف ، بالكسر ، وهو العظم الذي فوق الدماغ . وتمام الكلام في البيت التالي .

٣ التريب عظم الصدر . يقول : كأن خيلنا كانت في صغرها تسقى اللبن في أقحاف رؤوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ولا تنفر منهم .

٤ الشوى الأطراف . ويروى خضبت بالمعلوم والضمير للخيل . يقول : هذه الخيل يقدمها إلى الحرب فتى قد طال قراعه للحروب يعني نفسه فكلما فرغ من حرب قذفته إلى حرب أخرى .

٥ الخنزوانة الكبر . وتنمر أي صار كالنمر غضباً . وقوله أصاب أي أأصاب بهمزة التسوية فحذفها لضيق المقام . أي إذا غضب على أعدائه وقاتلهم لا يبالي أقتلهم أم قتلوه .

٦ الهمزة للنداء . ويفرق يخاف . ويؤوب يعود. يخاطب عزمه يقول : هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من البطش فتأخر مخافة أن يصاب في جملة أعدائي .

٧ الحب ، بالكسر ، الحبيب . واستزاره سأل زيارته . ويراعي يراقب وينتظر . والدجنة الظلمة والضمير لليل . يشبه الفجر بمحبوب قد سئل زيارة محبه والليل رقيب عليه فهو ينتظر براحه حتى يزور . علق طلوع الفجر على زوال الليل مبالغة في استبطائه لأن الليل لا يزول حتّى يطلع الفجر وعليه لا يطلع الفجر أبداً .

كأنَّ نُجُومَهُ حَلْيٌ عَلَيْهِ وقد حُذِيَتْ قَوائِمُهُ الجَبُوبَا[1]

كأنَّ الجَوَّ قاسَى ما أُقاسِي فصارَ سَوادُهُ فيهِ شُحُوبَا[2]

كأنَّ دُجاهُ يَجْذِبُها سُهادي فلَيسَ تَغيبُ إلاّ أنْ يَغيبَا[3]

أُقَلّبُ فيهِ أجْفاني كأنّي أعُدّ بهِ على الدّهرِ الذّنُوبَا[4]

وما لَيْلٌ بأطْوَلَ مِنْ نَهارٍ يَظَلّ بلَحظِ حُسّادي مَشُوبَا[5]

وما مَوْتٌ بأبْغَضَ مِنْ حَياةٍ أرَى لَهُمُ مَعي فيها نَصيبَا[6]

عَرَفْتُ نَوائِبَ الحَدَثانِ حتّى لَوِ انْتَسَبَتْ لكُنْتُ لهَا نَقيبَا[7]

ولمّا قَلّتِ الإبلُ امْتَطَيْنَا إلى ابنِ أبي سُلَيْمانَ الخُطُوبَا[8]

---

١ الجبوب وجه الأرض . وحذيته أي جعل حذاء لها . يقول : كأن النجوم حلي قد علقت على الليل فلا تفارقه وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشي لثقلها .

٢ الضمير من سواده لليل . ومن فيه للجو . والشحوب تغير اللون من هزال ونحوه . يقول : كأن الجو قاسى ما أقاسيه من الهم والسهر فصار سواد الليل شحوباً في وجهه .

٣ الدجى جمع دجية وهي الظلمة . والسهاد السهر . أي أن سهره يطول والليل يطول معه فكأن سهره يجذب ظلمة الليل فهي لا تنقضي إلا بانقضائه .

٤ أي أقلب أجفاني في ذلك الليل وأنا أرعى نجومه كأني أعد بها ذنوب الدهر التي هي مثلها في العدد .

٥ لحظ حسادي من إضافة المصدر إلى مفعوله . وشابه خالطه . يقول : ليس ليلي وإن طال بأطول من نهار لا يزال يخالط ساعاتي فيه النظر إلى حسادي .

٦ أي إذا كان لحسادي نصيب معي في الحياة فليس الموت بأبغض إلي من تلك الحياة . يعني أنه لا تطيب له الحياة حتى يقتل أعداءه .

٧ النوائب النوازل . والحدثان صرف الدهر . والنقيب الخبير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ما أصابني من نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها نسب لكنت أنا نقيبها .

٨ امتطى الدابة ركبها . والخطوب الأمور الشديدة . أي لما عزت الإبل عليه لفقره وقلة ذات يده حملته الخطوب على قصد هذا الممدوح فكانت له بمنزلة مطية يركبها .

مَطايا لا تَذِلّ لِمَنْ عَلَيْهَا ولا يَبْغي لهَا أحَدٌ رُكُوبَا

وتَرْتَعُ دونَ نَبْتِ الأرْضِ فينا فَما فارَقْتُها إلاّ جَديبَا[1]

إلى ذي شيمَةٍ شَغَفَتْ فُؤادي فلَوْلاهُ لقُلْتُ بها النّسيبَا[2]

تُنازِعُني هَواها كلُّ نَفْسٍ وإنْ لم تُشْبِهِ الرّشَأ الرّبِيبَا[3]

عَجيبٌ في الزّمانِ وما عَجيبٌ أتَى مِنْ آلِ سَيّارٍ عَجيبَا[4]

وشَيْخٌ في الشّبابِ ولَيسَ شَيخاً يُسَمّى كلُّ مَن بَلَغَ المَشيبَا[5]

قَسَا فالأُسْدُ تَفزَعُ مِن يَدَيْهِ ورَقّ فنَحنُ نَفزَعُ أن يَذوبَا[6]

---

١ رتعت الدابة رعت في خصب وسعة . وجديباً حال من المتكلم . يقول : إن هذه المطايا يعني الخطوب ترتع فينا دون مراعي الأرض لأنها لا تأكل النبات فما فارقتها عند وصولي إليك إلا وأنا جديب كالأرض التي أكل نباتها فأقفرت .

٢ الشيمة الخلق . والنسيب التشبيب بالنساء في الشعر . يقول : إن أخلاق الممدوح شغفته بحسنها فلولا مهابته لتغزل بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه .

٣ ضمير هواها للشيمة . والرشأ ولد الغزال إذا تحرك ومشى . والربيب المربى . يقول : كل نفس تهوى شيمته كما أهواها أنا فهي معشوقة لكل أحد وإن لم يكن بينها وبين الرشإ مشابهة فإن فيها من الفحولة والكرم ما تجل به عن تشبيهها بالغزلان التي تشبه بها النساء .

٤ عجيب خبر عن محذوف يعود على الممدوح . وعجيباً خبر ما وهي العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب في الزمان ولكن العجيب الذي يأتي من آل سيار ليس عجيباً في جنب ما هو معروف من علو هممهم وتناهيهم في النجابة والكرم .

٥ شيخاً مفعول ثان مقدم ليسمى . وكل يجوز أن يكون اسم ليس أو نائب يسمى على طريق التنازع . يقول : هو في عقل الشيوخ وكمالهم وإن كان في سن الشباب وكم من إنسان بلغ المشيب ولم يستحق أن يسمى شيخاً لنقصه .

٦ ويروى من قواه . يقول : قسا قلبه في الحرب حتى خافت الأسود بطشه ورق طبعه في المحاضرة حتى خفنا أن يذوب من ظرفه ولطافته .

أشَدُّ منَ الرّياحِ الهُوجِ بَطشاً   وأسرَعُ في النّدى منها هُبُوبَا[1]

وقالوا ذاكَ أرْمَى مَنْ رَأيْنَـا   فقُلْتُ رَأيْتُمُ الغَرَضَ القَرِيبَا[2]

وهَلْ يُخْطي بأسْهُمِهِ الرّمَايَا   وما يُخْطي بما ظَنّ الغُيُوبَا[3]

إذا نُكِبَتْ كَنَائِنُهُ استَبَنّا   بأنْصُلِها لأنْصُلِها نُدُوبَا[4]

يُصيبُ بِبَعْضِها أفواقَ بَعضٍ   فلَوْلا الكَسرُ لاتّصَلَتْ قَضِيبَا[5]

بكُلّ مُقَوَّمٍ لم يَعْصِ أمْراً   لَهُ حتى ظَنَنّاهُ لَبِيبَا[6]

---

١ الهوج جمع هوجاء وهي الشديدة العصف . والندى الجود . يقول : هو عند الحرب أشد بطشاً من عواصف الرياح وعند الجود أسرع منها في العطاء .

٢ الغرض الهدف يرمى بالسهام . أي رأيتموه يرمي الهدف القريب فقلتم ذلك فكيف لو رأيتموه يرمي البعيد .

٣ الرمايا جمع رمية وهي اسم لما يرمى بالسهم . والغيوب جمع غيب وهو كل ما غاب عنك . أي هو يرمي المغيبات بظنه فيصيبها لحذقه وثقوب فكرته فكيف لا يصيب الأشباح بسهمه وهي شيء منظور .

٤ الكنانة جعبة السهام. ونكبها قلبها لينثر ما فيها . واستبنا أي رأينا . والندوب جمع ندب وهو في الأصل أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد أراد به مطلق الأثر . يقول : إذا أفرغت سهامه رأينا أثر بعضها في بعض لسرعة رميه ومتابعته إياها عن طريق واحدة حتى يدرك بعضها بعضاً من غير أن يميل عنه . ومراده بالأنصل السهام لا الحديد بخصوصه لأن النصل حينئذ لا يقع على النصل ولو بدل الأنصل بالأسهم لكان أولى .

٥ الأفواق جمع فوق ، بالضم ، وهو موضع الوتر من السهم . وقضيباً حال أي مستوية كالقضيب . يقول : إنه يصيب بنصل التابع منها فوق المتبوع فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لاتصل بعضها ببعض وصارت كالقضيب .

٦ بكل مقوم بدل من قوله ببعضها . والمقوم نعت لمحذوف أي بكل سهم هذه صفته . واللبيب العاقل . أي أن سهمه يتجه كيف شاء فكأنه عاقل يأمره فيطيع .

يُريكَ النَّزْعُ بَينَ القَوْسِ منْهُ وبَيْنَ رَمِيِّهِ الهَدَفِ اللَّهِيبَا[1]

ألَسْتَ ابنَ الأُلى سَعِدوا وسادوا ولم يَلِدوا امرَأً إلاّ نَجِيبَا[2]

ونالُوا ما اشْتَهَوْا بالحَزْمِ هَوْناً وصادَ الوَحشَ نَملُهُمُ دَبِيبَا[3]

وما رِيحُ الرِّياضِ لهَا ولَكِنْ كَسَاها دَفنُهُمْ في التُّرْبِ طِيبَا[4]

أيَا مَنْ عادَ رُوحُ المَجْدِ فيهِ وصارَ زَمانُهُ البالي قَشيبَا[5]

تَيَمَّمَني وكيلُكَ مادِحاً لي وأنْشَدَني مِنَ الشّعرِ الغَرِيبَا[6]

---

١ النزع جذب الوتر للرمي . وضمير منه للسهم . والرمي المرمي فعيل بمعنى مفعول. والهدف بدل . أي إذا نزع في قوسه ورمى السهم رأيت منه ناراً بين القوس والهدف من شدة نزعه وسرعة السهم .

٢ الأُلى بمعنى الذين . والاستفهام في البيت للتقرير أي أنت ابن أولئك .

٣ الحزم أخذ المرء لنفسه بالوثيقة . والهون الرفق والسكينة . وهوناً ودبيباً مصدران وضعا موضع الحال . أي أنهم اتخذوا الحزم والتدبير في إدراك المطالب مكان الجهد والنصب فنالوها على غير مشقة . ثم مثل لهم بالوحش والنمل يريد أنهم أدركوا منع المطالب بأهون المساعي .

٤ يقول : إن ما في الرياض من أرواح الطيب ليس لها في الحقيقة ولكنها اكتسبته من دفن آبائه في التراب .

٥ ضمير زمانه للمجد . والقشيب الجديد . أي أن روح مجد آبائه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور وتجدد زمانه بعد انقضائه .

٦ تيممني قصدني . قال الواحدي: سمعت الشيخ أبا المجد كريم بن الفضل رحمه الله قال سمعت والدي أبا بشر قاضي القضاة يقول : أخبرني أبو الحسين الشامي الملقب بالمشوق قال كنت عند المتنبي فجاءه هذا الشاعر فأنشده هذه الأبيات :

فؤاديَ قد انصدع وضرسيَ قد انقلع

وليالي عقليَ قد انهوى وما رجع

يا حب ظبي غنج كالبدر لما أن طلع

رأيتــه في بيتــه من كوة قد اطلع

فآجَرَكَ الإلَـهُ عـلى عَليلٍ بَعَثْتَ إلى المَسيحِ بهِ طَبيبَا[1]

ولَسْتُ بمُنكِرٍ مِنْكَ الهَدايَا ولَـكِنْ زِدْتَـنِي فيها أديبَا

فلا زالَتْ دِيارُكَ مُشرِقـاتٍ ولا دانَيتَ يا شَمسُ الغُرُوبَا[2]

لأصْبِـحَ آمِناً فيكَ الرّزايـا كمَا أنَا آمِنٌ فيكَ العُيُوبَا[3]

ومن نكد الدنيا على الحرّ

وقال يمدحه :

أقَلُّ فَعَالي بَلْهَ أكْثَرَهُ مَجْدُ وذا الجِدُّ فيهِ نِلْتُ أمْ لم أنَلْ جَدُّ[4]

فقلت ته ته ته وته فقال لي مر يا لكسع

هات قطع ثم قطع ثم قطع ثم قطع

وضع بكفيّ وفي جيبي أدعك إن تضع

فهذا الذي عناه المتنبي بقوله وأنشدني من الشعر الغريبا .

١ آجره الله أثابه وهو أفعل لا فاعل . جعل نفسه كالمسيح وهذا الشاعر كعليل قد جاء ليداوي المسيح الذي كان يشفي المريض ويحيي الميت .

٢ سماه شمساً لشرفه وعموم منفعته . يقول : لا زالت ديارك مشرقة بنورك ولا أشرفت على الغروب كناية عن الموت .

٣ اللام تعليل للدعاء السابق . أي أنا آمن عليك من العيوب فإنها لا تقربك ولكن الذي أخافه عليك أن تنالك الأقدار بمصيبة فأنا أدعو الله أن يقيك منها لأصبح آمناً فيك المحذورين جميعاً .

٤ فعالي ، بالفتح ، مصدر . وبله اسم فعل بمعنى دع . والجد ، بالكسر ، الاجتهاد . وبالفتح ، الحظ . يقول : أقل فعلي مجد فلا تسل عن أكثره أي جميع أفعالي قليلها وكثيرها مصروفة في طلب المجد . وهذا الجد في طلبه يعد حظاً لي سواء نلت مطلوبي منه أم لم أنل لاني لم أطلبه إلا بما أوتيته من علو النفس وشرف الهمة وهما الحظ الذي لا أعدمه في جميع الأحوال .

سأطلبُ حَقّي بالقَنَا ومَشايخٍ كأنّهُمُ من طولِ ما التَثَموا مُرْدُ[1]

ثِقالٍ إذا لاقَوْا خِفافٍ إذا دُعُوا كَثيرٍ إذا اشتَدّوا قَليلٍ إذا عُدّوا[2]

وطَعْنٍ كأنّ الطّعنَ لا طَعنَ عندَهُ وضرْبٍ كأنّ النّارَ من حرّهِ بَرْدُ[3]

إذا شِئتُ حَفّتْ بي على كلّ سابحٍ رِجالٌ كأنّ المَوْتَ في فَمِها شَهْدُ[4]

أذُمّ إلى هذا الزّمانِ أهَيْلَهُ فأعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأحزَمُهُمْ وَغْدُ[5]

وأكرَمُهُمْ كَلْبٌ وأبصرُهُمْ عمٍ وأسهَدُهُمْ فَهدٌ وأشجَعُهم قِرْدُ[6]

ومن نَكَدِ الدّنْيا على الحُرّ أنْ يرَى عَدُوّاً لَهُ ما من صَداقَتِهِ بُدّ[7]

---

١ عادة العرب أن يتلثموا في الحرب لئلا تسقط عمائمهم . يقول : إن هؤلاء المشايخ لا يفارقون الحرب فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحاهم فكأنهم مرد. قال الواحدي: أراد أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره فكنى بالقنا عن نفسه وبالمشايخ عن أصحابه وأراد أنهم محنكون مجربون ولذلك جعلهم مشايخ .

٢ ثقال وما يليه نعت لمشايخ. كنى بثقلهم عن شدة وطأتهم على العدو وبخفتهم عن سرعة إجابتهم للنجدة وبكثرتهم عن قيام الواحد منهم مقام جماعة فهم كثيرون عند البطش وإن كانوا قليلين في العدد .

٣ طعن معطوف على القنا . وعنده حال من اسم كأن والعامل فيها معنى التشبيه . أي وأطلب حقي بطعن شديد كأن سائر الطعن بالنسبة إليه لا شيء وضرب حار كأن حر النار في جنبه برد .

٤ حفت بي أحاطت . والسابح الفرس السريع الجري .

٥ الفدم العيي في ثقل وقلة فهم . والوغد الأحمق الخسيس .

٦ العمي ، بالتخفيف ، الأعمى . وأسهدهم أي أسهرهم وأيقظهم . أي أكرمهم في خسة الكلب وأبصرهم بالأمور أعمى القلب . والفهد مثل في كثرة النوم . والقرد مثل في شدة الخوف حتى قيل إنه لا ينام إلا وفي كفه حجر .

٧ النكد قلة الخير . والمراد بالحر الكريم . أي مع علمه بأنه عدو له لا يجد بداً من إظهار الصداقة له ليأمن شره . ويروى له بعد هذا البيت :

فيا نكد الدنيا متى أنت مقصر عن الحر حتى لا يكون له ضد

بقَلبي وإنْ لم أرْوَ منها مَلالَـةٌ وبي عن غَوانيها وإن وَصَلَتْ صَدّ[1]

خَليلايَ دونَ النّاسِ حزْنٌ وعَبرةٌ على فَقْدِ مَن أحبَبتُ ما لهُما فَقْدُ[2]

تَلَجُّ دُمُوعي بالجُفونِ كأنّما جُفُوني لعَيْنَي كلّ باكيَةٍ خَدّ[3]

وإنّي لتُغْنيني مِنَ الماءِ نُغْبَـةٌ وأصبرُ عَنْهُ مثلَما تَصبرُ الرُّبْدُ[4]

وأمضي كما يَمضي السّنانُ لِطيّتي وأطوَى كما تَطوَى المُجلَّحةُ العُقْدُ[5]

يروح ويغدو كارهاً لوصاله وتضطره الأيام والزمن النكد

وهما ساقطان من كثير من نسخ الديوان .

١ بقلبي خبر مقدم عن ملالة . وضمير منها للدنيا . والغواني جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بجمالها عن الزينة . يقول : قد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظي منها وبي إعراض عن نسائها وإن كنت شاباً يصلنني ولا يعرضن عني وذلك لكثرة ما أرى فيها من الحيف على الكرام وإرغام النفوس الأبية وإدالة ذوي النقص من أرباب الفضل .

٢ دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها . والعبرة الدمع . والجار والمجرور صلة الحزن أو العبرة على التنازع . وجملة ما لهما فقد نعت . جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس لانقطاعه إليهما وملازمتهما له أي فقدت من أحببته فصاحبني لفقده حزن وعبرة لا يفقدان .

٣ لج به الهم وغيره لزمه فلم يبرح. ويروى تلح، بالمهملة،من قولهم ألح السحاب بالمكان إذا أقام به.يقول:إن دموعه لا تزال دائمة السيلان حتى كأن جفونه قد جعلت خدوداً لجميع البواكي فكلما سالت دمعة من عين باكية جرت تلك الدمعة في جفنه فهو لا يخلو من الدمع كما لا تخلو الأرض من باكية . ويجوز أن يكون أراد كثرة ما يجري من جفونه حتى كأنها قد جمعت كل دمع في الدنيا .

٤ النغبة الجرعة . والربد التي في لونها غبرة أراد بها النعام، يقال ظليم أربد ونعامة ربداء وهي مثل في الصبر على العطش .

٥ الطية المكان الذي ينوى القصد إليه . وأطوى أجوع . والمجلحة نعت لمحذوف يريد الذئاب، يقال جلح السبع على القوم إذا حمل عليهم وإنما يفعل ذلك عند شدة الجوع . والعقد جمع أعقد وهو الذي في ذنبه عقدة والتواء . يصف نفسه في هذين البيتين بالجلد والمضاء في أموره وعدم المبالاة بالمشرب والمطعم شأن النفوس الكبيرة التي لا يهمها خصب البدن ونعمته .

وأُكْبِرُ نَفسي عَن جَزاءٍ بغيبَةٍ   وكلُّ اغتيابٍ جُهدُ مَن ما لَهُ جُهدُ[1]

وأَرْحَمُ أقواماً منَ العِيّ والغَبَى   وأعْذِرُ في بُغضِي لأنّهُمُ ضِدُّ[2]

ويَمْنَعُني ممّنْ سوَى ابنِ مُحَمّدٍ   أيادٍ لهُ عندي تَضيقُ بهَا عِنْدُ[3]

تَوالى بلا وَعْدٍ ولَكِنّ قَبْلَهَا   شَمائِلَهُ من غَيرِ وَعْدٍ بها وَعْدُ[4]

سرَى السّيفُ ممّا تَطبعُ الهندُ صاحبي   إلى السّيفِ ممّا يطبَعُ اللهُ لا الهِنْدُ[5]

فلَمّا رآني مُقْبِلاً هَزّ نَفْسَهُ   إليّ حُسامٌ كلُّ صَفْحٍ لهُ حَدُّ[6]

---

١ الغيبة الاسم من الاغتياب وهو الوقوع في عرض الغائب . والجهد الطاقة . يقول : أجل نفسي عن التشفي بغيبة أعدائي فإن ذلك طاقة من لا طاقة له بمواجهة عدوه وشفاء نفسه منه في الحرب وهذا كما قال الآخر : ونشتم بالأفعال لا بالتكلم .

٢ العي العجز في المنطق . والغبى بمعنى الغباوة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل العي والغباوة أخذتني الشفقة عليهم لقلة خلاقهم وإذا أبغضوني عذرتهم لأنهم أضداد لي بسبب ما بيننا من التباين والضد يبغض ضده .

٣ الأيادي النعم . ورفع عند على نقلها إلى العلمية كما قال الآخر : ليت وهل تنفع شيئاً ليت . أي يمنعني من الانصراف إلى غيره ما له عندي من النعم التي يضيق لفظ عند عن أن يجعل ظرفاً لها لكثرتها إذ لا يسعها مفهوم هذا اللفظ .

٤ توالى أي تتوالى والضمير للأيادي . وشمائله أخلاقه وهي اسم لكن وخبرها وعد . وفي البيت تقديم وتأخير وتحرير الكلام ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد . أي أن هذه النعم تتتابع منه ابتداء من غير أن يسبقها وعد ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وما له من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد .

٥ طبع السيف عمله . وصاحبي بدل من السيف . يقول : سريت إليه ومعي السيف يصحبني في طريقي فكان مسرى سيفي إلى سيف آخر يعني الممدوح إلا أن سيفي مما طبعته الهند وهذا السيف مما طبعه الله .

٦ الحسام السيف القاطع وهو فاعل هز أو بدل من ضميره على جعل الفعل للممدوح . وصفح السيف جانبه . وله نعت صفح . أي لما رآني مقبلا عليه هز نفسه للقائي كما يهتز السيف . وقوله كل صفح

فلم أرَ قبلي مَن مَشَى البحرُ نحوَهُ ولا رَجُلاً قامَتْ تُعانِقُهُ الأُسْدُ

كأنّ القِسِيَّ العاصياتِ تُطيعُهُ هَوًى أو بها في غيرِ أنمُلِهِ زُهْدُ[1]

يكادُ يُصيبُ الشيءَ من قبلِ رَمْيِهِ ويُمْكِنُهُ في سَهْمِهِ المُرْسَلِ الرّدُّ[2]

ويُنْفِذُهُ في العَقْدِ وهْوَ مُضَيَّقٌ من الشَّعرةِ السّوداءِ واللّيلُ مُسوَدُّ[3]

بنَفسي الذي لا يُزْدَهَى بخَديعَةٍ وإنْ كَثُرَتْ فيها الذّرائعُ والقَصْدُ[4]

ومَنْ بُعدُهُ فَقْرٌ ومَن قُرْبُهُ غِنًى ومَنْ عِرْضُهُ حُرٌّ ومَن مالُهُ عَبْدُ[5]

ويَصْطَنِعُ المَعْرُوفَ مُبْتَدِئاً بهِ ويَمْنَعُهُ من كلّ مَن ذمُّهُ حَمدُ[6]

له حد أي كل واحد من صفحيه حد ينفذ في الأعداء فهو يقطع من صفحه كما يقطع من حده .

١ الأنمل رؤوس الأصابع . وصف القسي بالعاصيات يريد صلابتها وشدتها على النازع فلا يستطيع جذبها . يقول : كأنها تهواه فتطيعه إذا جذبها أو زاهدة في أنامل غيره فتعصيه .

٢ يمكنه عطف على يصيب . يريد أن الإصابة مقارنة لسهمه لا تتخلف عنه وأنه متى أرسل سهمه لا يتوجه إلا حيث يريد. ثم بالغ فجعل الإصابة تسبق السهم حتى يكاد يصيب الهدف قبل الرمي وانه لو أرسل السهم على أن ينطلق ويرجع في طريقه لأمكن .

٣ ينفذه عطف على يصيب أيضاً والضمير للسهم . والعقد أي العقدة . ومن الشعرة السوداء حال بعد حال من العقد . أي يكاد ينفذ سهمه في العقدة الضيقة من الشعرة السوداء في الليل المظلم .

٤ بنفسي تفدية . وازدهاه استخفه . والذرائع الوسائل. أي أنه لا تدخل عليه خديعة وإن كانت وسائل الخداع كثيرة . وقد أخذ على المتنبي هذا البيت بعد ما ذكره في الأبيات السابقة كأنه يقول لممدوحه: إني وصفتك بما ذكرته ازدهاء لك بالخديعة لأن مثله لا يجوز أن يكون . وليس هذا في شيء من قصد المتنبي إنما أراد أن يصفه بالحذق وثقوب الفطنة وأنه لا يغتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بوسائل المودة وقلوبهم مطوية على البغضة والحسد . إلا أن مجيء هذا الكلام على عقب الكلام السابق أدخل عليه ما ليس منه فهو إنما أتي من سوء الجوار .

٥ أي مبتذل في خدمة المجد وكسب الثناء . وفي ألفاظ البيت طباق لا يخفى .

٦ أي يصنع المعروف ابتداء إلى من يزكو عندهم الإحسان ويحمل منهم الثناء ويمنعه من اللئام الذين إذا ذموا أحداً كان ذمهم حمداً له لإشعاره بأنه لا يشاكلهم .

وَيَحْتَقِرُ الحُسَّادَ عن ذِكْرِهِ لهُمْ   كأنَّهُمُ في الخَلْقِ ما خُلِقوا بَعدُ[1]

وتأمَنُهُ الأعداءُ منْ غيرِ ذِلَّةٍ   ولكن على قَدْرِ الذي يُذْنبُ الحِقدُ[2]

فإنْ يَكُ سيّارُ بنُ مُكرَمٍ انقَضَى   فإنّكَ ماءُ الوَرْدِ إنْ ذهبَ الوَرْدُ[3]

مَضَى وبَنُوهُ وانفَرَدْتَ بفَضْلِهِمْ   وألفٌ إذا ما جُمِّعَتْ واحِدٌ فَرْدُ[4]

لَهُمْ أوْجُهٌ غُرٌّ وأيْدٍ كريمةٌ   ومَعْرِفَةٌ عِدٌّ وألْسِنَةٌ لُدٌّ[5]

وأرْدِيَةٌ خُضْرٌ ومُلْكٌ مُطاعَةٌ   ومَرْكوزَةٌ سُمْرٌ ومُقْرَبَةٌ جُرْدُ[6]

وما عِشْتَ ما ماتُوا ولا أبَواهُمُ   تَميمُ بنُ مُرٍّ وابنُ طابخَةٍ أُدُّ[7]

---

١ أي يحتقر حساده وأعداءه فيعاملهم بالإعراض حتى عن ذكرهم فضلا عن عتابهم أو عقابهم فهم عنده والعدم سواء .

٢ الحقد مبتدأ خبره الظرف قبله. أي أن أعداءه يأمنون بطشه لا لأنه ذليل لا يستطيع الإيقاع بهم ولكن الحقد يكون على قدر المذنب . يعني أنهم لحقارتهم لا يستحقون حقده فلا خوف عليهم منه .

٣ يقول : إن كان جدك قد مضى فإن فضائله ومكارمه باقية فيك فأنت بعده بمنزلة ماء الورد الذي هو خلاصة الورد .

٤ عطف بنوه على الضمير المستتر في الفعل قبله من غير توكيد ولا فصل وهو ممنوع في المذهب الأقوى . يقول : مضى جدك وبنوه وبقيت وحدك بعدهم منفرداً بفضل جميعهم فكنت كالألف الذي هو واحد في الصورة جمع في المعنى . وأنث الضمير العائد إلى الألف على معنى الجماعة .

٥ الغر جمع أغر وهو الأبيض المشرق والمراد ببياض وجوههم نزاهتها عن المخازي لأن المخازي توصف بالسواد . وعد من قولهم ماء عد أي غزير لا تنقطع مادته . ولد جمع ألد وهو الشديد الخصومة .

٦ الأردية جمع رداء وهو الملحفة يشتمل بها . وخضرة الرداء كناية عن السيادة لأن الخضرة عندهم أفضل الألوان لدلالتها على الخصب . والملك السلطان يذكر ويؤنث . والمركوزة نعت للرماح لأنها تركز في الأرض . والمقربة الخيل تربط قريبة من الأبيات ولا ترسل إلى المرعى . والجرد القصار الشعر .

٧ ما من قوله ما عشت شرطية زمانية. وتميم وما عطف عليه بدل تفصيل. وطابخة لقب عامر بن إلياس

فبَعضُ الذي يَبدو الذي أنا ذاكرٌ وبعضُ الذي يخفَى عليّ الذي يَبدو[1]

ألُومُ بهِ مَنْ لامَني في ودادهِ وحُقّ لخَيرِ الخَلْقِ من خَيرِه الوُدّ[2]

كَذا فتَنَحّوْا عَن عَليٍّ وطُرْقِهِ بني اللّؤمِ حتى يَعبرَ المَلكُ الجَعدُ[3]

فَما في سَجاياكُمْ مُنازَعَةُ العُلَى ولا في طِباعِ التُّربَةِ المِسكُ والنّدّ[4]

ابن مضر لقبه بذلك أبوه لما طبخ الضب . وتميم وأد أبوا قبيلتين مشهورتين ينسب إليهما الممدوح .
أي ما بقيت حياً لم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم في النسب لبقاء فضائلهم فيك .

١ بعض في الشطرين خبر مقدم عن الموصول الثاني . يشير إلى كثرة فضائله ومحاسن أخلاقه يقول : الذي أذكره منها هو بعض ما يظهر لي والذي يظهر لي هو بعض ما كان خافياً علي . يعني أنه قد بقي من تلك الفضائل ما لم يعلمه وبقي مما علمه ما لم يذكره . هذا أقرب ما يقال في تفسير مراده وفي البيت نظر لا يخفى .

٢ حق له كذا ، بضم الحاء ، إذا كان جديراً به . يقول : من لامني في وداده رجعت باللوم عليه وبينت له أنه حري بمودتي لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء وحقيق بمثلي أن يود مثله .

٣ كذا خبر عن محذوف أي كذا هو . وبني اللؤم منادى . والجعد الكريم . يقول : هو كما وصفت لكم فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه في طرق المجد .

٤ السجايا جمع سجية وهي الطبيعة . يقول : ليس في طبائعكم أن تنازعوا العلى أربابها إذ لستم منهم كما أنه ليس في طبع التراب أن يفوح بالمسك والند .

ليس في الدهر شيء يحمد

أراد سفراً وودعه صديق له فقال ارتجالا :

أمَّا الفِراقُ فإنَّهُ ما أعْهَـدُ   هُوَ تَوْأمي لوْ أنَّ بَيْناً يُولَدُ[1]

ولَقَد عَلِمْنا أنَّنا سَنُطيعهُ   لمّا عَلِمْنَا أنّنَا لا نَخْلُدُ[2]

وإذَا الجِيادُ أبا البَهِيِّ نَقَلْنَنَا   عَنكُم فأرْدأُ ما رَكِبتُ الأجوَدُ[3]

مَن خَصّ بالذّمّ الفراقَ فإنّني   مَن لا يرَى في الدهر شيئاً يُحمَدُ

---

١ التوأم الذي يكون مع غيره في بطن واحد . يقول: الفراق شيء أعهده قديماً حتى لو جاز أن يكون مولوداً لقلت هو توأمي لأني عرفته مذ وجدت فكأنه ولد معي .

٢ أي لما كان خلودنا في الأرض محالا علمنا أن الفراق مسلط علينا حتماً فلا بد لنا أن ننقاد لحكمه إما عاجلا وإما آجلا .

٣ أبا البهي منادى. يقول: إذا نقلتنا الخيل عنكم فأجودها حينئذ أردأها لأنه يكون أسرع في إبعادنا عنكم .

عقل المجيز عقل المجاز

وقال بدمشق يمدح أبا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب :

كَفِرِنْدي فِرِنْدُ سَيْفي الجُرازِ لَذَّةُ العَيْنِ عُدَّةٌ للبِرازِ[1]

تَحْسَبُ الماءَ خَطَّ في لَهَبِ النّا رِ أدَقَّ الخُطوطِ في الأحرازِ[2]

كُلّما رُمْتَ لَوْنَهُ مَنَعَ النّا ظِرَ مَوْجٌ كأنّهُ مِنكَ هازي[3]

ودَقيقٌ قَذَى الهَباءِ أنيقٌ مُتَوالٍ في مُسْتَوٍ هَزْهازِ[4]

وَرَدَ الماءَ فالجَوانِبُ قَدْراً شَرِبَتْ والّتي تَليها جَوازي[5]

---

١ الفرند جوهر السيف . والجراز القاطع . والبراز مبارزة الأقران في الحرب . استعار لنفسه فرنداً على تشبيهها بالسيف ثم عكس فشبه السيف بنفسه . يقول : سيفي يشبهني في جودة الفرند وقوة المضاء وهو لذة للناظر وعدة لمبارزة الأعداء .

٢ الأحراز جمع حرز وهو العوذة يكتب فيها الرقى . شبه بريق سيفه باللهب وما يتخلله من آثار الفرند بخطوط من الماء دقيقة كخطوط الأحراز .

٣ أي هازىء بالهمز فلينه للقافية والجملة نعت موج . أراد بالموج تردد اللمعان في صفح السيف لكثرة مائه . يقول : كلما طلبت أن تعرف لونه منعك موجه عن ذلك لكثرة تلاعبه واختلاف بريقه فكأنه يهزأ بك لأنه لا يستقر حتى تثبت بصرك فيه .

٤ دقيق عطف على موج وهو نعت لمحذوف أي وفرند دقيق . والقذى ما يقع في العين وهو فاعل دقيق أو مشبه بالمفعول على حد قولك زيد حسن وجه الأب . والهباء ما تراه في الشمس إذا دخلت في كوة ونحوها . والأنيق الحسن المعجب . والمتوالي المتتابع . ومستو نعت لمحذوف أي في صفح مستو . وهزهاز مضطرب . أي ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطاير إلى عينه فيمنعه النظر . وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط في صفح مستو كثير الاضطراب .

٥ قدراً مفعول شربت . والجوازي أصلها الهمز وهي جمع جازئة من قولهم جزأت الإبل بالرطب

حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدّهر حتى هيَ مُحتاجَةٌ إلى خرّازِ[1]
وهْوَ لا تَلْحَقُ الدّماءُ غِرارَيْـ ـه ولا عِرْضَ مُنتَضِيه المَخازي[2]
يا مُزِيلَ الظّلام عَنّي ورَوْضي يَوْمَ شُرْبي ومَعقِلي في البَرازِ[3]
واليَمانيْ الذي لو اسطَعْتُ كانتْ مُقْلَتي غِمْدَهُ مِنَ الإعزَازِ[4]
إنّ بَرْقي إذا بَرَقْتَ فَعَالي وصَليلي إذا صَلَلْتَ ارْتِجازي[5]
لم أُحَمِّلْكَ مُعْلِماً هـكَذا إ لا لِضَرْبِ الرّقاب والأجْوازِ[6]

أي بالخضرة إذا قنعت به عن الماء . يقول : إن هذا السيف سقي الماء عند طبعه فشربت جوانبه مقداراً منه والمواضع التي تليها من المتن لم تشرب لأن السيف لا يسقى كله وإنما تسقى شفرتاه ويترك باقيه ليكون أثبت عند الضرب فلا ينقصف .

١ الحمائل جمع حمالة وهي علاقة السيف التي يتقلد بها . والخراز الذي يخرز الجلد بالسيور . يصف هذا السيف بالقدم يقول : قد حمله الدهر أحقاباً متوالية حتى بليت حمائله من قدمه فصارت محتاجة إلى من يخرزها ويصلحها .

٢ غرار السيف حده . ومنتضيه مستله . والمخازي الفضائح . أي لا يعلق الدم بحده لرقته وصقاله أو لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يتلطخ به . وإذا ضرب به لم ينبُ عن الضريبة فلا يخزى الذي انتضاه .

٣ النداء للسيف . والمعقل الحصن . والبراز ، بالفتح ، الفضاء الواسع لا سترة به . أي أنه يستصبح ببريقه إذا اشتد سواد الغبار فصار كظلام الليل . وعنى بيوم الشرب يوم الحرب يشرب فيه دم الأعداء ولذلك جعل السيف روضه في ذلك اليوم لما فيه من الخضرة المكتسبة بالصنعة وهي مستحبة في السيوف . وإذا تضايق في فضاء لا سترة به تحصن به ودفع به عن نفسه .

٤ اسطعت أي استطعت فحذفت التاء . أي لو استطعت لجعلت عيني غمداً له من شدة إعزازي له وحرصي عليه .

٥ الصليل صوت الحديد . والارتجاز إنشاد الرجز . يريد التنظير بين سيفه ونفسه يقول : نحن متقارنان إلا أن برقي فعالي وصليلي الإنشاد .

٦ المعلم الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب وهو حال من المتكلم . والأجواز جمع جوز وهو الوسط يريد أوساط الرجال .

ولقَطْعي بكَ الحَديدَ عَلَيْها فكِلانَا لجِنْسِه اليَوْمَ غازِ[1]
سَلَّهُ الرَّكْضُ بعدَ وَهْنٍ بنَجدٍ فتَصَدّى للغَيث أهْلُ الحِجازِ[2]
وتَمَنَّيْتُ مِثْلَهُ فكَأنّي طالبٌ لابن صالحٍ مَن يُوَازي[3]
لَيسَ كلُّ السَّراة بالرُّوذَبَاريِّ ولا كُلُّ ما يَطيرُ بِبازِ[4]
فارسيٌّ لَهُ منَ المَجد تاجٌ كانَ مِنْ جَوْهَرٍ على أبْرَوازِ[5]
نَفْسُهُ فَوْقَ كلّ أصْلٍ شَريفٍ ولَوَ انّي لَهُ إلى الشَّمس عازِ[6]
شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسانُ المَعالي عَنْ حِسان الوُجوه والأعجازِ[7]
وكأنّ الفَرِيدَ والدُّرَّ واليا قوتَ مِنْ لَفظِه وَسَامَ الرّكازِ[8]

---

١ لقطعي معطوف على قوله لضرب الرقاب . وعليها حال من الحديد . أي ولم أحملك إلا لأقطع بك الحديد الذي على الرقاب والأوساط يعني الدروع والمغافر فأنا أغزو جنسي من الناس وأنت تغزو جنسك من الحديد .

٢ الضمير من قوله سله للسيف وهو التفات . والوهن نحو من نصف الليل . وتصدى تعرض . والغيث المطر . أي من شدة ركض الخيل انسل هذا السيف من غمده وهم في نجد بعد أن انتصف الليل فظن أهل الحجاز لمعانه برقاً فتهيأوا لنزول المطر .

٣ ابن صالح الممدوح . ويوازي بمعنى يجاري ويساوي .

٤ السراة ، بالفتح ، الأشراف جمع سري على غير قياس . والروذباري نسبة إلى روذبار بلدة بالعجم . يعني أنه من علية الأشراف فهو بينهم كالباز بالنسبة إلى عامة الطير .

٥ يريد أبرويز ، بكسر الواو وفتحها ، أحد أكاسرة الفرس فتصرف فيه . يعني أنه من أولاد ملوك فارس وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبرويز .

٦ اسم فاعل من عزاه إلى فلان أي نسبه إليه . يقول : هو بنفسه أعلى من كل أصل شريف حتى لو نسبته إلى الشمس لكان أشرف منها .

٧ جمع عجز ، بفتح فضم ، وهو مؤخر كل شيء . يعني أنه مشغول بكسب المعالي عن مغازلة النساء .

٨ الفريد كبار اللؤلؤ . والسام عروق الذهب . والركاز الذهب في معدنه . يقول : كأن هذه الأشياء

تَقضَمُ الجَمرَ والحديدَ الأعادي ... دونَهُ قَضْمَ سُكّرِ الأهْوازِ[1]

بَلَغَتْهُ البَلاغَةُ الجَهْدَ بالعَفْـ ... ـوِ ونالَ الإسْهابَ بالإيجازِ[2]

حامِلُ الحَرْبِ والدِّياتِ عنِ القَوْ ... مِ وثِقْلِ الدّيونِ والإعْوازِ[3]

كيفَ لا يَشتَكي وكيفَ تَشَكَّوْا ... وبهِ لا بمَنْ شَكاها المَرازِي[4]

أيّها الواسِعُ الفِناءِ وما فيـ ... ـهِ مَبيتٌ لِمالِكَ المُجْتازِ[5]

بكَ أضْحَى شَبَا الأسنّةِ عندي ... كَشَبَا أسْوُقِ الجَرادِ النّوازِي[6]

وانْثَنَى عَنّيَ الرُّدَيْنيُّ حتّى ... دارَ دَوْرَ الحُروفِ في هَوّازِ[7]

....

مأخوذة من لفظه لحسنه ونفاسته .

١ القضم أكل الشيء اليابس . والأهواز كور بين البصرة وفارس . أي أن أعداءه تقضم الجمر والحديد من شدة حنقها عليه وقصورها دونه كما يقضم السكر .

٢ الجهد المشقة. والعفو مأخوذ من عفو المال وهو ما يفضل عن النفقة فيبذل بالسهولة . يقول : إنه لبلاغته يبلغ بميسور اللفظ وحاضره ما يبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية وينال باللفظ الموجز المعنى الذي يناله غيره بالإسهاب .

٣ الديات جمع دية وهي ثمن الدم . والإعواز الفقر .

٤ ضمير تشكوا للقوم . والمرازي بمعنى الرزايا وأصلها بالهمز فخففها . أي عجباً كيف لا يشتكي من ثقل ما يحمله عن قومه وكيف يشتكي من به رزيئة منهم وهو حاملها عنه .

٥ الفناء الساحة أمام الدار . يقول : مع اتساع داره وكثرة المنازل عنده يجتاز به المال فلا يجد مكاناً يبيت فيه ليلة . يعني أنه يفرقه في يومه فلا يبقى عنده إلى الغد .

٦ الشبا جمع شباة وهي الحد . وعندي بمعنى في حسباني . وأسوق جمع ساق . والنوازي الوثابة . يقول : لما نزلت بك وامتنعت بجوارك لم أعد أبالي بعدو ولا سلاح حتى صار عندي سنان الرمح كساق الجرادة .

٧ أراد هوز فمد فتحة الواو للقافية . والرديني الرمح . يقول : ارتد الرمح عني فانعطف على نفسه واستدار كاستدارة كل واحد من أحرف هذه اللفظة في الرسم .

وبآبائِكَ الكِرام التّأسّي والتّسلّي عَمّنْ مضَى والتّعازِي[1]
تَرَكوا الأرْضَ بَعدَما ذَلّلُوها ومَشَتْ تَحتَهُمْ بلا مِهْمازِ[2]
وأطاعَتْهُمُ الجُيوشُ وهِيبُوا فكَلامُ الوَرَى لهُمْ كالنُّحازِ[3]
وهِجانٍ على هِجانٍ تأيّتْـ ـكَ عَديدَ الحُبوبِ في الأقْوازِ[4]
صَفّها السّيرُ في العَراءِ فكانَتْ فَوْقَ مِثْلِ المُلاءِ مِثْلَ الطّرازِ[5]
وحكَى في اللّحومِ فِعلَكَ في الوَفْـ ـرِ فأوْدَى بالعَنْتَرِيسِ الكِنازِ[6]
كُلّما جادَتِ الظّنونُ بوَعْدٍ عَنْكَ جادَتْ يَداكَ بالإنجازِ[7]

---

١ التأسي اقتداء المحزون بغيره عند المصيبة. والتعازي جمع تعزية . يقول : إذا فقد لنا عزيز ذكرنا من مضى من آبائك فهان علينا فقده وتعزينا عنه بفقدهم .

٢ حديدة تكون عند عقب الراكب ينخس بها بطن الدابة . يقول : ماتوا بعدما ملكوا الأرض وذللوها فانقادت لهم انقياد الدابة الذلول التي تمشي بلا مهماز .

٣ داء يأخذ الإبل في صدورها فتسعل سعالا شديداً . يقول : اشتمل خوفهم وعلت كلمتهم حتى صار كلام غيرهم بالنسبة إليهم كالنحاز لا يبالى به .

٤ الواو واو رب . والهجان من الناس والإبل الكرام . وتأيتك وتآيتك بالمد قصدتك . وعديد الحبوب حال أي مماثلة لعديدها . والأقواز جمع قوز ، بالفتح ، وهو الكثيب الصغير من الرمل . أي رب رجال كرام قصدوك على إبل كريمة وهم في مثل عدد الرمل يريد بهم جيش الممدوح .

٥ العراء الفضاء لا سترة به . والملاء جمع ملاءة وهي الملحفة ذات لفقين . والطراز نقش الثوب . أي انتظمت في سيرها صفوفاً فكانت على وجه الفضاء كالطراز المنتسق فوق الملاءة .

٦ حكى ماثل وفاعله ضمير السير . والوفر المال الكثير . وأودى به أهلكه . والعنتريس الناقة الغليظة الشديدة . والكناز المكتنزة اللحم . أي أن جهد السير ذهب بلحوم النياق وأفنى كل ذات صلابة منها فأشبه فعل الممدوح في إفناء أمواله .

٧ أي كلما ظن إنسان أنك تعطيه فوعدته ظنونه بذلك عنك صدقت ظنونه وأنجزت ذلك الوعد .

مَلِكٌ مُنْشِدُ القَرِيضِ لَدَيْهِ   يَضَعُ الثَّوْبَ في يَدَيْ بَزّازِ[1]
ولَنا القَوْلُ وهْوَ أدْرَى بفَحْوا   هُ وأهْدَى فيهِ إلى الإعْجازِ[2]
ومِنَ النّاسِ مَنْ يَجوزُ عَلَيْهِ   شُعَراءٌ كأنّها الخازِبَازِ[3]
ويَرَى أنّهُ البَصيرُ بِهَذا   وهْوَ في العُمْيِ ضائِعُ العُكّازِ[4]
كلُّ شِعْرٍ نَظيرُ قائِلِهِ فيـ   ـكَ وعَقلُ المُجيزِ عَقلُ المُجازِ[5]

---

١ القريض الشعر . والبزاز تاجر الثياب . ويروى واضع الثوب . أي أنه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثوب .

٢ أي نحن نقول القول وهو أعلم منا بمضمونه وأبصر بتمييز معجزه .

٣ يجوز بمعنى يروج مأخوذ من تجويز السلعة . والخازباز ببناء الجزءين على الكسر حكاية صوت الذباب ثم سمي به الذباب نفسه . يقول : من الناس من لا يميز جيد الشعر من رديئه فيجوز عليه شعراء يهذون بما لا معنى له كأنهم الذباب حين يطن .

٤ في العمي حال مقدمة من الضمير المستتر في الخبر . أي يظن أنه بصير بمعرفة الشعر مع أنه فيه كالأعمى الذي ضاعت عصاه وهو مثل في شدة الخبط .

٥ أجازه أعطاه الجائزة فهو مجيز والآخر مجاز . وأراد مثل عقل المجاز فحذف . يقول الشعر بحسب قائله فطبقاته في الجودة تتفاوت بحسب طبقة الشاعر في جودة السليقة وإحكام النقد . وعقل الذي يجيز يشبه عقل الذي يأخذ جائزته فإنه إن أجاز على الشعر السخيف فعقله سخيف كعقل قائله وإن أجاز على الجيد فعقله جيد كذلك . والمعنى أن الشعر محك المادح والممدوح جميعاً فهو يدل على موضع الشاعر من القدرة على الاختراع والسبك وعلى موضع الممدوح من نقد الشعر ومعرفة ما يستحقه . ويروى نظير قابله منك فيكون الخطاب للشاعر أي إذا مدحت أحداً فقبل شعرك فهو نظيره ، والرواية الأولى أجود .

نسل من ليس له نسل

يهجو قوماً :

أماتكمُ من قَبلِ مَوْتِكُمُ الجَهْلُ ... وجرّكُمُ من خِفّةٍ بكُمُ النَّمْلُ[1]

وُلَيْدَ أُبَيِّ الطَّيِّبِ الكَلْبِ ما لَكُم ... فطَنْتُمْ إلى الدعوَى وما لكمُ عَقلُ[2]

ولوْ ضرَبَتْكُم مَنجَنيقي وأصْلُكُم ... قَوِيٌّ لهَدّتكُمْ فكَيفَ ولا أصْلُ[3]

ولوْ كُنْتُمُ ممّنْ يُدَبِّرُ أمْرَهُ ... لمَا صِرْتُمُ نَسلَ الذي ما لهُ نَسْلُ[4]

---

١ يقول : قد أماتكم الجهل قبل موتكم لأنكم لا تعقلون ولا ينتفع بكم فكأنكم أموات. وكنى بخفتهم عن طيش أحلامهم حتى لو كان هذا الطيش في أجسامهم لجرها النمل من خفتها .

٢ وليد تصغير ولد وهو يستعمل للواحد والجمع والمراد هنا الثاني . والكلب نعت أبي الطيب على تأويله بالوصف كما يقاله جافي رجل أسد . والدعوى الادعاء في النسب وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : أنتم أبناء هذا الرجل الخسيس فبأي عقل فطنتم للانتساب إلى غيره وأنتم لا عقل لكم .

٣ المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة . وكيف حال محذوفة العامل أي فكيف تفعل بكم . ورفع أصل على إعمال لا عمل ليس . يريد بالمنجنيق الهجاء يقول : لو رميتكم بهجائي وأصلكم قوي لهدمت أحسابكم فكيف وأنتم بغير أصل يعرف .

٤ أي لو كنتم من ذوي العقول لما اخترتم الانتساب إلى من عرف بأنه لا نسل له فقد ظهر بهذا كذبكم وجهلكم .

في عنق الحسناء يستحسن العقد

يمدح الحسين بن علي الهمذاني :

لقَدْ حازَني وَجْدٌ بمَنْ حازَهُ بُعْدُ ... فَيا لَيْتَني بُعدٌ ويا لَيتَهُ وَجْدُ[1]

أُسَرّ بتَجديدِ الهَوَى ذِكْرَ ما مضَى ... وإنْ كانَ لا يَبقَى له الحجرُ الصّلدُ[2]

سُهادٌ أتانا منكِ في العَينِ عِندَنَا ... رُقادٌ وقُلاّمٌ رَعَى سَرْبُكم وَرْدُ[3]

مُمَثَّلَةٌ حتى كأنْ لمْ تُفارِقي ... وحتى كأنّ اليأسَ من وَصْلكِ الوَعدُ[4]

وحتى تَكادي تَمْسَحينَ مَدامعي ... ويَعْبَقُ في ثَوْبيَّ من ريحِكِ النّدّ[5]

إذا غَدَرَتْ حَسناءُ وفّتْ بعَهدها ... فمِنْ عَهدِها أن لا يَدومَ لها عَهدُ[6]

وإنْ عَشِقَتْ كانتْ أشَدّ صَبابَةً ... وإن فَرِكتْ فاذهبْ فما فِركها قَصدُ[7]

---

١ يقول : قد اشتمل علي الوجد بحبيب قد اشتمل عليه البعد فيا ليتني بعد لاشتمل على هذا الحبيب ويا ليته وجد ليشتمل علي .

٢ الشديد الصلب . يقول : أسر بكون الهوى يجدد لي ذكر وصلنا الماضي وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم من شدة الوجد والحنين .

٣ عندنا أي في وجداننا وهذا والظرف الذي قبله من صلة رقاد. والقلام نبت من الحمض يكون في السباخ . والسرب بالفتح الراعية ، وبالكسر القطيع . يقول : السهاد الذي يكون من أجلك تلذ به أعيننا كالرقاد والقلام الذي ترعاه ماشية قومك طيب عندنا كالورود .

٤ ممثلة خبر عن محذوف ضمير المخاطبة . يقول : لا تزالين مصورة في وهمي حتى أتخيلك حاضرة لم تفارقيني وأتخيل اليأس من وصلك وعداً منك بالوصل .

٥ أي وحتى أكاد أراك بجانبي تمسحين مجاري دمعي بيدك فيعبق طيبك في ثوبي .

٦ يقول : إذا غدرت الحسناء بمن تعاهده فذلك هو الوفاء بعهدها لأن من عهدها أن لا تبقى على عهد .

٧ الصبابة رقة الشوق . وفركت المرأة زوجها أبغضته . يقول : المرأة إذا عشقت كانت أشد صبابة

وإنْ حقَدَتْ لم يَبقَ في قَلبِها رضًى وإنْ رَضِيَتْ لم يَبقَ في قَلبِها حِقدُ

كذلِكَ أخلاقُ النّساءِ ورُبّمَا يَضِلّ بها الهادي ويخفى بها الرّشدُ[1]

ولكنّ حُبّاً خامَرَ القَلْبَ في الصِّبَا يَزيدُ على مَرّ الزّمانِ ويَشْتَدّ[2]

سَقَى ابنُ عَليٍّ كلَّ مُزْنٍ سقَتكمُ مُكافأةً يَغْدو إلَيْها كمَا تَغدُو[3]

لتَرْوَى كمَا تُرْوي بِلاداً سكَنْتِها ويَنْبُتَ فيها فَوْقَكِ الفَخرُ والمجدُ[4]

بمَنْ تَشخَصُ الأبصارُ يوْمَ رُكوبِهِ ويُخْرَقُ من زَحمٍ على الرّجلِ البُرْدُ[5]

وتُلْقي وما تَدري البَنانُ سِلاحَها لكَثْرَةِ إيماءٍ إلَيْهِ إذا يَبدُو[6]

من الرجال لأنها أرق طبعاً وأقل صبراً وإذا أبغضت فاذهب لشأنك ولا تطمع في تلافي بغضها فإنه ليس عن قصد منها وإنما هي مقتادة إليه بما في طبعها من السأم والطبع لا يغالب .

١ الإشارة إلى الوصف السابق . يقول : هذه صفة أخلاق النساء إلا أنهن خلابات لعقول الرجال حتى يضل بهن من يهدي غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلي بهن . وهذا كالتعريض بنفسه يريد أنه مع علمه بما وصفه من أخلاق النساء وتحذيره من غدرهن لم يصن قلبه عن هواهن . ثم اعتذر عن ذلك في البيت التالي .

٢ خامره خالطه . يقول : إن الحب قد خالط قلبه في زمن الصبى واستحكم فيه قبل أن تحكمه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه لأنه قد ألفه حتى صار خلقاً له يزداد ويشتد على مر الأيام .

٣ المزن السحاب . يدعو للسحب التي تسقي قوم المحبوبة بأن يسقيها جود الممدوح مكافأة لها عنهم فيغدو إليها بالسقيا كما تغدو هي إليهم . جعل الممدوح يسقي السحب لأنه أغزر منها فيضاً .

٤ أي لترتوي المزن بجوده كما تروي أرضكم بمطرها وينبت مما تمطره عليكم الفخر والمجد المستفادان من جدواه .

٥ بمن صلة تروى أو ينبت . وتشخص ترتفع . والبرد الثوب . يقول : إذا ركب شخصت الأبصار إليه لحسن منظره وجلالته وكثرة زحام الناس حوله حتى تتخرق ثيابهم .

٦ البنان أطراف الأصابع . أي لاشتغالهم بالنظر إليه والإيماء نحوه يلقون ما في أيديهم ولا يشعرون .

ضَرُوبٌ لهامِ الضّاربي الهامِ في الوَغى خَفيفٌ إذا ما أثقلَ الفرَسَ اللِّبْدُ[١]

بَصيرٌ بأخذِ الحَمدِ من كلّ مَوْضعٍ ولَوْ خبّأتْهُ بَينَ أنْيابِها الأُسْدُ[٢]

بتَأميلِهِ يَغنى الفَتى قَبلَ نَيْلِهِ وبالذّعْرِ من قبلِ المهنّدِ يَنْقَدّ[٣]

وسَيْفي لأنْتَ السّيفُ لا ما تَسُلّهُ لضرْبٍ وممّا السّيفُ منهُ لكَ الغِمدُ[٤]

ورُمْحي لأنْتَ الرّمحُ لا ما تبُلّهُ نجيعاً ولوْلا القدحُ لم يُثقِبِ الزَّنْدُ[٥]

منَ القاسِمينَ الشّكرَ بَيْني وبَينَهم لأنّهُمُ يُسدَى إليَهِمْ بأنْ يُسدُوا[٦]

فشكري لهم شكرانِ : شكرٌ على النّدى وشكرٌ على الشّكرِ الذي وَهبوا بَعْدُ[٧]

---

١ ضروب وصف مبالغة . والهام الرؤوس . والوغى الحرب . واللبد ما تحت السرج . أي أنه شجاع ضروب لهام الشجعان خفيف لحذقه بالفروسية حتّى لا يشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد حتّى يجد لبده ثقيلا .

٢ أي أنه حريص على الحمد بصير بنيله من حيث لا يناله أحد حتّى لو خبأته الأسود بين أنيابها لتوصل إليه وأحرزه .

٣ النيل العطية . والذعر الخوف . والمهند السيف الهندي . يقول : إذا أمله الفتى استغنى بذلك الأمل قبل إحراز العطاء لأنه لا يخيب آملا وإذا خافه تقطع من خوفه قبل إعمال السيف فيه ليأسه من النجاة .

٤ الواو للقسم . ومما السيف منه خبر مقدم عن الغمد والضمير في منه يعود إلى ما . يقسم بسيفه تعظيماً له يقول : إذا سللت سيفك للضرب فأنت السيف لا هو لأنه إنما يقطع بضربك . ولما جعله سيفاً جعل غمده من الحديد الذي السيف منه يعني الدرع . والمعنى أن سيف الحديد بالنسبة إليك بمنزلة الغمد من السيف لأنك مغمد في الحديد الذي هو منه .

٥ النجيع الدم وهو منصوب على التمييز . والزند ما يقتدح به . وأثقب أي أورى ناراً . يقول : الرمح لا يغني بدونك كما أن الزند لا يوري بدون قدح القادح .

٦ القاسمين نعت لمحذوف أي القوم القاسمين والجار والمجرور خبر عن محذوف يعود إلى الممدوح . وأسدى إليه أحسن . أي هم يشكرونني على الأخذ كما أشكرهم على العطاء لأنهم إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم عدوا ذلك إحساناً منه إليهم يستوجب الشكر .

٧ الندى الجود . جعل الشكر الذي يشكرونه به على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له فهو يشكرهم على هبة العطاء وهبة الشكر .

صيامٌ بأبْوابِ القِبابِ جِيادُهُمْ وأشْخاصُها في قَلْبِ خائِفِهِمْ تَعدُو[1]

وأنفُسُهُمْ مَبْذولَةٌ لوُفُودِهِم وأموالُهُمْ في دارِ مَنْ لم يَفِدْ وَفْدُ[2]

كأنَّ عَطِيّاتِ الحُسَيْنِ عَساكِرٌ ففيها العِبِدَّى والمُطَهَّمَةُ الجُرْدُ[3]

أرَى القمرَ ابنَ الشّمسِ قد لبسَ العُلى رُوَيْدَكَ حتى يَلْبَسَ الشَّعَرَ الخَدّ[4]

وغالَ فُضُولَ الدِّرْعِ مِن جَنَبَاتِها على بَدَنٍ قَدٌّ القَنَاةِ لَهُ قَدّ[5]

وباشَرَ أبْكارَ المَكارِمِ أمْرَداً وكانَ كَذا آباؤهُ وهُمُ مُرْدُ[6]

مَدَحْتُ أباهُ قَبْلَهُ فشَفَى يَدي من العُدْمِ من تُشفَى به الأعيُنُ الرُّمْدُ[7]

---

١ صيام واقفة . والجياد الخيل . يقول : خيلهم واقفة بأبوابهم وكأن أشخاصها تعدو في قلوب أعدائهم من شدة خوفهم .

٢ الوفود جمع وفد جمع وافد بمعنى زائر . يقول : من زارهم قاصداً معروفهم لم يحجبوا أنفسهم عنه ومن لم يزرهم بعثوا بأموالهم إليه فهم غير محجوبين عن أحد وأموالهم مبذولة للوافد والغائب.

٣ العبدى جمع عبد . والمطهمة التامة الخلق وهي من صفة الخيل . والجرد القصار الشعر . يقول : عطاياه كالعساكر فيها كل شيء حتى العبيد والخيل .

٤ جعل الممدوح قمراً وأباه شمساً لرفعتهما وشهرتهما وأنه قد استفاد العلى من أبيه كما يستفيد القمر نوره من الشمس . ثم خاطبه فقال: تمهل حتى ينبت الشعر في وجهك يعني أنه قد بلغ ما بلغه قبل أن يبلغ حد الرجولية .

٥ غاله ذهب به. وفضول الدرع ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة وهو جمع فضل . وجنباتها جوانبها . والقناة عود الرمح . يريد أنه من ذوي البسطة في الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه وقده مع ذلك طويل معتدل كقد القناة .

٦ أبكار المكارم أي التي لم يسبق إليها أحد . يقول : إنه تخلق بالمكارم وهو في سن الحداثة وكذلك آباؤه كانوا يفعلون .

٧ العدم الفقر . يقول : كانت يدي قاصرة عن التصرف لفقرها كاليد الشلاء فشفاها بجوده من هذه العاهة . وقوله من تشفى به الأعين الرمد الأظهر أن المراد به أبو الممدوح فيكون الموصول

حَبَاني بأثمانِ السّوابقِ دونَهَا مَخافةَ سَيري إنّها للنّوى جُنْدُ[1]

وشَهْوَةَ عَوْدٍ إنّ جُودَ يَمينِهِ ثُنَاءٌ ثُنَاءٌ والجَوادُ بها فَرْدُ[2]

فلا زِلْتُ ألقَى الحاسِدينَ بمِثْلِها وفي يدهم غَيضٌ وفي يديَ الرِّفْدُ[3]

وعِندي قَباطيّ الهُمَامِ ومَالُهُ وعندَهُمُ ممّا ظَفِرْتُ بهِ الجَحدُ[4]

يَرومُونَ شأوي في الكَلامِ وإنّمَا يحَاكي الفتى فيما خَلا المَنطقَ القِرْدُ[5]

فاعل شفى من باب وضع الظاهر موضع المضمر أو بدلا من ضميره على جعل الفعل للأب. يريد أن من نظر إليه قرت عينه بما يرى من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لسكن ألمه وشفي .

١ الحباء العطاء . والسوابق الخيل . ودونها حال من السوابق . وانها يجوز فيه كسر الهمزة على الاستئناف وفتحها على تقدير اللام أي لأنها . يقول : أعطاني أثمان الخيل ولم يعطني الخيل لأنه خاف أن أسير عليها وأفارقه فإنها تعين على السفر فتكون من أسباب الفراق .

٢ شهوة عطف على مخافة . وبها صلة الجواد والضمير يعود على الأثمان أو على قوله ثناء لأنه على تقدير محذوف أي عطايا ثناء . أي وشهوة عود منه إلى حبائي مرة أخرى قبل انصرافي لأن جوده مثنى وإن كان هو فرداً لا ثاني له .

٣ الضمير من مثلها راجع إلى ما رجع إليه الضمير في البيت السابق . والغيض من قولهم غاض الماء إذا نقص وجف . والرفد العطاء . يدعو لنفسه يقول : لا زلت محظوظاً عنده أنال عطاياه وألقى بها حسادي وأيديهم فارغة من نعمته ويدي مملوءة من عطائه فأزيدهم رغماً. ويروى وفي يدهم غيظ أي أنهم لا يحصلون إلا على ذلك .

٤ القباطي ثياب بيض تعمل بمصر واحدها قبطي . والهمام الملك العظيم الهمة . والجحد إنكار الشيء مع العلم به . أي ولا زال عندي مال الممدوح وثيابه وعندهم إنكار ما ظفرت به من نعمته حسداً لي وستراً لما فضلت به عليهم .

٥ الشأو الغاية . ويحاكي يشابه . يريد قوماً من المتشاعرين يقول : يرومون أن يبلغوا غايتي في الشعر وهم بالنسبة إلي كالقرد بالنسبة إلى الإنسان فإنه يحاكيه في جميع أفعاله إلا في الكلام فإنه لا يقدر عليه .

فَهُمْ في جُموعٍ لا يراها ابنُ دأيَةٍ وهم في ضَجيجٍ لا يُحِسّ به الخلدُ[1]

ومني استَفادَ النّاسُ كُلَّ غَريبَةٍ فجازوا بتَرْكِ الذّمّ إن لم يكنْ حمدُ[2]

وجَدْتُ عَلَيّاً وابنَهُ خيرَ قوْمِهِ وهم خيرُ قوْمٍ واستوَى الحرُّ والعبدُ[3]

وأصْبَحَ شِعري منهُما في مكانِهِ وفي عُنُقِ الحَسْناءِ يُستَحسن العِقدُ[4]

---

١ ابن دأية الغراب وهو يوصف بحدة البصر . والخلد دويبة معروفة يضرب به المثل في قوة السمع . أجرى المحسوس في هذا البيت مجرى المعقول يريد أنهم في منتهى الحقارة والخمول حتى لو كانت حقارة شأنهم في أجسامهم ما رأى جموعهم الغراب ولو كانت في أصواتهم لم يسمع ضجيجهم الخلد .

٢ الغريبة الأمر الغريب . وجازوا أمر من المجازاة وهو التفات إلى خطاب الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم ينحون عليه بالقدح . يقول : مني استفدتم غرائب الشعر التي تنتحلونها فإن لم تجازوني بالحمد عليها فليكن جزائي منكم ترك الذم .

٣ علي أبو الممدوح . وضمير قومه لعلي . يقول : هو وابنه خير قومه وقومه خير قوم في الدنيا واستوى بعد ذلك الحر والعبد في انحطاط الجميع عن منزلتهم .

٤ منهما حال عن مكانه . وفي مكانه خبر أصبح والضمير للشعر . أي أصبح شعري منهما في المكان الذي يليق به لأنهما أهل المدح فاستحسن وقعه فيهما كما يستحسن العقد في عنق المرأة الحسناء .

ومن عرف الأيام معرفتي بها

يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة :

أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللّوائِمِ ... علِمتُ بما بي بَينَ تلكَ المَعالِمِ[1]

ولَـكِنّني مِمّا شُدِهْتُ مُتَيَّمٌ ... كَسالٍ وقَلبي بائحٌ مثلُ كاتِمِ[2]

وقَفْنا كأنّا كُلُّ وَجْدِ قُلُوبِنَا ... تَمَكّنَ مِن أذْوادِنا في القَوائِمِ[3]

ودُسْنا بأخْفافِ المَطيِّ تُرابَهَا ... فَما زِلْتُ أستَشفي بلَثْمِ المَناسِمِ[4]

---

١ أثبت ألف أنا ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا في الوقف . وقوله وقت اللوائم فيه حذف مضاف أي وقت لوم اللوائم . والمعالم جمع معلم وهو الأثر يستدل به على الطريق أراد بها ما يبقى بعد الراحلين من آثار النار والدواب ونحو ذلك . يذكر وقوفه في ديار الأحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انهتك ستره ولم يعلم . يقول : إن كنت حين لامتني اللوائم على فرط جزعي وبكائي علمت بما عراني من ذلك فأنا لائم نفسي على تهتكي واستسلامي للوجد والعبرة . وقد أوغل الشراح في هذا البيت بما لا يحتمله المقام ولعل ما ذكرناه هو الأولى لمناسبة ما في البيت الثاني .

٢ شدهت دهشت وما قبله مصدرية . ويروى مما ذهلت . والمتيم الذي تعبده الهوى . يقول : ولكنني من فرط دهشي ذهلت عن إدراك ما خامرني من الوجد فصرت كالسالي وباح قلبي بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على الكتمان .

٣ خبر كأن الجملة بعدها وجملة كأن وما يليها إلى آخر البيت حال من ضمير وقفنا . والأذواد جمع ذود وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل . يقول : أطلنا وقوفنا هناك فكأن ما في قلوبنا من الوجد قد حل في قوائم إبلنا فوقفت بنا ولم تبرح .

٤ الخف من البعير بمنزلة الحافر من الدابة . والمطي الركائب . وضمير ترابها للمعالم . والمناسم أخفاف الإبل . يقول : لما داست الإبل تراب تلك المعالم جعل يتداوى بلثم أخفافها لأنه قد علق بها شيء من ذلك التراب .

دِيارُ اللّواتي دارُهُنّ عَزيزَةٌ ... بطولى القَنا يُحفَظْنَ لا بالتّمائِمِ [1]

حِسانُ التّثَنّي يَنقُشُ الوَشْيُ مثلَهُ ... إذا مِسْنَ في أجسامِهِنّ النّواعِمِ [2]

ويَبسِمْنَ عَن دُرٍّ تَقَلّدْنَ مثلَهُ ... كأنّ التّراقي وُشّحَتْ بالمَباسِمِ [3]

فما لي وللدّنْيا ! طِلابي نُجومُها ... ومَسعايَ منها في شُدوقِ الأراقِمِ [4]

من الحِلمِ أنْ تَستَعمِلَ الجهلَ دونَه ... إذا اتّسعتْ في الحلمِ طُرْقُ المظالِمِ [5]

وأنْ تَرِدَ الماءَ الذي شَطْرُهُ دَمٌ ... فتُسقَى إذا لم يُسْقَ مَن لم يُزاحِمِ [6]

ومَنْ عَرَفَ الأيّامَ مَعرِفَتي بها ... وبالنّاسِ رَوّى رُمحَهُ غيرَ راحِمِ

فلَيسَ بمَرْحُومٍ إذا ظَفِروا بهِ ... ولا في الرّدى الجاري عَلَيهم بآثِمِ [7]

---

١ طولى مؤنث أطول . ويروى بطول . والتمائم جمع تميمة وهي العوذة تعلق على المولود . يقول : ديارهن منيعة لا يتوصل إليها وهن يحفظن بالرماح لا بالعوذ .

٢ الوشي نقش الثوب . ومسن تبخترن . أي لنعومة أبدانهن إذا تبخترن ينقش الوشي في جلودهن مثل صورته .

٣ التراقي جمع ترقوة وهي أعلى الصدر . يعني أن ثغورهن في الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذي في قلائدهن فكأن تراقيهن قد حليت بثغورهن .

٤ طلابي بمعنى مطلوبي وهو مبتدأ خبره نجومها . والأراقم ذكور الحيات . يقول : كيف أبلغ من الدنيا ما أنا ساع في طلبه من المجد والذكر وهو مثل النجوم في البعد وعزة المنال وطريقي إليه محفوفة بالنوائب المهلكة حتى كأني أسعى في أفواه الأراقم .

٥ الحلم الأناة والعقل . والمظالم جمع مظلمة ، بكسر اللام ، وهي ما يتظلم منه . أي إذا كان حلمك داعياً إلى ظلم الناس لك فمن الحلم أن تعدل إلى معاملتهم بالجهل لأن الحلم إنما يستعمل للمسالمة فإذا لم يبلغ إليها وبلغ إليها الجهل فقد صار الجهل ضرباً من الحلم .

٦ شطره نصفه . أي ومن الحلم أن تزاحم من يزاحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتال والقتل حتى صار نصفه من دم القتلى فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا المهجوم الذي يزاحم الناس .

٧ الردى الموت . يقول : من عرف الناس حق المعرفة كما عرفتهم أنا روى رمحه من دمائهم غير

إذا صُلْتُ لم أترُكْ مَصالاً لفاتِكٍ وإنْ قُلتُ لم أترُكْ مَقالاً لعالِمِ[1]

وإلاّ فخانَتْني القَوافي وعاقَني عن ابن عُبيدِ اللهِ ضُعْفُ العَزائِمِ[2]

عَنِ المُقْتَني بَذْلَ التِّلادِ تِلادَهُ ومُجْتَنِبِ البُخْلِ اجتِنابَ المَحارِمِ[3]

تَمَنّى أعاديهِ مَحَلَّ عُفاتِهِ وتَحْسُدُ كَفَّيْهِ ثِقالُ الغَمائِمِ[4]

ولا يَتَلَقّى الحَرْبَ إلاّ بِمُهْجَةٍ مُعَظَّمَةٍ مَذْخُورَةٍ للعَظائِمِ[5]

وذي لجَبٍ لا ذو الجَناحِ أمَامَهُ بنَاجٍ ولا الوَحشُ المُثارُ بسالِمِ[6]

راحم لهم فإنهم إذا ظفروا به لا يرحمونه وإذا قتلهم والحالة هذه فلا إثم عليه . ووصف الردى بالجاري عليهم ليكون كالعذر له في استحلال دمائهم يعني أنه إن لم يقتلهم فإنهم سيموتون حتف أنوفهم فلا يكون قد جنى عليهم شيئاً .

١ صال عليه سطا واستطال . يصف نفسه ببلوغه الغاية في الشجاعة والعلم فإذا صال أو تكلم فهو المقدم الذي لا يجاريه أحد في حاليه .

٢ خانتني دعاء . أي وإن كنت كاذباً فيما قلته فلا أطاعني الشعر وقصرت عزائمي عن قصد الممدوح حتى تكون عقوبتي حرمان نعمته .

٣ التلاد ما ولد عندك من المال الموروث وهو خلاف الطريف . وتلاده حال أي قائماً مقام تلاده . يعني أنه يحرص على بذل تلاده كما يحرص غيره على حفظ التلاد . وخص التلاد لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم فكيف بالحادث .

٤ تمنى أي تتمنى . والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف . والغمائم السحائب وصفها بالثقل كناية عن كثرة مائها . أي أن أعاديه تتمنى أن تكون في موضع عفاته لأنهم آمنون بأسه غائصون في نعمته وتحسد كفيه السحائب الماطرة لأنهما أندى منها بالجود .

٥ المهجة النفس . والعظائم الأمور العظيمة . أي ولا يستقبل الحرب إلا بنفس عظيمة معدة لكل أمر عظيم .

٦ اللجب اختلاط الأصوات أي وبجيش ذي لجب . والمثار الذي أثاره الخوف من مكمنه . أي لكثرة الرماة في جيشه إذا مر طائر أمامه لم ينج وإذا ثار وحش لم يسلم .

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمسُ وهيَ ضَعيفَةٌ تُطالِعُهُ من بَيْنِ رِيشِ القَشاعِمِ[1]

إذا ضَوْؤها لاقَى منَ الطَّيرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ البَيْضِ مثلَ الدراهِمِ[2]

ويَخْفى عَلَيكَ الرَّعدُ والبرْقُ فوْقَهُ منَ اللّمعِ في حافاتِهِ والهَماهِمِ[3]

أرَى دونَ ما بَيْنَ الفُراتِ وبَرْقَةٍ ضِراباً يُمشّي الخَيلَ فوْقَ الجماجمِ[4]

وطَعنَ غَطاريفٍ كأنّ أكُفَّهُمْ عَرَفْنَ الرُّدَيْنيّاتِ قبلَ المَعاصِمِ[5]

حَمَتْهُ على الأعداءِ من كلّ جانبٍ سُيوفُ بني طُغجَ بن جُفَّ القَماقِمِ[6]

---

١ ضمير عليه للجيش . وتطالعه بمعنى تطلع عليه . والقشاعم النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهي ضعيفة من شدة غباره أو من كثرة ما يخيم عليه من النسور فلا ينفذ إليه ضوؤها إلا من خلال أجنحتها .

٢ الفرجة الخلل . والبيض ، بفتح الباء ، جمع بيضة وهي الخوذة من الحديد . يريد أنه لكثرة اشتباك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من منافذ ضيقة فيقع مستديراً .

٣ حافاته جوانبه . والهماهم جمع همهمة وهي الصوت يردد في الصدر . أي لكثرة ما في هذا الجيش من بريق الأسلحة ولمعانها إذا لمع البرق فوقه لا يظهر لغلبة ضوئها عليه وكذلك الرعد لا يسمع لكثرة الأصوات فيه وشدتها .

٤ الفرات النهر المعروف . وبرقة قرية في العراق . أي أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع مضاربة بالسيوف تتراكم فيها رؤوس القتلى حتى تمشي الخيل فوق الجماجم .

٥ طعن عطف على ضراباً . والغطاريف السادة يريد بهم قوم الممدوح . والرديقيات الرماح والمعاصم جمع معصم ، بكسر الميم ، وهو موضع السوار . أي لشدة حذقهم بالطعن كأن أكفهم قد عرفت الرماح وحملتها قبل أن تحملها معاصمها .

٦ الضمير من حمته لما بين الفرات وبرقة . وطغج بن جف جد الممدوح ومنع الاسمين من الصرف عملا باجتماع العجمة والعلمية وإن كانا خفيفين . والقماقم السادات وهو نعت بني طغج وأصله القماقيم لأن مفرده قمقام فحذف الياء للضرورة . أي أن سيوفهم جعلت هذا المكان حمى على الأعداء فلا يصلون إليه .

هُمُ المُحسنونَ الكرَّ في حومةِ الوَغى وأحْسَنُ منهُ كَرُّهُمْ في المَكارِمِ[1]

وهم يحسنُونَ العَفْوَ عن كلِّ مُذنبٍ ويحتَمِلونَ الغُرْمَ عن كلِّ غارِمِ[2]

حَيِيّونَ إلاّ أنّهُمْ في نِزالِهِمْ أقَلُّ حَيَاءً مِنْ شِفارِ الصّوارِمِ[3]

ولَوْلا احتِقارُ الأُسدِ شَبّهتُهُمْ بها ولكِنّها مَعدودَةٌ في البَهائِمِ[4]

سرَى النّوْمُ عني في سُرايَ إلى الذي صَنائِعُهُ تَسري إلى كلِّ نائِمِ[5]

إلى مُطلِقِ الأسرَى ومُختَرِمِ العِدى ومُشكي ذوي الشّكوَى ورَغمِ المُراغمِ[6]

كريمٌ لَفَظتُ النّاسَ لمّا بَلَغْتُهُ كأنّهُمُ ما جَفّ مِنْ زادِ قادِمِ[7]

---

١ الكر الرجوع على العدو بعد الفر للجولان . وحومة كل شيء معظمه . والوغى الحرب . أي أنهم يكرون على أعدائهم المرة بعد المرة وكذلك يفعلون في المكارم فلا يقتصرون في الأمرين على مرة واحدة .

٢ الغرم ما يلزم الرجل أداؤه من ضمانة أو دية ونحوها وقد غرم الشيء إذا لزمه غرمه فهو غارم .

٣ الحيي الذي طبعه الحياء . والشفار جمع شفرة وهي حد السيف . والصوارم السيوف القواطع . يقول : هم حييون يلينون لكل أحد إلا في وقت الحرب فإنهم كحدود سيوفهم لا يستحيون من أقرانهم ولا يلينون لهم .

٤ أي فلا تستحق أن يشبهوا بها وإن كانت غاية الغايات في الشجاعة والإقدام . ويروى شبهتها بهم والرواية الأولى أظهر .

٥ الصنائع جمع صنيعة وهي المعروف . يقول : إنه لم ينم في مسيره إلى هذا الممدوح الذي تسري مواهبه إلى من نام عن قصده فضلا عن القاصد .

٦ الاخترام الإهلاك والاستئصال . ومشكي من أشكيت الرجل إذا أزلت شكواه والهمزة للسلب . والرغم القهر والإذلال . والمراغم المغاضب .

٧ لفظت أي طرحت . ويروى نفضت . يقول : لما بلغته طرحت سائر الناس عني لاستغنائي عنهم كما يطرح القادم من السفر ما بقي معه من حثالة زاده .

وكادَ سروري لا يَفي بنَدامَتي   على تَرْكِهِ في عُمْرِيَ المُتَقَادِمِ [1]

وفارَقْتُ شرَّ الأرْضِ أهْلاً وتُرْبَةً   بها عَلَويٌّ جَدُّهُ غيرُ هاشِمِ [2]

بَلا اللهُ حُسّادَ الأميرِ بحِلْمِهِ   وأجْلَسَهُ مِنهُمْ مكانَ العَمائِمِ [3]

فإنّ لهمْ في سُرْعَةِ المَوْتِ راحَةً   وإنّ لهُمْ في العَيشِ حَزَّ الغَلاصِمِ [4]

كأنّكَ ما جاوَدْتَ مَن بانَ جودُهُ   عَلَيكَ ولا قاوَمْتَ مَنْ لم تُقاوِمِ [5]

---

١ على تركه متعلق بندامتي والضمير للممدوح . أي عظم سروري بلقائه فعظمت من أجله ندامتي على تركه فيما مضى من عمري حتى كاد هذا السرور لا يفي بذلك الندم .

٢ تربة معطوف على شر الأرض . أي فارقت أرضاً أهلها شر الأهل وتربة بها رجل يدعي نسب علي وهو بريء منه .

٣ يقول : ابتلاهم الله بحلمه فلا يقتلهم ليعيشوا معذبين بحسدهم ورفعه عليهم حتى يكون منهم مكان عمائمهم .

٤ الغلاصم جمع غلصمة وهي اللحمة الناتئة عند رأس الحلقوم. والبيت تتمة وبيان للبيت السابق، يقول : سرعة الموت لمثل هؤلاء راحة لهم من حسدهم وعنائهم فبقاؤهم في العيش هو الموت الذي يتجدد على مر الساعات .

٥ جاوده غالبه في الجود . يقول هذا لمخاطبه على سبيل التعريض بحساد الممدوح ومباراتهم له في الكرم والشجاعة ، يقول : إذا فاخرت بالجود من ظهرت آثار جوده عليك وقاتلت من لم تطق مقاومته فكأنك لم تفعل شيئاً في مفاخرتك وقتالك لثبوت غلبته عليك في الأمرين .

سقاني الخمر

وسأله أبو محمد أن يشرب فامتنع ،
فقال له: بحقي عليك إلا شربت ، فقال :

سَقاني الخَمْرَ قَوْلُكَ لي بحَقّي   وَوُدٌّ لمْ تَشُبْهُ لي بِمَــذْقِ[1]
يَميناً لَوْ حَلَفْتَ وأنتَ تأتي   على قَتْلي بها لَضَرَبتُ عُنْقي[2]

تركت الأحرم

ثم أخذ الكأس منه وقال :

حُيِّيتَ مِنْ قَسَمٍ وأفْدي مُقْسِمًا   أمْسَى الأنامُ لَهُ مُجِلاً مُعْظِمَا[3]
وإذا طَلَبْتُ رِضَى الأميرِ بشُرْبِهَا   وأخَذْتُها فلَقَدْ تَرَكتُ الأحرَمَا[4]

---

١ شابه مزجه . والمذق ضد الإخلاص .
٢ نصب يميناً بالنيابة عن المصدر المفهوم من قوله بحقي في البيت السابق أي سقانيها اقسامك علي بذلك قسماً هذه منزلته عندي . ويروى يمين بالرفع على الإخبار .
٣ الخطاب للقسم . وقوله من قسم تمييز محله النصب والجار زائد .
٤ يقول : شربها حرام وعصيان الأمير حرام لكن عصيانه أحرم من شربها فإذا شربها وتركه فقد ترك الأحرم .

خير من تحت السماء

وغنى المغني فقال :

ماذا يَقولُ الّذي يُغَنّي يا خيرَ مَنْ تَحتَ ذي السّماءِ
شَغَلْتَ قَلْبي بلَحْظِ عَيْني إليكَ عَنْ حُسْنِ ذا الغِناءِ

أرى مرهفاً

وعرض عليه سيفاً فأشار به إلى بعض من حضر وقال :

أرَى مُرْهَفاً مُدهِشَ الصّيقَلينَ وبابَةَ كُلّ غُلامٍ عَتَا[1]
أتأذَنُ لي ولَكَ السّابِقاتُ أُجَرّبُهُ لَكَ في ذا الفَتَى[2]

---

١ المرهف المرقق . والصيقلين جمع صيقل وهو الذي يعمل السيوف . وبابة الرجل ما يصلح له، يقول : أرى سيفاً رقيق الشفرتين يدهش الصياقل بجوهره وهو يصلح لكل عات جريء .

٢ السابقات أي الأيادي السابقة والجملة اعتراض .

يقاتلني الليل عليك

ثم أراد الانصراف فقال :

يُقاتِلُني عَلَيْكَ اللّيْلُ جِدّاً ومُنصَرَفي لَهُ أمضَى السّلاحِ[1]
لأنّي كُلّما فارَقْتَ طَرْفي بَعيدٌ بَينَ جَفْني والصّباحِ[2]

زيارة من غير موعد

وسايره وهو لا يدري أين يريد به ، فلما دخل كفرديس قال :

وزِيارَةٍ عَنْ غَيرِ مَوْعِدْ كالغُمضِ في الجفنِ المُسهَّدْ[3]
مَعَجَتْ بِنا فيها الجيا دُ مَعَ الأميرِ أبي مُحَمّدْ[4]

---

١ منصرفي مصدر ميمي بمعنى انصرافي . يقول : أنا أحب أن أطيل اللبث في مجلسك والليل يغار من وجودي عندك فيقاتلني عليك ويحب أن يفرق بيني وبينك وإذا انصرفت عنك فقد أعطيته سلاحاً يغلبني به .

٢ يجوز رفع بين على سلخه عن الظرفية وجعله مبتدأ مخبراً عنه ببعيد ونصبه على الظرفية وتقدير المبتدإ محذوفاً أي بعيد ما بين جفني،والبيت تعليل لما ذكره في الشطر السابق . يقول: لأني كلما فارقت طرفي لم أنم من شوقي إلى لقائك فطال ليلي وبعد ما بين جفني والصباح .

٣ يريد زيارة هذه القرية . والمسهد الذي منع النوم لهم ونحوه .

٤ معج الفرس إذا اعتمد على إحدى عضادتي العنان مرة يميناً ومرة شمالا . وضمير فيها للزيارة .

حَتّى دَخَلْنَا جَنّـَةً لَوْ أنّ ساكِنَها مُخَلَّدْ
خَضْراءَ حَمْراءَ التّرا بِ كأنّها في خَدّ أغْيَدْ[1]
أحْبَبْتُ تَشْبيهاً لَهَـا فَوَجَدْتُهُ ما ليسَ يُوجَدْ[2]
وإذا رَجَعْتَ إلى الحَقَا ئِقِ فَهْيَ واحدَةٌ لأوْحَدْ[3]

دهري في ذراه دهور

وقال فيه :

وَوَقْتٍ وَفَى بالدّهْرِ لي عندَ سَيّدٍ وَفَى لي بأهْليهِ وزادَ كَثيرَا[4]
شرِبْتُ على استِحْسانِ ضَوْءِ جَبينِهِ وزَهْرٍ تَرَى للماءِ فيهِ خَريرَا
غَدَا النّاسُ مِثْلَيْهِمْ به لا عدمتُه وأصْبَحَ دَهْري في ذَراهُ دُهُورَا[5]

---

١ الأغيد المائل العنق وهو من وصف الغلمان الحسان . شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بخضرة العذار على حمرة الخد .

٢ يمكن أن يراد بالتشبيه معناه المصدري أو المشبه به على تسميته بالمصدر . يقول : أحببت أن أجد لها تشبيهاً بشيء من جنان الدنيا أو شبيهاً منهن أشبهها به فلم أجد لأنها منقطعة النظير .

٣ أي واحدة في الحسن لأوحد في المجد .

٤ يقول : إن وقتي عنده قد عادل الدهر كله كما عادل هو أهل الدهر وزاد عليهم .

٥ في ذراه أي في كنفه . يقول : انه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم فقد صار الناس به ضعفي ما كانوا عليه كما أن دهره قد عظم به فصار بمنزلة دهور .

أحسنا الأدب

قال يصف مجلسين له قد ازوى أحدهما
عن الآخر ليُرى من كل واحد منهما ما لا
يُرى من صاحبه :

أَلمَجْلِسانِ على التَّمْييزِ بَيْنَهُمَا مُقَابِلانِ ولَكِنْ أَحْسَنا الأَدَبا[1]
إذا صَعِدْتَ إلى ذا مَالَ ذا رَهَبًا وإنْ صَعِدْتَ إلى ذا مالَ ذا رَهَبَا[2]
فَلِمْ يَهابُكَ ما لا حِسَّ يَرْدَعُهُ إنّي لأَبْصِرُ مِنْ فِعْلَيْهِمَا عَجَبَا[3]

كل مكان منك بستان

وأقبل الليل وهما في بستان فقال :

زالَ النَّهارُ ونورٌ مِنْكَ يُوهِمُنا أنْ لم يزُل وبِجِنْحِ اللّيلِ إجْنَانُ[4]
فإنْ يكُنْ طَلَبُ البُسْتانِ يُمسِكُنا فَرُحْ فكُلُّ مَكانٍ مِنْكَ بُسْتانُ[5]

---

١ على بمعنى مع ، يقول إن هذين المجلسين مع كون أحدهما قد ميز في وضعه عن الآخر مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسنا الأدب فتميزا . ثم ذكر ذلك الأدب فيما يلي .

٢ يذكر علة ازوراء أحدهما عن صاحبه يقول : إذا صعدت إلى الواحد منهما حاد الآخر عنه هيبة لك وكذلك إذا صعدت إلى الآخر فعل صاحبه مثل فعله .

٣ ويروى من شأنيهما ، أي إذا كان ما لا حس له يهابك فما الظن بغيره .

٤ جنح الليل ما أقبل من ظلمته . وجنه الظلام وأجنه ستره .

٥ يقول : إن كنا إنما نبقى في هذا المكان رغبة في البستان فاذهب فكل مكان كنت فيه فهو بستان لأنك تكسوه بهجة ونضارة .

إن معي السحاب

ولما استقل في القبة نظر إلى السحاب فقال :

تَعَرّضَ لي السّحابُ وقد قَفَلْنا فقُلتُ إليكَ إنّ مَعي السّحابَا[1]
فَشِمْ في القُبّةِ المَلِكَ المُرَجّى ، فأمْسَكَ بَعدَما عَزَمَ انسِكابَا[2]

داوِ خماري بالخمرة

قال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند بمجلسه :

أنَشْرُ الكِباءِ ووَجْهُ الأميرِ وحُسنُ الغِناءِ وصافي الخُمُورِ[3]
فَداوِ خُماري بشُرْبي لَهَا فإنّي سكِرْتُ بشُرْبِ السّرورِ[4]

---

١ قفلنا رجعنا . وإليك بمعنى اكفف .

٢ شم أمر من شام البرق إذا نظر إليه يرجو المطر . وعزم الأمر وعليه إذا هم به . لما سمى الأمير سحاباً أمر السحاب بأن ينظر إليه يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقراً إلى سقياه . ثم يقول : إنه لما قال ذلك للسحاب أمسك عن الانسكاب بعدما هم به حياء من جوده ..

٣ النشر الرائحة . والكباء عود البخور . والواو من قوله وصافي الخمور للمصاحبة سد العطف بها مسد الخبر كما في قولهم كل رجل وضيعته . أي أتجتمع لي هذه المذكورات مع صافي الخمور .

٤ الخمار مخالطة السكر . وبشربي صلة خماري . والضمير من قوله لها للخمور . يقول : لا تزدني من الخمر ولكن التمس لي دواء من سكري بها فإني قد سكرت من سروري بهذه الأشياء فلا أحتمل سكراً آخر .

كفى بقرب الأمير طيباً

وأشار إليه طاهر العلوي بمسك وأبو محمد حاضر فقال :

أَلطّيبُ مِمّا غَنيتُ عَنْهُ   كَفَى بقُرْبِ الأميرِ طِيبَا
يَبْني بهِ رَبُّنَا المَعَالي   كمَا بِكُمْ يَغْفِرُ الذّنُوبَا[1]

أكرم الناس فعالاً

وجعل الأمير يضرب البخور بكمه ويقول سوقاً إلى أبي الطيب فقال :

يا أكْرَمَ النّاسِ في الفَعَالِ   وأفْصَحَ النّاسِ في المَقَالِ
إنْ قُلتَ في ذا البَخُورِ سَوْقاً   فهَكَذا قُلتَ في النّوالِ[2]

---

١ ضمير به للأمير . والخطاب لطاهر العلوي يقول له ذلك لأنه من أبناء الرسل .
٢ سوقاً مفعول مطلق نائب عن عامله أي ليسق سوقاً . والنوال العطاء . أي إن أمرت البخور بأن يساق إلي فقد فعلت مثل ذلك في العطاء أيضاً .

غير مستنكر لك الإقدام

وحدث أبو محمد عن مسيرهم بالليل لكبس بادية وأن المطر أصابهم فقال أبو الطيب :

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الإقدامُ   فَلِمَنْ ذا الحَديثُ والإعْلامُ

قد عَلِمنا من قَبلُ أنّكَ مَن لا   يَمْنَعُ اللّيلُ هَمَّهُ والغَمامُ[1]

الدار تسير إليك

وقال فيه وهو عند طاهر العلوي :

قَد بَلَغْتَ الذي أرَدْتَ منَ البِرّ   ومِنْ حَقّ ذا الشّريفِ عَلَيْكَا[2]

وإذا لمْ تَسِرْ إلى الدّارِ في وَقْـ   ـتِكَ ذا خِفْتُ أنْ تَسيرَ إلَيْكَا[3]

---

١ همه أي ما يهم به .

٢ أي من البر به وحق زيارته وإكرامه .

٣ يقول : قد أبطأت عن دارك فإن لم تعجل بالمسير إليها خفت أن تسير إليك من شوقها .

أنت للمكرمات أهدى

وهمّ بالنهوض فأقعده أبو محمد فقال :

يا مَنْ رَأيْتُ الحَليمَ وَغْداً   بِهِ وحُرَّ المُلُوكِ عَبْداً[1]

مالَ عَليَّ الشّرابُ جِدّاً   وأنْتَ للمَكْرُماتِ أهْدَى

فإنْ تَفَضّلْتَ بانْصِرافي   عَدَدْتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْداً[2]

لا تلومنّ اليهودي

وحدث أبو محمد أن أباه استخفى مرة فعرفه رجل يهودي فقال أبو الطيب :

لا تَلُومَنّ اليَهُودِيَّ عَلَى   أنْ يرَى الشّمسَ فلا يُنكِرُهَا[3]

إنّما اللّوْمُ على حاسِبِهَا   ظُلْمَةً مِنْ بَعدِ ما يُبصِرُهَا

---

١ وغداً رذلا .

٢ انعاماً .

٣ يجوز في ينكرها الرفع على الاستئناف أي فهو لا ينكرها والنصب على العطف وحينئذ يروى البيت الثاني من بعد أن يبصرها .

أحفظ المديح بعيني

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر فأعاده فتعجب قوم من حفظه إياه فقال :

إنّما أحْفَظُ المَديحَ بعَيْني ... لا بِقَلْبي لِمَا أرَى في الأميرِ

مِنْ خِصالٍ إذا نَظَرْتُ إلَيها ... نَظَمَتْ لي غَرائبَ المَنْثُورِ[1]

سقاني الله دم الاعداء

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل فهال بعض الجلساء ذلك وجزع منه فقال أبو الطيب لأبي محمد ارتجالا :

أباعِثَ كُلِّ مَكْرُمَةٍ طَمُوحِ ... وفارِسَ كُلِّ سَلْهَبَةٍ سَبوحِ[2]

وطاعِنَ كلِّ نَجْلاءٍ غَمُوسٍ ... وعاصِيَ كلِّ عَذّالٍ نَصيحِ[3]

سَقاني اللهُ قَبلَ المَوْتِ يَوْماً ... دَمَ الأعداءِ من جوْفِ الجُرُوحِ

---

١ من خصال بيان لقوله لما أرى . يقول : لا أحتاج إلى حفظ مدائحه بقلبي لحضور معانيها أمام عيني وهي ما أراه من خصال الأمير فإني كلما نظرت إليها هيأت لي ما أنظمه فيها من الكلام المنثور فأنطق به.

٢ الباعث المحيي من بعث الله الميت إذا أنشره . والطموح بمعنى الجموح وهي العزيزة الممتنعة . والسلهبة الفرس الطويلة . والسبوح التي تسبح في جريها .

٣ النجلاء الواسعة وهي صفة للطعنة . والغموس التي تغمس المطعون في الدم . أي أنه يطعن كل طعنة هذه صفتها ويعصي كل من يعذله في الجود والإقدام .

شأوت العباد

وأطلق الباشق على سماناة فأخذها فقال :

أمِنْ كُلِّ شيءٍ بلَغْتَ المُرادَا · وفي كلِّ شأوٍ شأوْتَ العِبَادَا[1]

فمَاذا تركْتَ لمَنْ لم يَسُدْ · وماذا تركْتَ لمَنْ كانَ سَادَا[2]

كأنَّ السُّمانَى إذا ما رَأتْكَ · تَصَيَّدُها تَشْتَهي أنْ تُصادَا[3]

قانص الابطال

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلمان خشفاً فتلقفته الكلاب فقال أبو الطيب مرتجلا :

وشامِخٍ مِنَ الجبالِ أقْوَدِ · فَرْدٍ كيأفُوخِ البَعيرِ الأصْيَدِ[4]

---

١ الشأو الغاية . وشآه سبقه .

٢ أي لم تترك من السيادة شيئاً يناله من لم يسد ولا شيئاً يذكر لمن ساد .

٣ السمانى طائر معروف تستعمل للواحد وللجنس ويقال في الواحدة سماناة أيضاً . وتصيدها أي تتصيدها . يريد أن السمانى استسلمت للباشق فكأنها تشتهي أن تصاد لتفتخر بحصولها في يدك .

٤ الواو واو رب . والشامخ العالي وهو نعت لمحذوف دل عليه ما بعده أي وجبل شامخ . والأقود الطويل . والأصيد الملتوي العنق لداء . يريد أن هذا الجبل مرتفع في اعوجاج ولذلك قيد البعير بالأصيد .

يُسارُ مِنْ مَضيقِهِ والجَلْمَدِ في مِثْلِ مَتْنِ المَسَدِ المُعَقَّدِ[1]

زُرْناهُ للأمْرِ الذي لم يُعْهَدِ للصَّيْدِ والنُّزْهَةِ والتَّمَرُّدِ[2]

بكُلِّ مَسْقِيِّ الدِّماءِ أسْوَدِ مُعاوِدٍ مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ[3]

بكُلِّ نابٍ ذَرِبٍ مُحَدَّدِ على حِفافَيْ حَنَكٍ كالمِبْرَدِ[4]

كَطالِبِ الثَّأرِ وإنْ لم يَحْقِدِ يَقْتُلُ ما يَقْتُلُهُ ولا يَدِي[5]

يَنْشُدُ من ذا الخِشْفِ ما لم يَفْقِدِ فَثارَ من أخضَرَ مَمْطُورٍ نَدِ[6]

---

١ نائب يسار ضمير المصدر أو مجرور في في الشطر الثاني . والجلمد الصخر. ومثل نعت لمحذوف دل عليه المقام أي في طريق كذلك . والمتن الظهر . والمسد الحبل من ليف . أي السائر في هذا الجبل يسير منه في طريق ضيق ذي صخور قد تعرج واشتبك بعضه في بعض فأشبه ما بين قوى الحبل المعقد .

٢ يروى يعهد ، بضم الياء ، على المجهول ، وبفتحها على أنه من فعل الجبل . والصيد وما يليه بدل تفصيل من الأمر . والنزهة الابتعاد عن مجامع الناس ومواضع القَمَق وفساد الهواء . والتمرد يريد به طغيان النشاط . يقول: أتينا هذا الجبل لهذه الأمور التي لم تعهد في مثله أو التي لم يعهدها في نفسه من قبل لشدة ارتفاعه ووعورة مسالكه .

٣ بكل صلة زرناه . ومسقي الدماء نعت لمحذوف أي بكل كلب هذه صفته . ومعاود أي مواظب على الصيد أو معتاد له . ويروى معود . ومقود أي يقاد إلى الصيد كثيراً . ومقلد من القلادة وهي الطوق يجعل في العنق .

٤ بكل ناب متعلق بمحذوف أي يسطو بكل ناب . والذرب الماضي . والحفاف الجانب . شبه حنكه بالمبرد لما فيه من التضاريس .

٥ ودى القتيل يديه أعطى ديته وهي ثمن الدم . أي كأن له عند الصيد ثأراً يطلبه وإن لم يكن له عليه حقد فهو مولع بقتله يقتل ما يقتله ولا دية عليه .

٦ نشد الضالة طلبها وتعرف مكانها . والخشف ولد الغزال ومن الداخلة عليه بيان لما . والاخضر نعت لمحذوف أي من مكان أخضر . أي يطلب من هذا الخشف ضالة لم يفقدها من قبل فثار الخشف بين يديه من مكان أخضر ذي ندوة .

كأنّهُ بَدْءُ عِـذارِ الأمْـرَدِ فلَمْ يكَدْ إلاّ لحَتْفٍ يَهتَدي[1]
ولم يَقَعْ إلاّ عَلى بَطْنِ يَـدِ فلَمْ يَدَعْ للشّاعِرِ المُجَوِّدِ[2]
وَصْفاً لَهُ عِندَ الأميرِ الأمْجَدِ المَلِكِ القَرْمِ أبي مُحَمّدِ[3]
ألقانِصِ الأبْطالَ بالمُهَنّـدِ ذي النِّعَمِ الغُرِّ البَوادي العُوَّدِ[4]
إذا أرَدْتُ عَدّها لم تُعْدَدِ وإنْ ذكَرْتُ فَضْلَهُ لم يَنْفَدِ[5]

لولا الملاحة لم أعجب

قال وقد استحسن عين باز في مجلسه :

أيا ما أُحَيْسِنَها مُقْلَـةً ولَوْلا المَلاحَةُ لم أعْجَبِ[6]

---

١ العذار شعر العارضين وهو تشبيه لخضرة المكان . والحتف الهلاك . يقول : إنه لما ثار أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكد يهتدي منها طريقاً إلا كان فيها حتفه لإدراك الكلب إياه ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيها .

٢ ضمير يدع الكلب . أي انه لم يدع للشاعر وصفاً يصفه به عند الأمير لأنه لا يقدر أن يأتي بشيء أكثر مما رآه من أفعاله .

٣ القرم السيد .

٤ المهند السيف الهندي . وسمى أخذه للأبطال قنصاً لمشاكلة المقام . والغر البيض . والبوادي أصلها الهمز فخففها للوزن ويحتمل أن تكون من الناقص بمعنى الظواهر أي أنها تبدأ أو تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة .

٥ ويروى لم أعدد . وينفد يفرغ .

٦ يشير إلى معنى فعل التعجب حيث يقول : ما أحيسنها أي لولا حسنها لم أقل ذلك . والتصغير هنا للتحبيب .

خَلُوقِيّةٌ في خَلُوقِيّها سُوَيداءُ من عِنَبِ الثّعلَبِ[1]
إذا نَظَرَ البازُ في عِطْفِهِ كَسَتهُ شُعاعاً علىالمَنكِبِ[2]

قليل لك المديح الكثير

وعاتبه على تركه مديحه فقال :

تَرْكُ مَدحيكَ كالهِجاءِ لنَفسِي وقَليلٌ لَكَ المَديحُ الكَثيرُ[3]
غيرَ أنّي تركْتُ مُقْتَضَبَ الشّعْـ ـرِ لأمْرٍ مِثْلي بهِ مَعْذُورُ[4]
وسَجاياكَ مادِحاتُكَ لا لَفْـ ـظي وَجُودٌ على كَلامي يُغيرُ[5]
فَسَقَى اللهُ مَنْ أُحبُّ بكَفّيْـ ـكَ وأسقاكَ أيّهذا الأميرُ[6]

---

١ خلوقية نسبة إلى الخلوق وزان صبور وهو ضرب من الطيب أصفر اللون . وخلوقيها أي لونها الخلوقي والظرف خبر مقدم عن المرفوع بعده . وسويداء تصغير سوداء وهو نعت لمحذوف أي حبة سوداء . يقول : هي صفراء بلون الخلوق يتوسط صفرتها إنسان أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

٢ العطف الجانب . أي إذا التفت إلى جانبه اكتسى من نورها شعاعاً .

٣ أي مدحي إياك .

٤ اقتضب الشعر ارتجله والمقتضب هنا يجوز أن يكون مصدراً أو اسم مفعول . ولم يبين ذلك الأمر الذي اعتذر به في ترك الشعر كأنه كان معلوماً عند الممدوح فاكتفى بعلمه .

٥ السجايا الأخلاق . يقول : إنما يمدحك ما فيك من الأخلاق الحميدة التي أراها فأتعلم المدح منها والجود الذي يستغرق كلامي في وصفه حتى كأنه يغير عليه وينهبه .

٦ سقاه الله وأسقاه لغتان أو الأولى مجاز والثانية بمعنى جعل له ما يسقاه . يقول : سقى الله أحبائي غيث كفيك حتى يخصبوا بجودك وسقاك غيثه حتى تهيأ لهم السقيا بسقياك .

وداع الروح للجسد

وقال يودعه :

ما ذا الوَداعُ وَداعُ الوامِقِ الكَمِدِ هذا الوَداعُ وَداعُ الرّوحِ للجَسَدِ[1]

إذا السّحابُ زَفَتْهُ الرّيحُ مُرْتَفِعاً فَلا عَدا الرَّمْلَةَ البَيضاءَ من بَلَدِ[2]

ويا فِراقَ الأميرِ الرّحْبِ مَنْزِلُهُ إنْ أنْتَ فارَقْتَنَا يَوْماً فلا تَعُدِ[3]

كثير حياة المرء مثل قليلها

يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي * :

أعيدوا صَباحي فَهوَ عندَ الكَواعبِ ورُدّوا رُقادي فَهوَ لحظُ الحبائبِ[4]

....

١ ما نافية . والوامق المحب . أي ليس هذا الوداع وداع محب لحبيبه بل هو وداع روح لجسدها .

٢ زفته أي ساقته . وعدا جاوز . والرملة بلدة الممدوح . ومن بلد تمييز والجار زائد .

٣ الرحب الواسع . ومنزله فاعل الرحب . يريد ان اجتمعنا أيضاً فلا تفرقنا ثانية .

* قال عبد العزيز بن الحسن السلمي إن الأمير أبا محمد بن طغج لم يزل يسأل أبا الطيب أن يخص أبا القاسم طاهراً العلوي بقصيدة من شعره وإنه قد اشتهى ذلك وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه.فقال أبو محمد:عزمت أن أسألك قصيدة تنظمها فيّ فاجعلها فيه،وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفي:فسرت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبي الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف . فلما أقبل أبو الطيب نزل طاهر عن سريره والتقاه مسلماً عليه ثم أخذه بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها وجلس هو بين يديه فتحدث معه طويلا ثم أنشده أبو الطيب فخلع عليه للوقت خلعاً نفيسة . قال علي بن القاسم الكاتب : كنت حاضراً هذا المجلس فما رأيت ولا سمعت أن شاعراً جلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب فإني رأيت هذا الأمير قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

٤ الكواعب جمع كاعب وهي التي بدا ثديها للنهود . والحبائب جمع حبيبة ولحظهن بمعنى رؤيتهن .

فإنّ نَهاري لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ على مُقْلَةٍ مِنْ بَعدِكُمْ في غياهبِ[1]

بَعيدَةِ ما بَيْنَ الجُفُونِ كأنّمَا عَقَدْتُمْ أعالي كلّ هُدْبٍ بحاجبِ[2]

وأحْسَبُ أنّي لوْ هَوِيتُ فِراقَكُمْ لَفارَقْتُهُ والدّهرُ أخبثُ صاحبِ[3]

فَيا لَيتَ ما بَيْني وبَينَ أحِبّتي مِنَ البُعْدِ ما بَيني وبَينَ المَصائبِ[4]

أراكِ ظَنَنْتِ السّلكَ جِسمي فعُقْتِه عَلَيْكِ بدُرٍّ عن لِقاءِ التّرائبِ[5]

ولَوْ قَلَمٌ أُلقيتُ في شَقّ رأسِهِ من السّقمِ ما غيّرْتُ من خطّ كاتبِ[6]

تُخَوّفُني دونَ الذي أمَرَتْ بِهِ ولم تَدْرِ أنّ العارَ شرُّ العَواقِبِ[7]

يخاطب الحي الراحلين يقول : أعيدوا علي صباحي فإنه فارقني منذ فراقهن وردوا علي منامي فإني فقدته منذ فقدت رؤيتهن . والمعنى ردوهن علي حتى يرتد صباحي ورقادي .

١ مدلهمة شديدة السواد. والغياهب الظلمات. والبيت تعليل لما ذكره في البيت السابق من فقد صباحه، يقول : إنه قد أظلم بصره من شدة الحيرة أو البكاء فكأن نهاره ليل حالك لا يبصر فيه شيئاً .

٢ الهدب الشعر النابت على أشفار العين . والمراد بأعالي الهدب ما نبت منه على الجفن الأعلى . يقول : إن أجفانه لا تزال متباعدة فكأن أعالي أهدابها قد عقدت بالحاجبين فلا يمكن انطباقها .

٣ يريد أن الدهر مغرى بمخالفته حتى لو هوي فراقهم وهو ما أراده الدهر لعكس الدهر هواه واضطره إلى أن يفارقه .

٤ يعني أن المصائب ملازمة له فهو يتمنى أن تكون أحبته كذلك .

٥ أراك ، بضم الهمزة ، بمعنى أظنك . والسلك خيط النظام . وقوله عليك بدر يريد بدر عليك فقدم الظرف . والترائب عظام أعلى الصدر . يقول : كأنك توهمت السلك الذي في قلادتك جسمي لمشابهته إياه في الدقة فحلت بينه وبين ترائبك بالدر المنظوم فيه لئلا يمس صدرك . يشير إلى شدة مجافاتها له حتى صارت تنفر من كل ما يشاكله .

٦ قلم فاعل لفعل محذوف يفسر من لازم ما بعده أي ولو ضمني قلم ونحو ذلك يقول : لشدة سقمي لم يبق لي جرم يشعر به حتى لو ألقيت في شق قلم لم يتغير بي خط الكاتب .

٧ ضمير تخوفني للحبيبة أو العاذلة . ودون نقيض فوق يريد تخوفني شيئاً هو دون ما تأمرني به في المخافة . قال الواحدي: الذي أمرت به ملازمة البيت وترك السفر والذي خوفته به الهلاك وهو

ولا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أغَرَّ مُحَجَّلٍ يَطُولُ استِماعي بَعدَهُ للنَّوادِبِ[1]

يَهُونُ على مِثْلي إذا رامَ حاجَةً وُقوعُ العَوالي دونَها والقَواضِبِ[2]

كَثيرُ حَيَاةِ المَرْءِ مِثْلُ قَليلِهَا يَزولُ وباقي عَيْشِهِ مِثْلُ ذاهِبِ[3]

إلَيْكِ فإنّي لَسْتُ ممّنْ إذا اتّقَى عِضاضَ الأفاعي نامَ فوقَ العقارِبِ[4]

أتاني وَعيدُ الأدْعِياءِ وأنّهُمْ أعَدّوا ليَ السّودانَ في كَفْرَ عاقِبِ[5]

ولَوْ صَدَقوا في جَدّهِمْ لحَذِرْتُهمْ فَهَلْ فيّ وَحدي قَوْلُهم غيرُ كاذِبِ[6]

إليّ لَعَمري قَصْدُ كُلّ عَجيبَةٍ كأنّي عَجيبٌ في عُيُونِ العَجائِبِ[7]

دون ما تأمر به من ملازمة البيت لأن فيها عاراً والعار شر من البوار .

١ الأغر الذي في وجهه بياض . وأغر محجل من صفات الخيل استعارها لليوم يريد يوماً مشهوراً يتميز عن الأيام كما يتميز الفرس بالغرة والتحجيل . يقول : لا بد لي من يوم مشهور تكثر فيه القتلى من أعادي ويطول بعده صياح النوادب عليهم .

٢ العوالي صدور الرماح يريد بها الأسنة . والقواضب السيوف القاطعة .

٣ مثل قليلها خبر . ويزول خبر ثان . يقول : طويل العمر وقصيره سيان لأن كلا منهما غايته الزوال وما بقي من العيش لاحق بما ذهب فهو في حكمه وإذا كان الأمر كذلك فلا وجه للحرص على الحياة لأنها غير باقية .

٤ إليك اسم فعل بمعنى كفي وهو التفات . واتقى بمعنى توقى . يقول : كفي عني فإني لست ممن إذا خاف من الهلاك صبر على الذل . جعل الأفاعي مثلا للهلاك لأنها تقتل دفعة واحدة والعقارب مثلا للذل لأنها لا تقتل ولكن لسعها يتكرر فتكون أطول عذاباً وأمر آلاماً .

٥ الوعيد التهديد . والأدعياء جمع دعي وهو المنتسب إلى غير أبيه يريد قوماً يدعون نسب علي بن أبي طالب وأنهم أعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفرعاقب اسم قرية بالشام .

٦ يقول : لو صدقوا في دعوى انتسابهم إلى النبي لجاز صدقهم في الوعيد أيضاً فحذرتهم ولكنهم لما كذبوا في نسبهم علم أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدي صادقاً .

٧ إلي خبر مقدم عن قصد . يعرض بالذين توعدوه يقول : لا عجب من قصدهم إلي بهذا الوعيد فإني لا أزال أعثر بالعجائب حتى كأنها تتعجب من صبري وعلو همتي فهي تقصدني من كل مكان .

بأيِّ بِلادٍ لم أجُرَّ ذُؤابَتي وأيّ مَكانٍ لم تَطأهُ رَكائِبي[1]
كأنّ رَحيلي كانَ منْ كَفّ طاهرٍ فأثْبَتَ كُوري في ظهورِ المَواهِبِ[2]
فلَمْ يَبْقَ خلْقٌ لم يَرِدْنَ فِناءَهُ وهُنّ لَهُ شِرْبٌ وُرُودَ المَشارِبِ[3]
فتًى علّمَتْهُ نَفْسُهُ وجُدودُهُ قِراعَ العَوالي وابتِذالَ الرّغائبِ[4]
فقدْ غَيّبَ الشُّهّادَ عن كلّ مَوْطنٍ ورَدّ إلى أوطانِهِ كلّ غائبِ[5]
كَذا الفاطِميّونَ النّدى في بنانِهمْ أعزُّ امّحاءً مِنْ خُطوطِ الرّواجِبِ[6]
أُناسٌ إذا لاقَوْا عِدًى فكأنّما سِلاحُ الذي لاقَوْا غُبارُ السّلاهِبِ[7]

---

١ الذؤابة من النعل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم . ويروى ذوائبي . والركائب جمع ركوبة يصف نفسه بكثرة الأسفار والتنقل في البلاد حتى لم يدع أرضاً لم يخط فيها ولا مكاناً لم يقطعه .

٢ الكور الرحل . يقول : كأني رحلت من كف هذا الممدوح ممتطياً ظهور مواهبه فلم تدع مكاناً من الأرض إلا وردت بي عليه .

٣ يردن من ورود الماء والضمير للمواهب . والفناء الساحة والمنزل . والشرب ، بالكسر ، حظ الوارد من الماء . وورود مفعول مطلق مضاف إلى مفعوله . يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب الممدوح منزله كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها أن تورد لكنها ترد الشاربين على خلاف العادة .

٤ العوالي صدور الرماح . ويروى الأعادي . والابتذال قريب من البذل . والرغائب جمع رغيبة وهي الشيء المرغوب فيه . يعني أن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان .

٥ الشهاد جمع شاهد بمعنى حاضر . أي غيبهم عن أوطانهم بالوفود إليه لما يدعوهم من مكارمه وردهم إليها بعد أن غمرهم بنعمته فاستغنوا عن السفر .

٦ الندى الجود وهو مبتدأ خبره أعز . ويروى في أكفهم . والرواجب مفاصل الأصابع . أي أن الكرم مخلوق فيهم راسخ في أكفهم حتى إن هذه الخطوط يمكن أن تمحى منها وهو لا يمحى .

٧ جمع سلهب وهو الفرس الطويل . أي أن سلاح أعدائهم عندهم كغبار خيلهم يشقونه غير مبالين به ولا مرتدين عن وجوههم .

رَمَوْهُ بنَواصيها القِسِيَّ فجِئْنَهَا دَوَامي الهَوادي سالماتِ الجَوانِبِ[1]

أولئِكَ أحْلى مِنْ حَيَاةٍ مُعادَةٍ وأكْثَرُ ذِكْراً مِنْ دُهورِ الشَّبائِبِ[2]

نَصَرْتَ عَلِيّاً يا ابْنَهُ ببَواتِرٍ من الفِعْلِ لا فَلٌّ لها في المَضارِبِ[3]

وأبْهَرُ آياتِ التّهامِيّ أنّهُ أبوكَ وأجدى ما لكُمْ من مَناقِبِ[4]

إذا لم تكُنْ نَفْسُ النّسيبِ كأصْلِهِ فماذا الذي تُغْني كِرامُ المَناصِبِ[5]

وما قَرُبَتْ أشْباهُ قَوْمٍ أباعِدٍ ولا بَعُدَتْ أشْباهُ قَوْمٍ أقارِبِ[6]

---

١ ضمير نواصيها للسلاهب . وجئنها أي بلغنها وضمير المفعول للقسي . والهوادي جمع هاد وهو العنق . يقول : استقبلوا الرماة بوجوه خيلهم فلم تنثن حتّى بلغت إليهم وقد دميت أعناقها دون جوانبها لأنها صممت على الإقدام لا تنحرف يميناً ولا شمالا ولهذا لم تصب سهامهم إلا أعناقها وسلمت جوانبها وسائر أعضائها .

٢ جمع شبيبة . يقول : هم أحلى في القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

٣ يريد بعلي علي بن أبي طالب لأن الممدوح علوي . والبواتر السيوف القواطع . والفل الثلم ورفعه على إعمال لا عمل ليس . والمضارب جمع مضرب وهو حد السيف . يقول : فعلت من المكارم ما عززت به محامد أبيك فكان ذلك بمنزلة النصر له وسلمت أفعالك من العيوب فكانت في نصره بمنزلة سيوف قاطعة لا ثلم في حدودها .

٤ التّهامي نسبة إلى تهامة وهي مكة يريد به النبي . وأجدى بمعنى أنفع . ويروى إحدى ، بالحاء . والمناقب المفاخر . يقول : أبهر آياته أنه أبوك وكونه أباً لك هو أجدى مناقبكم يا معشر العلويين أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة .

٥ النسيب ذو النسب الشريف . وتغني بمعنى تنفع . والمناصب الأصول . يقول: إذا لم تكن نفس النسيب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه أن ينتسب إلى أصل كريم .

٦ الأشباه جمع شبه بمعنى شبيه . والبيت تتمة لما قدمه في البيت السابق، يقول: صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول فإذا ادعى قوم نسباً وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب وكذلك القول في الأقارب وهو تعريض بالذين ذكرهم من الأدعياء .

إذا عَلَوِيٌّ لم يكنْ مِثْلَ طاهرٍ فَما هُوَ إلاّ حُجَّةٌ للنَّواصِبِ[1]

يقولونَ تأثيرُ الكَواكبِ في الوَرَى فَما بالُهُ تأثيرُهُ في الكَواكبِ[2]

عَلا كَتَدَ الدّنْيا إلى كُلِّ غايَةٍ تَسيرُ بهِ سَيْرَ الذَّلُولِ براكبِ[3]

وحُقّ لَهُ أن يَسْبِقَ النّاسَ جالِساً ويُدْرِكَ ما لم يُدرِكُوا غيرَ طالبِ[4]

ويُحْذَى عَرانينَ المُلوكِ وإنّها لَمِنْ قَدَمَيْهِ في أجَلّ المَراتبِ[5]

يَدٌ للزّمانِ الجَمْعُ بَيْني وبَيْنَهُ لتَفْريقِهِ بَيْني وبَيْنَ النّوائبِ[6]

هُوَ ابنُ رَسولِ اللهِ وابنُ وَصِيِّهِ وشِبْهُهُما شَبّهْتُ بعدَ التّجارِبِ[7]

---

١ علوي مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور أي إذا لم يكن علوي . والنواصب الخوارج الذين نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب . يقول : إذا لم يكن العلوي تقياً ورعاً كهذا الممدوح كان حجة لأعداء علي لأنهم يتخذون نقصه دليلا على نقص أبيه .

٢ أي يقول الناس إن الكواكب تؤثر في الخلق يعني ما يزعمه المنجمون من السعد والنحس ولكني أراه يؤثر في الكواكب بأنه يغلب أحكامها ويبطل تأثيرها فينقل أحوال العباد من النحس وضده بما يفيضه من نعمه وما ينزله من نقمته ولا تستطيع الكواكب في ذلك أن تقاومه وتحول ما أراده .

٣ الكتد ما بين الكاهل إلى الظهر . وضمير تسير للدنيا . والذلول الدابة المذللة بالركوب . أي أنه استوى على متن الدنيا فانقادت له انقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به إلى كل غاية قصدها .

٤ حق له كذا ، بضم الحاء ، إذا كان جديراً به . وجالساً وغير طالب حالان . أي حق له أن يسبق الناس في سبيل المعالي وهو لا يتكلف لذلك مشقة ويدرك ما لم يدركوه من غاياتها وهو غير ساع في طلبه . يريد أنه إنما بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما خلق الله فيه من الفضل وعلو الهمم وهذا مما لا يدرك بالسعي والاجتهاد .

٥ حذاه نعلا ألبسه إياها . وعرانين الملوك أنوفها وهي مفعول ثان ليحذى . أي وحق له أن تجعل عرانين الملوك حذاء له أي أن يطأها بقدميه ولو فعل ذلك لكانت في أجل المراتب لأنها تتشرف بوطأته .

٦ اليد النعمة وهي خبر مقدم عن الجمع . والضمير من تفريقه للزمان . والنوائب نوازل الدهر .

٧ الضمير من وصيه للرسول والمراد بوصيه علي بن أبي طالب وشبههما عطف على الخبر أي وهو

يَرَى أنّ ما ما بانَ مِنكَ لضارِبٍ   بأقْتَلَ مِمّا بانَ منكَ لعائِبِ[1]

ألا أيّها المالُ الذي قد أبادَهُ   تَعَزَّ فَهَذا فِعْلُهُ بالكَتائِبِ[2]

لَعَلّكَ في وَقْتٍ شَغَلْتَ فُؤادَهُ   عن الجُودِ أوْ كَثّرْتَ جيشَ مُحارِبِ[3]

حَمَلْتُ إلَيْهِ مِنْ لِسَاني حَديقَةً   سقاها الحجى سقيَ الرِّياضَ السّحائِبِ[4]

فَحُيِّيتَ خيرَ ابنٍ لخَيرِ أبٍ بِهَا   لأشرَفِ بَيْتٍ في لُؤيِّ بنِ غالِبِ[5]

شبهها . وقوله شبهت بعد التجارب كلام مستأنف أي شبهته بها بعد الخبرة فليس تشبيهي عبثاً .

١ ما الأولى نافية عاملة عمل ليس . والثانية موصولة . واسم أن محذوف ضمير الشأن . أي يرى أن ما ظهر من الانسان لضرب السيف كالعنق ونحوه ليس بأقتل له مما ظهر لطعن العائب . والمعنى أنه يرى العيب أشد من القتل .

٢ ويروى تسل . والكتائب فرق الجيوش . يقول لماله تعز عن إبادته إياك فإن لك أسوة بجيوش أعدائه الذين يفعل بهم مثل فعله بك .

٣ يلتمس للمال ذنباً عند الممدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو ، يقول : لعلك شغلت فؤاده يوماً عن الجود بفتنتك أو أطمعت العدو في محاربته رغبة فيك فاستأهلت عقوبته بذلك .

٤ الحديقة البستان عليه حائط عنى بها القصيدة . والحجى العقل. وقوله سقي الرياضَ السحائب أراد سقي السحائب الرياضَ فقدم وأخر وهو من شواذ الاستعمال .

٥ خير ابن حال أو منادى. وبها صلة حييت وكان من عادتهم أن يحيوا بالزهور والرياحين . يريد بخير ابن الممدوح . وبخير أب النبي . وبأشرف بيت بني هاشم بن عبد مناف . ولؤي بن غالب من آباء قريش .

كلنا للخالق

كان لأبي الطيب حجرة تسمى الجهامة ولها مهر يسمى الطخرور، فأقام الثلج على الأرض بانطاكية وتعذر المرعى على المهر فقال :

ما للمُرُوجِ الخُضْرِ والحَدائِقِ   يَشكُو خَلاها كَثْرَةَ العَوائِقِ [1]

أقامَ فيها الثّلجُ كالمُرافِقِ   يَعقِدُ فَوْقَ السّنّ ريقَ الباصِقِ [2]

ثمّ مَضَى لا عادَ مِنْ مُفارِقِ   بقائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وسائِقِ [3]

كأنّما الطُّخْرُورُ باغي آبِقِ   يأكُلُ من نَبْتٍ قَصيرٍ لاصِقِ [4]

كقَشْرِكَ الحِبرَ عَنِ المَهارِقِ   أرودُهُ مِنْهُ بكَالشّوذانِقِ [5]

---

١ المروج جمع مرج وهو الموضع ترعى فيه الدواب . والحدائق جمع حديقة وهي البستان المسور كما مر قبيل هذا وتطلق على كل روضة ذات شجر . والخلى الرطب من النبات . وأراد بالعوائق ما يمنع طلوعه من البرد والثلج .

٢ أي اشتد البرد من طول إقامة الثلج فجمد به كل سائل حتى لو أراد الإنسان أن يبصق لانعقد ريقه فوق أسنانه .

٣ القود من أمام والسوق من خلف . جعل أوائل ما ذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقاً يعني أنه قد انحسر بذوبانه فكأن ما ذاب منه كان يقوده تارة ويسوقه أخرى حتى زال .

٤ الطخرور اسم المهر وهو في اللغة اللطخ القليل من السحاب . وباغي بمعنى طالب . والآبق الهارب يستعمل في العبيد . ولاصق أي لاطىء بالأرض لضعفه . يقول : إنه لإعواز المرعى كان يلتمس العشب من ههنا وههنا متردداً في طلبه كأنه يطلب آبقاً .

٥ المهارق جمع مهرق ، بضم الميم وفتح الراء، وهو الصحيفة . شبه رعي مهره للنبات اللاصق بالأرض بقشر الكاتب الحبر عن الصحيفة . وأروده أي أطلبه والضمير للنبت . وضمير منه للمهر

بمُطْلَقِ اليُمْنَى طَوِيلِ الفائِقِ عَبْلِ الشَّوَى مُقارِبِ المَرَافِقِ[1]

رَحْبِ اللَّبانِ نَائِهِ الطَّرائِقِ ذي مَنخِرٍ رَحْبٍ وإطلٍ لاحِقِ[2]

مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كُمَيْتٍ زاهِقِ شادِخَةٍ غُرَّتُهُ كالشّارِقِ[3]

كأنّها مِنْ لَوْنِهِ في بارِقِ باقٍ على البَوْغاءِ والشّقائِقِ[4]

والأبْرَدَينِ والهَجِيرِ المَاحِقِ للفارِسِ الرَّاكِضِ منهُ الواثِقِ[5]

والظرف حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق الباء متعلقة بأروده . والكاف اسم بمنزلة مثل أي بمهر مثل الشوذانق وهو الصقر . أي أطلب هذا النبت بمهر كالصقر يريد مهره على سبيل التجريد .

١ مطلق اليمنى أي لا تحجيل فيها بناء على تشبيه التحجيل في القوائم الأخر بالقيد . وهو بدل من قوله بكالشوذانق . والفائق موصل العنق في الرأس كنى بطوله عن طول العنق . والعبل الضخم . والشوى أي القوائم . والمرافق جمع «رفق » بكسر الميم وفتح الفاء ، وبالعكس،وهو موصل الذراع في العضد . وصفه بتقارب المرافق يريد أنه لا فحج به لأن الفحج من العيوب .

٢ رحب اللبان واسع الصدر وهو احتراس ذكره بعد وصفه له بتداني المرفقين لئلا يتوهم أنه ضيق الصدر وهو عيب . ونائه من النوه وهو الارتفاع.والطرائق يعني بها طرائق اللحم أي أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية . والمنخر خرق الأنف . والإطل الخاصرة . واللاحق الضامر .

٣ النهد الجسيم المشرف . والكميت الأحمر إلى السواد . والزاهق السمين الممخ . والغرة البياض في وجه الفرس . وشدخت الغرة إذا انتشرت وامتدت سفلا . والشارق الشمس عند شروقها شبهها بها لانتشار أشعتها على نواحي الأفق .

٤ البارق السحاب ذو البرق . ومن لونه بيان للبارق . شبه لونه بالسحاب الذي انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد . باق أي ثابت وهو خبر عن محذوف يعود إلى المهر والكلام منقطع عما قبله . والبوغاء التربة الرخوة . والشقائق جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رملتين . والأبردان الغداة والعشي وهما عطف على البوغاء . والهجير حر منتصف النهار . والماحق أي الذي يمحق كل شيء بحره . يعني أنه يثبت على السير في السهل والحزن والبرد والحر .

٥ للفارس خبر مقدم عن خوف في أول الشطر التالي . وركض الفرس ضربه برجله ليعدو . ومنه صلة الخوف وفي الكلام تقديم وتأخير . أي لنشاطه وشدته إذا عدا بفارسه الواثق بنفسه في الفروسية

خَوْفُ الجَبانِ في فُؤادِ العاشِقِ ... كأنّهُ في رَيْدِ طَوْدٍ شاهِقِ[1]

يَشأى إلى المِسمَعِ صَوْتَ النّاطقِ ... لوْ سابَقَ الشّمسَ من المَشارِقِ[2]

جاءَ إلى الغَرْبِ مَجيءَ السّابِقِ ... يَتْرُكُ في حِجارَةِ الأبارِقِ[3]

آثارَ قَلْعِ الحَلْيِ في المَناطِقِ ... مَشياً وإنْ يَعْدُ فكالخَنادِقِ[4]

لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحابٍ صادِقِ ... لأحْسَبَتْ خَوامِسَ الأيانِقِ[5]

إذا اللّجامُ جاءَهُ لطارِقِ ... شَحَا لَهُ شَحْوَ الغُرابِ النّاعِقِ[6]

كأنّما الجِلْدُ لعُرْيِ النّاهِقِ ... مُنْحَدِرٌ عَنْ سِيَتَيْ جُلاهِقِ[7]

أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل في فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

١ الضمير من كأنه للفارس . والريد الحرف الشاخص من الجبل وفي الداخلة عليه بمعنى على . والطود الجبل العظيم . أي لعظم جثته وارتفاعه كأن فارسه على جبل عال .

٢ يشأى يسبق . والمسمع ، بكسر أوله ، الأذن . أي أنه لحدته وسرعة جريه يسبق مسير الصوت .

٣ جمع أبرق وهو المكان الغليظ فيه حجارة وطين .

٤ آثار مفعول يترك . والمناطق جمع منطقة وهي ما يشد في الوسط . ومشياً حال على تأويله بالوصف . وقوله فكالخنادق أي فيترك آثاراً كالخنادق وهي الحفائر حول أسوار المدن . أي لشدة وطئه إذا مشى ترك في الحجارة آثاراً كآثار فصوص الحلي إذا قلعت من المناطق وإذا عدا ترك فيها آثاراً كالخنادق .

٥ ضمير أوردت للآثار المشبهة بالخنادق . وغب أي بعد . وأحسبت بمعنى كفت . والخوامس التي ترد الخمس وهو أن ترعى الإبل ثلاثة أيام وتورد في الرابع . والأيانق النياق . أي أن هذه الآثار لو أوردت بعد أن يملأها سحاب صادق المطر لكان فيها من الماء ما يكفي النياق يوم الخمس .

٦ الطارق الأمر يحدث ليلا . وشحا فتح فاه . يقول : إذا أريد إلجامه لحادث فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق . يريد أنه لا يمتنع من اللجام ويجوز أن يكون أراد مع ذلك سعة فمه وهو من الأوصاف المحمودة .

٧ الناهق عظم ناتىء في مجرى الدمع من الدابة وهما ناهقان . والسية ما عطف من طرف القوس .

بَزَّ المَذاكي وهْوَ في العَقائقِ   وزادَ في السّاقِ على النّقانقِ[1]

وزادَ في الوَقْعِ على الصّواعِقِ   وزادَ في الأذْنِ على الخَرانِقِ[2]

وزادَ في الحِذْرِ على العَقاعِقِ   يُمَيّزُ الهَزْلَ مِنَ الحَقائقِ[3]

وَيُنْذِرُ الرّكْبَ بِكُلّ سارِقِ   يُريكَ خُرْقاً وَهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ[4]

يَحُكُّ أنّى شاءَ حَكَّ الباشِقِ   قُوبِلَ مِنْ آفِقَةٍ وآفِقِ[5]

بَيْنَ عِتاقِ الخَيْلِ والعَتائِقِ   فَعُنْقُهُ يُرْبي على البَواسِقِ[6]

وحَلْقُهُ يُمْكِنُ فِتْرَ الخانِقِ   أُعِدُّهُ للطّعنِ في الفَيالِقِ[7]

والجلاهق البندق الذي يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيتي قوس .

١ بزّ غلب وفاق . والمذاكي الخيل أتى عليها بعد قروحها سنة . والعقائق جمع عقيقة وهي الشعر الذي يولد المولود وهو عليه . والنقانق جمع نقنق ، بالكسر ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الخيل المسنة وهو فلو صغير وزادت ساقه في الطول على سوق النعام .

٢ جمع خرنق ، بالكسر ، وهو ولد الأرنب . أي أن وقع حوافره زاد شدة على وقع الصواعق وزادت أذنه في الدقة والانتصاب على آذان الأرانب .

٣ العقاعق ضرب من الغربان والغراب مثل في شدة الحذر . وأراد بتمييزه الهزل من الحقائق أنه إذا ركضه فارسه علم هل يريد الميدان أم الغارة فلعب أو جد بحسب المراد منهما .

٤ الخرق في الأعمال خلاف الرفق . أي أنه لا ينام بالليل لشدة تيقظه فإذا أحس بسارق صهل فأنذر به فهو عين الحاذق وإن أوهم بكثرة لعبه أن به خرقاً .

٥ أنى بمعنى كيف . يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيفما شاء كالباشق الذي يضع منقاره في أي موضع أراده من جسمه . وقوبل أي كرم نسبه من قبل أبويه . والآفق من الخيل الكريم الطرفين وهي آفقة . ومن آفقة حال أي مولوداً من آفقة . أي أنه كريم الأم والأب وكل من أمه وأبيه كذلك .

٦ العتاق من الخيل الكرام والإناث عتائق . والظرف تتمة الشطر السابق أي أن أبويه آفقان بين عتاق الخيل وعتائقها . ويربي يزيد . والبواسق الطوال من النخل .

٧ يصفه بدقة الحلق حتى لو أردت أن تطوقه بفترك أمكن . والفيالق الجيوش .

والضَّرْبِ في الأَوْجُهِ والمَفارِقِ والسَّيرِ في ظِلِّ اللِّواءِ الخافِقِ[1]

يحمِلُني والنَّصْلُ ذو السَّفاسِقِ يَقطُرُ في كُمّي إلى البَنائِقِ[2]

لا ألحَظُ الدّنيا بعَيْنَيْ وامِقِ ولا أُبالي قِلّةَ المُوافِقِ[3]

أيْ كَبْتَ كُلِّ حاسِدٍ مُنافِقِ أنْتَ لَنا وكُلُّنا للخالِقِ[4]

لا تقنع بما دون النجوم

كبست انطاكية وهو فيها فقتل الطخرور وأمه فقال :

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ فَلا تَقنَعْ بما دونَ النّجومِ[5]

فطَعْمُ المَوْتِ في أمْرٍ حَقيرٍ كطَعْمِ المَوْتِ في أمْرٍ عَظيمِ[6]

---

١ الضرب معطوف على الطعن . والمفارق أوساط الرؤوس حيث يفترق الشعر . واللواء الراية . وخفقه اضطرابه في الهواء .

٢ النصل حديدة السيف . والسفاسق الطرائق فيها الفرند . أي يحملني في معارك الحرب وقد قطر سيفي من دم القتلى .

٣ لحظه نظر إليه بمؤخر عينه ثم استعمل في مطلق النظر . والوامق المحب . أي لا أنظر إليها نظر من عشقها فذل لها ولا أبالي أن لا أجد فيها من يوافقني على طلب معالي الأمور .

٤ أي نداء والخطاب للمهر . وكبت عدوه أذله ورده بغيظه . أي يا ذا الذي أكبت به حاسديّ أنت لنا ونحن وأنت لله .

٥ غامرت دخلت في الغمرات وهي المهالك . وقوله في شرف أي في طلب شرف فحذف للعلم بالمحذوف . ومروم أي مطلوب . يقول : إذا خاطرت بنفسك في طلب الشرف فلا تقنع باليسير منه .

٦ يريد أن الموت لا يصير حقيراً بحقارة المطلب ولا يعظم بعظمته وإنما طعمه واحد في الحالين وإذا

سَتَبكي شَجوَها فَرَسي ومُهري صَفائحُ دَمْعُها ماءُ الجُسُومِ[1]
قُرِينَ النّارَ ثمّ نَشَأنَ فيهَا كمَا نَشأ العَذارَى في النّعيمِ[2]
وفارَقْنَ الصّياقِلَ مُخْلَصاتٍ وأيْديهَا كَثيراتُ الكُلُومِ[3]
يرَى الجُبَناءُ أنّ العَجزَ عَقْلٌ وتِلكَ خَديعَةُ الطّبعِ اللّئيمِ[4]
وكلّ شَجاعَةٍ في المَرْءِ تُغني ولا مِثلَ الشّجاعَةِ في الحَكيمِ[5]

كان ذلك فلا وجه للمخاطر إلا أن يقصد أسمى الأمور .

١ فاعل تبكي الصفائح . والشجو الحزن وهو مصدر وضع موضع الحال على تقدير مشجوة شجوها ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه على حد أقسموا بالله جهد أيمانهم،والضمير للصفائح أيضاً . وفرسي مفعول تبكي . والصفائح السيوف العريضة . وماء الجسوم كناية عن الدم . أي ستبكي حزناً على فرسي ومهري سيوف دمعها الدماء يعني أنه سيقتل الذين قتلوهما فتكون دماؤهم بمنزلة دمع تبكي به السيوف .

٢ قرين من القرى . والنار مفعول ثان . أي أن هذه السيوف جعلت النار غذاء لها لأنها خالطت أحشاءها عند الطبع ثم نشأت فيها لرجوعها إلى النار مرة بعد أخرى إلى أن تمت صنعتها فخرجت منها وقد استوفت نضارتها وحسنها كالعذارى إذا نشأن في نعيم العيش ولذته .

٣ الصياقل جمع صيقل وهو صانع السيوف . ومخلصات أي خالصات من الغش والخبث . والكلوم الجراح . يعني أن الصياقل لم تستطع أن تقي أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها .

٤ أي أن الجبان يتقاعد عن اقتحام العظائم عجزاً منه وهو يظن أن ذلك عقل وإنما هي خديعة يزينها له لؤم طبعه بما فيه من ضعف النفس وصغر الهمة .

٥ مثل اسم لا وإن كان مضافاً إلى معرفة لأنه من الأسماء التي لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف . والخبر محذوف أي ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة . يقول : الشجاعة كيفما كانت تغني صاحبها وتكفيه مؤونة الخسف والعار ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم فتكون أبعد عن الفشل . يريد أن العقل لا يغني في موضع الشجاعة وهي تغني كيفما كانت فتستغني عن العقل ولكن إذا اجتمعا تعززت الشجاعة بالعقل فضلا عن أنه لا تنافي بينه وبينها وهو كالتقرير لما ذكره في البيت السابق .

وكمْ من عائبٍ قوْلاً صَحيحاً وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ[1]
ولكِنْ تأخُذُ الآذانُ مِنْــهُ على قَدَرِ القَرَائحِ والعُلُومِ[2]

ذليل من قبل الهجاء

بلغه وهو بدمشق أن إسحق بن كيغلغ
يتوعده في بلاد الروم فقال * :

أتاني كلامُ الجاهِلِ ابنِ كَيَغْلَغٍ يَجُوبُ حُزُوناً بَيْنَنا وسُهُولا[3]
ولوْ لم يكُنْ بينَ ابنِ صَفراءَ حائِلٌ وبَيْني سِوى رُمْحي لكانَ طَوِيلا[4]

---

١ الآفة العاهة والضمير للقول .
٢ القرائح الطبائع . أي كل سامع يتناول من معاني الكلام على قدر سجيته وعلمه فإن كان حاذقاً أحاط بفحواه وعلم صحته وإن كان غبياً خفي عليه المراد منه فأنكره وعابه .
* كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به وهو في طرابلس وكان محافظاً على الطريق فسأله أن يمدحه فلم يفعل فاعتاقه عن سفره ثلاثة أيام فلما فارقه هجاه بالقصيدة التي مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تُعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

وهذه القصيدة من عيون قصائده كلها حسنات في بابها وفيها من الحكمة والأمثال ما هو شائع على ألسنة الأدباء والكتاب لكنه خرج في كثير من أبياتها إلى الحد الذي تحاميناه في هذه النسخة على ما بيناه في مقدمة الكتاب ورأينا أنا لو أسقطنا منها تلك الأبيات وحدها لم يتلاق باقيها فأهملناها من هذا الموضع برمتها على أننا ذكرنا ما انتقيناه منها في مقدمة الكتاب مع ما ذكرناه له من المقطعات والقصائد التي خلت عنها نسخ الديوان .
٣ جاب الأرض قطعها . والحزن الغليظ من الأرض . أي جاءني وعيده من مسافة بعيدة .
٤ صفراء اسم أمه . والحائل الحاجز . أي هو يتوعدني على هذا البعد ولو اقترب حتى لا يكون

وإسْحَقُ مأمُونٌ على مَنْ أهانَهُ ولَكِنْ تَسَلّى بالبُكاءِ قَليلا[1]
ولَيس جَميلاً عِرْضُهُ فيَصُونَهُ ولَيسَ جَميلاً أن يكونَ جَميلا[2]
ويَكْذِبُ ما أذْلَلْتُهُ بهِجائِهِ لقَدْ كانَ مِنْ قَبلِ الهِجاءِ ذَليلا[3]

كريشةٍ في مهب الريح

وورد الخبر بأن غلمان ابن كيغلغ قتلوه فقال :

قالوا لَنا : ماتَ إسْحَقٌ ! فقُلتُ لهمْ : هذا الدّواءُ الذي يَشفي منَ الحُمُقِ
إنْ ماتَ ماتَ بِلا فَقْدٍ ولا أسَفٍ أو عاشَ عاشَ بلا خَلْقٍ ولا خُلُقِ[4]
مِنْهُ تَعَلّمَ عَبْدٌ شَقّ هامَتَهُ خوْنَ الصّديقِ ودَسّ الغدرِ في المَلَقِ[5]

بيني وبينه سوى طول رمحي لكان بعيداً عليه أن يصل إلي لأنه لجبنه لا يقدم علي .

١ يقول : هو غير مخوف على من يهينه لأنه لا بطش عنده ولكن إذا مسه الهوان فقصاراه أن يبكي فيتسلى عن الإهانة بالبكاء .

٢ يقول : إن عرضه ليس جميلاً حتى يستحق الصيانة وكذلك لا يحسن أن يكون عرض مثله جميلا لأنه من اللئام الذين لا شرف لهم ولا مروءة .

٣ ما نافية والكلام استئناف . أي يزعم أني أذللته بهجائي له وهو كاذب في ذلك لأنه كان ذليلا من قبل أن أهجوه .

٤ يقول : موته وحياته سيان فهو إن مات لم يشعر أحد بفقده فيأسف عليه لأنه لم يكن فيه خير ولا غناء وإن عاش لم يكترث أحد به لأنه ليس له صورة جميلة ولا خلق كريم .

٥ هامته رأسه والجملة نعت عبد . والدس الإخفاء . والملق التودد وإظهار الحب . يقول : إن عبده الذي قتله منه تعلم خيانة الصديق والغدر به فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه .

وحَلْفَ ألْفِ يَمينٍ غَيْرِ صادِقَةٍ مَطرودَةٍ ككُعوبِ الرّمحِ في نَسَقِ[1]

ما زِلْتُ أعرِفُهُ قِرْداً بِلا ذَنَبٍ خِلْواً مِنَ البأسِ مَملُوءاً من النّزَقِ[2]

كَرِيشَةٍ في مَهَبّ الرّيحِ ساقِطَةٍ لا تَستَقِرّ على حالٍ منَ القَلَقِ[3]

تَستَغرِقُ الكَفُّ فَوْدَيهِ ومَنْكِبَهُ فتَكْتَسي منهُ ريحَ الجَوْرَبِ العَرِقِ[4]

فَسائِلُوا قاتِلِيهِ كَيفَ ماتَ لَهُمْ مَوْتاً من الضّرْبِ أمْ مَوْتاً منَ الفَرَقِ[5]

وأينَ مَوْقعُ حَدّ السّيفِ من شَبَحٍ بغَيرِ جِسْمٍ ولا رَأسٍ ولا عُنُقِ[6]

لَوْلا اللّئَامُ وشيءٌ مِنْ مُشابَهَةٍ لَكانَ ألأمَ طِفْلٍ لُفّ في خِرَقِ[7]

كَلامُ أكثرِ مَنْ تَلقَى ومَنظَرُهُ ممّا يَشُقّ على الآذانِ والحَدَقِ[8]

---

١ حلف معطوف على خون . وقوله مطرودة أراد مطردة أي متتابعة . والكعب من الرمح العقدة بين الأنبوبتين .

٢ الخلو الخالي . ويروى صفراً وهو بمعناه . والنزق الخفة والطيش .

٣ مهب الريح مجراها . ومن القلق صلة تستقر .

٤ استغرقه أخذه بجملته . والفودان جانبا الرأس . والمنكب مجمع العضد والكتف . والجورب ما تلف به الرجل من صوف ونحوه . والعرق الذي يله العرق . أي أنه صغير الرأس قصير العنق فإذا صفع أحاطت الكف بهذه المواضع من بدنه فاكتست نتناً من خبث ريحه .

٥ موتاً مفعول مطلق أي أمات لهم موتاً . والفرق الخوف .

٦ الشبح الشخص . يقول : إنه حقير دميم حتى كأنه لا أعضاء له .

٧ يريد باللئام آباءه يقول : لولا أن يسبقوه في اللؤم ويجيء مشابهاً لهم لكان ألأم طفل ولكنهم شركاؤه في ذلك فليس هو الألأم .

٨ يشق يثقل . يقول : أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الأسماع لما فيه من السقط والهذر ومنظره على الأبصار لما ترى فيه من تلون الظاهر على خبث الباطن .

إذا توالت الغيوث كره الغمام

نزل على علي بن عسكر ببعلبك فخلع
عليه وحمله وسأله أن يقيم عنده وكان
يريد السفر إلى انطاكية فقال يستأذنه :

رَوِينَا يا ابنَ عَسْكَرٍ الهُمَامَا ... ولم يَتْرُكْ نَدَاكَ لَنَا هُيَامَا[1]
وصارَ أحَبَّ ما تُهْدِي إلَيْنَا ... لغَيْرِ قِلًى وَدَاعَكَ والسَّلامَا[2]
ولم نَمْلَلْ تَفَقُّدَكَ المَوَالي ... ولم نَذْمُمْ أيادِيَكَ الجِسامَا[3]
ولَكِنَّ الغُيُوثَ إذا تَوالَتْ ... بأرْضِ مُسافِرٍ كَرِهَ الغَمامَا[4]

---

١ الهمام السيد الشجاع السخي . والندى الجود . والهيام شدة العطش .
٢ القلى البغض . وقوله لغير قلى احتراس . يقول : لم يبق لنا أرب في الهدايا لأنا اكتفينا منها وعولنا على الرحيل فصار أحب شيء تهديه إلينا أن نودعك ونسلم عليك .
٣ الموالي العبيد . والأيادي النعم . يقول : لسنا نرتحل لأنا مللنا تفقدك إيانا بإحسانك ولا لأنا ذممنا نعمك العظيمة . وتتمة الكلام في البيت التالي .
٤ يقول : إنما عفنا الزيادة من إحسانك لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر فهو كالمطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه فيكرهه لذلك لا لأنه مكروه في نفسه . ويروى كره المقاما وهو مصدر بمعنى الإقامة .

الغنى قبيح في يد اللئيم

يمدح أبا العشائر الحسن بن علي بن
الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي :

أتُراها لكَثْرَةِ العُشّاقِ   تَحْسَبُ الدّمعَ خِلقَةً في المآقي[1]

كيفَ تَرْثي التي ترَى كلّ جَفْنٍ   راءها غَيرَ جَفْنِها غَيرَ راقي[2]

أنْتِ مِنّا فَتَنْتِ نَفسَكِ لَكِنّـ   ـكِ عُوفيتِ مِنْ ضَنًى واشتياقِ[3]

حُلتِ دونَ المَزارِ فاليَوْمَ لوْ زُرْ   تِ لحالَ النُّحولُ دونَ العِناقِ[4]

إنّ لَحْظاً أدَمْتِهِ وأدَمْنَا   كانَ عَمداً لَنَا وحَتفَ اتّفاقِ[5]

---

١ تراها ، بضم التاء ، بمعنى تظنها . والمآقي جمع المأقي لغة في المؤق وهو طرف العين مما يلي الأنف . يقول : أتراها لكثرة العشاق الذين لا تراهم إلا باكين تحسب أنهم خلقوا هكذا فلا ترحمهم ولا ترثي لهم .

٢ راءها مقلوب رآها المهموز العين والجملة نعت جفن . وغير الأولى استثناء . والثانية حال . وراقي منقطع الدمع وأصله راقىء بالهمز فلينه . يقول : كيف ترثي المعشوقة التي ترى كل جفن ما خلا جفنها سائل الدمع لهجرها . وهذا بيان لما في البيت السابق أي أنها لا محالة تظن أن الجفون خلقت دامعة لأنها لا تراها إلا كذلك .

٣ منا خبر أنت . والجملة بعده خبر ثان أو حال من الضمير المستتر في الخبر . يقول : أنت أيضاً من معشر العاشقين لك أي أنك عاشقة لنفسك لأنك حجبتها عنا غيرة ولكنك سلمت مما بنا من السقم والشوق لأنك واصلت نفسك دوننا .

٤ حلت اعترضت . والمزار مصدر بمعنى الزيارة . يقول : منعتنا من زيارتك حتى نحلنا شوقاً إليك فاليوم لو زرتنا لمنعنا النحول من عناقك لأن العناق إنما يكون بالأجسام والنحول لم يترك لنا جسماً .

٥ العمد القصد . ولنا نعت عمداً . والحتف الهلاك . والاتفاق حدوث الشيء عن غير قصد . أي أن

لوْ عَدا عَنكِ غيرَ هجرِكِ بُعدٌ   لأرارَ الرّسيمُ مُخَّ المَنَاقي[1]

ولَسِرْنا ولَوْ وَصَلْنا عَلَيها   مثلَ أنْفاسِنا على الأرْماقِ[2]

ما بِنا مِنْ هوَى العُيونِ اللّواتي   لَوْنُ أشفارِهنّ لَوْنُ الحِداقِ[3]

قَصّرَتْ مُدّةَ اللّيالي المَواضِي   فأطالَتْ بها اللّيالي البَواقي[4]

كاثَرَتْ نائِلَ الأميرِ مِنَ المَا   لِ بما نَوّلَتْ مِنَ الإيراقِ[5]

لَيسَ إلاّ أبا العَشائِرِ خَلْقٌ   سادَ هذا الأنامَ باستِحقاقِ[6]

طاعنُ الطّعنَةِ التي تَطْعَنُ الفيـ   لَقَ بالذّعْرِ والدّمِ المُهَراقِ[7]

النظر الذي كررته إلينا وكررناه إليك كان عن تعمد منا ولكن اتفق لنا فيه الحتف لأنه أوقعنا في حبائل الهوى .

١ عداه عن كذا صرفه ومنعه . وغير استثناء مقدم . وبعد فاعل عدا . وأرار بمعنى أذاب . والرسيم ضرب من سير الإبل . والمخ الذي يكون في العظم . والمناقي النوق السمان . يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك البعد لحملنا الإبل على إدمان السير في قطعه حتى يسيل مخها ولكن الذي يمنعنا عنك الهجران وهو ما لا سبيل إلى قطع مسافته بالسير .

٢ ضمير عليها للمناقي . والأرماق جمع رمق وهو بقية الروح . أي ولو وصلنا ونحن لا جرم لنا من شدة الشوق والهزال حتى نصير كأنفاسنا ومطايانا قد بلغ منها الجهد حتى لا يبقى إلا أرماقها .

٣ ما بنا استفهام تعجب . والأشفار منابت الأهداب . والحداق جمع حدقة وهي سواد المقلة . بمعنى أنها كحلاء الجفون سوداء الحدق .

٤ كنى بتقصير الليالي الماضية عن الوصل لأن أوقات السرور توصف بالقصر وبتطويل الليالي الباقية عن الهجر لأن أوقات الحزن توصف بالطول . وقوله بها الضمير لليالي أي فأطالت ليالي الهجر بذكر ليالي الوصل والتحسر عليها .

٥ كاثره غالبه في الكثرة . والنائل العطاء . والإيراق مصدر أورق الطالب إذا لم ينل . أي أنها بالغت في حرمان محبيها كما بالغ الأمير في عطاء قصاده فكأنها تغالب كثرة بذله بكثرة منعها .

٦ أبا العشائر مستثنى مقدم . وخلق اسم ليس وخبرها الجملة بعده .

٧ الفيلق الجيش . والذعر الخوف . والمهراق المصبوب . يقول : إن طعنته لسعتها وكثرة انفجار الدم منها

ذاتُ فَرْغٍ كأنّها في حَشَا المُخْـ   ـبَرِ عنها من شِدّةِ الإطْراقِ[1]

ضاربُ الهَامِ في الغُبارِ وما يَرْ   هَبُ أن يَشربَ الذي هوَ ساقِ[2]

فَوْقَ شَقّاءَ للأشَقِّ مَجَالٌ   بَيْنَ أرْساغِها وبَيْنَ الصّفاقِ[3]

ما رآها مكَذِّبُ الرُّسلِ إلاّ   صَدّقَ القَوْلَ في صِفاتِ البُراقِ[4]

هَمُّهُ في ذوي الأسِنّةِ لا فيـ   ـها وأطْرافُها لَهُ كالنّطاقِ[5]

ثاقبُ الرّأيِ ثابتُ الحِلْمِ لا يَقْـ   ـدِرُ أمْرٌ لَهُ على إقْلاقِ[6]

يا بَني الحارثِ بنِ لُقمانَ لا تَعْـ   ـدَمْكُمُ في الوَغى متونُ العِتاقِ[7]

كأنها تطعن الجيش كلهم لما يأخذهم من الخوف عند رؤيتها .

١ الفرغ مخرج الماء من الدلو . والإطراق النظر إلى الأرض . يصف طعنته بالسعة حتى كأن دمها يجري من فرغ دلو . والمخبر يروى بفتح الباء وكسرها أي إذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفاً واستعظاماً فكأنها في جوفه .

٢ الهام الرؤوس . أي أنه يسقي أقرانه كؤوس الموت ولا يبالي أن يشرب ما يسقيهم .

٣ الشقاء مؤنث الأشق وهو الرحب الفروج الطويل القوائم أي فوق فرس شقاء . والظرف حال من الضمير المستتر في قوله ضارب . والأرساغ جمع رسغ وهو مستدق ما بين الحافر ومفصل الوظيف . والصفاق جلد البطن . أي فوق فرس هذه صفتها حتى يجول الحصان الطويل بين قوائمها وبطنها .

٤ هو الركوبة التي عرج عليها النبي يقولون إنه من حيوانات الجنة يضع يديه عند منتهى بصره . يعني أن هذه الفرس تجري جري البراق فمن نظر إلى سرعتها صدق ما قيل عنه .

٥ الضمير من فيها للأسنة والواو بعدها للحال . والنطاق ما يلبس على الوسط . أي إذا أحاطت به الفرسان حتى صارت رماحها حوله كالنطاق فهمه حينئذ في أخذ أرواح الفرسان لا في اتقاء رماحهم لأنه لا يبالي بها .

٦ ثقب الرأي نفذ . ويروى ثاقب العقل . والحلم الأناة والتعقل .

٧ الحارث بن لقمان جد الممدوح . والوغى الحرب . والمتون جمع متن وهو الظهر . والعتاق الخيل الكريمة .

بَعَثُوا الرُّعبَ في قُلوبِ الأعادِ يِّ فكانَ القِتالُ قَبلَ التّلاقي[1]

وتكادُ الظُّبَى لِما عَوّدوها تَنْتَضِي نَفْسَها إلى الأعْناقِ[2]

وإذا أشفَقَ الفَوارِسُ مِنْ وَقْـ عِ القَنَا أشفَقوا مِنَ الإشْفاقِ[3]

كلُّ ذِمرٍ يزْدادُ في المَوْتِ حُسناً كَبُدورٍ تَمامُها في المُحاقِ[4]

جاعِلٍ دِرْعَهُ مَنيّتَهُ إنْ لم يكُنْ دونَها منَ العارِ واقِ[5]

كَرَمٌ خَشّنَ الجَوانبَ مِنهُمْ فَهْوَ كالماءِ في الشّفارِ الرّقاقِ[6]

ومَعالٍ إذا ادّعاها سِواهُمْ لَزِمَتْهُ جِنايَةُ السُّرّاقِ

يا ابنَ مَنْ كُلّما بَدَوْتَ بدا لي غائبَ الشّخصِ حاضرَ الأخلاقِ[7]

---

١ الأعادي ، بالتشديد ، جمع الأعداء مثل الأظافير جمع الأظفار وأصله أعاديء، بالهمز ، فأدغم . يقول : هيجوا خوفهم في قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم فأثر فيهم ضعفاً وخوراً فكأنهم قاتلوهم قبل أن يلاقوهم في الحرب .

٢ الظبى جمع ظبة ، بالتخفيف ، وهي حد السيف يريد السيوف أنفسها . وتنتضي تستل. أي لطول ما عودوا سيوفهم ضرب الأعناق تكاد تستل نفسها إليها من غير أن يستلها أحد .

٣ الإشفاق الخوف . والقنا الرماح . أي إذا خافت الفرسان من وقع الرماح فهم يخافون من الخوف لئلا يلحقهم به العار .

٤ كل ذمر خبر عن محذوف ضمير الممدوحين، والذمر الشجاع . والمحاق آخر ليالي القمر . أي أنهم يقتلون في طلب المجد فيزدادون في الموت شرفاً وحسن ذكر كالبدور فإنها لا تستفيد تمامها إلا بعد أن تصير إلى المحاق .

٥ جاعل نعت ذمر . أي إذا لم تغنه درعه في اتقاء المنية جعل المنية درعاً له تقيه من عار الهزيمة .

٦ الكرم اسم جامع لشرف الأخلاق وطيب الفطرة وهو مبتدأ محذوف الخبر أي لهم كرم . والشفار جمع شفرة وهي حد السيف . يقول : إن لهم كرماً خشن جوانبهم على الأعداء لأنهم إذا سيموا الخسف نفروا منه وأبى كرمهم قبوله . ثم شبه ذلك الكرم بالماء فإنه مع لينه وعذوبته إذا سقيه السيف احتدت شفرتاه واستفاد صلابة ومضاء .

٧ أي أنه شديد الشبه بأبيه فكلما ظهر للعين ظهر أبوه كأنه حاضر في أخلاقه وإن كان غائباً في شخصه .

لوْ تَنَكَّرْتَ في المَكَرِّ لقَوْمٍ	حلَفُوا أنّكَ ابنُهُ بالطّلاقِ[1]
كيفَ يَقوَى بكَفّكَ الزَّندُ والآ	فاقُ فيها كالكفّ في الآفاقِ[2]
قَلّ نَفعُ الحَديدِ فيكَ فَما يَلْـ	قاكَ إلاّ مَنْ سَيفُهُ مِنْ نِفاقِ[3]
إلْفُ هذا الهَواءِ أوْقَعَ في الأنْـ	فُسِ أنّ الحِمامَ مُرُّ المَذاقِ[4]
والأسَى قبلَ فُرْقَةِ الرّوحِ عجزٌ	والأسَى لا يكونُ بَعدَ الفِراقِ[5]
كمْ ثَراءٍ فَرّجتَ بالرّمْحِ عنهُ	كانَ مِن بُخلِ أهلِه في وِثاقِ[6]
والغِنَى في يَدِ اللّئيمِ قَبيحٌ	قَدْرَ قُبْحِ الكَريمِ في الإمْلاقِ[7]
ليس قوْلي في شمس فعلك كالشّمْـ	سِ ولكن كالشّمسِ في الإشراقِ[8]

١ تنكر غير زيه . والمكر مكان الكرة في الحرب . يقول : لو غيرت زيك في ساحة الحرب حتى لا تعرف لعرفوك بأفعالك التي لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون أنك ابنه .

٢ الاستفهام تعجب . وقوي به أي أطاقه . والآفاق جوانب الأرض . يقول : كيف يقوى زندك على حمل كفك وهي قد قبضت على آفاق الأرض أي استولت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالنسبة إليها كالكف بالنسبة إلى الآفاق .

٣ يقول : إن أعداءك لا يقدرون أن يلقوك بسيوف الحديد لأنها لا تنالك وإنما يلقونك بسيوف النفاق إذا خدعوك بتقديم الطاعة فغدروا بك .

٤ يريد بالهواء النفس الذي هو سبب الحياة . والحمام الموت . أي أن ألفتنا لهذه الحياة صورت في أنفسنا أن الموت مر الطعم لأنه يقطع بيننا وبين ما ألفناه كأنه يعتذر عن أعدائه إذا جبنوا وفروا منه .

٥ الأسى الحزن . يقول : الجزع من الموت قبل وقوعه عجز يبعث عليه الجبن وضعف النفس لأن الجزع لا يغني من الموت شيئاً وإذا وقع الموت فلا جزع حينئذ لعدم علم الميت بشيء مما هو فيه .

٦ الثراء المال الكثير . يقول : كم مال كان موثقاً في حوزة أربابه لبخلهم به فقتلتهم وفرجت عن ذلك المال فجعلته مباحاً .

٧ الفقر . وأراد قدر قبح الاملاق في الكريم فقلب الكلام ضرورة .

٨ في الإشراق حال من الشمس . أي أن قوله في فعل الممدوح الذي هو كالشمس ليس كالشمس أيضاً

شاعرُ المَجْدِ خِدْنُهُ شاعرُ اللَّفْـ ظِ كِلانا رَبُّ المَعاني الدِّقاقِ[1]

لم تَزَلْ تَسمَعُ المَديحَ ولكِنَّ صَهيلَ الجِيادِ غَيرُ النُّهاقِ[2]

ليتَ لي مثلَ جَدِّ ذا الدَّهرِ في الأد هُرِ أوْ رِزْقِهِ منَ الأرزاقِ[3]

أنْتَ فيهِ وكانَ كلُّ زَمانٍ يَشتَهي بَعضَ ذا على الخَلاّقِ[4]

....

فيكون كفؤاً له ولكنه بالنسبة إليه كالشمس بالنسبة إلى إشراقها فإنه أوسع من جرمها بأضعاف كثيرة . يشبه قوله بنفس الشمس وفعل الممدوح بأشعة الشمس التي تملأ الكائنات . ويروى في الشمس كالإشراق أي أن قوله لا يبلغ فعل الممدوح في الشرف والرفعة ولكنه يدل عليه فيكون بمنزلة الإشراق من الشمس .

١ الخدن الصديق والصاحب . يقول : أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه وأنا شاعر اللفظ فكل واحد منا خليل الآخر وكل واحد صاحب المعاني الدقيقة فهو يفتن في صناعته .

٢ يقول : لم تزل تسمع مديح الشعراء فيك ولكن شعري يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الخيل نهيق الحمير .

٣ الجد الحظ والسعد . يقول : دهرك مسعود مرزوق بك فليت لي مثل حظه ورزقه حتى أكون بين الناس مثله بين الدهور .

٤ أي كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة لأنه لا يطمع في كلها .

زبد على شراب أسود

ودخل عليه يوماً فوجده على الشراب وفي يده بطيخة من الند في غشاء من خيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها فحياه بها وقال: أي شيء تشبه هذه ؟ فقال ارتجالا :

وبَنيّةٍ مِنْ خَيْزُرانٍ ضُمّنتْ   بِطّيخَةً نَبَتَتْ بنارٍ في يَدِ[1]
نَظَمَ الأميرُ لها قِلادَةَ لُؤْلُؤٍ   كفِعالِهِ وكَلامِهِ في المَشْهَدِ[2]
كالكأسِ باشَرَها المِزاجُ فأبرَزَتْ   زَبَداً يَدورُ على شَرابٍ أسْوَدِ[3]

رواعي الشيب

وقال فيها :

وسَوْداءَ مَنظومٍ علَيها لآلِىءٌ   لها صُورَةُ البِطّيخِ وهيَ من النّدِّ
كأنّ بَقايا عَنبَرٍ فوْقَ رَأسِها   طلوعُ رَواعي الشيبِ في الشعَرِ الجعدِ[4]

---

١ البنية أي المبنية يريد الخيزران المبني وعاء لهذه البطيخة . ولما سماها بطيخة أثبت لها النبت على سبيل الترشيح إلا أنه جعل نبتها بنار في يد لأنها أديرت في يد صانعها على النار حتى تمت صنعتها .

٢ المحضر .

٣ المزاج الماء الذي يمزج به . والزبد ما يطفو على وجه الكأس . جعل الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله ممزوجاً ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التي عليها .

٤ رواعي الشيب جمع راعية وهي أول شعرة تبيض شيباً .

ما أنا والخمر

وعرض عليه الشراب فأبى وقال :

ما أنا والخَمرَ وبِطّيخَةٌ سَوْداءَ في قِشرٍ منَ الخَيْزُرانْ
يَشغَلُني عَنها وعَنْ غَيْرِهَا تَوْطينيَ النّفسَ ليَوْمِ الطِّعانْ[1]
وكُلُّ نَجْلاءَ لهَا صائِكٌ يَخضِبُ ما بينَ يَدي والسِّنانْ[2]

أبو الغمرات

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه بأصحاب باقيس ومسيره من دمشق :

مَبيتي مِنْ دِمَشقَ على فِراشٍ حَشاهُ لي بحَرّ حَشايَ حَاشِ[3]
لَقًى لَيلٍ كعَينِ الظّبيِ لَوْناً وهَمٍّ كالحُمَيّا في المُشاشِ[4]

---

١ وطن نفسه للأمر ذللها ومهدها .

٢ كل معطوف على يوم الطعان . والنجلاء الواسعة . وصئك به وصاك به صوكاً وصيكاً لزق . أي وكل طعنة واسعة يسيل منها دم يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدي إلى السنان .

٣ مبيتي اسم مكان . ومن دمشق بيان لمبيتي . يعني أنه يبيت ساهراً يتقلب على حرارة الشوق فكأن فراشه قد حشي بحرارة قلبه .

٤ اللقى الشيء الملقى . والحميا سورة الخمر . والمشاش رؤوس العظام الرخوة . أي أنه طريح ليل شديد السواد وهم قد خالطه ومشى فيه مشي الخمر في العظام .

وشَوْقٍ كالتّوَقّدِ في فُؤادٍ كجَمرٍ في جَوانحَ كالمُحاشِ[1]
سَقَى الدّمُ كلَّ نَصْلٍ غيرِ نابٍ ورَوّى كلَّ رُمحٍ غيرِ راشِ[2]
فإنّ الفارِسَ المَنعوتَ خَفّتْ لمُنصُلِهِ الفَوارِسُ كالرّياشِ[3]
فقد أضحَى أبا الغَمراتِ يُكنَى كأنّ أبا العَشائِرِ غيرُ فَاشِ[4]
وقد نُسِيَ الحُسينُ بما يُسَمّى رَدى الأبطالِ أوْ غَيثَ العِطاشِ[5]
لَقُوهُ حاسِراً في دِرْعِ ضَرْبٍ دَقيقِ النّسجِ مُلتَهِبِ الحَواشي[6]
كأنّ على الجَماجمِ منهُ ناراً وأيدي القَوْمِ أجنحَةُ الفَراشِ[7]
كأنّ جَواريَ المُهَجاتِ ماءٌ يُعاوِدُها المُهَنّدُ مِنْ عُطاشِ[8]

---

١ شوق عطف على ليل . والجوانح الضلوع . والمحاش ما أحرقته النار والميم فيه أصلية . شبه حرارة شوقه بتوقد النار وقلبه الذي هو محل الشوق بالجمر وأضلعه المشتملة عليه بالشيء المحرق .

٢ سقى الدم دعاء . والنصل حديدة السيف . ونبا السيف كل عن الضريبة . ورمح راش خوار ضعيف.

٣ المنعوت الموصوف أي الذي سارت صفته بالفروسية والشجاعة يريد به أبا العشائر . ويروى المبغوت يشير إلى ما عرض لأبي العشائر من الجيش الذي كبسه بإنطاكية . والمنصل السيف . والرياش جمع ريش . يعني أن الفرسان تطايرت عن سيفه تطاير الريش .

٤ الغمرات الشدائد . أي أنه لكثرة خوضه الشدائد صار يكنى أبا الغمرات فاشتهر بذلك حتى كأن كنيته المعروفة غير فاشية لإهمالها من ألسنة الناس بغلبة هذه عليها .

٥ الردى الهلاك . وما الداخلة على الفعل قبله مصدرية أي بتسميته ردى الأبطال. والغيث المطر . والبيت من قبيل البيت الأول أي أنه صار يكنى ويسمى بما اشتهر به من صفات الإقدام والجود .

٦ الحاسر الذي لا درع عليه وهو حال . وفي درع ضرب حال أخرى . أي لقوه ولا درع عليه لأنهم جاؤوه بغتة فاتخذ السيف درعاً له يحتمي بضربه . وأراد بدقة نسجه دقة ما عليه من آثار الفرند . والتهاب حواشيه كناية عن بريقه .

٧ بعدما وصف سيفه بالالتهاب يقول : كأنه نار تحترق الجماجم لشدة ضربه إياها وكأن أيدي القوم المقطعة حوله أجنحة الفراش التي تطير إلى النار فتحترق .

٨ المهجات دماء القلوب . والمهند السيف الهندي . والعطاش شدة العطش . شبه ما يجريه من دماء

فَوَلَّوْا بَيْنَ ذي رُوحٍ مُفاتٍ وذي رَمَقٍ وذي عَقْلٍ مُطاشِ[1]

ومُنْعَفِرٍ لنَصلِ السّيفِ فيهِ تَواري الضّبِّ خافَ منِ احتراشِ[2]

يُدمّي بعضُ أيدي الخيلِ بَعضاً وما بِعُجايَةٍ أثَرُ ارْتِهاشِ[3]

ورائِعُها وحيدٌ لم يَرُعْهُ تَباعُدُ جَيْشِهِ والمُستَجاشِ[4]

كأنَّ تَلَوّيَ النُّشّابِ فيهِ تلوّي الخوصِ في سَعَفِ العِشاشِ[5]

ونَهبُ نُفوسِ أهلِ النّهبِ أوْلى بأهلِ المجدِ من نَهبِ القُماشِ[6]

تُشارِكُ في النِّدامِ إذا نَزَلْنَا بِطانٌ لا تُشارِكُ في الجِحاشِ[7]

....

قلوب أعدائه بالماء وجعل سيفه يعاوده مرة بعد أخرى كالعطشان يعاود الماء .

١ الروح يذكر ويؤنث وتذكيره أكثر . وأفاته الشيء جعله يفوته أي ذي روح قد أكره صاحبه على فوته . والرمق بقية الروح . والطيش ذهاب العقل حتى يجهل صاحبه ما يحاول . أي ولوا وهم بين مقتول قد انقضت منيته وجريح به رمق ومنهزم قد طاش رشده .

٢ المنعفر المتمرغ في التراب . والتواري الاختفاء . والضب دويبة معروفة . والاحتراش صيد الضب . أي قد غاب النصل فيه كما يغيب الضب في جحره خوف الصيد .

٣ العجاية عصبة في اليد فوق الحافر . والارتهاش أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى حتى تدمى رواهشها وهي عصب الذراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديه وهي تغوص في دماء القتلى فيلطخ بعض أيديها بعضاً بالدم حتى كأن بها ارتهاشاً وأيديها سليمة لا ارتهاش بها .

٤ رائعها مخوفها . والمستجاش الذي يطلب منه الجيش . يقول : الذي راع هذه الخيل واحد أغار عليها بنفسه ولم يخف لتباعد جيشه عنه ولا لتباعد الذي يستجيشه عند الحاجة يعني سيف الدولة لأن أبا العشائر كان عاملا على إنطاكية من قِبله .

٥ الخوص ورق النخل . والسعف أغصانه . والعشاش جمع عشة وهي النخلة الدقيقة القليلة السعف . يقول : إنه كان يرمى بالسهام فتتلوى فيه كما يتلوى الخوص في أغصان النخل ولا تنفذ من درعه.

٦ الأمتعة . يعني أن هؤلاء أغاروا على إنطاكية يريدون نهب أموالها فنهب الممدوح نفوسهم وهو أولى عند الأشراف من نهب القماش .

٧ الندام المنادمة وهي المجالسة على الشراب . وبطان جمع بطين وهو العظيم البطن . والجحاش

ومن قَبلِ النِّطاحِ وقَبلِ يأني — تَبينُ لكَ النّعاجُ منَ الكِباشِ[1]

فَيا بَحرَ البُحورِ ولا أُورّي — ويا مَلِكَ المُلوكِ ولا أُحاشي[2]

كأنّكَ ناظِرٌ في كلّ قَلْبٍ — فما يَخفَى عَلَيكَ مَحلُّ غاشِ[3]

أأصْبِرُ عَنكَ لم تَبخَلْ بشيءٍ — ولم تَقبَلْ عليّ كَلامَ واشِ[4]

وكيفَ وأنتَ في الرّؤساءِ عِندي — عَتيقُ الطّيرِ ما بينَ الخِشاشِ[5]

فَما خاشيكَ للتّكذيبِ راجٍ — ولا راجيكَ للتّخييبِ خاشِ[6]

تُطاعِنُ كلُّ خيلٍ كُنْتَ فيها — ولوْ كانوا النَّبيطَ على الجِحاشِ[7]

المدافعة . يقول : إذا نزلنا عن خيلنا شاركنا في شرب الخمر رجال من ذوي النهم لا يشاركون في القتال .

١ أنى الشيء حان وأراد قبل أن يأني فحذف . أي من قبل وقوع المناطحة وقبل حضور أوانها تعرف الكباش التي تناطح من النعاج التي لا تناطح . أي من تلاعب الناس بالأسلحة قبل الحرب يعرف الشجاع من غيره .

٢ ورى الحديث أخفاه وأظهر غيره أي أجهر بكلامي ولا أخفيه . وأحاشي بمعنى أستثني . ويروى ويا بدر البدور .

٣ أي زائر يصفه بجودة الفراسة وثقوب الفطنة . يقول : كأن قلوب الناس مكشوفة لك تنظر فيها فلا يخفى عليك حال زائر يغشاك ولا محله من الوفاء وصدق الولاء .

٤ الاستفهام للإنكار . ولم تبخل حال . والواشي النمام .

٥ كيف حال محذوفة العامل أي وكيف أصبر عنك . والعتيق الكريم . والخشاش صغار الطير . أي وأنت بين الرؤساء بمنزلة الكريم من الطير بين العصافير .

٦ يقول : أنت محل الخوف والرجاء فمن خاف بأسك لم يرج أن تكذب خوفه لما يعلم من قوة بطشك وشدة انتقامك ، ومن رجا إحسانك لم يخش أن تخيب رجاءه لما يعهد من فيض سخائك واشتمال كرمك .

٧ كل فاعل تطاعن . والنبيط قوم بسواد العراق حراثون . أي أن القوم الذين تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون ولو كانوا من حراثي الأنباط على حميرهم .

أرَى النّاسَ الظّلامَ وأنتَ نُورٌ ... وإنّي مِنهُمُ لإليكَ عاشِ[1]

بُليتُ بِهِمْ بَلاءَ الوَرْدِ يَلْقَى ... أُنُوفاً هُنّ أولى بالخِشاشِ[2]

عَلَيكَ إذا هُزِلْتَ معَ اللّيالي ... وحَوْلك حينَ تَسمنُ في هراشِ[3]

أتى خَبَرُ الأميرِ فَقيلَ كَرّوا ... فقلتُ نَعَمْ ولوْ لحقُوا بشاشِ[4]

يَقودُهُمُ إلى الهَيجَا لَجُوجٌ ... يُسِنُّ قِتالُهُ والكَرُّ نَاشِي[5]

وأسرَجْتُ الكُمَيتَ فناقَلَتْ بي ... على إعقاقِها وعلى غِشاشِي[6]

---

١ يقال عشا إلى النار فهو عاش إذا أتاها ليلا . وقوله منهم حال من ضمير المخاطب بعده . يقول : الناس في قلة خيرهم كالظلام وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور وقد قصدتك من بينهم أطلب الخير كما تؤتى النار في الظلام .

٢ عود يدخل في أنف البعير يشد فيه الزمام . يشبه نفسه بالورد ويشبه من عرفهم من الناس بأنوف الإبل فإنها أولى بالخشاش من شم الورد . يقول : قد ضاع قدري عندهم كما يضيع ريح الورد في أنوف الجهال .

٣ عليك خبر عن محذوف أي هم عليك . ومع الليالي حال من الضمير المستتر في الخبر أي مجتمعين مع الليالي . وكذا في الشطر الثاني . والهراش مأخوذ من مهارشة الكلاب وهي تحرش بعضها على بعض . يريد بالهزال والسمن الفقر والغنى . يقول : إذا افتقر الرجل كانوا يداً عليه مع الدهر وإذا أثرى وكثر خيره اجتمعوا حوله وتهارشوا على ما ينالونه منه تهارش الكلاب .

٤ الكر الرجوع على القرن بعد الفر للجولان . وشاش بلد بما وراء النهر . قال ابن جني : كان أبو العشائر قد استطرد الخيل وولى من بين أيديها هارباً ثم جاء خبره أنه كر عليهم راجعاً فيقول المتنبي : نعم يكرون أي الأمير وأصحابه ولو لحقوا في فرارهم بشاش . وعلى هذا يروى كروا بفتح الكاف . ومن روى بضمها فالمعنى أنه لما ورد خبر قدوم الأمير قيل لنا كروا على القوم فقلنا نعم نكر عليهم ولو لحقوا بهذا البلد . والرواية الأولى أظهر وأوفق بما في البيت التالي .

٥ الهيجا من أسماء الحرب . واللجوج المتمادي في الأمر لا ينصرف عنه يريد أنه لا ينثني عن قتال أعدائه . ويسن مضارع أسن إذا طال عمره . وناشي بمعنى حديث السن وأصله الهمز فلينه . أي أنه لجوج على أعدائه قد أطال زمان قتالهم حتى صار مسناً وكره لا يزال يتجدد فهو أبداً حديث .

٦ الكميت من الخيل بين الأشقر والأدهم يوصف به الذكر والأنثى . والمناقلة إسراع نقل القوائم .

مِنَ المُتَمَرِّداتِ تُذَبُّ عَنها   بِرُمحي كُلُّ طائِرَةِ الرَّشاشِ [1]

وَلَوْ عُقِرَتْ لَبَلَّغَتني إِلَيْهِ   حَديثٌ عَنهُ يَحمِلُ كُلَّ ماشِ [2]

إِذا ذُكِرَتْ مَواقِفُهُ لِحافٍ   وَشيكَ فَما يُنَكِّسُ لانتِقاشِ [3]

تُزيلُ مَخافَةَ المَصبورِ عَنهُ   وَتُلْهي ذا الفِياشِ عَنِ الفِياشِ [4]

وما وُجِدَ اشتِياقٌ كاشْتِياقي   ولا عُرِفَ انكِماشٌ كانكِماشي [5]

فَسِرْتُ إِلَيكَ في طَلَبِ المَعالي   وَسارَ سِوايَ في طَلَبِ المَعاشِ

والإعقاق الحَبَل . والغشاش العجلة . أي ناقلت بي على ثقلها وعجلتي .

١ التمرد العتو . وتذب تدفع . وطائرة نعت لمحذوف أي كل طعنة طائرة الرشاش وهو ما يترشش من الدم . أي هي من الخيل الشديدة أصونها برمحي من طعنات الفرسان .

٢ عقرت أي قطعت قوائمها . يقول : لو هلكت فرسي لبلغني إلى الممدوح حديث كرمه وفضله الذي يشوق القاصد إليه حتى لا يشعر بما يقطعه من المسافة فكأن ذلك الحديث يحمله .

٣ شيك مجهول شاكته الشوكة إذا دخلت في جسده . وينكس يطأطىء رأسه . والانتقاش إخراج الشوكة . يقول : إذا حدث بمواقفه في الحرب رجل حاف ودخلت رجله شوكة لم يشعر بها لشدة إعجابه وذهوله فلا يطأطىء رأسه لإخراجها .

٤ المصبور المحبوس على القتل . وعنه صلة تزيل . والفياش المفاخرة . أي إذا سمع المصبور بمواقفه المذكورة شجعته وأزالت عنه خوف القتل لما يسمع من ذكر إقدامه واقتحامه للمهالك وإذا سمع بها المفاخر ألهته عن مفاخرته لأنه يتواضع هناك فلا يفتخر بنفسه .

٥ الانكماش الجد والإسراع . أي لم يشتق أحد اشتياقي إليك ولم يعجل عجلتي في قصدي لك .

لكل حي يوم سوء

وأرسل أبو العشائر بازياً على حجلة
فأخذها فقال أبو الطيب :

وطائِرَةٍ تتَبَّعُهَــا المَنَــايَا ... على آثارِها زَجِلُ الجَنَــاحِ [١]

كأنَّ الرِّيشَ منهُ في سِهَامٍ ... على جَسَدٍ تَجَسَّمَ من رِياحِ [٢]

كأنَّ رُؤوسَ أقْلامٍ غِلاظٍ ... مُسِحنَ بريشِ جُؤجُؤهِ الصِّحاحِ [٣]

فأقْعَصَها بحُجْنٍ تَحْتَ صُفْرٍ ... لهَا فِعْلُ الأسِنّةِ والصِّفَاحِ [٤]

فقُلتُ لكُلّ حَيٍّ يَوْمُ سُوءٍ ... وإنْ حرَصَ النّفُوسُ على الفَلاحِ [٥]

---

١ يريد بالطائرة الحجلة . وعلى آثارها حال من الضمير في تتبعها . والزجل ذو الصوت وهو نعت للبازي يريد حفيف جناحيه في الطيران .

٢ شبه قصب ريشه بالسهام في استوائها وسرعة مرها وجعل جسده من رياح لخفته في الطيران .

٣ وروى ابن جني غلاظاً بالنصب نعتاً للرؤوس وهو أجود لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الحبر عريضاً . والجؤجؤ الصدر شبه السواد الذي فيه بآثار مسح الأقلام من الحبر .

٤ أقعصها قتلها في مكانها والضمير للطائرة . والحجن جمع أحجن وهو المعوج يريد مخالبه . ويريد بالصفر أصابعه . والأسنة نصال الرماح . والصفاح أي السيوف .

٥ لكل حي خبر مقدم عن يوم . والفلاح الفوز والبقاء .

ليس بمنكر سبق الجواد

فقال : أوفي وقتك قلت هذا ؟ فقال :

أتُنكِرُ ما نَطَقْتُ بهِ بَديهاً ... ولَيسَ بمُنكَرٍ سَبْقُ الجَوادِ[1]

أُراكِضُ مُعوِصاتِ الشّعرِ قسراً ... فأقْتُلُها وغيري في الطّرادِ[2]

أسأت وأحسنت

ودخل على أبي العشائر وعنده رجل ينشده شعراً في بركة في داره فقال :

لَئِنْ كانَ أحْسَنَ في وَصفِها ... لقد فاتَهُ الحسنُ في الوَصْفِ لكْ[3]

لأنّكَ بَحْرٌ وإنّ البِحارَ ... لتأنَفُ مِنْ حالِ هذي البِرَكْ[4]

....

١ الفرس الكريم .

٢ أراكض أي أطارد . ومعوصات الشعر أي عويصاته وهي التي لا يهتدى لوجهها . ويروى معوصات القول . وقسره على الأمر أكرهه . يصف نفسه بسرعة الخاطر وقوة البادرة يقول: إنه يطارد العويص من الشعر وذلك على تشبيهه بالصيد ليأخذه قسراً وغيره من الشعراء باق في مطاردته لم يدرك شيئاً .

٣ أي إن كان قد أحسن في وصف البركة فقد فاته الحسن في وصفه إياك لأنه لم يصفك بما تستحقه . ثم بين ذلك في البيت التالي .

٤ كان هذا الشاعر قد شبه البركة بأبي العشائر فيقول أبو الطيب : إنه لم يحسن في هذا التشبيه لأنك بحر والبحر يأنف من أن تشبه به بركة الماء .

كأنّكَ سَيْفُكَ لا ما مَلَكْ ... تَ يَبْقَى لَدَيْكَ ولا ما مَلَكْ [1]

فأكْثَرُ من جَرْيِها ما وَهَبْتَ ... وأكْثَرُ مِنْ مائِها ما سَفَكْ [2]

أسأتَ وأحْسَنْتَ عَن قُدْرَةٍ ... ودُرْتَ على النّاسِ دَوْرَ الفَلَكْ [3]

لا يحمد السيفُ كلّ من حمله

وقال يمدحه :

لا تَحْسَبوا رَبعَكُمْ ولا طَلَلَهْ ... أوّلَ حَيٍّ فِراقُكُمْ قَتَلَهْ [4]

قَد تَلِفَتْ قَبْلَهُ النّفوسُ بكُمْ ... وأكْثَرَتْ في هَواكُمُ العَذَلَهْ [5]

خَلا وفيهِ أهْلٌ وأوْحَشَنَا ... وفيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ إبِلَهْ [6]

---

١ يقول : أنت مثل سيفك لأنك تفني ما تملكه من المال فلا يبقى عندك وهو يفني ما يظفر به من الناس فلا يترك باقياً .

٢ أي أن ما أفضته من مواهبك أكثر جرياً من ماء هذه البركة وما سفكه سيفك من الدماء أكثر من مائها.

٣ أي في إسعاد قوم وإشقاء آخرين .

٤ الطلل ما تلبد من آثار الدار . جعل إقامتهم بالربع حياة له وارتحالهم عنه قتلا لأن الأرض إنما تحيا بسكانها . يقول : رحلتم فخرب ربعكم وعفا طللكم ولكن ليس هذا ولا ذاك أول حي قتل حزناً على فراقكم ، ثم بين ذلك فيما يليه .

٥ جمع عاذل . يقول : قد تلفت نفوس العشاق قبل الربع من أجلكم وأكثر العاذلون من عذلهم لما رأوا من تهالكهم في هواكم .

٦ الصرم الجماعة من البيوت . وترويح الإبل ردها إلى المراح . يقول : إن ربعهم صار موحشاً لارتحالهم عنه فصار كأنه قفر خال وإن كان عامراً بأهله لأنه لم يبق فيه من يأنس إليه .

لوْ سارَ ذاكَ الحَبيبُ عن فَلَكٍ ما رضيَ الشّمسَ بُرْجُه بَدَلَه[1]

أُحِبّهُ والهَوَى وأدْوُرَهُ وكُلُّ حُبٍّ صَبابَةٌ ووَلَه[2]

يَنصُرُها الغَيثُ وهيَ ظامِئَةٌ إلى سِواهُ وسُحْبُها هَطِلَه[3]

وا حَرَبَا مِنكِ يا جَدايتَهَا مُقيمَةً، فاعلَمي، ومُرْتَحِلَه[4]

لَوْ خُلِطَ المِسْكُ والعَبيرُ بهَا ولَستِ فيها لَخِلْتُها تَفِلَه[5]

أنا ابنُ مَن بعضُهُ يَفُوقُ أبَا الـ باحِثِ والنَّجلُ بعضُ من نَجَلَه[6]

وإنّما يَذْكُرُ الجُدودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وأنْفَدوا حِيَلَه[7]

---

١ الضمير من برجه للحبيب . أي لو كان مسير هذا الحبيب عن فلك من الأفلاك لما رضي البرج الذي كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه لأنها لا تعادله في المحاسن .

٢ يجوز أن يكون والهوى قسماً أو عطفاً على الضمير المنصوب قبله . والأدؤر جمع دار . والصبابة رقة الشوق . والوله ذهاب العقل . أي أحبه وأحب كل ما ينتسب إليه وإنما الحب صبابة تملك قلب العاشق ووله يزين له كل شيء من قبل المحبوب .

٣ ضمير ينصرها للأدؤر . أي يسقيها المطر وهي ظامئة إلى غير المطر أي إلى الحبيب الذي كان ينزلها .

٤ واحربا كلمة تستعمل في مقام الحزن والتأسف وأصل الحرب أن يسلب الإنسان ماله ويبقى بلا شيء ثم استعملوها في كل مندوب . والجداية الظبية الصغيرة . ومقيمة حال من الضمير في منك . وفاعلمي اعتراض . يقول : واحربا منك يا ظبية هذه الديار مقيمة كنت أو مرتحلة لأنك إن أقمت منعنا عنك الصد وإن رحلت حال بيننا وبينك البعد .

٥ العبير أخلاط من الطيب . والضمير من بها للأدؤر . وخلتها حسبتها . وتفلة أي منتنة الريح . أي إنما كانت ديارك طيبة بأنفاسك فأما وقد رحلت عنها فلا تطيب لي رياها ولو خلطوا ترابها بالمسك .

٦ النجل الولد. ونجله ولده . يقول : أنا ابن الذي بعضه أي ولده يفوق أبا الباحث عن نسبي . وقوله النجل بعض من نجله تفسير لقوله بعضه في صدر البيت .

٧ يقال نافرته فنفرته أي فاخرته فغلبته . وأنفدوا أفرغوا . يقول : إنما يذكر جدوده الباحثين

فَخْراً لعَضْبٍ أرُوحُ مُشْتَمِلَهْ ... وسَمْهَرِيٍّ أرُوحُ مُعْتَقِلَهْ[1]

ولْيَفْخَرِ الفَخْرُ إذْ غدَوْتُ بهِ ... مُرْتَدِياً خَيْرَهُ ومُنْتَعِلَهْ[2]

أنا الذي بَيَّنَ الإلَهُ بِهِ الـ ... أقْدارَ والمَرْءُ حَيْثُما جَعَلَهْ[3]

جَوْهَرَةٌ تَفْرَحُ الشُّرافُ بهَا ... وغُصَّةٌ لا تُسيغُها السَّفِلَهْ[4]

إنَّ الكِذابَ الذي أكادُ بِهِ ... أهْوَنُ عِنْدي مِنَ الذي نَقَلَهْ[5]

فَلا مُبَالٍ ولا مُدَاجٍ ولا ... وانٍ ولا عاجِزٌ ولا تُكَلَهْ[6]

والمفاخرين من غلبوه بالفخر ولم يتركوا له حيلة فيفتخر بآبائه . والمعنى إنما يفخر بجدوده من لا فخر له في نفسه .

١ فخراً مفعول مطلق نائب عن عامله أي ليفخر فخراً . والعضب السيف القاطع واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية . وقوله مشتملة أي مشتملا عليه وهو أن يجعله تحت ثوبه . والسمهري الرمح . واعتقله وضمه بين ساقه وركابه .

٢ خيره أي أفضله . ويروى حبره وهو الجمال وحسن الهيئة . يقول : لبست الفخر رداء على منكبي ونعلا تحت قدمي فليفتخر بذلك لأني قد صنته عن دعوى اللئام .

٣ يقول : بي بين الله أقدار الناس في الفضل لأني أصف كل أحد بما فيه أو أن من أحسن إلي وأكرمني دل ذلك على مروءته وحبه لذوي الفضل ومن استخف بي دل ذلك على لؤم طبعه . وقوله والمرء حيثما جعله يريد بالمرء نفسه أي أن الله قد جعله في هذه الحال . ويمكن أن يكون المراد أن الله جعل لكل إنسان منزلة من الكرم أو اللؤم فهو في تلك المنزلة لا يتحول عنها .

٤ جوهرة خبر عن محذوف ضمير المتكلم . وساغ الشراب سهل دخوله في الحلق وأسغته أنا . والسفلة أدنياء الناس . أي أنه يزين أعراض الشرفاء بوصف مناقبهم فيكون جوهرة لهم يفرحون بها ويتنافسون فيها ويغيظ صدور اللئام ببيان نقائصهم فيكون عليهم غصة لا تساغ .

٥ الكذاب الكذب . يعرض برجل وشى به إلى أبي العشائر يقول : إن تلك الوشاية التي قصد كيدي بها هي أهون عندي من الذي نقلها أي أنه لا يبالي بها ولا براويها .

٦ مبال خبر عن محذوف أي فلا أنا مبال . والمداجي الذي يساتر العداوة . والواني المقصر . والتكلة الذي يتكل على غيره . ينفي عن نفسه هذه الصفات . يقول : لست مبالياً بأعدائي ولا مداجياً لهم

ودارِعٍ سِفتُهُ فَخَرَّ لَقًى	في المُلْتَقَى والعَجاجِ والعَجَلَه[1]
وسامِعٍ رُعْتُهُ بقافِيَةٍ	يَحارُ فيها المُنَقَّحُ القُوَلَه[2]
ورُبَّما أُشْهِدُ الطّعامَ مَعي	مَن لا يُساوي الخبزَ الذي أكَلَه[3]
ويُظْهِرُ الجَهْلَ بي وأعرِفُهُ	والدُّرُّ دُرٌّ برَغْمِ مَنْ جَهِلَه
مُستَحيِياً من أبي العَشائرِ أنْ	أسحَبَ في غَيرِ أرْضِهِ حُلَلَه[4]
أسْحَبُها عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ	ثِيابُهُ مِنْ جَليسِهِ وَجِلَه[5]
وبِيضُ غِلْمانِهِ كَنائِلِهِ	أوّلُ مَحْمُولِ سَيْبِهِ الحَمَلَه[6]
ما ليَ لا أمْدَحُ الحُسَينَ ولا	أبْذُلُ مِثْلَ الوُدّ الذي بَذَلَه[7]
أأخفَتِ العَينُ عندَهُ أثَراً	أمْ بَلَغَ الكَيْذُبانُ ما أمَلَه[8]

ولا مقصراً في أمري ولا عاجزاً عن مكافأتهم ولا متكلا في ذلك على غيري .

١ الدارع ذو الدرع . وسفته ضربته بالسيف . ولقى أي مطروحاً . والعجاج الغبار . والعجلة الحمأة أو السرعة .

٢ رعته أرهبته أو أعجبته . والمنقح الذي يهذب كلامه . والقولة اللسن الجيد القول . أي أنه يفجأ السامع بكل قافية جيدة يرتاع لها ويتحير في حسنها الشاعر المترسل المجيد .

٣ أشهد بمعنى أحضر . والطعام مفعول ثان مقدم . ومن مفعول أول . يريد بذلك الرجل الذي وشى به وكان يقال له المسعودي كان أبو الطيب قد وصله بأبي العشائر فصار نديماً له ثم تناوله عند أبي العشائر .

٤ ثيابه . أي أفعل ذلك وأرضى بالإقامة حياء من الممدوح أن ألبس خلعه في غير بلده .

٥ خائفة . أي لشدة كرمه لا تزال ثيابه خائفة أن يخلعها على جليسه فيفوتها التشرف به .

٦ السيب العطاء . أي يهب غلمانه البيض كما يهب أمواله فيكون الحامل للعطية أول العطايا .

٧ ويروى أبذل ملود مثل ما بذله أي من الود فحذف النون وقد مر مثله .

٨ الكيذبان الكاذب . يقول : هل أخفت عينه عليه أثراً من آثار خدمتي فجحدها علي أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عنده ما يأمله من الوشاية بي . وكل هذا على سبيل الإنكار أي ليس الأمر على ما ذكر

أمْ لَيسَ ضَرّابَ كلِّ جُمجمَةٍ مَنْخُوّةٍ ساعةَ الوَغَى زَعِلَهْ[1]
وصاحِبَ الجُودِ ما يُفارِقُهُ لَوْ كانَ للجُودِ مَنْطِقٌ عَذَلَهْ[2]
وراكِبَ الهَوْلِ لا يُفتِّرُهُ لَوْ كانَ للهَوْلِ مَحزِمٌ هَزَلَهْ[3]
وفارِسَ الأحْمَرِ المُكَلِّلَ في طَيِّءٍ المُشْرَعَ القَنَا قِبَلَهْ[4]
لمّا رأتْ وَجهَهُ خُيُولُهُمُ أقْسَمَ باللهِ لا رأتْ كَفَلَهْ[5]
فأكْبَرُوا فِعْلَهُ وأصْغَرَهُ ؛ أكبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الذي فَعَلَهْ[6]
القاطِعُ الواصِلُ الكَميلُ فَلا بَعضُ جَميلٍ عن بَعضِهِ شَغَلَهْ[7]

فلا وجه لتقصيري في حق مدحه ومودته .

١ منخوة أي ذات نخوة ، وهي العظمة والكبر . وزعلة نشيطة .

٢ صاحب عطف على ضراب . وعذله لامه . أي أنه لزم الجود حتّى أسرف في العطاء فلو كان للجود منطق لعنفه على ذلك .

٣ الهول المخافة . والمحزم ما يقع عليه الحزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوباً أجراه مجرى المركوب من الدواب أي أنه جهده بالركوب حتّى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال . وإنما خص المحزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما يلحقها من الضمور .

٤ المكلل الماضي في الحملة لا ينثني . ويروى المكلل ، بالفتح ، أي المتوج . والمشرع نعت سببي لفارس يقال أشرع الرمح إذا سدده إلى المطعون . والقنا نائب المشرع . وقبله أي نحوه .

٥ الضمير من وجهه للفرس . وضمير أقسم للممدوح . أي لما رأت خيولهم وجه فرسه عند استقباله لهم أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفله .

٦ أكبروا بمعنى استكبروا . وأصغره يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض ، أي استكبروا فعله واستصغره هو . ثم استأنف فقال أكبر من فعله الذي فعله أي أن الذي فعل هذا الفعل هو أكبر منه وهو بيان لوجه استصغاره فعله أي أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . ويروى بضم الراء على أنه مبتدأ مخبر عنه بما بعده وهي رواية الخوارزمي أي وأصغر فعله أكبر مما استعظموه .

٧ ويروى القاتل الواصل والقائل الواصل . والكميل بمعنى الكامل . أي يقطع الأمور ويصلها كما يشاء ولا يشغله فعل جميل عن فعل جميل آخر .

فَواهِبٌ والرِّماحُ تَشْجُرُهُ   وطاعِنٌ والهِباتُ مُتَّصِلَه[1]

وكُلَّما أَمِنَ البِلادَ سَرَى   وكلّما خِيفَ مَنْزِلٌ نَزَلَه[2]

وكُلَّما جاهَرَ العَدُوَّ ضُحًى   أَمْكَنَ حتى كأنّهُ خَتَلَه[3]

يَحْتَقِرُ البِيضَ واللُّدانَ إذا   سَنَّ عليهِ الدِّلاصَ أوْ نَثَلَه[4]

قد هَذَّبَتْ فَهْمَهُ الفَقاهَةُ لي   وهَذَّبَتْ شِعرِيَ الفَصاحَةُ لَه[5]

فصِرْتُ كالسَّيفِ حامِداً يَدَهُ   لا يَحمدُ السَّيفُ كلَّ مَن حَمَلَه[6]

---

١ شجره بالرمح طعنه . أي لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الحرب .

٢ أي كلما أمن بلاده من وثبة العدو سرى في طلب الغزو والفتح وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وأمنه .

٣ ضمير أمكن للعدو أي أمكنه من نفسه . والختل الخداع . أي كلما جاهر أعداءه بالحرب تمكن منهم وظفر بهم كأنه خادعهم وأخذهم بالحيلة .

٤ البيض السيوف . واللدان الرماح اللينة وهو جمع لدن . والدلاص الدرع اللينة الملساء . ونثل الدرع ألقاها عنه، وذكر الضمير على لغة من يذكر الدرع . أي أنه لا يبالي بسيوف الأعداء ورماحهم دارعاً كان أو حاسراً .

٥ الفقاهة العلم والفطنة . أي أن فقاهة الممدوح هذبت فهمه لي فلم تخف عليه محاسن كلامي وفصاحتي هذبت شعري له فلم ير فيه ما يعاب .

٦ أي صرت حامداً يده حمد السيف إياها والسيف لا يحمد كل حامل له فكذلك أنا لا أحمد كل يد .

للغمام طباع

أراد أبو الطيب الانصراف من عنده في بعض الليالي فقال له اجلس فجلس فأمر له بجارية ثم نهض فقال له اجلس فجلس فأمر له بمهر فقال له الخصي تمدح الليلة يا أبا الطيب فقال :

أعَنْ إذني تَمُرُّ الرّيحُ رَهْواً ... ويَسري كُلّما شِئتُ الغَمامُ[1]

ولَكِنّ الغَمَامَ لَهُ طِباعٌ ... تَبَجُّسُهُ بِها وكَذا الكِرامُ[2]

الدهر لفظ أنت معناه

وأراد أبو العشائر سفراً فقال يودعه :

ألنّاسُ ما لم يَرَوْكَ أشْباهُ ... والدّهْرُ لَفْظٌ وأنتَ مَعْناهُ[3]

والجُودُ عَينٌ وأنْتَ ناظِرُها ... والبأسُ باعٌ وأنتَ يُمْناهُ[4]

---

١ الاستفهام إنكار . والرهو السير السهل. يقول : الريح لا تهب بإذني والغمام لا يسري بمشيئتي، ويريد بالريح والغمام الممدوح على تشبيهه بهما في سرعة العطاء وكثرته أي أنه إنما يفعل ما يفعله بطبعه لا بمشيئتي وهواي ، وقد بين ذلك في البيت التالي .

٢ تبجسه انفجاره . وبها خبر تبجسه .

٣ ما مصدرية زمانية . وأشباه أي أمثال ونظراء . يقول : الناس أشباه بعضهم لبعض إلا إذا قابلوك فإن هذه المشابهة تختلف بك إذ لا نظير لك بينهم في المهابة والجلالة وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسيء .

٤ ناظر العين إنسانها . والبأس الشجاعة .

أفْدي الذي كلُّ مـأزِقٍ حَرِجٍ أغْبَرَ فُرْسانُهُ تَحَاماه[1]

أعْلى قَنَاةِ الحُسَينِ أوْسَطُها فيهِ وأعْلى الكَميّ رِجْلاهُ[2]

تُنْشِدُ أثْوابُنا مَدائِحَــهُ بِألْسُنٍ ما لَهُنّ أفْواهُ[3]

إذا مَرَرْنا على الأصَمّ بهَـا أغْنَتْهُ عَنْ مِسمَعَيْهِ عَيْناهُ[4]

سُبْحانَ مَنْ خارَ للكَواكِبِ بالْ بُعْدِ ولَوْ نُلْنَ كُنّ جَدواهُ[5]

لَوْ كانَ ضَوْءُ الشّموسِ في يَدِه لَصاعَهُ جُودُهُ وأفْنَــاهُ[6]

يا راحِلاً كُلُّ مَنْ يُوَدّعُهُ مُوَدِّعٌ دينَــهُ ودُنْيَــاهُ[7]

إنْ كانَ فيما نَراهُ مِنْ كَرَمٍ فيكَ مَزيدٌ فَزادَكَ اللهُ[8]

---

١ كل مبتدأ خبره الجملة في صدر البيت التالي . والمأزق المضيق يراد به ساحة الحرب . والحرج الضيق . والأغبر ذو الغبار . وتحاماه أي تتحاماه والجملة نعت مأزق .

٢ الضمير من فيه للمأزق . والكمي البطل المغطى بالسلاح . يقول : أفدي هذا الممدوح الذي يشهد كل مأزق ضيق تتأطر فيه قناة رمحه من شدة الاهتزاز فينحني طرفاها إلى الأرض حتى يصير أوسطها أعلاها ويصرع الشجاع في حربه فينقلب أسفله أعلاه .

٣ أي تلبس خلعه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من إنعامه فكأنها قد أبانت عن كرمه ونطقت بالثناء عليه .

٤ بها حال من الضمير في مررنا . والمسمع ، بكسر أوله ، الأذن . والبيت تأكيد للبيت السابق أي إذا مررنا على الأصم وهي علينا علم أن الأمير قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن أن تخبره بعطائه .

٥ خار الله له في الأمر أي جعل له فيه الخير .ونلن هنا مجهول أي أحرزن.والجدوى العطية.يقول: سبحان الله الذي جعل الخير للكواكب في بعدها لأنها لو أحرزت لفرقها الممدوح في جملة عطاياه.

٦ صاعه صوعاً فرقه . وجمع الشمس على تقدير أن لكل يوم شمساً .

٧ قال الواحدي: يريد أنه لا دين إلا به لأنه يحفظه على الناس ولا دنيا إلا معه لأنه ملك فمن ودعه فقد ودعهما .

٨ فيك صلة نراه . ومزيد اسم كان . وزادك الله دعاء . يقول : لا مزيد على كرمك لأنه قد بلغ النهاية فإن كان يحتمل الزيادة أيضاً فزادك الله منه .

أمواه الحديد

وقال قوم : لم يكنك يا أبا العشائر ، فقال :

قالوا ألَمْ تَكْنِهِ فقُلْتُ لَهُمْ : ذلِكَ عِيٌّ إذا وَصَفْناه[1]

لا يَتَوَقّى أبُو العَشائِرِ مِنْ لَبْسِ مَعاني الوَرَى بمَعْناه[2]

أفْرَسُ مَنْ تَسْبَحُ الجِيادُ بِهِ ولَيسَ إلاّ الحَديدَ أمْواه[3]

---

١ كناه ذكر كنيته . والعي العجز في المنطق . يقول : إذا وصفناه للناس كان ذكر كنيته عجزاً منا لأن وصفه يغني عن كنيته بكونه لا يصلح إلا له فقد عرف بذلك وإن لم يكن .

٢ اللبس الالتباس . أي أنه لا يخاف أن تلتبس صفاته ومعاني مدحه بصفات غيره ومعانيه لأنه منفرد بصفات من المدح لا يوصف بها غيره .

٣ الجياد الخيل . وسبحها سرعة عدوها حتى كأنها تسبح في بحر . والحديد استثناء مقدم وخبر ليس محذوف أي وليس هناك أمواه . يقول : هو أفرس من تجري به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد تسبح الخيل فيه .

جواشن من أسنة وسيوف

وأخرج إليه أبو العشائر جوشناً حسناً
أراه إياه في ميافارقين فقال مرتجلا :

بِـهِ وبِمِثْلِهِ شُقَّ الصفُوفُ ... وزَلَّتْ عَن مُباشِرِها الحُتُوفُ[1]
فَدَعْهُ لَقًى فإنّكَ مِنْ كِرامٍ ... جَواشِنُها الأسِنّةُ والسّيوفُ[2]

خالق الخَلق خالق الخُلُق

ضرب أبو العشائر مضربه على الطريق
وكثرت سؤاله فقال أبو الطيب :

لامَ أُناسٌ أبا العَشائِرِ في ... جُودِ يَدَيْهِ بالعَيْنِ والوَرِقِ[3]
وإنّما قيلَ لِمْ خُلِقْتَ كذا ... وخالِقُ الخَلْقِ خالِقُ الخُلُقِ[4]

---

١ الضمير من به ومثله للجوشن وهو الدرع استغنى عن تقدم ذكره بحضوره والإشارة إليه . والحتوف جمع حتف وهو المنية . أي بهذا الجوشن وبمثله تشق صفوف الأعداء لأن لابسه لا يخاف على نفسه فيقتحم الصفوف . وأراد بالحتوف السلاح الذي هو من سببها أي إذا باشر لابسه سلاح العدو بنفسه زل عنه السلاح ولم يفعل في لابسه شيئاً .

٢ اللقى الشيء الملقى . يقول : دعه ملقى ولا تتكلف لبسه فإنك تدفع عن نفسك بالرماح والسيوف ولا تحتاج إلى الدروع .

٣ العين الذهب . والورق الفضة .

٤ أي أن الذي يلومه على الجود كأنه يقول له لماذا خلقت كريماً وإذا كان كذلك فلا يقدر أن يغير طبعه كما لا يقدر أن يغير صورته .

قالوا : ألمْ تكْفِهِ سَمَاحَتُهُ   حتى بَنى بَيْتَهُ على الطُّرُقِ
فقُلْتُ : إنّ الفَتى شَجاعَتُهُ   تُريهِ في الشُّحّ صُورَةَ الفَرَقِ[1]
الشّمسُ قد حَلّتِ السّماءَ وما   يحجُبُها بُعدُها عن الحَدَقِ[2]
بضَرْبِ هامِ الكُماةِ تَمّ لَهُ   كَسبُ الذي يكسِبونَ بالمَلَقِ[3]
كُنْ لُجّةً أيّها السّماحُ فقَدْ   أمّنَهُ سَيفُهُ مِنَ الغَرَقِ[4]

---

١ الشح البخل . والفرق الخوف . أي أن الشجاع لا يكون بخيلا لأن في البخل خوف الفقر والشجاع لا يقبل الخوف .

٢ يعني أنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محتجباً عن السائلين كالشمس مع بعدها يراها كل ناظر .

٣ يريد أن كل احد يحبه لشجاعته كما يحب من يتودد إلى الناس فتم له بضرب الرؤوس ما يكسبه غيره بالتملق .

٤ يقول : يا أيها الجود كن بحراً إن شئت فإنه لا يخاف أن يغرق لأن سيفه قد أعطاه الأمان من كل مهلكة . يريد أنه مع سماحته شجاع حتى لو صار السماح مهلكاً ما خافه .

الكريم ألوف

كان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلماناً له ليوقعوا به فلحقوه بظاهر حلب ليلا فرماه أحدهم بسهم وقال: خذه وأنا غلام أبي العشائر. فقال أبو الطيب * :

ومُنْتَسِبٍ عِندي إلى مَنْ أُحِبّهُ ... وللنَّبْلِ حَوْلي مِن يَدَيهِ حَفيفُ[1]

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقي وما من مَذَلّةٍ ... حَنَنْتُ ولَكِنّ الكَريمَ أَلُوفُ[2]

وكلُّ وِدادٍ لا يَدومُ على الأذَى ... دَوامَ وِدادي للحُسَينِ ضَعيفُ[3]

* كان ذلك بعد مفارقة أبي الطيب لأبي العشائر واتصاله بسيف الدولة وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وغمره بعطاياه فأوغر ذلك صدور قوم من حساده فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه فأنشده أبو الطيب القصيدة التي يقول في مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وفيها يعرض ببعض بني حمدان أبناء عم سيف الدولة وكان ذلك بمحضر من أبي العشائر، فلما خرج أبو الطيب ألحق به بعض غلمانه ليوقعوا به في حديث ذكرناه في مقدمة الكتاب فقال هذه الأبيات .

١ صوت جناح الطائر ونحوه .

٢ من الأولى زائدة . والثانية للتعليل متعلقة بحننت . وحن إليه اشتاق واستطرب . يقول : لما ذكر اسم أبي العشائر هيج شوقي إليه وما كان شوقي في تلك الحال عن ذل ومهانة ولكن الكريم مطبوع على الألفة وحفظ الذمام .

٣ على بمعنى مع . ودوام مفعول مطلق. وللحسين صلة ودادي . وضعيف خبر كل . أي كل وداد لا يدوم مع تحمل الأذى كدوام ودادي للحسين فهو وداد ضعيف .

فإنْ يكُنِ الفِعْلُ الذي ساءَ واحِداً فأفْعالُهُ اللائي سَرَرْنَ أُلُوفُ[1]

ونَفْسي لَهُ نَفْسي الفِداءُ لنَفْسِهِ ، ولكِنّ بَعضَ المالِكِينَ عَنيفُ[2]

فإنْ كانَ يَبغي قَتْلَها يَكُ قاتِلاً بكَفَّيهِ فالقَتْلُ الشّريفُ شريفُ[3]

....

١ واحداً خبر يكن . أي قد ساءني بفعل واحد وسرني بأفعال كثيرة فهذا القليل من الإساءة لا يعطل ذلك الكثير من الإحسان .

٢ يقول : نفسي له لأنه ملكني بإحسانه ولكنه مالك عنيف لم يرفق بي بعد امتلاكي . وقوله نفسي الفداء لنفسه دعاء .

٣ هذا البيت ساقط من بعض النسخ . يقول : إن كان يبغي قتل نفسي فليكن قاتلا لها بيده فإن القتل الشريف شرف للمقتول .

فهرست المجلد الأول

ت

ح

د

ذ

ر

ز

س

ش

ض

ع

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

ديوان العرب

ظهر في هذه المجموعة :

١	ديوان المتنبي	٢٠	ديوان أوس بن حجر
٢	شرح ديوان المتنبي لليازجي (جزآن)	٢١	« جميل بثينة
٣	ديوان عبيد بن الأبرص	٢٢	« الشريف الرضي (جزآن)
٤	« امرىء القيس	٢٣	« طرفة بن العبد
٥	« عنترة	٢٤	« عمر بن أبي ربيعة
٦	« عبيد الله بن قيس الرقيات	٢٥	« حسان بن ثابت الأنصاري
٧	« أبي فراس	٢٦	« ابن المعتز
٨	« عامر بن الطفيل	٢٧	« ابن خفاجة
٩	« الخنساء	٢٨	« ترجمان الأشواق
١٠	« زهير بن أبي سلمى	٢٩	« البحتري (جزآن)
١١	« النابغة الذبياني	٣٠	« صفي الدين الحلي
١٢	« ابن زيدون	٣١	« أبي نواس
١٣	« ابن حمديس	٣٢	« حاتم الطائي
١٤	شرح المعلقات السبع للزوزني	٣٣	« ابن الفارض
١٥	سقط الزند لأبي العلاء المعري	٣٤	جمهرة أشعار العرب
١٦	اللزوميات « « « (جزآن)	٣٥	ديوان أبي العتاهية
١٧	ديوان الفرزدق (جزآن)	٣٦	« بهاء الدين زهير
١٨	« جرير	٣٧	« ابن هاني الأندلسي
١٩	« الأعشى	٣٨	ديوانا عروة بن الورد والسموأل